
AYASOFYA KÜTÜPHANESİ
281

استصحبه الفقير باراوه ابرهيم
عفوله

الجلد الثاني من تفسير المدارك للنسفي
نسخ ٣٥

بوكتاب صالحا خانون بالكي
١٩
٢٧٢ درقدر

سابقا اناطولی قاضیعسکری پاشازاده ابراهیم افندینک اعیلرندن ١

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم

مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان

السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع فيه

ومن أكرامه تعالى ... الله وحسبي حرره الفقير أحمد

شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين

غفر لهما

سورة مريم مكية وهي ثمان او تسع وتسعون اية بصري وشامي

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص قال السدي هو اسم
الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرا علي ويحيى بكسر الها والياء ونافع
بين الفتح والكسر والي الفتح اقرب وابو عمرو بكسر الها وفتح اليا وحمزة بعكسه
وغيرهم بفتحهما ذكر رحمة ربك خبر مبتدا اي هذا ذكر عبده مفعول الرحمة
زكرياء بالقصر حمزة وعلي وحفص بدل من عبده اذ ظرف للرحمة نادى ربه
نداء خفيا دعاه دعاء سرا كما هو المامور به وهو ابعد عن الريا واقرب
الي الصفاء او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في اوان الكبر لانه كان ابن خمس
وسبعين او ثمانين سنة قال رب هذا تفسير الدعا واصله يا ربي فحذف
حرف النداء والمضاف اليه اختصارا اني وهن العظم مني ضعف وخص
العظم لانه عمود البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه
اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو
الدال على معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام
واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن واشتعل الراس شيبا تمييز اي
فشا في راسي الشيب واشتعال النار اذا تفرقت في التهابها وصارت شعلا
شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر واخذه منه كل
ماخذ باشتعال النار ولا ترى كلاما افصح من هذا الا ترى ان اصل الكلام
يا رب قد شخت اذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الراس
المتعرض لهما واقوى منه ضعف بدني وشاب راسي ففيه مزيد التقرير
للتفصيل واقوى منه وهنت عظام بدني واقوى منه اني وهنت
عظام بدني واقوى منه اني وهنت العظام من بدني ففيه سلوك طريقي
الاجمال والتفصيل واقوى منه اني وهنت العظام مني ففيه ترك توسيط
البدن واقوى منه اني وهن العظم مني لشمول الوهن العظام فردا فردا
باعتبار ترك جمع العظم الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض
دون كل فرد فرد وهكذا تركت الحقيقة في شاب راسي الى ابلغ وهي
الاستعارة فحصل اشتعل شيب راسي وابلغ منه اشتعل راسي شيبا
لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس لافادة شمول

الاشتعال

الاشتعال الراس اذ وزان اشتعل شيب راسي واشتعل راسي شيبا وزان
اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق نير ولان فيه الاجمال
والتفصيل كما عرف في طريق التمييز وابلغ منه واشتعل الراس مني شيبا
لما مر وابلغ منه واشتعل الراس شيبا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب انه راس
زكريا بقرينة العطف على وهن العظم مني ولم اكن بدعائك مصدر مضاف
الى المفعول اي بدعائي اياك رب شقيا اي كنت مستجاب الدعوة قبل
اليوم عبدا ابه غير شقي فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي
اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا الذي احسنت
الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقت حاجته وقضى
حاجته واني خفت الموالي هم عصبته اخوته وبنو عمه وكانوا اشرار
بني اسرائيل فخافهم ان يغيروا الدين وان لا يحسنوا الخلافة على امته
فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به في احياء الدين من ورائي بعد
موتي وبالقصر وبفتح الياء كهداي مكي وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لان
وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي
اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت
الذين يلون الامر من ورائي وكانت امراتي عاقرا عقيما لا تلد فهب لي من
لدنك اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة وليا ابنا يلي
امرك بعدي يرثني ويرث برفعهما صفة لوليا اي هب لي ولدا وارثا مني
العلم ومن ال يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة انه يصلح لان يوحى اليه
ولم يرد ان نفس النبوة تورث وبجزمهما ابو عمرو وعلي على انه جواب للدعاء
يقال ورثته وورثت منه من ال يعقوب يعقوب بن اسحاق واجعله
رب رضيا مرضيا ترضاه او راضيا عنك وبحكمك فاجاب الله دعاه وقال
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى تولى الله تسميته تشريفا له نبشرك بالتخفيف
حمزة لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله هذا دليل على ان الاسم الغريب
جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبيها ولم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية
قط وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به قال
رب انى يكون لي غلام وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باي
طريق يكون ايوهب له وهو وامراته بتلك الحال ام يحولان شابين وكانت
امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة
في المفاصل والعظام كالعود اليابس من اجل الكبر والطعن في السن العالية
عتيا وصليا وجثيا وبكيا بكسر الاوايل حمزة وعلي وحفص الا في بكيا قال كذلك
الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا فقال قال ربك او نصب
بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين اي خلق يحيى من كبيرين
سهل وقد خلقتك من قبل او جدتك من قبل يحيى خلقناك حمزة وعلي ولم
تك شيا لان المعدوم ليس بشيء قال رب اجعل لي اية علامة اعرف بها

حبلها اي قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا حال من ضمير تكلم
اي حال كونك سوي الاعضاء واللسان يعني علامتك ان تمنع الكلام فلا
تطيقه وانت سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالي هنا والايام
في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن اذ ذكر
الايام يتناول ما بازائها من الليالي وكذا ذكر الليالي يتناول ما بازائها
من الايام عرفا فخرج على قومه من المحراب من موضع صلاته وكانوا ينتظرونه
ولم يقدر ان يتكلم فاوحى اليهم اشار باصبعه ان سبحوا صلوا وان هي المفسرة
بكرة وعشيا صلاة الفجر والعصر يا يحيى اي وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته
واوان الخطاب يا يحيى خذ الكتاب التوراة بقوة حال اي بجد واستظهار
بالتوفيق والتأييد وآتيناه الحكم الحكمة وهو فهم التوراة والفقه في الدين
صبيا حال قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا
وحنانا شفقة ورحمة لابويه وغيرهما عطفا على الحكم من لدنا من عندنا
وزكاة طهارة وصلاحا فلم يعمل بذنب وكان تقيا مسلما مطيعا وبرا بوالديه
وبارا بهما لا يعصيهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاصيا لربه وسلام عليه امان
من الله له يوم ولد من ان يناله الشيطان ويوم يموت من فتاني القبر ويوم
يبعث حيا من الفزع الاكبر قال ابن عيينة انها اوحش المواطن واذكر يا محمد
في الكتاب القرآن مريم اي اقرأ عليهم في القرآن قصة مريم ليقفوا عليها
ويعلموا ما جرى عليها اذ بدل من مريم بدل اشتمال اذ الاحيان مشتملة
على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة
العجيبة فيه انتبذت من اهلها مكانا اعتزلت مكانا ظرف شرقيا اي تخلت
للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن
الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض فاتخذت من دونهم
حجابا جعلت بينها وبين اهلها حجابا يسترها لتغتسل وراءه فارسلنا اليها
روحنا جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمي روحا لان الدين
يحيى به وبوحيه فتمثل لها بشرا اي تمثل لها جبريل في صورة آدمي شاب
امرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا مستوي الخلق وانما مثل لها في
صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة
لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت
تقيا اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله فاني عائذة به منك قال جبريل
عليه السلام انما انا رسول ربك امنها مما خافت واخبر انه ليس بآدمي
بل هو رسول من استعاذت به لاهب لك باذن الله تعالى او لاكون سببا
في هبة الغلام بالنفخ في الدرع ليهب لك اي الله ابو عمرو ونافع غلاما زكيا
طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والبركة قالت انى كيف يكون لي غلام
ابن ولم يمسسني بشر زوج بالنكاح ولم اك بغيا فاجرة تبغي الرجال اي
تطلب الشهوة من اي رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من احد هذين

والبغي

والبغي فعول عند المبرد بغوي فقلبت الواو ياء وادغمت وكسرت
الغين اتباعا ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق في امرأة صبور وشكور
وعند غيره هي فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت
بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل ان رحمة الله قريب قال جبريل
كذلك اي الامر كما قلت لم يمسسك رجل نكاحا او سفاحا قال ربك
هو علي هين اي اعطاء الولد بلا اب علي سهل ولنجعله آية للناس تعليل
معلله محذوف اي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف
على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس اي عبرة وبرهانا
على قدرتنا ورحمة منا لمن آمن به وكان خلق عيسى امرا مقضيا مقدرا
مسطورا في اللوح فلما اطمأنت الى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها
فوصلت النفخة الى بطنها فحملته اي الموهوب وكان سنها ثلاث عشرة
سنة او عشرا او عشرين فانتبذت به اعتزلت وهو في بطنها والجار والمجرور
في موضع الحال عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة
واحدة كما حملته نبذته وقيل ستة اشهر وقيل سبعة وقيل ثمانية
ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة
ووضعته في ساعة مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل لانها لما
احست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة فاجاءها جاء بها وقيل
الجأها وهو منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى
معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد المخاض
وجع الولادة الى جذع النخلة اصلها وكانت يابسة وكان الوقت
شتاء وتعريفها مشعر بانها كانت نخلة معروفة وجاز ان يكون
التعريف للجنس اي جذع هذه الشجرة كانه تعالى ارشدها الى النخلة
ليطعمها منها الرطب لانه خرسة النفساء اي طعامها قالت جزعا مما
اصابها يا ليتني مت قبل هذا اليوم مدني وكوفي غير ابي بكر وغيرهم بالضم
يقال مات يموت ومات يمات وكنت نسيا منسيا شيئا متروكا لا يعرف
ولا يذكر بفتح النون حمزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناهما واحد وهو
الشيء الذي حقه ان يطرح وينسى لحقارته فناداها من تحتها اي الذي
تحتها فمن فاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان بمكان منخفض عنها
او عيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدني وكوفي
سوى ابي بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام او جبريل والهاء
في تحتها للنخلة ولشدة ما لقيت سليت بقوله الا تحزني لا تهتمي بالوحدة
وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وان بمعنى اي قد جعل ربك تحتك
بقربك او تحت امرك اذا امرته ان يجري جرى وان امرته ان يقف وقف
سريا نهرا صغيرا عند الجمهور وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري
فقال هو الجدول وعن الحسن سيدا كريما يعني عيسى عليه السلام

وروي ان خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمي الجدول سريا فقال
الحسن صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب
عيسى او جبريل عليهما السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب
فجرى النهر اليابس فاخضرت النخلة واثمرت واينعت ثمرتها
فقيل لها **وهزي اليك** اي الى نفسك **بجذع النخلة** قال ابو علي
الباء زائدة اي هزي جذع النخلة **تساقط عليك** بادغام التاء الاولى
في الثانية مكي ومدني وشامي وابو عمرو وعلي وابو بكر والاصل تتساقط
باظهار التائين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية
وتخفيف السين حمزة ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين
يعقوب وسهل وحماد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط ويسقط
وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قراءات **رطبا** تمييز
او مفعول به على حسب القراءة **جنيا** طريا وقالوا التمر للنفساء عادة من
ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل **فكلي**
من الجني **واشربي** من السري **وقري عينا** بالولد الرضي وعينا تمييز اي
طيبي نفسا بعيسى وارفضي عنك ما احزنك **فاما** اصله ان ما فضمت
ان الشرطية الى ما وادغمت فيها **ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت**
للرحمن صوما اي فان رايت ادميا يسألك عن حالك فقولي اني نذرت
للرحمن صمتا وامساكا عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون
عن الاكل والشرب وقيل صياما حقيقة وكان صومهم فيه الصمت فكان
التزامه التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت
فصار ذلك منسوخا فينا وانما امرت ان تنذر السكوت لان عيسى عليه
السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه ان
السكوت عند السفيه واجب وما قدع سفيه بمثل الاعراض ولا اطلق عنانه
بمثل العراض وانما اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة
كلاما وقولا الا ترى الى قول الشاعر في وصف القبور وتكلمت عن اوجه
تبلى وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام او سوغ لها هذا القدر
بالنطق **فلن اكلم اليوم انسيا** ادميا **فاتت به** بعيسى **قومها** بعدما طهرت
من نفاسها **تحمله** حال منها اي اقبلت نحوهم حاملة اياه فلما راوه معها
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا عجيبا والفري القطع كانه يقطع
العادة **يا اخت هارون** وكان اخاها من ابيها ومن افضل بني اسرائيل او هو
اخو موسى عليه السلام وكانت من اعقابه وبينهما الف سنة وهذا كما يقال
يا اخا همدان اي يا واحدا منهم او رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به
في الصلاح او شتموها به **ما كان ابوك** عمران **امرء سوء** زانيا **وما كانت امك**
حنة **بغيا** زانية **فاشارت اليه** الى عيسى ان جيبهم وذلك ان عيسى عليه
السلام قال لها لا تحزني واحيلي بالجواب علي وقيل امرها جبريل بذلك

ولما

ولما اشارت اليه غضبوا وتعجبوا و**قالوا كيف نكلم من كان** حدث ووجد
في المهد المعهود **صبيا** حال **قال اني عبد الله** ولما اسكتت بامر الله
لسانها الناطق انطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية
وهو ابن اربعين ليلة او ابن يوم روي انه اشار بسبابته وقال بصوت
رفيع اني عبد الله وفيه رد لقول النصارى **اتاني الكتاب** الانجيل **وجعلني**
نبيا روي عن الحسن انه كان في المهد نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه
ان ذلك سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة كانه وجد **وجعلني مباركا اينما**
كنت نفاعا حيث كنت او معلما للخير **واوصاني** وامرني **بالصلاة والزكاة**
ان ملكت مالا وقيل صدقة الفطر او تطهير البدن ويحتمل واوصاني بان امركم
بالصلاة والزكاة **ما دمت حيا** نصب على الظرف اي مدة حياتي **وبرا**
بوالدتي عطفا على مباركا اي بارا بها اكرمها واعظمها **ولم يجعلني جبارا**
متكبرا **شقيا** عاقا **والسلام علي يوم ولدت** يوم ظرف والعامل فيه
الخبر وهو علي **ويوم اموت ويوم ابعث حيا** اي ذلك السلام الموجه
الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي ان كان حرف التعريف للعهد
وان كان للجنس فالمعنى وجنس السلام علي وفيه تعريض باللعنة على اعداء
مريم وابنها لانه اذا قال وجنس السلام علي فقد عرض بان ضده عليكم
اذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة لمثل هذا التعريض **ذلك**
مبتدا **عيسى** خبره **ابن مريم** نعته او خبر ثان اي ذلك الذي قال اني كذا وكذا
عيسى ابن مريم لا كما قالت النصارى انه اله او ابن الله **قول الحق** كلمة
الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لانه ولد بقوله كن بلا
واسطة اب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف او بدل
من عيسى ونصبه شامي وعاصم على المدح او على المصدر اي اقول قول الحق
وهو ابن مريم وليس باله كما يدعونه **الذي فيه يمترون** يشكون من المرية
الشك او يختلفون من المراء فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت
النصارى ابن الله وثالث ثلاثة **ما كان لله** ما ينبغي له **ان يتخذ من ولد**
جيء بمن لتاكيد النفي **سبحانه** نزه ذاته عن اتخاذ الولد **اذا قضى امرا فانما**
يقول له كن فيكون بالنصب شامي اي كما قال لعيسى كن فكان من غير اب
ومن كان متصفا بهذا كان منزها ان يشبه الحيوان الوالد **وان الله ربي**
وربكم فاعبدوه بالكسر شامي وكوفي على الابتداء وهو من كلام عيسى يعني
كما انا عبده فانتم عبيده علي وعليكم ان نعبده ومن فتح عطف على بالصلاة
اي واوصاني بالصلاة وبالزكاة وبان الله ربي وربكم او علقه بما بعده
اي ولان الله ربي وربكم فاعبدوه **هذا** الذي ذكرت **صراط مستقيم**
فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا **فاختلف الاحزاب** الحزب الفرقة المنفردة
برايها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية
من بينهم من بين اصحابه او من بين قومه او من بين الناس وذلك

ان النصارى اختلفوا في عيسى حيث رفع ثم اتفقوا على ان يرجعوا الى قول
ثلاثة كانوا عندهم اعلم اهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكا
فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور
كان ابن الله اظهره ما شاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا كان عبدا
مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم قوم فويل للذين كفروا من الاحزاب اذ
الواحد منهم على الحق من مشهد يوم عظيم هو يوم القيامة او من شهودهم
هول الحساب والجزاء في يوم القيامة او من شهادة ذلك اليوم عليهم
وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم بالكفر او من مكان الشهادة
او وقتها او المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيما لفظاعة
ما شهدوا به في عيسى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا الجمهور على ان لفظه امر
ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد ان اسماعهم
وابصارهم جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا
قال قتادة ان عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما اسمعهم وما ابصرهم
بالهدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كاكرم بزيد فمعناه
كرم زيد جدا لكن الظالمون اليوم اقيم الظاهر مقام الضمير اي لكنهم اليوم
في الدنيا بظلمهم انفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم
ووضعوا العبادة في غير موضعها في ضلال مبين عن الحق ظاهر وهو اعتقاد
عيسى الها معبودا مع ظهور اثار الحدث فيه اشعارا بان لا ظلم اشد
من ظلمهم وانذرهم خوفهم يوم الحسرة يوم القيامة لانه يقع فيه الندم
على ما فات وفي الحديث اذا راوا منازلهم في الجنة ان لو امنوا اذ بدل من
يوم الحسرة او ظرف للحسرة وهو مصدر قضي الامر فرغ من الحساب
وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وهم في غفلة هنا عن الاهتمام
لذلك المقام وهم لا يؤمنون لا يصدقون به وهم وهم حالان اي
وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين انا نحن نرث الارض
ومن عليها اي نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلاك والفناء وذكر من
لتغليب العقلاء والينا يرجعون بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب
اي يردون فيجازون جزاء وفاقا واذكر لقومك في الكتاب القران
ابراهيم قصته مع ابيه انه كان صديقا نبيا بغير همز وهمزه نافع قيل
الصادق المستقيم في الافعال والصديق المستقيم في الاحوال فالصديق
من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق
به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله اي كان مصدقا لجميع الانبياء
وكتبهم وكان نبيا في نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم
وبين ما هو بدل منه اذ قال وجاز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا
اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه بتلك
المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك

على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وعلا
هو ذاكره ومورده في تنزيله لابيه يا ابت بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء
عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجتمع بين العوض والمعوض
منه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر المفعول فيهما منسي غير منوي ويجوز ان يقدر
اي لا يسمع شيئا ولا يبصر شيئا ولا يغني عنك شيئا يحتمل ان يكون شيئا في موضع
المصدر اي شيئا من الاغناء وان يكون مفعولا به من قولك اغن عني وجهك
اي تعبد يا ابت اني قد جاءني من العلم الوحي او معرفة الرب ما لم ياتك
ما في ما لا يسمع وما لم ياتك يجوز ان تكون موصولة وموصوفة فاتبعني
اهدك ارشدك صراطا سويا مستقيما يا ابت لا تعبد الشيطان لا تطعه
فيما سول من عبادة الصنم ان الشيطان كان للرحمن عصيا عاصيا يا ابت
اني اخاف قيل اعلم ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا
قرينا في النار تليه ويليك فانظر في نصحه اباه كيف راعى المجاملة والرفق
والخلق الحسن كما امر ففي الحديث اوحي الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك
ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فطلب منه اولا العلة في خطائه
طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان من يعبد اشرف الخلق
منزلة وهم الانبيا كان محكوما بالغي المبين فكيف بمن يعبد حجرا او شجرا
لا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيئات عبادته ولا يدفع عنه بلاء ولا يقضي له
حاجة ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل
المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي شيئا من العلم ليس معك
وذا علم الدلالة على الطريق السوي فهب اني واياك في مسير وعندي
معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بنهيه
عما كان عليه بان الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جميع النعم منه اوقعك
في عبادة الصنم وزينها لك فانت عابده في الحقيقة ثم ربع بتخويفه
سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال مع مراعات
الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال
اخاف ان يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كانه قال اني اخاف ان
يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة
اشياعه واوليائه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب في نفسه
وصدر كل نصيحة بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا واشعارا بوجوب
احترام الاب وان كان كافرا ثم قال ازر توبيخا اراغب انت عن الهتي
يا ابراهيم اي اترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني
وقدم الخبر على المبتدا لانه كان اهم عنده لئن لم تنته عن شتم الاصنام
لارجمنك لاقتلنك بالرجام او لاضربنك بها حتى تتباعد او لاشتمنك
واهجرني عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره فاحذرني واهجرني
مليا ظرف اي زمانا طويلا من الملاوة قال سلام عليك سلام توديع

ومشاركة او تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله **سأستغفر لك ربي** سأسأل الله ان يجعلك من اهل المغفرة بان يهديك للاسلام **انه كان بي حفيا** ملطفا بعموم النعم او رحيما او مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة **واعتزلكم** اراد بالاعتزال المهاجرة من ارض بابل الى الشام **وما تدعون من دون الله** اي ما تعبدون من اصنامكم **وادعوا** واعبد **ربي** ثم قال تواضعا وهضما للنفس ومعرضا بشقا وتهم بدعاء الهتهم **عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا** اي كما شقيتم انتم بعبادة الاصنام **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله** فلما اعتزل الكفار ومعبودهم **وهبنا له اسحاق** ولدا **ويعقوب** نافلة ليستأنس بهما **وكلا** كل واحد منهما **جعلنا نبيا** اي لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه اولادا مؤمنين انبياء **ووهبنا لهم من رحمتنا** من المال والولد **وجعلنا لهم لسان صدق** ثناء حسنا وهو الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية **عليا** رفيعا مشهورا **واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلَصا** كوفي غير المفضل اي اخلصه الله واصطفاه ومخلِصا غيرهم اي اخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بما له من السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة **وكان رسولا نبيا** فالرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع **وناديناه** دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة **من جانب الطور** هو جبل بين مصر ومدين **الايمن** من اليمين اي من ناحية اليمين والجمهور على ان المراد ايمن موسى عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى انه حين اقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام **وقربناه** تقريب منزلة ومكانة دون منزل ومكان **نجيا** حال اي مناجيا كنديم بمعنى منادم **ووهبنا له من رحمتنا** من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه **اخاه** مفعول **هارون** بدل منه **نبيا** حال اي وهبنا له نبوة اخيه والا فهارون كان اكبر سنا منه **واذكر في الكتاب اسمعيل** هو ابن ابراهيم في الاصح **انه كان صادق الوعد** وافيه واعد رجلا ان يقيم مكانه حتى يعود اليه فانتظره سنة في مكانه حتى عاد وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وقيل لم يعد ربه موعدا الا انجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له وكانه المشهور من خصاله **وكان رسولا** الى جرهم **نبيا** مخبرا منذرا **وكان يأمر اهله** امته لان النبي ابو امته واهل بيته وفيه دليل على انه لم يداهن غيره **بالصلاة والزكاة** يحتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانهما امّا العبادات البدنية والمالية **وكان عند ربه مرضيا** قرئ مرضوا على الاصل **واذكر في الكتاب ادريس** هو اخنوخ اول مرسل بعد آدم عليه السلام واول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر

في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل وقولهم سمي به لكثرة دراسته كتاب الله لا يصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة **انه كان صديقا نبيا** انزل الله عليه ثلاثين صحيفة **ورفعناه مكانا عليا** هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه رفعته الملائكة الى السماء الرابعة وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وذلك انه حبب لكثرة عبادته الى الملائكة فقال لملك الموت اذقني الموت يهن علي ففعل ذلك باذن الله فحيي فقال ادخلني النار ازدد رهبة ففعل ثم قال ادخلني الجنة ازدد رغبة ففعل فقال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما انا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل باذني فعل وباذني دخل فدعه **اولئك** اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس **الذين انعم الله عليهم من النبيين** من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم **من ذرية آدم** من للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح **وممن حملنا مع نوح** ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه ولد سام بن نوح **ومن ذرية ابراهيم** اسمعيل واسحق ويعقوب **واسرائيل** اي ومن ذرية اسرائيل اي يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى لان مريم من ذريته **وممن** يحتمل العطف على من الاولى والثانية **هدينا** لمحاسن الاسلام **واجتبينا** من الانام او لشرح الشريعة وكشف الحقيقة **اذا تتلى عليهم آيات الرحمن** اي اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبرا لاولئك وان جعلته صفة له كان خبرا تتلى بالتاء قتيبة لوجود الفاصل مع ان التأنيث غير حقيقي **خروا سجدا** سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة **وبكيا** باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث اتلوا القرآن وابكوا وان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء ويقول في سجود التلاوة سبحان ربي الاعلى ثلاثا **فخلف من بعدهم** فجاء من بعد هؤلاء المفضلين **خلف** اولاد سوء وبفتح اللام العقب الخير عن ابن عباس هم اليهود **اضاعوا الصلاة** تركوا الصلاة المفروضة **واتبعوا الشهوات** ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الامة **فسوف يلقون غيا** جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو واد في جهنم اعد للمصر على الزنا وشارب الخمر واكل الربا والعاق وشاهد الزور **الا من تاب** رجع عن كفره **وآمن** بشرطه **وعمل صالحا** بعد ايمانه **فاولئك يدخلون الجنة** بضم الياء وفتح

الخامكي وبصري وابو بكر **ولا يظلمون شيئا** اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم
ولا يمنعونه بل يضاعف لهم او لا يظلمون شيئا من الظلم **جنات** بدل من
الجنة لان الجنة تشتمل على جنات عدن لانها جنس او نصب على المدح **عدن**
معرفة لانها علم لمعنى العدن وهو الاقامة او علم لارض الجنة لكونها مقام
اقامة **التي وعد الرحمن عباده** اي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون
الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه اضافهم اليه وهو للاختصاص وهولاء اهل
الاختصاص **بالغيب** اي وعدها وهي غايبة عنهم غير حاضرة او وهم غايبون
عنها لا يشاهدونها **انه** ضمير الشان او ضمير الرحمن **كان وعده** اي موعوده
وهو الجنة **مأتيا** اي هم ياتونها **لا يسمعون فيها** في الجنة **لغوا** فحشا
اوكذبا اوما لا طايل تحته من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه
على وجوب تجنب اللغو واتقايه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف
فيها **الا سلاما** اي لكن يسمعون سلاما من الملايكة او من بعضهم
على بعض اولا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة
فهو استثنا منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعا بالسلامة
ولما كان اهل دار السلام اغنيا عن الدعا بالسلامة كان ظاهره من باب
اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فايدة الاكرام **ولهم رزقهم فيها**
بكرة وعشيا اي يوتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا اذ
لا ليل ولا نهار ثم لانهم في النور ابدا وانما يعرفون مقدار النهار برفع
الحجب ومقدار الليل بارخايها والرزق بالبكرة والعشي افضل العيش عند
العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل اراد دوام الرزق كما تقول
انا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام **تلك الجنة التي نورث من عبادنا**
اي نجعلها ميراث اعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها وقيل يرثون المساكن
التي كانت لاهل النار لو امنوا لان الكفر موت حكما **من كان تقيا** عن
الشرك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عليه السلام قال يا جبريل
ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزل **وما نتنزل الا بامر ربك**
والتنزيل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق
والاول اليق هنا يعني ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت الا بامر
الله **له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا** اي له
ما قدامنا وما خلفنا من الاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من مكان
الى مكان الا بامر الملك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما
يحدث من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في
ملكوته الا اذا اذن لنا فيه **رب السموات والارض وما بينهما** بدل من ربك
او خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله لما عرفت
انه متصف بهذه الصفات **فاعبده** فاثبت على عبادته **واصطبر لعبادته**
اي اصبر على مكافات الحسود لعبادة المعبود واصبر على المشاق لاجل

عبادة

عبادة الخلاق اي لتتمكن من الاتيان بها **هل تعلم له سميا** شبيها ومثلا او
هل يسمى احد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق اي اذا صح ان لا معبود
نتوجه اليه العباد والعبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار
على مشاقها ثم ابي بن خلف عظما وقال انبعث بعد ما صرنا كذا فنزل
ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا والعامل في اذا ما دل عليه
الكلام وهو ابعث اي اذا ما مت ابعث وانتصابه باخرج ممتنع لان ما بعد
لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لزيد قايم ولام الابتداء الداخلة
على المضارع تعطي معنى الحال وتوكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف
الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد
ايضا فكانه قال احقا انا سنخرج من القبور احيا حين يتمكن فينا الموت
والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وايلاؤه
حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه
جاء انكارهم **اولا يذكر الانسان** خفيف شامي ونافع وعاصم من الذكر
والاستار بتشديد الذال والكاف واصله يتذكر كقراءة ابي فادغمت
التاء في الذال اي اولا يتذكر والواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت
همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا
يتذكر حال النشاة الاولى حتى لا ينكر النشاة الاخرى فان تلك ادل على
قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود واما
الثانية فليس فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كان عليه
مجموعة بعد التفريق **انا خلقناه من قبل** من قبل الحالة التي هو فيها
وهي حالة بقايه **ولم يك شيئا** هو دليل على ما بينا وعلى ان المعدوم ليس
بشيء خلافا للمعتزلة **فوربك لنحشرنهم** اي الكفار المنكرين للبعث
والشياطين الواو للعطف وبمعنى مع اوقع اي يحشرون مع قرنايهم
من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة
وفي اقسام الله باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لشان رسوله **ثم**
لنحضرنهم حول جهنم جثيا حال جمع جاث اي باركا على الركب ووزنه
فعول لان اصله جثوو كسجود وساجد اي يعتلون من المحشر الى
شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم
غير مشاة على اقدامهم **ثم لننزعن من كل شيعة** طايفة شاعت اي
تبعت غاوية من الغواة **ايهم اشد على الرحمن عتيا** جراة او فجورا
اي لنخرجن من كل طايفة من طوايف الغي اعتاهم فاعتاهم فاذا
اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب يقدم اولاهم فاولاهم وقيل
المراد باشدهم عتيا الروسا لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالا ومضلين
قال سيبويه ايهم مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته
وهو هو من هو اشد حتى لو جي به لاعرب بالنصب وقيل ايهم هو اشد

وهذا لان الصلة توضح الموصول وتبينه كما ان المضاف اليه يوضح المضاف ويخصصه فكما ان حذف المضاف اليه في من قبل يوجب بناء المضاف وجب ان يكون حذف الصلة او شيء منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزع
وقال الخليل هي معربة وهي مبتدا واشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد على الرحمن عتيا ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وعلى يتعلق بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن **ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها** احق بالنار **صليا** تمييز اي دخولا والباء يتعلق باولى **وان منكم احد الا واردها**
داخلها والمراد بالنار والورود الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور اهل السنة لقوله تعالى فاوردهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ولقوله ثم ننجي الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي وقيل الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود الحضور لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله اولئك عنها مبعدون واجيب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها فيسلم اهل الجنة وتتقاذف اهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لاخر ايقنت بالورود قال نعم وايقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل **كان على ربك حتما مقضيا** اي كان ورودهم واجبا كائنا محكوما والحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم ضرب الامير **ثم ننجي** وعلى بالتخفيف **الذين اتقوا** عن الشرك وهم المؤمنون **ونذر الظالمين فيها جثيا** فيه دليل على دخول الكل لانه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب ان صاحب الكبيرة يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة وقالت المرجئة الخبيثة لا يعاقب لان المعصية لا تضر مع الاسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد **واذا تتلى عليهم اياتنا** اي القرآن **بينات** ظاهرات الاعجاز او حججا وبراهين حال موكدة كقوله وهو الحق مصدقا اذ ايات الله لا تكون الا واضحة **قال الذين كفروا** اي مشركوا قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا في زيهم **للذين امنوا** للفقراء ورؤوسهم شعثة وثيابهم خشنة **اي الفريقين** نحن ام انتم **خير مقاما** بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكي وهو موضع الاقامة والمنزل

واحسن نديا مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الاية ان الله تعالى يقول اذا انزلنا اية فيها دلائل وبراهين اعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** فكم اهلكنا مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم **هم احسن** في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم كان احسن نصبا على الوصفية **اثاثا** هو متاع البيت او ما جد من الفرش **ورئيا** منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت وريا بغير همز مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الادغام او من الري الذي هو النعمة **قل من كان في الضلالة** الكفر **فليمدد له الرحمن مدا** جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر اي من كفر مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وانما اخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور الممتثل ليقطع معاذير الضال **حتى اذا راوا ما يوعدون** هي متصلة بقوله خير مقاما واحسن نديا وما بينهما اعتراض اي لا يزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين **اما العذاب** في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر **واما الساعة** اي القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فهما بدلان مما يوعدون **فسيعلمون من هو شر مكانا** منزلا **واضعف جندا** اعوانا وانصارا اي فحينئذ يعلمون ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مكانا واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وجاز ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة وحتى هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا راوا ما يوعدون **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** معطوف على موضع فليمدد لوقوعه موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد اي يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين اي المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء ويقينا وبصيرة بتوفيقه **والباقيات الصالحات** اعمال الاخرة كلها او الصلوات الخمس او سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر **خير عند ربك ثوابا** مما يفتخر به الكفار **وخير مردا** مرجعا وعاقبة تهكم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا **افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا** وبضم الواو وسكون اللام في اربعة مواضع هنا وفي الزخرف ونوح حمزة وعلي جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب ولما كانت رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء افادت التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة

هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك وقوله لاوتين جواب قسم مضمر **اطلع الغيب** من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه المنزه للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة اي انظر في اللوح المحفوظ فراي منيته **ام اتخذ عند الرحمن عهدا** اموثقا ان يوتيه ذلك او العهد كلمة الشهادة عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وايل فقد روي ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وايل حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ **كلا** ردع وتنبيه على الخطا وهو مخطي فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه **سنكتب ما يقول** اي قوله والمراد سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو كقوله ٭ اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ٭ اي علم وتبين بالانتساب اني لست بابن لئيمة **ونمد له من العذاب** نزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراء من المد يقال مده وامده يعني **مدا** اكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى **ونرثه ما يقول** اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد **وياتينا فردا** حال اي بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى فما يجدي عليه تمنيه وتاليه **واتخذوا من دون الله الهة** اي اتخذ هولاء المشركون اصناما يعبدونها **ليكونوا لهم عزا** ليتعززوا بالهتهم ويكونوا لهم شفعا وانصارا ينقذونهم من العذاب **كلا** ردع لهم عما ظنوا **سيكفرون بعبادتهم** الضمير للالهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون او للمشركين اي ينكرون ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين **ويكونون** اي المعبودون **عليهم** على المشركين **ضدا** خصما لان الله تعالى ينطقهم فيقولون يا رب عذب هولاء الذين عبدونا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه اي يكونون عليهم لا لهم عزا وان رجع الضمير في سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم اي اعداهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها ثم تعجب نبيه عليه السلام بقوله **الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين** خلينا هم واياهم من ارسلت البعير اطلقته او سلطناهم عليهم بالاغواء **تؤزهم ازا** تغريهم على المعاصي اغراء والاز والهز اخوات ومعناهما التهييج وشدة الازعاج **فلا تعجل عليهم** بالعذاب **انما نعد لهم عدا** اي اعمالهم للجزاء وانفاسهم للفناء وقرا ابن السماك عند المامون اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد **يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا** ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجايب سروجها ياقوت **ونسوق المجرمين** الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل من الانعام **الى جهنم وردا** عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا للعطش

وحقيقة

وحقيقة الورود المسير الى الماء فسمي به الواردون فالورد جمع وارد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف او اذكر يوم نحشر ذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم والكافرون بانهم يساقون الى النار كانهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم **لا يملكون الشفاعة** حال والواو ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون او على الفاعلية او نصب على تقدير حذف المضاف اي الشفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم **الا من اتخذ عند الرحمن عهدا** من امن في الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين كان لهم عند الرحمن عهدا فيدخلون الجنة او يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المامور بالشفاعة الماذون له فيها **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا** اي النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله **لقد جئتم شيئا ادا** خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات او امر نبيه عليه السلام بان يقول لهم ذلك والاد العجب او العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر اثقلني وعظم علي **ادا تكاد السموات** تقرب وبالياء نافع وعلي **يتفطرن** وبالنون يعقوب وشامي وحمزة وخلف وابو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه **منه** من عظم هذا القول **وتنشق الارض** تخسف وتنفصل اجزاؤها **وتخر الجبال** تسقط **هدا** كسرا او قطعا او هدما والهدة صوت الصاعقة من السما وهو مصدر اي تهد هدا من سماع قولهم او مفعول له او حال اي مهدودة **ان دعوا** لان سموا ومحله جر بدل من الهاء في منه او نصب مفعول له علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن او رفع فاعل هدا اي هدها دعاهم **للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا** انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتاتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلبه مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما وفي

اختصاص الرحمن وتكريره كراهة بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم
غيره لان اصول النعم وفروعها منه فليكشف عن بصرك غطاوه فانت
وجميع ما عندك عطاوه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه
واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن ان كل من نكرة موصوفة صفتها
في السموات والارض وخبر كل الا اتي الرحمن ووحد آت واتيه حملا على
لفظ كل وهو اسم فاعل من اتى وهو مستقبل اي ياتيه عبدا حال اي خاضعا
ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في السموات والارض من الملائكة والناس
الا هو ياتي الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والعبودية والبنوة تتنافيان
حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع اليه نسبة العبد الى المولى
فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا وقرا ابن مسعود آت الرحمن
على اصله قبل الاضافة لقد احصاهم وعدهم عدا اي حصرهم بعلمه واحاط
بهم وكلهم اتيه يوم القيامة فردا اي كل واحد منهم ياتيه يوم القيامة منفردا
بلا مال ولا ولد او بلا معين ولا ناصر ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا مودة في قلوب العباد قال الربيع يحبهم ويحببهم
الى الناس وفي الحديث يعطى المؤمن مقة في صدور الابرار ومهابة في قلوب الفجار
وعن قتادة وهرم ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وعن
كعب ما يستقر لعبد ثناء في الارض حتى يستقر له في السماء فانما يسرناه سهلناه
القران بلسانك بلغتك حال لتبشر به المتقين المؤمنين وتنذر به قوما لدا
شدادا في الخصومة بالباطل اي الذين ياخذون في كل لديد اي شق من المراء
والجدال جمع الد يريد اهل مكة وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف لهم وانذار
هل تحس منهم من احد اي هل تجد او ترى او تعلم والاحساس الادراك بالحاسة
او تسمع لهم ركزا صوتا خفيا ومنه الركاز اي لما اتاهم عذابنا لم يبق شخص
يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان اعرضوا عن تدبر ما انزل
عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك امرهم والله اعلم بالصواب

سورة طه عليه الصلاة والسلام مكية وهي مائة وخمس وثلاثون اية كوفي

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء ابو عمرو
وامالهما حمزة وعلي وخلف وابو بكر وفخمهما على الاصل غيرهم وما روي عن مجاهد
والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه يا رجل فان صح فظاهر والا فالحق
ما هو المذكور في سورة البقرة ما انزلنا عليك القران ان جعلت طه تعديدا
لاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا
عنها وهي في موضع المبتدا والقران ظاهر اوقع موقع المضمر لانها قران وان يكون
جوابا لها وهي قسم لتشقى لتتعب لفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وعلى تحسرك
على ان يؤمنوا او بقيام الليل وانه روي انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت
قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه
لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة الا تذكرة استثناء

منقطع

منقطع اي لكن انزلناه تذكرة او حال لمن يخشى لمن يخاف الله او لمن يؤول امره
الى الخشية تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعل حالا ويجوز ان ينتصب بنزل مضمرا
او على المدح او بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله
ممن خلق الارض والسموات من يتعلق بتنزيلا صلة له العلى جمع العليا
تانيث الاعلى ووصف السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها
الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن على العرش خبر مبتدا محذوف استوى
استولى عن الزجاج ونبه بذكر العرش وهو اعظم المخلوقات على غيره وقيل
لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية
عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش اي ملك وان لم يقعد على السرير
البتة وهكذا لقولك يد فلان مبسوطة اي جواد وان لم يكن له يد راسا
والمذهب قول علي رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول
والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان
قبل خلق المكان لم يتغير عما كان له ما في السموات وما في الارض خبر ومبتدا
ومعطوف وما بينهما اي ذلك كله ملكه وما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين
او هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وان تجهر بالقول ترفع صوتك
فانه يعلم السر ما اسررته الى غيرك واخفى منه وهو ما اخطرته ببالك
او ما اسررته في نفسك وما ستسره فيها الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى
اي هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته رد لقولهم لانك تدعو الهة
حين سمعوا اسماءه تعالى والحسنى تانيث الاحسن وهل اي وقد اتاك حديث
موسى خبره قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في تحمل اعباء النبوة
بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى اذ راى ظرف لمضمر
اي حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعول به لاذكر روي ان موسى عليه
السلام استاذن شعيبا في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له ابن في الطريق
في ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح
فصلد زنده فراى عند ذلك نارا في زعمه وكان نورا فقال لاهله امكثوا
اقيموا في مكانكم اني انست ابصرت نارا والايناس روية شيء يونس به لعلي
اتيكم منها بني الامر على الرجاء لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به بقبس نار مقتبسة
في راس عود او فتيلة او اجد على النار هدى ذوي هدى او قوما يهدونني
الطريق ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب
منها فلما اتاها اي النار وجد نارا بيضاء تتوقد في شجرة خضراء من اسفلها
الى اعلاها وكانت شجرة العناب او العوسج ولم يجد عندها احدا وروي انه
كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه ثم نودي موسى يا موسى اني
بكسر الهمزة اي نودي فقيل يا موسى اني او لان النداء ضرب من القول فعومل
معاملته وبالفتح مكي وابو عمرو اي نودي باني انا ربك انا مبتدا او تاكيد
او فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي

يا موسى فقال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فعرف انه كلام الله
عز وجل بانه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع اعضائه **فاخلع**
نعليك انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادي المقدس او لانهما كانتا من جلد
حمار ميت غير مدبوغ او لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة
حافين والقران يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما
والقاهما من وراء الوادي **انك بالوادي المقدس** المطهر او المبارك
طوى حيث كان منونا شامي وكوفي لانه اسم علم للوادي وهو بدل منه
وغيرهم بغير تنوين بتاويل البقعة وقرا ابو زيد بكسر الطا بلا تنوين
وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وانا اخترناك حمزة **فاستمع لما يوحى**
اليك للذي يوحى او للوحي واللام يتعلق باستمع او باخترتك **انني انا الله**
لا اله الا انا فاعبدني وحدني واطعني **واقم الصلاة لذكري** لتذكرني فيها
لاشتمال الصلاة على الاذكار او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان
اذكرك بالمدح والثناء او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لتكون
لي ذاكرا غير ناس او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وذا
يصح بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي وهذا دليل على انه لا فريضة
بعد التوحيد اعظم منها **ان الساعة اتية** لا محالة **اكاد** اريد عن الاخفش وقيل
صلة **اخفيها** فقيل هو من الاضداد اي اظهرها او استرها عن العباد فلا
اقول هي اتية لارادتي اخفاها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها
من الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت
لما اخبرت به **لتجزى** متعلق باتية **كل نفس بما تسعى** بسعيها من خير او شر
فلا يصدنك عنها فلا يصرفنك عن العمل للساعة او عن اقامة الصلاة او عن
الايمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به امته **من لا يؤمن بها** لا يصدق
بها **واتبع هواه** في مخالفة امره **فتردى** فتهلك **وما تلك بيمينك يا موسى**
ما استفهام وتلك خبره وهي بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فيها معنى الاشارة
اي قارة او ماخوذة بيمينك او تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتنبيه
ليقع المعجزة بها بعد التثبت فيها او للتوطين لئلا يهوله انقلابها حية او للايناس
ورفع الهيبة للمكالمة **قال هي عصاي اتوكأ عليها** اعتمد عليها اذا اعييت
او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة **واهش بها على غنمي** اخبط ورق
الشجر على غنمي لتاكله **ولي فيها** حفص **مآرب** جمع مأربة بالحركات الثلاث
وهي الحاجة **اخرى** والقياس اخر وانما قال اخرى ردا الى الجماعة او لنسق
الاي وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها شكرا اجمل الباقي حياء من التطويل او ليسال
عنها الملك العلام فيزيد في الاكرام والمآرب الاخر انها كانت تماشيه وتحدثه
وتحارب العدو والسباع وتصير رشا فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها
دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها

فتنبع

فتنبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام والزيادة على الجواب
لتعداد النعم شكرا او لانها جواب سؤال اخر كانه لما قال هي عصاي قيل
له ما تصنع بها فاخذ يعدد منافعها **قال القها يا موسى** اطرح عصاك لتفزع
مما تتكئ عليه فلا تسكن الا الينا وترى فيها كنه ما فيها من المآرب فتعتمد علينا
في المطالب **فالقاها** فطرحها **فاذا هي حية تسعى** تمشي سريعا قيل انقلبت
ثعبانا تبتلع الصخر والشجر فلما راها تبتلع كل شيء خاف وانما وصفت بالحية
هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها
لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاز ان تنقلب
حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول
حالها وبالثعبان مآلها او لانها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل
كان بين لحييها اربعون ذراعا ولما **قال** له ربه **خذها ولا تخف** بلغ من ذهاب
خوفه اذ ادخل يده في فمها واخذ بلحييها **سنعيدها** سنردها **سيرتها الاولى**
هيئتها الاولى والسيرة الحالة التي يكون عليها الانسان غريزية كانت او
مكتسبة وهي في الاصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت
بمعنى الحالة والطريقة وانتصبت على الظرف اي سنعيدها في طريقتها
الاولى اي في حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت واري ذلك
موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها اذا انقلبت حية عند فرعون ثم نبه
على اية اخرى فقال **واضمم يدك الى جناحك** الى جنبك تحت العضد
وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا
جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران والمعنى ادخلها تحت عضدك
تخرج بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر **من غير سوء** برص **اية اخرى**
لنبوتك بيضاء واية حالان معا ومن غير سوء صلة بيضاء كقولك ابيضت
من غير سوء وجاز ان ينتصب اية بفعل محذوف يتعلق به الامر **لنريك**
من اياتنا الكبرى اي خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك
بهاتين الايتين بعض اياتنا الكبرى العظمى او لنريك بهما الكبرى
من اياتنا او المعنى فعلنا ذلك لنريك من اياتنا الكبرى **اذهب الى**
فرعون انه طغى جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية ولما امره بالذهاب
الى فرعون الطاغي وعرف انه كلف امرا عظيما يحتاج الى صدر فسيح **قال**
رب اشرح لي صدري وسعه ليحتمل الوحي والمشاق ورديء الاخلاق
من فرعون وجنده **ويسر لي امري** وسهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة
الى فرعون واشرح لي صدري اكد من اشرح صدري لانه تكرير للمعنى الواحد
من طريقي الاجمال والتفصيل لانه بقوله اشرح لي ويسر لي علم ان ثمة مشروحا
وميسرا ثم رفع الابهام بذكر الصدر والامر **واحلل عقدة من لساني**
وكان في لسانه رتة من الجمرة التي وضعها على لسانه في صباه وذلك ان موسى
اخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره فاراد قتله فقالت اسية

أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجعلت في طشت نارا وفي طشت يواقيت ووضعها
لدى موسى فقصد اليواقيت فأمال الملك يده إلى النار فرفع جمرة فوضعها
على لسانه فاحترق لسانه نقصا ولكنه منها وروي أنه يده احترقت
واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أي رب تدعوني
قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها ومن لساني صفة لعقدة كائنة
قيل عقدة من عقد لساني وهذا يشعر بأنه لم تزل العقدة بكمالها وأكثرهم
على ذهاب جميعها يفقهوا قولي عند تبليغ الرسالة واجعل لي وزيرا
ظهيرا أعتمد عليه من الوزر الثقل لأنه يتحمل من الملك أوزاره ومؤنه أو من
الوزر الملجأ لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره أو مقيسا من
الموازرة وهي المعاونة فوزيرا مفعول أول لاجعل والثاني من أهلي
أولي وزيرا مفعولاه وقوله هارون عطف بيان لوزيرا وقوله أخي بدل
أو عطف بيان آخر أو وزيرا وهارون مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما
عناية بأمر الوزارة اشدد به أزري قوّ به ظهري وقيل الأزر القوة
وأشركه في أمري اجعله شريكي في النبوة والرسالة واشدد وأشركه على
حكاية النفس شامي على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال كي نسبحك
نصلي لك وننزهك تسبيحا كثيرا ونذكرك كثيرا في الصلوات وخارجها
إنك كنت بنا بصيرا عالما بأحوالنا فأجابه الله تعالى حيث قال قد أوتيت
سؤلك يا موسى أعطيت مسؤولك فالسؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول
كخبز بمعنى مخبوز سولك بلا همز أبو عمرو ولقد مننا أنعمنا عليك مرة كرة
أخرى قبل هذه ثم فسرها فقال إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى إلهاما
أو مناما حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالك وإذ ظرف لمننا ثم فسر
ما يوحى بقوله أن اقذفيه ألقيه في التابوت وأن مفسرة لأن الوحي بمعنى
القول فاقذفيه في اليم النيل فليلقه اليم بالساحل الجانب وسمي ساحلا
لأن الماء يسحله أي يقشره والصيغة أمر ليناسب ما تقدم ومعناه الإخبار
أي يلقيه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون والضماير
كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت تفضي إلى
تنافر النظم والمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل وإن كان هو التابوت
لكن موسى في جوف التابوت روي أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا
فوضعته فيه وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون
نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به
فأخرج ففتح فإذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه فرعون حبا شديدا فذلك
قوله وألقيت عليك محبة مني يتعلق مني بألقيت يعني أني أحببتك ومن
أحبه الله أحبته القلوب فما رآه أحد إلا أحبه قال قتادة كان في عيني
موسى ملاحة فما رآه أحد إلا أحبه ولتصنع معطوف على محذوف تقديره
وألقيت عليك محبة لتحب ولتصنع على عيني أي لتربى بمرأى مني وأصله

من صنع

من صنع الفرس أي أحسن القيام عليه يعني أنا مراعيك ومراقبك كما يراعي
الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ولتصنع بسكون اللام والجزم يزيد على
أنه أمر منه إذ تمشي بدل من إذ أوحينا لأن مشي أخته كان منة عليه أختك
فتقول هل أدلكم على من يكفله روي أن أخته مريم جاءت متعرفة خبره
فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت
هل أدلكم على من يضمه إلى نفسه فيربيه وأرادت بذلك المرضعة الأم
وقد كبر العقل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها وذلك قوله
فرجعناك فرددناك إلى أمك كما وعدناها بقولنا إنا رادوه إليك كي تقر
عينها بلقائك ولا تحزن على فراقك وقتلت نفسا قبطيا كافرا فنجيناك
من الغم من القود قيل الغم القتل بلغة قريش وقيل اغتم بسبب القتل
خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره
قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون بأن ذهب به من
مصر إلى مدين وفتناك فتونا ابتليناك ابتلاء بإيقاعك في المحن
وتخليصك منها والفتون مصدر كالقعود أو جمع فتنة أي فتناك ضروبا
من الفتن والفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة ونبلوكم بالشر
والخير فتنة فلبثت سنين في أهل مدين هي بلدة شعيب عليه السلام على
ثماني مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة
عشر منها مهر لصفورا وأقام عنده ثماني عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد
ثم جئت على قدر يا موسى أي لموعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة
واصطنعتك لنفسي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على
إرادتي ومحبتي قال الزجاج اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي
والمخاطب بيني وبين خلقي كأني أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم اذهب أنت
وأخوك بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا تفترا من الوني وهو الفتور والتقصير
في ذكري أي اتخذا ذكري جناحا تطيران به أو أريد بالذكر تبليغ الرسالة
فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها اذهبا إلى فرعون
كرر لأن الأول مطلق والثاني مقيد إنه طغى جاوز الحد بادعائه الربوبية
فقولا له قولا لينا الطفا له في القول لما له من حق تربية موسى أو كنياه
وهو من ذوي الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة أو عداه
شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه إلا بالموت أو هو قوله هل لك إلى
أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة لعله
يتذكر أي يتعظ يتأمل فيذعن للحق أو يخشى أي يخاف أو يكون الأمر كما
تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة وإنما قال لعله يتذكر مع علمه أنه لا يتذكر
لأن الترجي لهما أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يطمع
أن يثمر عمله وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع
المعذرة وقيل معناه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير

من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه
التذكر وقيل تذكر فرعون وخشي وأراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان
لا يقطع أمرا دونه وتليت عند يحيى بن معاذ فبكى وقال هذا رفقك
بمن يقول أنا إله فكيف بمن قال أنت الله وهذا رفقك بمن قال أنا ربكم
الأعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الأعلى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا
يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه أي عجل أو أن يطغى يجاوز
الحد في الإساءة إلينا قال لا تخافا إنني معكما أي حافظكما وناصركما أسمع
أقوالكم وأرى أفعالكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أسمع دعاءكما فأجيبه
وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما فأتياه أي فرعون
فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل أي أطلقهم عن الاستعباد
والاسترقاق ولا تعذبهم بتكاليف المشاق قد جئناك بآية من ربك
بحجة على صدق ما ادعيناه وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهي إنا
رسولا ربك مجرى البيان والتفسير والتفصيل لأن دعوى الرسالة لا تثبت
إلا ببينتها وهي المجيء بالآية فقال فرعون وما هي فأخرج يده لها شعاع
كشعاع الشمس والسلام على من اتبع الهدى أي سلم من العذاب من
أسلم وليس بتحية وقيل وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على
المهتدين إنا قد أوحي إلينا أن العذاب في الدنيا والعقبى على من كذب بالرسل
وتولى أعرض عن الإيمان وهي أرجى آية في القرآن لأنه جعل جنس السلام
للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء فأتياه وأديا
الرسالة وقالا له ما أمرا به قال فمن ربكما يا موسى خاطبهما ثم نادى أحدهما
لأن موسى هو الأصل في النبوة وهارون تابعه قال ربنا الذي أعطى كل شيء
خلقه خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه
ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق
المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن
الشكل الذي يوافق الاستماع وكذا الأنف والرجل واليد كل واحد منها
مطابق للمنفعة المنوطة بها وقرأ نصير خلقه صفة للمضاف أو للمضاف
إليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاءه ثم هدى عرف كيف يرتفق بما أعطي وللمعيشة
في الدنيا والسعادة في العقبى قال فما بال القرون الأولى فما حال الأمم
الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء
من شقي منهم وسعادة من سعد قال موسى مجيبا علمها عند ربي مبتدأ وخبر
في كتاب أي اللوح خبر ثان أي هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله
به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب
وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يضل ربي أي لا يخطئ
شيئا يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطئ في
سعادة الناس وشقاوتهم ولا ينسى ثوابهم وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم

فيذكره

فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة أن معمول الخلق يوافق معلومه
الذي مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح جعل
لكم الأرض مهدا كوفي وغيرهم مهادا وهما لغتان لما يبسط ويفرش وسلك
أي جعل لكم فيها سبلا طرقا وأنزل من السماء ماء مطرا فأخرجنا به بالماء
نقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للافتنان وقيل تم كلام
موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فأخرجنا به وقيل هذا كلام
موسى أي فأخرجنا نحن بالحراثة والغرس أزواجا أصنافا من نبات هو
مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع شتى صفة للأزواج أو
للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى أي أنها مختلفة النفع والطعم واللون
والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمته تعالى أن أرزاقنا
تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله تعالى علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا نقدر
على أكله قائلين كلوا وارعوا أنعامكم حال من الضمير في فأخرجنا والمعنى
أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها
وتعلفوا بعضها إن في ذلك في الذي ذكرت لآيات لدلالات لأولي النهى
لذوي العقول واحدها نهية لأنها تنهى عن المحظور أو ينتهى إليها في الأمور
منها من الأرض خلقناكم أي أباكم آدم عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة
بشيء من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا أو لأن النطفة من
الأغذية وهي من الأرض وفيها نعيدكم إذا متم فدفنتم ومنها نخرجكم عند
البعث تارة أخرى مرة أخرى والمراد بإخراجهم أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة
المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر عدد الله عليهم
ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها
وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وأنبت فيها أصناف
النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا
وأمهم التي منها ولدوا وهي كفاتهم إذا ماتوا ولقد أريناه أي فرعون
آياتنا كلها وهي تسع آيات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد
والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل فكذب الآيات وأبى قبول الحق
قال فرعون أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فيه دليل على أنه
خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل وإلا فأي ساحر يقدر أن يخرج
ملكا من أرضه فلنأتينك بسحر مثله فلنعارضنك بسحر مثل سحرك فاجعل
بيننا وبينك موعدا هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أي مكان موعد
والضمير في لا نخلفه للموعد قرأ يزيد بالجزم على جواب الأمر وغيره بالرفع
على الوصف للموعد نحن ولا أنت مكانا هو بدل من المكان المحذوف
ويجوز أن لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه
وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر سوى بالكسر حجازي
وأبو عمرو وعلي وغيرهم بالضم وهو نعت لمكانا أي منتصفا بيننا وبينك

وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية قال موعدكم
يوم الزينة مبتدا وخبر وهو يوم عيد كان لهم او يوم النيروز او يوم عاشورا
وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على التاويل
الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فبذكر الزمان
علم المكان وعلى الثاني تقديره وعدكم وعد يوم الزينة وان يحشر الناس
اي يجمع في موضع رفع او جر عطفا على يوم او الزينة ضحى اي وقت الضحوة
لتكون ابعد عن الريبة وابين لكشف الحق وليشيع في جميع اهل الوبر
والمدر فتولى فرعون اد بر عن موسى معرضا فجمع كيده مكره وسحرته وكانوا
اثنين وسبعين او اربعمائة او سبعين الفا ثم اتى للموعد قال لهم موسى
اي للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا
فيسحتكم كوفي غير ابي بكر يهلككم وغيرهم بفتح اليا والحا والسحت
والاسحات بمعنى الاعدام وانتصب على جواب النهي بعذاب عظيم
وقد خاب من افترى من كذب على الله فتنازعوا اختلفوا اي السحرة
فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة اي
لا تفتروا على الله كذبا الاية امرهم بينهم واسروا النجوى اي تشاوروا
في السر وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر والنجوى
يكون مصدرا واسما ثم اتفقوا هذا الكلام يعني قالوا ان هذان لساحران
يعني موسى وهارون قرا ابو عمرو ان هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه
مخالف للامام وابن كثير وحفص والخليل وهو اعرف بالنحو واللغة ان
هذان لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة
بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هي بمعنى ما واللام بمعنى الا
اي ما هذان الا ساحران دليله قراءة ابي ان ذان الا ساحران وغيرهم
ان هذان لساحران قيل هي لغة بلحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة
فالتثنية في لغتهم بالالف ابدا فلم يقلبوها يا في الجر والنصب كعصى وسعدى
قال ؎ ان اباها وابا اباها ؎ قد بلغا في المجد غايتاها ؎ وقال
الزجاج ان بمعنى نعم قال الشاعر ؎ ويقلن شيب قد علاك ؎ وقد
كبرت فقلت انه ؎ اي نعم والها للوقف وهذان مبتدا وساحران
خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على المبتدا المحذوف تقديره هذان لهما
ساحران فيكون دخولها في موضعها الموضوع لها وهو الابتدا وقد يدخل
اللام في الخبر كما يدخل في المبتدا قال ؎ خالي لانت ومن جرير خاله ؎
قال وعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه ابو علي يريدان ان يخرجاكم من
ارضكم مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم بدينكم وشريعتكم المثلى الفضلى
تانيث الامثل وهو الافضل فاجمعوا فاحكموا اي اجعلوه مجمعا عليه
حتى لا تختلفوا فاجمعوا ابو عمرو ويعضده فجمع كيده كيدكم هو ما يكاد به
ثم ائتوا صفا مصطفين حال امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور

الرائين وقد افلح اليوم من استعلى وقد فاز من غلب وهو اعتراض قالوا
اي السحرة يا موسى اما ان تلقي عصاك اولا واما ان نكون اول من القى
ما معنا وموضع ان مع ما بعده بينهما نصب بفعل مضمر او رفع بانه خبر مبتدا
محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر الالقاوك او القاونا وهذا
التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وكانه تعالى الهمهم ذلك وقد وصل
اليهم بركته وعلم موسى اختيار القائهم اولا حتى قال بل القوا انتم اولا ليبرزوا
ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه
ويسلط المعجزة على السحر فيمحقه فيصير اية نيرة للناظرين وعبرة بينة
للمعتبرين فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم يقال في اذا هذه اذا المفاجاة
والتحقيق انها اذا المكانية بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف
اليها وخصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل
المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجا موسى وقت تخييل سعي
حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي يخيل
وبالتاء ابن ذكوان اليه الى موسى من سحرهم انها تسعى رفع بدل اشتمال
من الضمير في يخيل اي يخيل الملقى روي انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها
الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك فاوجس في نفسه خيفة موسى
اضمر في نفسه خوفا ظنا منه انها تقصده للجبلة البشرية او خاف ان يخالج
الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف انك انت الاعلى الغالب القاهر
وفي ذكران وانت وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة
بينة والق ما في يمينك تلقف بسكون اللام والفا وتخفيف القاف حفص
وتلقف ابن ذكوان الباقون تلقف ما صنعوا زوروا وافتعلوا اي اطرح
عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما لها اي لا تحتفل بما
صنعوا فان ما في يمينك اعظم منها او تحقيرا اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم
والق العويد الفرد الذي في يمينك فانه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها
انما صنعوا كيد ساحر سحر كوفي غير عاصم بمعنى ذي سحر او ذوي سحر
اوهم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما
موصولة او مصدرية وانما وحد ساحر ولم يجمع لان القصد في هذا الكلام
الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا
ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اينما كان فالقى موسى
عصاه فتلقفت ما صنعوا فلعظيم ما راوا من الاية وقعوا الى السجود فذلك
قوله فالقي السحرة سجدا قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانهم القوا
فما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد
ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقايين روي انهم راوا الجنة
ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا رؤسهم ثم قالوا امنا برب هارون وموسى
وانما قدم هارون هنا واخر في الشعرا محافظة للفاصلة ولان الواو لا يوجب

ترتيبًا قال آمنتم بغير مد حفص وبهمزة ممدودة بصري وشامي وحجازي
وبهمزتين غيرهم له قبل أن آذن لكم أي لموسى يقال آمن له وآمن به إنه
لكبيركم الذي علمكم السحر لعظيمكم أو لمعلمكم تقول أهل مكة للمعلم أمري
كبيري فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف القطع من خلاف أن تقطع
اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا
يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع
مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو ومحل الجار والمجرور النصب على الحال
أي لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف
شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فلهذا قال
ولأصلبنكم في جذوع النخل وخص النخل لطول جذوعها ولتعلمن أينا أشد
عذابا أنا على إيمانكم بي أو رب موسى على ترك الإيمان به وقيل يريد نفسه
لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنتم له واللام
مع الإيمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
وأبقى أدوم قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا من البينات القاطعة
الدالة على صدق موسى والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أي لن نختارك على
الذي جاءنا ولا على الذي خلقنا أو قسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم
فاقض ما أنت قاض فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قال شعر
وعليهما مسرودتان قضاهما أي صنعهما أو احكم ما أنت حاكم إنما تقضي هذه
الحياة الدنيا أي في هذه الحياة الدنيا فانتصبت على الظرف أي إنما تحكم فينا
مدة حياتنا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه ما موصولة
منصوبة بالعطف على خطايانا من السحر حال منها روي أنهم قالوا لفرعون
أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر
إذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة فأكرههم فرعون على
الإتيان بالسحر انظر كيف نفعهم علمهم بالسحر وضر فرعون جهله به فكيف
بعلم الشرع والله خير ثوابا لمن أطاعه وأبقى عقابا لمن عصاه وهو رد لقول
فرعون ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى إنه هو ضمير الشأن من يأت ربه
مجرما كافرا فإن له للمجرم جهنم لا يموت فيها فيستريح بالموت ولا يحيى حياة
ينتفع بها ومن يأته مؤمنا مات على الإيمان قد عمل الصالحات بعد الإيمان
فأولئك لهم الدرجات العلى جمع العليا جنات عدن بدل من الدرجات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها دائمين وذلك جزاء من تزكى تطهر من
الشرك بقول لا إله إلا الله قيل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر
من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو الظاهر ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر
بعبادي لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم
من مصر ليلا ويأخذ بهم طريق البحر فاضرب لهم طريقا في البحر اجعل لهم من قولهم
ضرب له في ماله سهما يبسا أي يابسا وهو مصدر وصف به يقال يبس يبسا

ويبسا

ويبسا لا تخاف حال من الضمير في فاضرب أي اضرب لهم طريقا غير خائف
لا تخف حمزة على الجواب دركا هو اسم من الإدراك أي لا يدركك فرعون
وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى الغرق وعلى قراءة حمزة ولا تخشى استئناف
أي وأنت لا تخشى أو يكون الألف للإطلاق كما في وتظنون بالله الظنونا فخرج
بهم موسى من أول الليل وكانوا ستمائة ألف وقد استعاروا حليهم فركب
فرعون في ستمائة ألف من القبط فقص أثرهم فذلك قوله فأتبعهم فرعون
بجنوده وهو حال أي خرج خلفهم ومعه جنوده فغشيهم من اليم أصابهم من
البحر ما غشيهم هو من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة
أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل وأضل فرعون قومه عن سبيل
الرشاد وما هدى وما أرشدهم إلى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما أهديكم
إلا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بني إسرائيل بعدما أنجاهم من البحر وأهلك
فرعون وقومه بقوله يا بني إسرائيل أي أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي وقلنا
يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم أي من فرعون وواعدناكم بإيتاء الكتاب
جانب الطور الأيمن وذلك أن الله عز وجل وعد موسى أن يأتي هذا المكان
ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وإنما نسب إليهم المواعدة
لأنها كانت لنبيهم ونقبائهم وإليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم
ودينهم والأيمن نصب لأنه صفة جانب وقرئ بالجر على الجوار ونزلنا عليكم
المن والسلوى في التيه وقلنا لكم كلوا من طيبات حلالات ما رزقناكم
أنجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفي غير عاصم ولا تطغوا فيه ولا تتعدوا حدود
الله فيه بأن تكفروا النعم وتنفقوها في المعاصي أو لا يظلم بعضكم بعضا فيه
فيحل عليكم غضبي عقوبتي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى هلك أو
سقط سقوطا لا نهوض بعده وأصله أن يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط
من شرف الإيمان المحفوفة من حفر النيران علي فيحل ويحلل والباقون
بكسرهما فالمكسور في معنى الوجوب من حل الدين إذا وجب أداؤه والمضموم
في معنى النزول وإني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن وحد الله تعالى
وصدقه فيما أنزل وعمل صالحا أدى الفرائض ثم اهتدى ثم استقام وثبت
على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح وما أعجلك وأي شيء
عجل بك عن قومك يا موسى أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك أنه
مضى معهم إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه
وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أي شيء أوجب عجلتك
استفهام إنكار وما مبتدأ وأعجلك الخبر قال هم أولاء على أثري أي هم
خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم إلا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة
فقال وعجلت إليك رب أي إلى الموعد الذي وعدت لترضى لتزداد عني
رضى وهذا دليل على جواز الاجتهاد قال فإنا قد فتنا قومك ابتليناهم في فتنة
من بعدك من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هارون

وأضلهم السامري بدعايه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب
الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان فاتخذ
عجلا واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى من مناجاة ربه الى قومه
غضبان اسفا شديد الغضب او حزينا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا
وعدهم الله ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكانت الف سورة كل
سورة الف آية يحمل اسفارها سبعون جملا ولا وعد احسن من ذلك افطال
عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدي بك
اي طال زماني بسبب مفارقتك ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم
اي اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم موعدي
وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الآيات فاخلفوا موعده
باتخاذ العجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بفتح الميم مدني وعاصم وبضمها
حمزة وعلي وبكسرها غيرهم اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا وخلينا
وراينا لما اخلفناك موعدك ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده
ولكنا حملنا بالضم والتشديد حجازي وشامي وحفص وبفتح الحا والميم
مع التخفيف غيرهم اوزارا من زينة القوم اثقالا من حلي القبط او ارادوا
بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر
بعلة ان لنا غدا عيدا فقال السامري انما حبس موسى لشؤم حرمتها
لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ
دار الحربي على ان الغنايم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها فخبأها في حفرة قالب
عجل فانصاغت عجلا مجوفا فخار بدخول الريح في مجاريه منه اشباه العروق
وقيل نفخ فيه تراب موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق
وهو فرس حياة فحيي فخار ومال طباعهم الى الذهب فعبدوه فقذفناها
في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي فكذلك
القى السامري ما معه من الحلي في النار او ما معه من التراب الذي اخذه
من اثر حافر فرس جبريل عليه السلام فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا
خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار ابتلاء جسدا بجسد له خوار
صوت وكان يخور كما تخور العجاجيل فقالوا اي السامري واتباعه هذا الهكم
واله موسى فاجابت عامتهم الا اثنا عشر الفا فنسي اي فنسي موسى ربه
هنا وذهب يطلبه عند الطور او هو ابتداء كلام من الله تعالى اي نسي
السامري ربه وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر او نسي السامري
الاستدلال على ان العجل لا يجوز ان يكون الها بدليل قوله افلا يرون الا يرجع
اي انه لا يرجع فان مخففة من الثقيلة اليهم قولا اي لا يجيبهم ولا يملك لهم
ضرا ولا نفعا اي هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف يتخذونه الها
وقيل انه ما خار الا مرة ولقد قال لهم لمن عبدوا العجل هارون من قبل
من قبل رجوع موسى اليهم يا قوم انما فتنتم به ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه

وان ربكم

وان ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني كونوا على ديني الذي هو الحق واطيعوا
امري في ترك عبادة العجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين اي لن نزال مقيمين
على العجل وعبادته حتى يرجع الينا موسى فننظر هل يعبده كما عبدناه
وهل صدق السامري ام لا فلما رجع موسى قال يا هارون ما منعك
اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعني بالياء في الوصل والوقف مكي ووافقه
ابو عمرو ونافع في الوصل وغيرهم بلا يا اي ما دعاك الى ان لا تتبعني
لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي الى تركه وقيل
لا مزيدة والمعنى اي شيء منعك ان تتبعني حين لم يقبلوا قولك وتلحق
بي وتخبرني او ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وهلا قاتلت من
كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا
افعصيت امري الذي امرتك به من القيام بمصالحهم ثم اخذ شعر راسه
بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان الغيرة في الله ملكته قال
يا ابن ام وبخفض الميم شامي وكوفي غير حفص وكان اخاه لابيه وامه
عند الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا وترقيقا لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
ثم ذكر عذره فقال اني خشيت ان تقول اذ قاتلت بعضهم ببعض
فرقت بين بني اسرائيل او خفت ان تقول ان فارقتهم واتبعتك ولحق بي
فريق وتبع السامري فريق فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب ولم تحفظ
قولي اخلفني في قومي واصلح وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم اقبل موسى
على السامري منكرا عليه حيث قال فما خطبك ما امرك الذي تخاطب عليه
يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به وبالتا حمزة وعلي قال الزجاج بصر علم
وابصر نظر اي علمت ما لم تعلمه بنو اسرائيل قال موسى وما ذاك قال
رايت جبريل على فرس الحياة فالقي في نفسي ان اقبض من اثره فما القيته
على شيء الا صار له روح ولحم ودم فقبضت قبضة القبضة المرة من القبض
واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير ونزي
فقبصت قبصة فالضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع من اثر
الرسول اي من اثر فرس الرسول وقرئ بها فنبذتها فطرحتها في جوف
العجل وكذلك سولت زينت لي نفسي اذا فعله ففعلته اتباعا للهوى
وهو اعتراف بالخطا واعتذار قال له موسى فاذهب من بيننا طريدا
فان لك في الحياة ما عشت ان تقول لمن اراد مخالطتك جاهلا بحالك
لا مساس اي لا يمسني احد ولا امسه فمنع من مخالطة الناس منعا كليا
وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق ان يماس احدا حم
الماس والممسوس وكان يهيم في البرية يصيح لا مساس ويقال ان ذلك
موجود في اولاده الى الآن وقيل اراد موسى عليه السلام ان يقتله فمنعه
الله تعالى منه لسخائه وان لك موعدا لن تخلفه لن يخلفك الله موعده
الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة

بعد ما عاينت بذلك في الدنيا لن تخلفه مكي وابو عمرو وهذا من اخلفت
الموعد اذا وجدته خلفا وانظر الى الهك الذي ظلت عليه واصله ظللت
فحذفت اللام الاولى تخفيفا عاكفا مقيما لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه لنذرينه
في اليم نسفا فحرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حباله فظهرت
على شفاههم صفرة الذهب انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما
تمييز اي وسع علمه كل شيء ومحل الكاف في كذلك نصب اي مثل ما اقتصصنا
عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامم
الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وقد اتيناك اعطيناك
من لدنا من عندنا ذكرا قرانا فهو ذكر عظيم وقران كريم فيه النجاة لمن اقبل
عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار الحقيقية بالتفكر والاعتبار من
اعرض عنه عن هذا الذكر وهو القران ولم يؤمن به فانه يحمل يوم القيامة وزرا
عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها
بالحمل الثقيل الذي ينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم
خالدين حال من الضمير في يحمل وانما جمع على المعنى ووحد في فانه حملا على
اللفظ فيه في الوزر اي في جزاء الوزر وهو العذاب وساء لهم يوم القيمة حملا
ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام في لهم للبيان
كما في هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره
ساء الحمل حملا وزرهم يوم ينفخ بدل من يوم القيامة ننفخ ابو عمرو في الصور
القرن او هو جمع صورة اي ينفخ الارواح فيها دليله قراءة قتادة في الصور
بفتح الواو جمع صورة ونحشر المجرمين يومئذ زرقا حال اي عميا كما قال
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهذا لان حدقة من يذهب بصره
تزرق يتخافتون يتسارون بينهم اي يقول بعضهم لبعض سرا لهول
ذلك اليوم ان لبثتم ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا او في القبور لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام
النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار
او لانها ذهبت عنهم والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء او لاستطالتهم
الاخرة لانها ابد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس
الى لبثهم في الاخرة وقد رجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم بقوله نحن
اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما وهو
كقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسئل العادين ويسئلونك عن
الجبال سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة
وقيل لم يسئل وتقديره ان سألوك فقل ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر
السؤالات مثل قوله ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى ويسئلونك عن
اليتامى قل اصلاح لهم خير يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير
يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها يسئلونك عن الروح

قل

قل الروح ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا لانها سؤالات تقدمت
فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء ينسفها ربي نسفا
يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذري الطعام وقال الخليل
يقلعها فيذرها فيذر مقارها او يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك
على ظهرها قاعا صفصفا مستوية ملساء لا ترى فيها عوجا انخفاضا
ولا امتا ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان في المعاني كما ان المفتوح في
الاعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن ان
يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني
يومئذ اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال اي يوم اذ نسفت وجاز ان
يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة يتبعون الداعي الى المحشر اي صوت الداعي
وهو اسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس ايتها العظام البالية
والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل
اوب الى صوبه لا يعدلون عنه لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون
اليه من غير انحراف متبعين لصوته وخشعت وسكنت الاصوات للرحمن
هيبة واجلالا فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا لتحريك الشفاه وقيل هو
من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام
ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن محل من
رفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الا شفاعة
من اذن له الرحمن اي اذن للشافع في الشفاعة ورضي له قولا اي رضي قولا
لاجله بان يكون المشفوع له مسلما او نصب على المدح لانه مفعول تنفع
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما
يستقبلونه ولا يحيطون به علما اي بما احاط به علم الله فيرجع الضمير الى
ما او يرجع الضمير الى الله تعالى لانه تعالى ليس بمحاط وعنت خضعت
وذلت ومنه قيل للاسير عان الوجوه اي اصحابها للحي الذي لا يموت وكل
حياة يتعقبها الموت فهي كان لم تكن القيوم الدائم القائم على كل نفس بما
كسبت او القائم بتدبير الخلق وقد خاب يئس من رحمة الله من حمل ظلما
من حمل الى موقف القيامة شركا لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولا ظلم
اشد من جعل المخلوق شريك من خلقه ومن يعمل من الصالحات الطاعات
وهو مؤمن مصدق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل انه يستحق اسم
الايمان بدون الاعمال الصالحة وان الايمان شرط قبولها فلا يخاف اي فهو
لا يخاف على النهي مكي ظلما ان يزاد في سيئاته ولا هضما ولا ينقص من حسناته
واصل الهضم النقص والكسر وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك
الانزال انزلناه قرانا عربيا بلسان العرب وصرفنا كررنا فيه من الوعيد
لعلهم يتقون يجتنبون الشرك او يحدث لهم الوعيد او القران ذكرا عظة
او شرفا بايمانهم به او بمعنى الواو فتعالى الله ارتفع عن فنون الظنون

واوهام الافهام وتنزه عن مضاهاة الانام ومشابهة الاجسام الملك
الذي احتاج اليه الملوك الحق المحق في الالوهية ولما ذكر القران
وانزاله قال انتظرا اوان القنك جبريل ما يوحي اليك من القران فلان
عليك ربما يسمعك ويفهمك ولا تعجل بالقران بقراءته من قبل ان يقضى
اليك وحيه من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقل رب زدني علما بالقران
ومعانيه وقيل ما امر الله ورسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم ولقد
عهدنا الى ادم اي وصينا اليه ان لا ياكل من الشجرة بتلك في اوامر الملوك
ووصايا هم تقدم الملوك الى فلان واوصى اليه وعزم عليه وعهد اليه فقطف
قصة ادم على وصرفنا فيه من الوعيد والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم
ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة من قبل من قبل وجودهم فخالف
الى ما نهي عنه كما انهم يخالفون يعني ان اساس امر بني ادم على ذلك
وعرقهم راسخ فيه فنسي العهد اي النهي والانبياء عليهم السلام يواخذون
بالنسيان الذي لو تكلفوا لحفظوه ولم نجد له عزما قصدا الى الخلاف
لامره او لم يكن ادم من اولي العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما
او بمعنى يقتضي العدم اي وعدمنا له عزما وله متعلق بنجد واذ قلنا
منصوب باذكر للملايكة اسجدوا لادم قيل هو السجود اللغوي الذي
هو الخضوع والتذلل او كان ادم كالقبلة لقرب تعظيم له فيه فسجدوا
الا ابليس عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابليس كان ملكا من جنس المستثنى
منهم وقال الحسن الملايكة لباب الخليقة من الارواح ولا ينتسلون
وابليس من نار السموم وانما صح استثناؤه منهم لانه كان يصحبهم ويعبد الله
معهم ابى جملة مستانفة كانه جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه
ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون
معناه اظهر الاباء وتوقف فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك
حيث لم يسجد لك ولم يرفضلك فلا يخرجنكما من الجنة فلا يكونن سببا لاخراجكما
فتشقى فتتعب في طلب القوت ولم يقل فتشقيا اكتفاء لرؤس الاي او
دخلت تبعا ولان الرجل هو الكافل لنفقة المراة وروي انه اهبط الى ادم
ثور احمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ان لك الا تجوع
فيها في الجنة ولا تعرى عن الملابس لانها معدة ابدا فيها وانك بالكسر نافع
وابو بكر عطفا على ان الاولى وغيرهما بالفتح عطفا على ان لا تجوع ومحله نصب
بان وجاز للفصل كما تقول ان في علمي انك جالس لا تظموا فيها لا تعطش لوجود
الاشربة فيها ولا تضحى لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها
في ظل ممدود فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه الوسوسة كاسر اليه
قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود
لان من اكل منها خلد بزعمه ولا يموت وملك لا يبلى لا يفنى فاكلا اي ادم وحوا
منها فبدت لهما سوآتهما عوراتهما وطفقا طفق يفعل كذا مثل جعل

يفعل وهو كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا الا انه للشروع في اول الامر
وكاد للدنو منه يخصفان عليهما من ورق الجنة اي يلزقان الورق
بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى ادم ربه فغوى ضل عن الراي
وعن ابن عيسى خاب والحاصل ان العصيان وقوع الفعل على خلاف الامر
والنهي وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون زلة ولما
وصف فعله بالعصيان خرج فعله من ان يكون رشدا فكان غيا لان
الغي خلاف الرشد وفي التصريح بقوله وعصى ادم ربه فغوى والعدول
عن قوله وزل ادم مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كانه قيل انظروا
واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة
فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغاير فضلا عن الكباير ثم اجتباه ربه
قربه اليه واصطفاه وقري به واصل الكلمة الجمع يقال جبى الي كذا
فاجتبيته فتاب عليه قبل توبته وهدى وهداه الى الاعتذار قال
اهبطا منها جميعا يعني ادم وحوى بعضكم يا ذرية ادم لبعض عدو
بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين فاما ياتينكم مني هدى كتاب
وشريعة فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في العقبى قال
ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا
يشقى في الاخرة ان الشقاء في الاخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق
الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجى من
الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري عن القران فان له معيشة
ضنكا ضيقا وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمونث عن ابن جبير
يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمن الدين التسليم والقناعة والتوكل
فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله
مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احدكم عن ذكر ربه الا اظلم
عليه وقته وتشوش عليه رزقه ونحشره يوم القيامة اعمى عن
الحجة عن ابن عباس اعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وهو الوجه قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا في الدنيا قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر فقال
اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي اتتك اياتنا واضحة
فلم تنظر اليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك
على عماك ولا نزيل غطاه عن عينيك وكذلك نجزي من اسرف ولم يومن
بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره
بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في العقبى ختم
الاية الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى اي والحشر على العمى
الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي افلم يهد لهم اي
الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون كم اهلكنا من قبلهم من

القرون يمشون حال من الضمير المجرور في لهم في مساكنهم يريد ان
قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار
هلاكهم ان في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول اذا تفكروا
علموا ان استيصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا ولولا كلمة
سبقت من ربك اي الحكم بتأخير العذاب عن امة محمد صلى الله
عليه وسلم لكان لزاما لازما فاللزام مصدر لازم فوصف به واجل
مسمى القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير
العذاب عنهم واجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا
كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون فيك وسبح
بحمد ربك في موضع الحال وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح
واعانك عليه قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر وقبل غروبها يعني
الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس
وغروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار اي وتعمد آناء الليل اي
ساعاته واطراف النهار مختصا لها بصلاتك وقد تناول التسبيح
في آناء الليل صلاة العتمة وفي اطراف النهار صلاة المغرب وصلاة
الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله والصلاة الوسطى
عند البعض وانما جمع واطراف النهار وهما طرفان لأمن الالباس وهو
عطف على قبل لعلك ترضى لعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات
رجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى علي وابو بكر
اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله
وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وفيه ان النظر
غير الممدود معفو عنه وذلك ان يبادر الشيء بالنظر ثم يغض الطرف
ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد
الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقدقة
هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب
وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها
محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها الى ما متعنا به ازواجا منهم
اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل
واقع على منهم كأنه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا
منهم زهرة الحياة الدنيا زينتها وبهجتها وانتصب على الذم او على
ابداله من محل به او على ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة
لنفتنهم فيه لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم
او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك ثوابه وهو الجنة او الحلال
الكافي خير وابقى مما رزقوا وامر اهلك امتك او اهل بيتك
بالصلاة واصطبر انت داوم عليها لا نسألك رزقا اي لا نسألك ان

نرزق

ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم فلا تهتم لامر الرزق وفرغ
بالك لامر الآخرة لان من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن
الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم
ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان بكر بن عبد الله المزني اذا
اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله وعن
مالك بن دينار مثله وفي بعض المسانيد انه عليه السلام كان اذا اصاب
اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الآية والعاقبة للتقوى اي وحسن
العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين وقالوا اي الكافرون لولا يأتينا
بآية من ربه هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته اولم يأتهم
اولم تأتهم مدني وحفص وبصري بينة ما في الصحف الاولى اي الكتب
المتقدمة يعني انهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل
لهم اولم تأتكم آية هي ام الآيات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن
من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة
وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل الرسول او القرآن لقالوا ربنا لولا
هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء
آياتك من قبل ان نذل بنزول العذاب ونخزى في العقبى قل كل واحد
منا ومنكم متربص منتظر للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا
انتم فستعلمون اذا جاءت القيامة من اصحاب مبتدأ وخبر ومحلهما
نصب الصراط السوي المستقيم ومن اهتدى الى النعيم المقيم قال عليه
السلام لا يقرأ اهل الجنة الا طه ويس والله الموفق للصواب

سورة الانبياء مائة واثنتا عشرة آية كوفي واحدى عشرة آية مدني وبصري

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب دنا للناس اللام صلة لاقترب
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالناس المشركون لانما تليه من صفات
المشركين حسابهم وقت محاسبة الله اياهم ومجازاته على اعمالهم يعني
يوم القيامة وانما وصفه بالاقتراب لقلة ما بقي بالاضافة الى ما مضى
ولان كل آت قريب وهم في غفلة عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم معرضون
عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان
بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه واعراضه
عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه واعراضه عن
دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى والاول انما يفيق في عسكر الموتى
فالواجب عليك ان تحاسب نفسك قبل ان تحاسب وتتنبه للعرض قبل ان
تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق اجمعين لتفوز بلقاء
رب العالمين ما يأتيهم من ذكر شيء من القرآن من ربهم محدث في التنزيل
اتيانه متجدد تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة

ولاخلاف في حدوثه الا استمعوه من النبي عليه السلام او غيره ممن يتلوه وهم
يلعبون يستهزؤن به لاهية حال من ضمير يلعبون او وهم يلعبون ولاهية
حالان من الضمير في استمعوه قرئ لاهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم
وارتفعت قلوبهم بلاهية ومعنى من لهي عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم
غافلة عما يراد بها ومنها قال ابو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول بزينة
الدنيا وزهرتها الغافل عن الاخرة واهوالها واسروا وبالغوا في اخفا
النجوى ومعنى اسم من التناجي ثم ابدل الذين ظلموا من واو واسروا
ايذانا بانهم الموصوفون بالظلم فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني
البراغيث او هو مجرور المحل لكونه صفة او بدلا عن الناس او هو منصوب
المحل على الذم او هو مبتدا خبره اسروا النجوى فقدم عليه اي والذين ظلموا اسروا
النجوى هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله
في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق
بقالوا مضمرا والمعنى انهم اعتقدوا ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل
من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك
قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه
سحر قال ربي حمزة وعلي وحفص اي قال محمد وغيرهم قل ربي اي قل ربي
يا محمد للذين اسروا النجوى يعلم القول في السما والارض اي يعلم قول كل
قايل هو في السما والارض سرا كان او جهرا وهو السميع لاقوالهم العليم بما في
ضمايرهم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اضربوا عن قولهم هو
سحر الى انه تخاليط احلام راها في نومه فتوهمها وحيا من الله اليه ثم
الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج
والمبطل رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه
ولبس الامر كما يظن فليأتنا باية بمعجزة كما ارسل الاولون كما ارسل من قبله
باليد البيضا والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه في قوله
كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان
ارسال الرسل متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين قولك
ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله ما
امنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها صفة لقرية عند مجيء
الايات المقترحة لانهم طلبوها تعنتا افهم يؤمنون اي اولئك لم يؤمنوا
بالايات لما اتتهم فيؤمنون هؤلاء المقترحون لو اتيناهم بما اقترحوا مع
انهم اعتى منهم والمعنى ان اهل القرى المهلكة اقترحوا على انبيائهم الايات
وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطينا
هؤلاء ما يقترحون لنكثوا ايضا وما ارسلنا قبلك الا رجالا هذا جواب قولهم
هل هذا الا بشر مثلكم يوحى اليهم نوحي حفص فاسألوا اهل الذكر العلماء بالكتابين
فانهم يعرفون ان الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان اهل مكة

يعتمدون

يعتمدون على قولهم ان كنتم لا تعلمون ذلك ثم بين انه كمن تقدمه من الانبيا
بقوله وما جعلناهم جسدا وحد الجسد لارادة الجنس لا يأكلون الطعام
صفة لجسدا يعني وما جعلنا الانبيا قبله ذوي جسد غير طاعمين
وما كانوا خالدين كانهم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد معتقدين ان
الملايكة لا يموتون او مسميين بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاولة خلودا
ثم صدقناهم الوعد بانجائهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه
اي من قومه فانجيناهم ومن نشاء هم المؤمنون بهم.
واهلكنا المسرفين المجاوزين الحد بالكفر ودل الاخبار باهلاك المسرفين
على ان من نشا غيرهم لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم
شرفكم ان عملتم به او لانه بلسانكم او فيه موعظتكم او فيه ذكر دينكم ودنياكم
والجملة اي فيه ذكركم صفة لكتابا افلا تعقلون ما فضلتكم به
على غيركم فتؤمنون وكم نصب بقوله قصمنا اي اهلكنا من قرية اي اهلها
بدليل قوله كانت ظالمة كافرة وهي واردة عن غضب شديد وسخط عظيم
لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف
الفصم فانه كسر بلا ابانة وانشانا خلقنا بعدها قوما اخرين فسكنوا
مساكنهم فلما احسوا اي المهلكون باسنا عذابنا اي علموا علم حس
ومشاهدة اذا هم منها من القرية واذا للمفاجاة وهم مبتدا والخبر
يركضون يهربون مسرعين والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز ان يركبوا
دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب
او شبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل
لهم لا تركضوا والقايل بعض الملايكة وارجعوا الى ما اترفتم فيه نعمتم فيه
من الدنيا ولين العيش قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل
فيه همه ومساكنكم لعلكم تسألون اي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا الى
نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم فتجيبوا
السايل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى
يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون
وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدومين او يسألكم الناس في انديتكم
المعاون في نوازل الخطوب او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون
سحاب اكفكم او قال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا الى منازلكم لعلكم
تسألون مالا وخراجا فلا تقتلون فنودي من السماء يا لثارات الانبيا
واخذتهم السيوف ثم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا حين لا
ينفعهم الاعتراف فما زالت تلك هي اشارة الى يا ويلنا دعواهم دعاوهم
وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس حتى جعلناهم
حصيدا مثل الحصيد اي الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدم خامدين
ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل اي جعلناهم جامعين

المماثلة الحصد والحمود كقولك جعلته حلوا حامضا اي جعلته جامعا للطعمين
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اللعب فعل يروق اوله
ولا ثبات له ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوينا هذا السقف
المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلق للهو واللعب
وانما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على
ما يقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدث بقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا
اي ولدا او امراة كانه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته لاتخذناه
من لدنا من الولدان او الحور ان كنا فاعلين اي ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا
ممن يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقوله وان ادري اي ما كنا فاعلين
بل نقذف بل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا
ان نتخذ اللهو بل من سنتنا ان نقذف اي نرمي ونسلط بالحق بالقران على
الباطل الشيطان او بالاسلام على الشرك او بالجد على اللعب فيدمغه
فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفه لان اصل استعمال
القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل
والدمغ لاذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي
فكانه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي الشبيه على الباطل الشبيه
بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوي الضعيف فاذا هو اي الباطل
زاهق هالك ذاهب ولكم الويل مما تصفون الله من الولد ونحوه وله
من في السموات والارض خلقا وملكا فانى يكون شيء منه ولدا له وبينهما
تناف ويوقف على الارض لان ومن عنده منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا
يعني الملائكة مبتدا خبره لا يستكبرون لا يتعظمون عن عبادته ولا
يستحسرون ولا يعيون يسبحون الليل والنهار لا يفترون حال من فاعل
يسبحون اي تسبيحهم متصل دايم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة
بفراغ او بشغل اخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا ثم اضرب عن
المشركين منكرا عليهم وموبخا فجاء بام التي بمعنى بل والهمزة فقال
ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون يحيون الموتى ومن الارض
صفة لالهة لان الهتهم كانت متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة
والحجر وتعبد في الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة اي مدني
او متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان ابتداء غاية الاتخاذ وفي قوله هم
ينشرون زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان اصنامهم تحيي الموتى وكيف
يدعون ومن اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات لانه يلزم من
دعوى الالوهية لها دعوى الانشار لها لان العاجز عنه لا يصح ان يكون الها
اذ لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة
المقدورات وقرا الحسن ينشرون بفتح اليا وهما لغتان انشر الله
الموتى ونشرها اي احياها لو كان فيهما الهة الا الله اي غير الله وصفت

الهة

الهة بالا كما وصفت بغير وقيل الهة غير الله ولا يجوز رفعه على البدل لان لو
بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب
كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك فلا يجوز نصبه استثناء لان
الجمع اذا كان منكرا لا يجوز ان يستثنى منه عند المحققين لانه لا عموم له بحيث
يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر امر السموات والارض
الهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا لخربتا لوجود التمانع وقد
قررناه في اصول الكلام ثم نزه ذاته فقال فسبحان الله رب العرش عما
يصفون من الولد والشريك لا يسال عما يفعل لانه المالك على الحقيقة ولو
اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التناهي وجواز الخطاء عليه
وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعد سفها فمن هو مالك الملوك ورب
الارباب وفعله صواب كله اولى بان لا يعترض عليه وهم يسالون لانهم
مملوكون خطاؤن فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه وقيل
وهم يسالون يرجع الى المسيح والملائكة اي هم مسؤلون فكيف يكونون
الهة والالوهية تنافي المسؤلية ام اتخذوا من دونه الهة الاعادة لزيادة
الافادة فالاول للانكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل اي وصفتم
الله تعالى بان يكون له شريكا فقيل لمحمد قل هاتوا برهانكم حجتكم على
ذلك وذا عقلي وهو يابه كما مر او نقلي وهو الوحي وهو ايضا يابه فانكم
لا تجدون كتابا من الكتب السماوية الا وفيه توحيده وتنزيهه عن الانداد هذا
اي القران ذكر من معي يعني امته وذكر من قبلي يعني امم الانبيا من قبلي
وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركا عنه معي حفص فلما لم يمتنعوا عن كفرهم
اضرب عنهم فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق اي القران وهو نصب بيعلمون
وقرئ الحق اي هو الحق فهم لاجل ذلك معرضون عن النظر فيما يجب عليهم
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه الا نوحي كوفي غير ابو بكر وحماد
انه لا اله الا انا فاعبدون وحدوني فهذه الاية مقررة لما سبقها من اي
التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزلت في خزاعة حيث قالوا
الملايكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد بقوله
بل عباد مكرمون اي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا باولاد
اذ العبودية تنافي الولادة لا يسبقونه بالقول اي بقولهم فانيبت اللام
مناب الاضافة والمعنى انهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون
قوله بقولهم وهم بامره يعملون اي كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا
مبني على امره لا يعملون عملا لم يومروا به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما
قدموا وما اخروا من اعمالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى اي لمن رضي الله عنه
وقال لا اله الا الله وهم من خشيته مشفقون خايفون ومن يقل منهم من
الملائكة اني اله من دونه من دون الله اني مدني وابو عمرو فذلك مبتدا
اي فذلك القايل خبره نجزيه جهنم وهو جواب الشرط كذلك نجزي الظالمين

الكافرين الذين وضعوا الالهية في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل
لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك قد تحقق
الوعيد في ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته
اولم ير الذين كفروا الم يعلموا ان السموات والارض كانتا اي جماعة السموات
وجماعة الارض فلذلك لم يقل كن رتقا بمعنى المرتوق اي كانتا مرتوقتين
وهو مصدر فلذا صلح ان يقع موقع مرتوقتين ففتقناهما فشققناهما
والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى راوها رتقا
حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد في القران الذي هو معجزة فقام
مقام المرئي المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء
وتباينهما جائزان في العقل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له
من مخصص وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان السما كانت لاصقة بالارض لا فضاء
بينهما ففتقناهما اي فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة
واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت
مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع ارضين وقيل كانت السما رتقا
لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض بالنبات وجعلنا
من الماء كل شيء حي اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة
من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه
كقوله خلق الانسان من عجل افلا يؤمنون يصدقون بما بينا [illegible] وجعلنا
في الارض رواسي جبالا ثوابت من رسا اذا ثبت ان تميد بهم لئلا تضطرب
بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد ذلك في لئلا
يعلم اهل الكتاب وجعلنا فيها فجاجا اي طرقا واسعة جمع فج وهو
الطريق الواسع ونصب على الحال من سبلا متقدمة فان قلت اي فرق
بين قوله لتسلكوا منها سبلا فجاجا وبين هذه قلت الاول للاعلام بانه
جعل فيها طرقا واسعة والثاني لبيان انه حين خلقها خلقها على تلك
الصفة فهو بيان لما ابهم ثم لعلهم يهتدون اي ليهتدوا بها الى البلاد
المقصودة وجعلنا السما سقفا محفوظا في موضعه عن السقوط كما قال
ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه او محفوظا بالشهب عن الشياطين
كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم وهم اي الكفار عن اياتها عن
الادلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم معرضون غير متفكرين فيها
فيؤمنون وهو الذي خلق الليل لتسكنوا فيه والنهار لتتصرفوا فيه
والشمس لتكون سراج النهار والقمر ليكون سراج الليل كل التنوين فيه
عوض عن المضاف اليه اي كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع
وجمع جمع العقلا للوصف بفعلهم وهو السباحة في فلك عن ابن عباس رضي
الله عنهما الفلك السماء والجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء
يجري فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدا خبره يسبحون يسيرون اي

يدورون والجملة في موضع النصب على الحال من الشمس والقمر وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد البقا الدائم افان مت بكسر الميم مدني وكوفي غير ابي بكر
فهم الخالدون والفا الاول لعطف جملة على جملة والثاني لجزاء الشرط
كانوا يقدرون انه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا
يخلد في الدنيا بشرا فان مت انت ايبقى هولاء كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم
ونختبركم سمي ابتلاء وان كان عالما بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم
لانه في صورة الاختبار بالشر بالفقر والضر والخير الغنى والنفع فتنة مصدر
موكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما يوجد
منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون واذا راك الذين كفروا
ان يتخذونك ما يتخذونك الا هزوا مفعول ثان ليتخذونك نزلت
في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد
مناف اهذا الذي يذكر يعيب الهتكم والذكر يكون بخير وبخلافه فان كان
الذاكر صديقا فهو ثنا وان كان عدوا فذم وهم بذكر الرحمن اي بذكر الله وما
يجب ان يذكر به من الوحدانية هم كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق
ان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن اي بما انزل
عليك من القران هم كافرون جاحدون والجملة في موضع الحال اي
يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزؤ والسخرية وهي الكفر
بالله تعالى وكرر هم للتاكيد ولان الصلة حالت بينه وبين الخبر
فاعيد المبتدا خلق الانسان من عجل فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان
نضر بن الحارث يستعجل بالعذاب والعجل والعجلة مصدران وهو تقديم
الشيء على وقته والظاهر ان المراد الجنس وانه ركب فيه العجلة فكانه
خلق من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق
من الكرم تقديرا ولا ذم للانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم
منع وزجر كانه قال ليس ببديع منه ان يستعجل فانه مجبور على ذلك
وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم
٭ والنبع في صخرة الصماء منبته ٭ والنخل ينبت بين الماء والعجل ٭
وانما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما امره بقمع الشهوة وقد
ركبها فيه لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة
ومن عجل حال اي عجلا ساريكم اياتي نقماتي فلا تستعجلون بالاتيان
بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش في الوصل ويقولون متى
هذا الوعد اتيان العذاب او القيامة ان كنتم صادقين قيل هو احد وجهي
استعجالهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي
لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط
بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم

ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء
والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم بل تأتيهم الساعة
بغتة فجأة فتبهتهم تحيرهم اي لا يفكون بل تفجأهم فتغلبهم فلا
يستطيعون ردها فلا يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون يمهلون ولقد
استهزئ برسل من قبلك فحاق نحل ونزل بالذين سخروا منهم جزاء ما كانوا
به يستهزءون سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به
بان له في الانبيا اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين
بالانبيا ما فعلوا قل من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن
اي من عذابه ان اتاكم ليلا او نهارا بل هم عن ذكر ربهم معرضون اي بل هم
معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا
رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمعنى
انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم
عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا
لما في ام من معنى بل فقال لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
وحفظنا ثم استأنف بقوله لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون
فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر
والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى
طال عليهم العمر اي ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع
يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم
بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى
طال عليهم الامد فقست قلوبهم وظنوا انهم دائمون على ذلك وهو
امل كاذب افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي ننقص
ارض الكفر ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها
وردها دار اسلام وذكر نأتي يشير بان الله يجريه على ايدي المسلمين
وان عساكرهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها
ناقصة من اطرافها افهم الغالبون افكفار مكة يغلبون بعد ان
نقصنا من اطراف ارضهم اي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه بنصرنا قل انما انذركم بالوحي اخوفكم من العذاب
بالقرآن ولا يسمع الصم الدعاء بفتح الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم بالتاء
على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا ما ينذرون يخوفون واللام في
الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين والاصل ولا يسمعون اذا
ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم
اسماعهم اذا ما انذروا ولئن مستهم نفحة دفعة يسيرة من عذاب ربك
صفة لنفحة ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي ولئن مسهم من هذا
الذي ينذرون به ادنى شيء لذلوا ودعوا بالويل على انفسهم واقروا انهم

ظلموا

ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وقد بولغ حيث ذكر المس والنفحة لان
النفح يدل على القلة يقال نفحه بعطية رضخه بها ومع ان بناءها للمرة
ونضع الموازين جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فيعرف كميته وعن
الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وانما جمع الموازين لتفخيم شأنها
كما في قوله يا ايها الرسل والوزن لصحائف الاعمال في قول القسط وصفت
الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف
المضاف اي ذوات القسط ليوم القيامة لاهل يوم القيامة اي لاجلهم
فلا تظلم نفس شيئا من الظلم وان كان مثقال حبة وان كان الشيء مثقال
حبة مثقال بالرفع مدني وكذا في لقمان على كان التامة من خردل صفة
لحبة اتينا بها احضرناها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة
كقولهم ذهبت بعض اصابعه وكفى بنا حاسبين عالمين حافظين عن ابن
عباس رضي الله عنهما لان من حسب شيئا علمه وحفظه ولقد آتينا موسى
وهارون الفرقان وضياء وذكرا قيل هذه الثلاثة هي التوراة فهي فرقان
بين الحق والباطل وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة وذكرى
اي شرف او وعظ وتنبيه او ذكر ما يحتاج الناس اليه في مصالح دينهم ودخلت
الواو على الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وتقول مررت بزيد
الكريم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله للمتقين
ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه يخشون ربهم
يخافون بالغيب حال اي يخافونه في الخلاء وهم من الساعة القيامة
واهوالها مشفقون خائفون وهذا اي القرآن ذكر مبارك كثير
الخير غزير النفع انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ اي
جاحدون انه منزل من عند الله ولقد آتينا ابراهيم رشده هداه من قبل
من قبل موسى وهارون او من قبل محمد عليه السلام وكنا به بابراهيم
او برشده عالمين اي علمنا انه اهل لما آتيناه اذ اما ان يتعلق باتينا او برشده
قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل اي الاصنام المصورة على صورة السباع
والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها
التي انتم لها عاكفون لاجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الاتيان بالدليل
على ذلك قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم قال ابراهيم لقد
كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين اراد ان المقلدين والمقلدين منخرطون
في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل واكد انتم ليصح العطف لان العطف
على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين
اي اجاد انت فيما تقول ام لاعب استعظاما منهم انكاره عليهم واستبعادا
لان يكون ما هم عليه ضلالا ثم اضرب عنهم مخبرا بانه جاد فيما قال غير لاعب
مثبتا لربوبية الملك العلام وحدوث الاصنام بقوله قال بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن اي التماثيل فانى يعبد المخلوق ويجد

الخالق وانا على ذلكم المذكور من التوحيد شاهد من الشاهدين وتالله
اصله والله وفي التا معنى التعجب من تسهل الكيد على يده مع صعوبته
وتعذره لقوة سلطنة نمرود لاكيدن اصنامكم لاكسرنها بعد ان تولوا
مدبرين بعد ذهابكم عنها الى عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل
واحد بعرض بقوله اني سقيم اي ساسقم ليتخلف فرجع الى بيت الاصنام
فجعلهم جذاذا قطعا من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج
جذاذا بالكسر على جمع جذيذ اي مجذوذ كخفيف وخفاف الا كبيرا لهم
للاصنام او للكفار اي فكسرها كلها بفاس في يده الا كبيرها فعلق الفاس
في عنقه لعلهم اليه الى الكبير يرجعون فيسألونه عن كاسرها فيتبين
لهم عجزه او الى ابراهيم ليحتج عليهم او الى الله لما راوا عجز الهتهم قالوا
اي الكفار حين رجعوا من عيدهم وراوا ذلك من فعل هذا بالهتنا انه
لمن الظالمين اي ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجرائته على الالهة
الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
الجملتان صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم اي يعيبهم لا بد منه لسمع
لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع بخلاف الثاني
وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال فالمراد الاسم لا المسمى اي الذي
يقال له هذا الاسم قالوا اي نمرود او اشراف قومه فاتوا به احضروا
ابراهيم على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمراى
منهم ومنظرا لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما فعله كانهم كرهوا
عقابه بلا بينة او يحضرون عقوبتنا له فلما احضروه قالوا أانت فعلت
هذا بالهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله عن الكسائي انه يقف عليه
اي فعله من فعله وفيه حذف الفاعل وانه لا يجوز وجاز ان يكون الفاعل
مسندا الى الفتى المذكور في قوله سمعنا فتى يذكرهم او الى ابراهيم في قوله
يا ابراهيم ثم قال كبيرهم هذا وهو مبتدا وخبر والاكثر انه لا وقف
والفاعل كبيرهم وهذا وصف او بدل ونسب الفعل الى كبيرهم وقصده
تقرير لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي تبكيتا لهم والزاما
للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وانه لا يصلح
الها وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق
انيق انت كتبت هذا وصاحبك امي فقلت له بل كتبته انت كان
قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته
للامي لان اثباته للعاجز منكما والامر دائر بينكما استهزاء به واثباته
للقادر ويمكن ان يقال غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة
وكان غيظ كبيرها اشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه
لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية
لما يعود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم

فان

فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا ويحكى انه قال غضب ان
تعبد هذه الصغار معه وهو اكبر منها فكسرهن او هو متعلق بشرط لا يكون
وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للمخبر به اي بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون
وقوله فاسألوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير نفسه وانما اضاف نفسه
اليهم لاشتراكهم في الحضور فاسألوهم عن حالهم ان كانوا ينطقون وانتم
تعلمون عجزهم عنه فرجعوا الى انفسهم فرجعوا الى عقولهم وتفكروا وتقلبوهم
لما اخذ بمخانقهم فقالوا انكم انتم الظالمون على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق
لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين فان من لا يدفع
عن راسه الفاس كيف يدفع عن عابديه الباس ثم نكسوا على رؤسهم قال
اهل التفسير اجرى الله الحق على لسانهم في القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة
اي ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم يقال نكسته قلبته فجعلت
اسفله اعلاه اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة
ثم انقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولي علمت
والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم قال محتجا عليهم افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا هو في موضع المصدر اي نفعا ما ولا يضركم
اذا لم تعبدوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف صوت اذا صوت به علم
ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد
وضوح الحق فتافف بهم واللام لبيان المتافف اي لكم ولالهتكم هذا التافف
اف مدني وحفص اف مكي وشامي اف غيرهم افلا تعقلون ان من هذا وصفه
لا يجوز ان يكون الها فلما الزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه بالنار
لانها اهول ما يعاقب به وافظع وانصروا الهتكم بالانتقام منه ان كنتم فاعلين
اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات
وهي الاحراق والا فرطتم في نصرتها والذي اشار باحراقه نمرود او رجل
من اكراد فارس وقيل انهم لما هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا بكوثى
وجمعوا شهرا اصناف الخشب ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق
في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو
يقول حسبي الله ونعم الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال
اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وما
احرقت النار الا وثاقه وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم
الوكيل قلنا يا نار كوني بردا وسلاما اي ذات برد وسلام فبولغ في
ذلك كان ذاتها برد وسلام على ابراهيم اراد ابردي فيسلم منك ابراهيم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها والمعنى
ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها
على الاضاءة والاشراق كما كانت وهو على كل شيء قدير وارادوا به كيدا احراقا

فجعلناهم الاخسرين فارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فاهلكته ونجيناه اي ابراهيم ولوطا بن اخيه هاران من العراق الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي ارض الشام وبركتها ان اكثر الانبياء منها فانتشرت في العالمين اثارهم الدينية وهي ارض خصب يطيب فيه عيش الغني والفقير وقيل ما من ماء عذب في الارض الا وينبع اصله من صخرة بيت المقدس روي انه نزل بفلسطين ولوطا بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقال عليه السلام انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة قيل هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق اي وهبنا له هبة وقيل هي ولد الولد وقد سال ولدا فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال وهي حال من يعقوب وكلا اي ابراهيم واسحاق ويعقوب وهو المفعول الاول لقوله جعلنا والثاني صالحين في الدين والنبوة وجعلناهم ائمة يقتدي بهم في الدين يهدون الناس بامرنا بوحينا واوحينا اليهم فعل الخيرات وهي جميع الاعمال الصالحة اصله ان تفعل الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك واقام الصلاة وايتاء الزكاة والاصل واقامة الصلاة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء وكانوا لنا عابدين لا للاصنام فانتم يا معشر العرب اولاد ابراهيم فاتبعوه في ذلك ولوطا انتصب بفعل يفسره اتيناه حكما حكمة وهي ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم او نبوة وعلما فقها ونجيناه من القرية من اهلها وهي سدوم التي كانت تعمل الخبائث اللواطة والضراط وحذف المارة بالحصا وغيرها انهم كانوا قوم سوء فاسقين خارجين عن طاعة الله وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في الجنة انه من الصالحين اي جزاء له على صلاحه كما اهلكنا قومه عقابا على فسادهم ونوحا اي واذكر نوحا اذ نادى اي دعا على قومه بالهلاك من قبل من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه فنجيناه واهله اي المومنين من ولده وقومه من الكرب العظيم من الطوفان وتكذيب اهل الطغيان ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا معناه منعناه منهم اي من اذاهم انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم وداود وسليمان اي واذكرهما اذ بدل منهما يحكمان في الحرث في الزرع او الكرم اذ ظرف ليحكمان نفشت دخلت فيه غنم القوم ليلا فاكلته وافسدته والنفش انتشار الغنم ليلا بلا راع وكنا لحكمهم ارادهما والمتحاكمين اليهما شاهدين اي كان ذلك بعلمنا ومراي منا ففهمناها اي الحكومة او الفتوى سليمان وفيه دليل على ان الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه وقصته ان الغنم رعت الحرث وافسدته بلا راع ليلا فتحاكما الى داود فحكم بالغنم لاهل الحرث وقد استوت قيمتاهما اي قيمة الغنم كانت على

قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم فاما في شريعتنا فلا ضمان عند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان في الليل وقال الجصاص انما ضمنوا لانهم ارسلوها او نسخ الضمان لقوله عليه السلام العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا اصلحا وما فعله داود كان حكما والصلح خير وكلا من داود وسليمان اتينا حكما نبوة وعلما معرفة بموجب الحكم وسخرنا وقد للتنافع مع داود الجبال يسبحن وهو حال بمعنى مسبحات او استئناف فكان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير معطوف على الجبال او مفعول معه وقدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها اعجب واغرب وادخل في الاعجاز لانها جماد روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار وكنا فاعلين بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس لكم اي عمل الدرع واللبوس اللباس والمراد الدرع لتحصنكم شامي وحفص اي الصنعة وبالنون ابو بكر وحماد اي الله عز وجل وبالياء غيرهم اي اللبوس او الله عز وجل من باسكم من حرب عدوكم فهل انتم شاكرون استفهام بمعنى الامر اي فاشكروا الله على ذلك ولسليمان الريح اي وسخرنا الريح عاصفة حال اي شديدة الهبوب ووصفت في موضع اخر بالرخاء لانها تجري باختياره فكانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته تجري بامره بامر سليمان الى الارض التي باركنا فيها بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الارض اليها وكنا بكل شيء عالمين وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا ومن الشياطين اي وسخرنا منهم من يغوصون له في البحار بامره لاستخراج الدرر وما يكون فيها ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه وايوب اي واذكر ايوب اذ نادى ربه اني اي دعاه باني مسني الضر الضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض او هزال وانت ارحم الراحمين الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكانه قال انت اهل

ان ترحم وايوب امل ان يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذي مسه عن انس
اخبر عن ضعفه حيث لم يقدر على النهوض الى الصلاة ولم يشتك وكيف
يشكو من قيل له انا وجدناه صابرا نعم العبد وقيل انما اشتكى اليه تلذذا
بالنجوى لا منه تضجرا بالشكوى والشكاية اليه غاية القرب كما ان
الشكاية منه غاية البعد **فاستجبنا له** اجبنا دعاءه **فكشفنا ما به من ضر**
فكشفنا ضره انعاما عليه **وآتيناه اهله ومثلهم معهم** روي ان ايوب
عليه السلام كان روميا من ولد اسحاق بن ابراهيم عليه السلام وله سبعة
بنين وسبع بنات وثلاثة الاف بعير وسبعة الاف شاة وخمسمائة
فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد فابتلاه الله تعالى
بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة
سنة او ثلاث سنين وقالت له امراته يوما لو دعوت الله عز وجل
فقال كم كانت مدة الرخا فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي
من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه
احيي ولده باعيانهم ورزقه مثلهم معهم **رحمة من عندنا** هو مفعول له
وذكرى للعابدين يعني رحمة لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا
كصبره فيثابوا كما اثيب **واسماعيل** بن ابراهيم **وادريس** بن شيث بن ادم
وذا الكفل اي اذكرهم وهو الياس او ذكريا او يوشع بن نون وسمي به
لانه ذو الحظ من الله والكفل الحظ **كل من الصابرين** اي هولاء المذكورون
كلهم موصوفون بالصبر **وادخلناهم في رحمتنا** نبوتنا والنعمة في الاخرة
انهم من الصالحين اي ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد **وذا النون**
اي اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فاضيف اليه **اذ ذهب مغاضبا**
حال اي مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم لمفارقته
لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها روي انه برم بقومه لطول
ما ذكرهم فلم يتعظوا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك
يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وبغضا للكفر واهله وكان عليه
ان يصابر وينتظر الاذن من الله تعالى والمهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت
فظن ان لن نقدر نضيق **عليه** وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه دخل يوما
على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فيها
فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك فقال وما هي يا معاوية فقرا الاية
فقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة
فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت
كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات فظلمة الليل والبحر
وبطن الحوت **ان** اي بانه **لا اله الا انت** او بمعنى اي **سبحانك اني كنت**
من الظالمين لنفسي في خروجي من قومي **فاستجبنا له ونجيناه من الغم**
الذلة والوحشة والوحدة **وكذلك ننجي المومنين** اذا دعونا واستغاثوا

بنا نجي شامي وابو بكر بادغام النون في الجيم عند البعض لان النون لا تدغم
في الجيم وقيل تقديره نجي النجا المومنين فسكن اليا تخفيفا واسند
الفعل الى المصدر ونصب المومنين بالنجا لكن فيه اقامة المصدر مقام
الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز وفيه تسكين اليا وبابه
الضرورات وقيل اصله ننجي من التنجية فحذفت النون الثانية
لاجتماع النونين كما حذفت احدى التائين في تنزل الملائكة **وزكريا**
اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه
وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال **وانت خير الوارثين**
اي فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث اي باق **فاستجبنا**
له ووهبنا له يحيى ولدا **واصلحنا له زوجه** جعلناها صالحة للولادة بعد
العقار اي بعد عقرها او حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق **انهم**
اي الانبيا المذكورين **كانوا يسارعون في الخيرات** اي انهم انما استحقوا
الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها
ويدعوننا رغبا ورهبا اي طمعا وخوفا كقوله يحذر الاخرة ويرجو رحمة
ربه وهما مصدران في موضع الحال او المفعول له اي للرغبة فينا
والرهبة منا **وكانوا لنا خاشعين** متواضعين خائفين **والتي** واذكر
التي **احصنت فرجها** حفظته من الحلال والحرام **فنفخنا فيها من**
روحنا اي اجرينا فيها روح المسيح او امرنا جبريل فنفخ في جيب درعها
فاحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها واضافة النفخ اليه تعالى لتشريف
عيسى عليه السلام **وجعلناها وابنها اية** مفعول ثان **للعالمين**
وانما لم يقل ايتين كما قال وجعلنا الليل والنهار ايتين لان حالهما
بمجموعهما اية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل والتقدير وجعلناها
اية وابنها كذلك فاية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة
من قرا ايتين **ان هذه امتكم امة واحدة** الامة الملة وهذه اشارة
الى ملة الاسلام وهي ملة جميع الانبيا وامة حال اي متوحدة
غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الاشارة اي ان ملة الاسلام
هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها
ملة واحدة غير مختلفة **وانا ربكم فاعبدون** اي ربيتكم
اختيارا فاعبدوني شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة
وتقطعوا امرهم بينهم اصل الكلام وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى
الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا امر دينهم فيما بينهم
قطعا وصاروا فرقا واحزابا ثم توعدهم بان هولاء الفرق المختلفة
كل الينا راجعون فنجازيهم على اعمالهم **فمن يعمل من الصالحات** شيا
وهو مومن بما يجب الايمان به **فلا كفران لسعيه** اي فان سعيه
مشكور مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر

مثل في اعطايه وقد نفي نفي الجنس ليكون ابلغ وانا له للسعي اي الحفظة بامرنا
كاتبون في صحيفة عمله فنثيبه به وحرام وحرم كوفي غير حفص وخلف
وهما لغتان كحل وحلال وزنا وضده معني والمراد بالحرام الممتنع وجوده
على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون والمعني وممتنع على كل مهلك غير ممكن
الا يرجع الى الله بالبعث او وحرام على قرية اهلكناها اي قدرنا اهلاكهم
او حكمنا باهلاكهم ذلك وهو المذكور في الاية المتقدمة من العمل الصالح
والسعي المشكور غير المكفور انهم لا يرجعون اي لانهم لا يرجعون من
الكفر الي الاسلام حتى هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة
من الشرط والجزا اعني اذا وما في حيزها فتحت ياجوج وماجوج اي
فتح سدها فحذف المضاف الى قرية فتحت شامي وهما قبيلتان
من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزا تسعة منها ياجوج وماجوج
وهم راجع الى الناس المسوقين الي المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج
يخرجون حين يفتح السد من كل حدب نشز من الارض اي ارتفاع
ينسلون يسرعون واقترب الوعد الحق اي القيامة وجواب اذا
فاذا هي وهي اذا المفاجاة وهي تقع على المجازاة سادة مسد الفا كقوله
اذا هم يقنطون فاذا جات الفا معها تعاونتا على وصل الجزا بالشرط
فيتاكد ولو قيل فهي شاخصة او اذا هي شاخصة كان سديدا وهي ضمير
مبهم يوضحه الابصار وتفسره شاخصة ابصار الذين كفروا اي مرتفعة
الاجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه يا ويلنا متعلق بمحذوف
تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون حال من الذين كفروا قد كنا في
غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين بوضعنا العبادة في غير موضعها
انكم وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام وابليس واعوانه لانهم
بطاعتهم له واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم حصب حطب وقري
حطب جهنم انتم لها واردون فيها داخلون لو كان هؤلاء الهة كما زعمتم
ما وردوها ما دخلوا النار وكل اي العابد والمعبود فيها في النار
خالدون لهم للكفار فيها زفير انين وبكا وعويل وهم فيها لا يسمعون
شيئا ما لانهم صاروا صما وفي السماع نوع انس فلم يعطوا ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن
وهي السعادة او البشرى بالثواب او التوفيق للطاعة نزلت جوابا
لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش انكم
وما تعبدون من دون الله الى قوله خالدون اليس اليهود عبدوا
عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة على ان قوله لا يتناولهم
لان ما لمن لا يعقل الا انهم اهل عناد فزيد في البيان اولئك يعني عزيرا
والمسيح والملائكة عنها عن جهنم مبعدون لانهم لم يرضوا بعبادتهم
وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المومنين

لما روي

لما روي ان عليا رضي الله عنه قرا هذه الاية فقال انا منهم وابو بكر وعمر
وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد
رحمه الله سبقت لهم منا العناية في البداية فظهرت لهم الولاية
في النهاية لا يسمعون حسيسها صوتها الذي يحس وحركة تلهبها
وهذه مبالغة في الابعاد عنها اي لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها
وصوت من فيها وهم فيما اشتهت انفسهم من النعيم خالدون مقيمون
والشهوة طلب النفس اللذة لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة
وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة
يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون اي هذا وقت ثوابكم الذي
وعدكم ربكم في الدنيا العامل في يوم نطوي السماء لا يحزنهم او تتلقاهم
تطوى السماء يزيد وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها او هو ضد النشر
جمعها ونطويها كطي السجل اي الصحيفة للكتب حمزة وعلي وحفص
اي للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وغيرهم للكتاب
اي كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب فيه لان الكتاب اصله
المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب وقيل السجل ملك يطوي كتب
بني ادم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطي مضاف الى
الفاعل وعلى الاول الي المفعول كما بدانا اول خلق نعيده انتصب الكاف
بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصوله اي نعيد مثل الذي بداناه
نعيده واول خلق ظرف لبدانا اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول
الساقط من اللفظ الثابت في المعنى واول الخلق ايجاده اي فكما اوجده
اولا يعيده ثانيا تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة للاعادة
لهما على السواء والتنكير في خلق مثله في قولك هو اول رجل جاني
تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا
فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق
مصدر لا يجمع وعدا مصدر موكد لان قوله نعيده عدة للاعادة علينا
اي وعدا كاينا لا محالة انا كنا فاعلين ذلك اي محققين هذا الوعد
فاستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من هذه الاهوال ولقد
كتبنا في الزبور كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر التوراة ان الارض
اي الشام يرثها عبادي ساكنة اليا حمزة غيره بفتح اليا الصالحون
اي امة محمد عليه السلام او الزبور بمعنى المزبور اي المكتوب يعني
ما انزل على الانبيا من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح لان الكل
اخذ منه دليله قراة حمزة وخلف بضم الزاي على جمع الزبر بمعنى المزبور
والارض ارض الجنة ان في هذا اي القران او في المذكور في هذه السورة
من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ لبلاغا لكفاية واصله ما يبلغ به

البغية لقوم عابدين موحدين وهم امة محمد عليه السلام وما ارسلناك
الا رحمة قال عليه السلام انما انا رحمة مهداة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم
اذا اتبعوه ومن لم يتبع فانما اوتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها
وقيل هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتاخير العقوبة
منها وقيل هو رحمة للمؤمنين وللكافرين في الدنيا بتاخير عذاب الاستيصال
والمسخ والخسف ورحمة مفعول له او حال اي ذا رحمة قل انما انما
لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد
وفاعل يوحى الي انما الهكم اله واحد والتقدير يوحى الي وحدانية الهي
ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة فهل انتم مسلمون
استفهام بمعنى الامر اي اسلموا فان تولوا عن الاسلام فقل اذنتكم اعلمتكم
ما امرت به على سواء حال اي مستوين في الاعلام به ولم اخصص بعضكم
وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
اي لا ادري متى يكون يوم القيامة لان الله تعالى لم يطلعني عليه ولكني
اعلم بانه كائن لا محالة او لا ادري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا
انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي انه عالم بكل شيء يعلم
ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحقاد
للمسلمين وهو مجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل
تاخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى
حين وتمتيع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق
اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل او بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم
وشدد عليهم كما قال واشدد وطاتك على مضر قال رب حفص على حكاية
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم يزيد ربي احكم زيد
عن يعقوب وربنا الرحمن العاطف على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة
على ما تصفون وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت
عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم
وخيب امالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم
اي الكفار وهو المستعان على ما يصفون والله الموفق للصواب

سورة الحج مكية وهي خمس وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم امر بني ادم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم
بذكر الساعة ووصفها باهول صفة بقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم
لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا
على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم
من التردي بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الافزاع والزلزلة
شدة التحريك والازعاج واضافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر
الى فاعله كانها هي التي تزلزل الارض على المجاز الحكمي او الى الظرف

لانها

لانها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم القيامة
او عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم
شيئا فان هذا اسم شيء لها حال وجودها وانتصب يوم ترونها اي الزلزلة
او الساعة بقوله تذهل تغفل والذهول الغفلة كل مرضعة عما ارضعت
عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على
ان ذلك الهول اذا فاجأت وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه
لما يلحقها من الدهشة اذ المرضعة هي في حال الارضاع ملقمة ثديها
الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها
به وتضع كل ذات حمل اي حبلى حملها ولدها قبل تمامه عن الحسن
تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام
وترى الناس ايها الناظر سكارى على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة
وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي نفسي نفسي وما
هم بسكارى على التحقيق ولكن عذاب الله شديد فخوف عذاب الله
هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب
السكر بعقله وتمييزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف
وما هم بسكارى من الشراب سكرى فيهما بالامالة حمزة وعلي وهو
كعطشى في عطشان روي انه نزلت الايتان ليلا في غزوة بني المصطلق
فقراهما النبي عليه السلام فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة ومن الناس
من يجادل في الله في دين الله بغير علم حال نزلت في النضر ابن الحارث
وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين والله
غير قادر على احياء من بلي او هي عامة في كل من يخاصم في الدين بالهوى
ويتبع في ذلك كل شيطان مريد عات مستمر في الشر ولا وقف على
مريد لان ما بعده صفة كتب عليه قضي على الشيطان انه ان الامر
والشان وهو فاعل كتب من تولاه تبعه اي تبع الشيطان فانه فان
الشيطان يضله عن سواء السبيل ويهديه الى عذاب السعير النار قال
الزجاج الفاء في فانه للعطف وان مكررة للتاكيد ورد عليه ابو علي وقال
ان من ان كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط وان كان بمعنى الذي فالفاء
دخل على خبر المبتدا والتقدير فالامر انه يضله قال والعطف والتاكيد
يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه
وهدايته الى النار ثم الزم الحجة على منكري البعث فقال يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث يعني ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا
في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابا وماء وليس سبب انكاركم
البعث الا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء فانا خلقناكم اي اباكم
من تراب ثم خلقتم من نطفة ثم من علقة اي قطعة دم جامدة ثم من
مضغة اي لحمة صغيرة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة المخلقة المسواة

الملسا من النقصان والعيب كان الله عز وجل يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلنا لكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والماء وقدر ان يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه ونقر بالرفع عند عن المفضل مستانف بعد وقف اي نحن نثبت في الارحام ما نشاء ثبوته الى اجل مسمى الى وقت الولادة وما لم نشا ثبوته اسقطته الارحام ثم نخرجكم من الرحم طفلا حال واريد به الجنس فلذا لم يجمع او اريد به ثم يخرج كل واحد منكم طفلا ثم لتبلغوا تقديره ثم نربيكم لتبلغوا اشدكم كمال عقلكم وقوتكم وهو من الفاظ الجموع التي لا يستعمل لها واحد ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله او بعده ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعني يستفيد علما وينسى ما كان عالما به ثم ذكر دليلا اخر على البعث فقال وترى الارض هامدة ميتة يابسة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وربات حيث كان يزداد تفعت وانبتت من كل زوج صنف بهيج سار للناظر يبهج اليه ذلك مبتدا خبره بان الله هو الحق اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني ادم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله هو الحق اي الثابت الوجود وانه يحيي الموتى كما احيى الارض وانه على كل شيء قدير قادر وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اي انه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد ومن الناس من يجادل في الله في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في ابي جهل بغير علم ضروري ولا هدى اي استدلال لانه يهدي الى المعرفة ولا كتاب منير اي وحي والعلم للانسان من احد هذه الوجوه الثلاث ثاني عطفه حال اي لاويا عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلا وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه الى غيره ليضل تعليل للمجادلة ليضل مكي وابو عمرو عن سبيل الله دينه له في الدنيا خزي اي القتل يوم بدر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي يجمع له عذاب الدارين ذلك بما قدمت يداك اي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليد لان اليد الة الكسب وان الله ليس بظلام للعبيد فلا ياخذ احدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما اي وبان الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم

عاقلق

عا قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة وهو حال مضطربا فان اصابه خير صحة في جسمه وسعة في معيشته اطمان به سكن واستقر بالخير الذي اصابه او بالدين فعبد الله وان اصابته فتنة بلاء في جسده وضيق في معيشته انقلب على وجهه جهته اي ارتد ورجع الى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة مهاجرين وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب عن دينه خسر الدنيا والاخرة حال وقد مقدرة دليله قراءة روح وزيد خاسر الدنيا والاخرة والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الاخرة بالخلود في النار ذلك اي خسران الدارين هو الخسران المبين الظاهر الذي لا يخفى على احد يدعو من دون الله يعني الصنم فانه بعد الردة يفعل كذلك ما لا يضره ان لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده ذلك هو الضلال البعيد عن الصواب يدعو لمن ضره اقرب من نفعه والاشكال انه تعالى نفى الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الاية واثبتهما لها هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه يشفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى لها اثر الشفاعة لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب او كرر يدعو كانه قال يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرف من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة المعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن ظن من اعاديه غير ذلك فليمدد بسبب بحبل الى السماء الى سماء بيته ثم ليقطع ثم ليختنق به وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وبكسر اللام بصري وشامي فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ اي الذي يغيظه او ما مصدرية اي غيظه والمعنى فليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزل القران كله ايات بينات واضحات وان الله يهدي من يريد اي ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين امنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا

قيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابيون نوع من
النصارى فلا تكون ستة ان الله يفصل بينهم يوم القيامة في الاحوال
والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر ان الذين
امنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيدا ان اباه قايم ان الله على كل شيء
شهيد عالم به حافظ فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو ابلغ وعيد
الم تر الم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
قيل ان الكل يسجد له ولكنا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها قال الله
تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سميت
مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث له من افعاله وتسخيره له سجودا له تشبيها
بطاوعته بسجود المكلف الذي كل خضوع دونه وكثير من الناس اي
ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة او هو مرفوع على الابتداء
ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله وكثير
حق عليه العذاب اي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابايه السجود
ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم بالسعادة ان الله يفعل ما يشا
من الاكرام والاهانة وغيره ذلك وظاهر هذه الاية والتي قبلها ينقض على
المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء اشيا ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشا
هذان خصمان اي فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله
اختصموا للمعنى وهذان للفظ والمراد المومنون والكافرون وقال ابن عباس
رضي الله عنهما رجع الى اهل الاديان المذكورة والمومنون خصم وساير الخمسة
خصم في ربهم في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله فالذين كفروا
وهو فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت
لهم ثياب من نار كان الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم
كما تقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضي لانه كاين لا محالة فهو كالثابت
المتحقق يصب من فوق رؤسهم بكسر الها والميم بصري وبضمهما حمزة وعلي
وخلف وبكسر الها وضم الميم غيرهم الحميم الماء الحار عن ابن عباس رضي الله
عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب به بالحميم
ما في بطونهم والجلود اي يذيب امعاهم واحشاهم كما يذيب جلودهم
فيوثر في الظاهر والباطن ولهم مقامع سياط مختصة بهم من حديد يضربون
بها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم بدل الاشتمال من منها
باعادة الجار او الاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من اجل يعني كلما
ارادوا الخروج من النار من اجل غم يلحقهم فخرجوا والعامل في كلما
اعيدوا فيها بالمقامع ومعنى الخروج عند الحسن ان النار تضربهم بلهيبها
فتلقيهم الى اعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا والمراد
اعادتهم الى معظم النار لا انهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون اليها

وذوقوا

وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق هو الغليظ من النار المنتشرة
العظيم الاهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الاخر فقال ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور
جمع اسورة جمع سوار من ذهب ولولوا بالنصب مدني وعاصم على ويوتون
لولوا وبالجر غيرهم عطفا على من ذهب وبترك الهمزة الاولى في كل القران
ابو بكر ولباسهم فيها حرير ابريسم وهدوا الى الطيب من القول وهدوا
الى صراط الحميد اي ارشد هولاء في الدنيا الى كلمة التوحيد والى صراط الحميد
اي الاسلام او هداهم الله في الاخرة والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة والحميد الله المحمود بكل لسان
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون عن الدخول في الاسلام
ويصدون حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون اي الصد ومنهم مستمر
دايم كما يقال فلان يحسن الى الفقرا فانه يراد به استمرار وجود الاحسان
منه لا الحال والاستقبال والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد
الحرام والدخول فيه الذي جعلناه للناس مطلقا من غير فرق بين حاضر
وباد فان اريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا تباع دور مكة
وان اريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس سواء بالنصب حفص
مفعول ثان لجعلناه اي جعلناه مستويا العاكف المقيم فيه والباد
وغير المقيم بالياء مكي ووافقه ابو عمرو في الوصل وغيره بالرفع على انه خبر
والمبتدا موخر اي العاكف فيه والباد سواء والجملة مفعول ثان وللناس
حال ومن يرد فيه في المسجد الحرام بالحاد بظلم حالان مترادفتان
ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه
مرادا ما عادلا عن القصد ظالما فالالحاد العدول عن القصد نذقه من
عذاب اليم في الاخرة وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره
ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم
وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
واذكر يا محمد حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا
يرجع اليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت الى السما ايام الطوفان
وكان من ياقوتة حمرا فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها فكنست
مكان البيت فبناه على اسه القديم ان هي المفسرة للقول المقدر
اي قايلين له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاقذار
ويفتح اليا مدني وحفص للطايفين لمن يطوف به والقايمين والمقيمين
بمكة والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذن في الناس
بالحج ناد فيهم والحج هو القصد البليغ الى مقصد منيع روي انه صعد ابا قبيس
فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاجابه من قدر له ان يحج من الاصلاب
والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن انه خطاب لرسول الله

صلى الله عليه وسلم امرأته بفعل ذلك في حجة الوداع والأول أظهر
وجواب الأمر يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وعلى كل ضامر
حال معطوفة على رجالا كأنه قال رجالا وركبانا والضامر البعير
المهزول وقدم الرجال على الركبان إظهارا لفضيلة المشاة كما ورد
في الحديث يأتين صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع وقرأ عبد الله
يأتون صفة للرجال والركبان من كل فج طريق عميق بعيد قال محمد
بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان
قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فأنتم
جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات
وخرجت وأنا شاب فاكتهلت قلت هذه والله هي الطاعة الجميلة
والمحبة الصادقة فضحك وقال

زر من هويت وإن شطت بك الدار ۞ وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد عن زيارته ۞ إن المحب لمن يهواه زوار

واللام في ليشهدوا الحضر ومتعلق بأذن أو بيأتوك منافع لهم
نكرها لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية لا توجد في غيرها
من العبادات وهذا لأن العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة
والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال
وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطيعة الأصحاب وهجرة البلاد
والأوطان وفرقة الأولاد والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه إذا
انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء فالحاج إذا دخل البادية لا يتكل فيها إلا
على عتاده ولا يأكل إلا من زاده فكذا المرء إذا خرج من شاطئ الحياة
وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته إلا ما سعى في معاشه لمعاده ولا يؤنس
وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه
غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله
وتجهيزه مطيبا بالحنوط ملففا في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون أشعث
حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات
آملين رغبا ورهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول
كموقف العرصات لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد والإفاضة
إلى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومنى هو موقف المنتمي
للمذنبين إلى شفاعة الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من
السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا
من الإيذاء والقتال أنموذج لدار السلام التي من نزلها بقي سالما من
الفناء والزوال غير أن الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما أن الكعبة
حفت بمتالف البادية فمرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا إلى
اللقاء يوم التنادي ويذكروا اسم الله عند الذبح في أيام معلومات

هي

هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وآخرها يوم النحر وهو قول
ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين رحمهم الله وعند صاحبيه هي أيام
النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي على
ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت
بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز فكلوا منها من لحومها والأمر
للإباحة ويجوز الأكل من هدي التطوع والمتعة والقران لأنه دم نسك
فأشبه الأضحية ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا وأطعموا البائس الذي
أصابه بؤس أي شدة الفقير الذي أضعفه الإعسار ثم ليقضوا تفثهم
ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه وقيل قضاء التفث قص الشارب
والأظفار ونتف الإبط والاستحداد والتفث الوسخ والمراد قضاء إزالة
التفث وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم قضاء التفث مناسك الحج
كلها وليوفوا نذورهم مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما
وجب عليه وفى بنذره أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم وليوفوا
بسكون اللام والتشديد أبو بكر وليطوفوا طواف الزيارة الذي هو ركن
الحج ويقع به تمام التحلل اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش
وابن عمرو بالبيت العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس بناه
آدم ثم جدده إبراهيم أو الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق
الرقيق الخروج من ذل العبودية إلى كرم الحرية أو لأنه أعتق من الغرق
لأنه رفع زمن الطوفان أو من أيدي الجبابرة كم من جبار سار إليه ليهدمه
فمنعه الله أو من الملاك فلم يملك قط وهو مطاف أهل الغبراء كما أن
العرش مطاف أهل السماء فإن الطالب إذا هاجت مبغة الطرب وجذبته
جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الأرض مراحل ويتخذ مسالك المهالك
منازل فإذا عاين البيت لم يزده التسلي به إلا اشتياقا ولم يفده التشفي
باستلام الحجر إلا احتراقا فيدير به الأسف لهفان ويردده اللهف حوله
في الدوران وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الإحرام
وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الإسلام حتى لا ينتقض
بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده ويبنا فيه كما أن
عقد الإسلام لا يحل بازدحام الآثام ويرتفع الحوبة بتوبة
وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهال في صفة الاهتبال وصرف
الاعتزال عن دفع الاتكال على مراتب الأعمال وشواهد الأحوال
ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك
ومن يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل
بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع
تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله
البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام

فهو اي التعظيم خير له عند ربه ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ
والقيام بمراعاتها واحلت لكم الانعام اي كلها الا ما يتلى عليكم اية تحريمه
وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الاية والمعنى ان الله تعالى قد احل لكم
الانعام الا ما بين في كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئا مما احل
كتحريم البعض البحيرة ونحوها ولا تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة
والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم حرماته اتبعه الامر باجتناب
الاوثان وقول الزور فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور لان
ذلك من اعظم الحرمات واسبقها ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس
مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وسمى
الاوثان رجسا على طريقة التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن
الرجس فعليكم ان تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور اي الكذب
والبهتان او شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف لان الشرك من
باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة حنفاء لله مسلمين
غير مشركين به حال كحنفا ومن يشرك بالله فكانما خر سقط من السماء الى الارض
فتخطفه الطير اي تستلبه بسرعة فتخطفه اي تختطفه مدني او تهوي به الريح
اي تسقطه والهوي السقوط في مكان سحيق بعيد يجوز ان يكون هذا
تشبيها مركبا ويجوز ان يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا فكانه قال
من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة
حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها او
عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وان كان مفرقا
فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي اشرك بالله بالساقط من السماء
والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذي هو يوقعه في الضلال
بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة ذلك اي الامر
ذلك ومن يعظم شعائر الله تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم
الحج اي يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان فانها من تقوى
القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى لكم فيها منافع من
الركوب عند الحاجة وشرب البانها عند الضرورة الى اجل مسمى الى ان تنحر
ثم محلها اي وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت العتيق والمراد نحرها
في الحرم الذي هو في حكم البيت اذ الحرم حريم البيت ومثله في الاتساع
قولك بلغت البلد وانما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك
كلها ونعظمها اتمامها ومحلها الى البيت العتيق يأباه ولكل امة جماعة
مؤمنة قبلكم جعلنا منسكا حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع علي
وحمزة اي موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر اي اراقة الدماء
وذبح القرابين ليذكروا اسم الله دون غيره على ما رزقهم من بهيمة الانعام

اي

اي عند نحرها او ذبحها فالهكم اله واحد اي اذكروا على الذبائح اسم الله
وحده فان الهكم اله واحد وفيه دليل على ان اسم الله شرط الذبح يعني
ان الله تعالى شرع لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا له على وجه التقرب
وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على المناسك فله اسلموا
اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك
وبشر المخبتين المطمئنين بذكر الله او المتواضعين الخاشعين من الخبت
وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا يظلمون واذا
ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم خافت
منه هيبة والصابرين على ما اصابهم من المحن والمصائب والمقيمي الصلاة
في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون والبدن جمع بدنة سميت
لعظم بدنها وفي الشريعة تتناول الابل والبقر وتجزي عن سبعة وهو كقوله
والثمر ثمرة وقرئ بالنصب جعلناها لكم من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي
شرعها واضافها الى نفسه تعظيما لها من شعائر الله ثاني مفعولي
جعلنا لكم فيها خير النفع في الدنيا والاجر في العقبى فاذكروا اسم الله
عليها عند نحرها صواف حال من الهاء اي قائمات قد صففن ايديهن
وارجلهن فاذا وجبت جنوبها وجوب الجنوب وقوعها على الارض من
وجب الحائط وجبة اذا سقط اي اذا سقطت جنوبها على الارض
بعد نحرها وسكنت حركتها فكلوا منها ان شئتم واطعموا القانع السائل
من قنعت اليه اذا خضعت اليه وسالته قنوعا والمعتر الذي يريك
نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال
من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال كذلك سخرناها لكم
اي كما امرناكم بنحرها سخرناها لكم او هو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استانف
فقال سخرناها لكم اي ذللناها لكم مع قوتها وعظم اجرامها لتتمكنوا من نحرها
لعلكم تشكرون لكي تشكروا انعام الله عليكم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم اي لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى
او لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد
اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة
النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا
البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا
مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم اي البدن لتكبروا الله لتسموا الله عند
الذبح او لتعظموا الله على ما هداكم على ما ارشدكم وبشر المحسنين الممتثلين
اوامره بالثواب ان الله يدافع مكي وبصري وغيرهما يدافع اي يبالغ في
الدفع عنهم عن الذين امنوا اي يدافع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه
انا لننصر رسلنا والذين امنوا ثم علل ذلك بقوله ان الله لا يحب كل خوان في
امانة الله كفور لنعمة الله اي لانه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة

الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها
أُذِنَ مدني وبصري وعاصم للذين يقاتلون بفتح التاء مدني وشامي وحفص
والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه
بانهم ظلموا بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول
الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول
لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهي
اول اية اذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين اية وان الله على
نصرهم لقدير قادر وهي بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل
قوله ان الله يدافع عن الذين امنوا الذين في محل جر بدل من للذين او نصب
باعني او رفع باضمارهم اخرجوا من ديارهم بمكة بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله
اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب التمكين لا موجب
الاخراج ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ومحل ان يقولوا جر بدلا من
حق والمعنى ما اخرجوا من ديارهم الا بسبب قولهم ولولا دفع الله دفاع
مدني ويعقوب الناس بعضهم ببعض لهدمت وبالتخفيف حجازي صوامع وبيع
وصلوات ومساجد اي لولا اظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة
لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها
ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات اي كنائس
وسميت الكنيسة صلاة لانها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون
في امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في
ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودا
او لقربها من التهديم يذكر فيها اسم الله كثيرا في المساجد او في
جميع ما تقدم ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه واولياءه ان الله لقوي على
نصر اوليائه عزيز على انتقام اعدائه الذين محله نصب بدل من من ينصره
او جر تابع للذين اخرجوا ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هو اخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين
ان مكن لهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وفيه
دليل صحة الخلفاء الراشدين لان الله عز وجل اعطاهم التمكين ونفاذ الامر
مع السيرة العادلة وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ولله
عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار
اوليائه واعلاء كلمتهم وان يكذبوك هذه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم
من تكذيب اهل مكة اياه اي لست باوحدي في التكذيب فقد كذبت قبلهم
قبل قومك قوم نوح نوحا وعاد هودا وثمود صالحا وقوم ابراهيم ابراهيم
وقوم لوط لوطا واصحاب مدين شعيبا وكذب موسى كذبه فرعون والقبط
ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قومه وانما كذبه غير قومه او كانه قيل

بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى اي مع وضوح اياته وظهور معجزاته
فما ظنك بغيره فامليت للكافرين امهلتهم واخرت عقوبتهم ثم اخذتهم عاقبتهم
على كفرهم فكيف كان نكير انكاري وتغييري حيث ابدلتهم بالنعم نقما وبالحياة
هلاكا وبالعمارة خرابا نكيري بالياء في الوصل والوقف يعقوب فكاين من قرية
اهلكناها اهلكتها بصري وهي ظالمة حال اي واهلها مشركون فهي خاوية
ساقطة من خوى النجم اذا سقط على عروشها يتعلق بخاوية والمعنى ساقطة
على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق
السقوف ولا محل لفهي خاوية من الاعراب لانها معطوفة على اهلكناها وهذا
الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كاين منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى
اهلكناها وبئر معطلة اي متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها
او هي عامرة فيها الماء ومعها الات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى
منها لهلاك اهلها وقصر مشيد مجصص من الشيد الجص او مرفوع البنيان من شاد
البناء رفعه والمعنى كم قرية اهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد
اخليناه عن ساكنيه اي اهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن اربابها
والابار عن ورادها والاظهر ان البئر والقصر على العموم افلم يسيروا في الارض هذا
حث على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا
فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها اي يعقلون
ما يجب ان يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها لا
تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور الضمير في فانها ضمير القصة
او ضمير مبهم يفسره الابصار اي فما عميت ابصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن
الاعتبار ولكل انسان اربع اعين عينان في رأسه وعينان في قلبه فاذا ابصر ما
في القلب وعمي ما في الرأس لم يضره وان ابصر ما في الرأس وعمي ما في القلب لم ينفعه
وذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب ولئلا يقال ان القلب يعنى به غير
هذا العضو كما يقال القلب لب كل شيء ويستعجلونك بالعذاب الاجل استهزاء ولن
يخلف الله وعده كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وانما يجوز
ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبنهم
ولو بعد حين وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون يعدون مكي وكوفي
غير عاصم اي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف
سنة من سنيكم لان ايام الشدائد طوال وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة اي
وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتها بالعذاب
والي المصير اي المرجع الي فلا يفوتني شيء وانما كانت الاولى اي فكاين معطوفة
بالفاء وهذه اي وكاين بالواو لان الاولى وقعت بدلا عن فكيف كان نكير واما
هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله
وعده وان يوما عند ربك قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين وانما لم يقل بشير ونذير
لذكر الفريقين بعده لان الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم

وهم الذين قيل فيهم انكم بسيرون او وصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون ثم
وثوابهم ليغاظوا او تقديره نذير مبين وبشير فبشروا ولا فقال فالذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم اي حسن ثم انذر فقال
والذين سعوا سعى في امر فلان اذا افسده بسعيه في اياتنا اي القران معاجزين
حال معجزين حيث كان مكي وابو عمرو وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب
اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها
بالفساد من الطعن فيها حيث سموها شعرا وسحرا واساطير مسابقين في
زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم اولئك اصحاب الجحيم اي
النار الموقدة وما ارسلنا من قبلك من لابتداء الغاية من رسول من زيادة
لتاكيد النفي ولا نبي هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي
بخلاف ما يقوله البعض انهما واحد وسيل النبي صلى الله عليه وسلم عن الانبيا
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا فقيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة
وثلاثة عشر والفرق بينهما ان الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل
عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله
وقيل الرسول واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره الا اذا تمنى قرا قال

تمنى كتاب الله اول ليلة • تمنى داود الزبور على رسل

القى الشيطان في امنيته تلاوته قالوا انه عليه السلام كان في نادي قومه يقرا
والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى جرى على لسانه تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترجى ولم يفطن له حتى ادركته فتنبه عليه وقيل نبهه
جبريل عليه السلام فاخبرهم ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضي
لانه لا يخلو اما ان تكلم النبي عليه السلام بها عمدا وانه لا يجوز لانه كفر
ولانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها او اجرى الشيطان على لسان النبي
عليه السلام جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهو ممتنع لان الشيطان
لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
ففي حقه اولى او جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود ايضا
لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل
الاعتماد على قوله ولانه تعالى قال في صفة المنزل عليه لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما
بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه عليه السلام سكت عند
قوله ومناة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا
بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم انه عليه السلام هو
الذي تكلم بها فيكون هذا القاء في قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان
يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه فقد روي انه نادى يوم احد
الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار
لكم فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله اياته

اي يثبتها ويحفظها عن لحوق الزيادة من الشيطان والله عليم بما اوحي الى نبيه
وبقصد الشيطان حكيم لا يدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن
الله تعالى به قوما بقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة محنة وابتلاء للذين في
قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم هم المشركون المكذبون
فيزدادوا به شكا وظلمة وان الظالمين اي المنافقين والمشركين واصله
وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق خلاف
بعيد عن الحق وليعلم الذين اوتوا العلم بالله وبدينه وبالايات انه اي القران
الحق من ربك فيؤمنوا به بالقران فتخبت فتطمئن له قلوبهم وان الله
لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم فيتاولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات
الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة
حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا يزال الذين كفروا في مرية
شك منه من القران او من الصراط المستقيم حتى تاتيهم الساعة بغتة
فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يعني يوم بدر فهو عقيم عن ان يكون للكافرين
فيه فرج او راحة كالريح العقيم لا تاتي بخير او شديد لا رحمة فيه
او لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيمة
وان المراد بالساعة مقدماته الملك يومئذ اي يوم القيمة والتنوين
عوض عن الجملة اي يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لله فلا منازع
له فيه يحكم بينهم اي يقضي ثم بين حكمه فيهم بقوله فالذين امنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا لهم عذاب مهين
ثم خص قوما من الفريق الاول بفضيلة فقال والذين هاجروا في سبيل الله
خرجوا من اوطانهم مجاهدين ثم قتلوا في الجهاد قتلوا شامي او ماتوا
حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل الرزق الحسن الذي لا ينقطع
ابدا وان الله لهو خير الرازقين لانه المخترع للخلق بلا مثال المتكفل للرزق
بلا ملال ليدخلنهم مدخلا بفتح الميم مدني والمراد الجنة يرضونه لان فيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وان الله لعليم باحوال من قضى نحبه
مجاهدا وامال من مات وهو ينتظر معاهدا حليم بامهال من قاتلهم
معاندا روي ان طوايف من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن
نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الايتين
ذلك اي الامر ذلك وما بعده مستانف ومن عاقب بمثل ما عوقب به
سمي الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذلك مسبب
عنه ثم بغي عليه لينصرنه الله اي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم
ظلم بعد ذلك فحق على الله ان ينصره ان الله لعفو يمحو اثار الذنوب غفور
يستر انواع العيوب وتقريب الوصفين بسياق الاية ان المعاقب
مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفا واصلح

فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو
تارك للافضل فكانه مذنب فعفى العفو انه لا يلومه على ترك الافضل
وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغي وعرض
مع ذلك بما كان اولى به من العفو بذكرها تين الصفتين او دل بذكر العفو
والمغفرة على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده كما
قيل العفو عند القدرة ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وان الله سميع بصير اي ذلك النصر للمظلوم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن
آيات قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يزيد من هذا
في ذلك ومن ذلك في هذا او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصورهما
فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف
وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت في النهار
الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء
في الليالي وان توالت الظلمات ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون عراقي
غير ابي بكر من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير اي ذلك الوصف
بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل
بسبب انه الله الحق الثابت الهيته وان كل ما يدعى الهاً دونه باطل الدعوة
وانه لا شيء اعلى منه شاناً واكبر سلطاناً الم تر ان الله انزل من السماء ماء مطرا
فتصبح الارض مخضرة بالنبات بعد ما كانت مسودة يابسة وانما صرف الى
لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد بقاء اثر المطر زماناً بعد زمان كما تقول
انعم علي فلان فاروح واغدو شاكراً له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع
ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جواباً للاستفهام لانه لو نصب لبطل
الغرض وهذا لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار
كما تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته نفيت شكره
وشكوت من تفريطه فيه وان رفعته اثبت شكره ان الله لطيف واصل علمه
او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم او اللطيف المختص بدقيق التدبير
الخبير المحيط بكل قليل وكثير له ما في السموات وما في الارض ملكاً وملكاً وان الله
لهو الغني المستغني بكمال قدرته بعد فناء ما في السموات وما في الارض الحميد
المحمود بنعمته قبل ثبات من في السموات ومن في الارض الم تر ان الله سخر لكم ما في
الارض من البهائم مذللة للركوب في البر والفلك تجري في البحر بامره اي ومن
المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطفاً على ما وتجري حال لها اي وسخر
لكم الفلك في حال جريها ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه
الا بامره او بمشيئته ان الله بالناس لرؤف بتسخير ما في الارض رحيم بامساك
السماء لئلا تقع على الارض عدد آلاءه مقرونة باسمائه ليشكروه على الائه ويذكروه
باسمائه وعن ابي حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم في الآيات الثماني يستجاب
لقاريها البتة وهو الذي احياكم في ارحام امهاتكم ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم

ثم يحييكم لايصال جزائكم ان الانسان لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب
النعم ودفع عنه صنوف النقم او لا يعرف نعمة الانشاء المبدي للوجود والافناء
المقرب الى الموعود والاحياء الموصل الى المقصود لكل امة اهل دين جعلنا
منسكا مر بيانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشريعة الله اذ هو
شريعة لكل امة هم ناسكوه عاملون به فلا ينازعنك فلا يجادلنك والمعنى
فلا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك في الامر امر الذبائح
او الدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا
تاكلون ما قتله الله يعني الميتة وادع الناس الى ربك الى عبادة ربك
انك لعلى هدى مستقيم طريق قويم ولم يذكر الواو في لكل امة بخلاف ما تقدم
لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في امر النسائك فعطفت
على اخواتها وهذه وقعت مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا وان جادلوك
مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم
تنازع وجدال فقل الله اعلم بما تعملون اي فلا تجادلهم وادفعهم
بهذا القول والمعنى ان الله اعلم باعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء
فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتاديب يجاب به
كل متعنت الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون هذا خطاب
من الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم الم تعلم ان الله يعلم
ما في السماء والارض اي كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء
بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض ان ذلك الموجود فيهما
في كتاب في اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير اي علمه بجميع ذلك
عليه يسير ثم اشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل بتنزل مكي وبصري سلطانا حجة
وبرهانا وما ليس لهم به علم اي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان
سماوي من جهة الوحي ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للظالمين من
نصير وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القرآن تعرف في وجوه الذين كفروا
المنكر الانكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر يكادون يسطون
يبطشون والسطو الوثب والبطش بالذين يتلون عليهم اياتنا هم النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم
على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما
تلي عليكم النار خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار
اي هو النار وعدها الله الذين كفروا استيناف كلام وبئس المصير النار
ولما كانت دعواهم بان لله تعالى شريكا جارية في الغرابة والشهرة
مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل

فاستمعوا له لضرب هذا المثل ان الذين تدعون يدعون سهل ويعقوب
من دون الله آلهة لن يخلقوا ذبابا لن لتأكيد نفي المستقبل وتأكيده هنا
للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال محال ان يخلقوا
وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره وسمي ذبابا لانه كلما
ذب لاستقذاره آب لاستكباره ولو اجتمعوا له لخلق الذباب ومحله
النصب على الحال كانه قال مستحيل منهم ان يخلقوا الذباب مشروطا
عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزل
في تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات
كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان
تقدر على اقل ما خلقه الله تعالى واذله ولو اجتمعوا لذلك وان يسلبهم
الذباب شيئا شيئا ثاني مفعولي يسلبهم لا يستنقذوه منه اي هذا
الخلق الاقل الارذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه
لم يقدروا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها
بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن اخذه ضعف الطالب اي الصنم
بطلب ما سلب منه والمطلوب الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم
وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف
فان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب ما قدروا الله
حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف
شريكا له ان الله لقوي عزيز اي ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز
المغلوب شبيها به او لقوي بنصر اوليائه عزيز ينتقم من اعدائه الله يصطفي
يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم ومن الناس
رسلا كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما انكروه
من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملك وبشر
وقيل نزلت حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا ان الله سميع لقولهم بصير
بمن يختاره لرسالته او سميع لاقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير
باحوال الامم في الرد والقبول يعلم ما بين ايديهم ما مضى وما خلفهم ما لم
يأت او ما عملوه وما سيعملوه او امر الدنيا وامر الآخرة والى الله ترجع الامور
اي اليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل
وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله ترجع
شامي وحمزة وعلي يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا في صلاتكم وكانوا
اول ما اسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع
وسجود وفيه دليل على ان الاعمال ليست من الايمان وان هذه السجدة
للصلاة لا للتلاوة واعبدوا ربكم واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه
الله لا الصنم وافعلوا الخير قيل لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات
دعا المؤمنين اولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص لقوله تعالى واقم الصلاة

لذكري

لذكري ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على
سائر الخيرات وقيل اريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي
لكي تفوزوا وافعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلوا
على اعمالكم وجاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد
الاكبر او هو كلمة حق عند امير جائر في الله اي في ذات الله ومن اجله حق جهاده
وهو ان لا يخاف في الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا
وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه لكن
الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من
حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في
الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم لدينه
ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم
من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيمم وبالايماء وبالقصر والافطار لعذر
السفر والمرض وعدم الراحلة ملة ابيكم ابراهيم اي اتبعوا ملة ابيكم وسماه
ابا وان لم يكن ابا للامة كلها لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده قال عليه السلام انما انا لكم مثل
الوالد هو سماكم المسلمين اي الله بدليل قراءة ابي الله سماكم من قبل في
الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن اي فضلكم على سائر الامم وسماكم
بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه بلغكم رسالة ربكم وتكونوا
شهداء على الناس بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم واذ خصكم بهذه الكرامة
والاثرة فاقيموا الصلاة بواجباتها وآتوا الزكاة بشرائطها واعتصموا بالله
وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة هو مولاكم مالككم وناصركم ومتولي
اموركم نعم المولى حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم ونعم النصير اي الناصر هو
حيث اعانكم على طاعتكم وقد افلح من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب
سورة المؤمنين مكية وهي مائة وثماني عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
قد افلح المؤمنون قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون
يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل
على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب اي فازوا
بما طلبوا ونجوا مما هربوا والايمان في اللغة التصديق والمؤمن المصدق لغة
وفي الشرع كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه قال عليه السلام خلق
الله الجنة فقال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون ثلاثا انا حرام على كل بخيل
مرائي لانه بالرياء ابطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية الذين هم في
صلاتهم خاشعون خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح وقيل الخشوع في الصلاة
جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وان لا يجاوز بصره مصلاه وان لا يلتفت
ولا يعبث ولا يسدل ولا يفرقع اصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك وعن
ابي الدرداء هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام

واضيفت الصلاة الى المصلين لا الى المصلى له لانتفاع المصلي بها وحده وهي عدته
وذخيرته واما المصلى له فغني عنها والذين هم عن اللغو معرضون اللغو كل كلام
ساقط حقه ان يلغى كالكذب والشتم والهزل يعني ان بهم من الجد ما شغلهم
عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو
ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف
والذين هم للزكاة فاعلون مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف
مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرجه
المزكي من النصاب الى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكي الذي هو التزكية
وهو المراد هنا فجعل المزكين فاعلين له لان لفظ الفعل يعم جميع الافعال
كالضرب والقتل ونحوهما فتقول للضارب والقاتل والمزكي فاعل الضرب
والقتل والتزكية ويجوز ان يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف
وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل في العمل فانك
تقول هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد والذين هم لفروجهم حافظون
الفرج يشمل سوأة الرجل والمراة الا على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين
على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة اي واليا عليها
والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم او
تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على
ازواجهم اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه
وقال الفراء الا من ازواجهم اي زوجاتهم او ما ملكت ايمانهم اي اماؤهم
ولم يقل من لان المملوك يجري مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما يباع البهائم
فانهم غير ملومين اي لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم واماؤهم
فمن ابتغى وراء ذلك طلب قضاء شهوة من غير هذين فاولئك هم العادون الكاملون
في العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لارادة الشهوة
والذين هم لاماناتهم وعهدهم لامانتهم مكي سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه
امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
وانما تؤدى العيون لا المعاني والمراد به العموم في كل ما ائتمنوا
عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق راعون حافظون
والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم والذين هم على صلواتهم
صلاتهم كوفي غير عاصم يحافظون يداومون في اوقاتها واعادة ذكر الصلاة
لانها اهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها ولانها وحدت اولا ليفاد
الخشوع في جنس الصلاة اية صلاة كانت وجمعت اخرا ليفاد المحافظة
على انواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل اولئك الجامعون
لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم
ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون من الكفار في الحديث ما منكم من
احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل الجنة

ورث اهل

اهل النار منزله وان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله الفردوس هو
البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو اعلى الجنان هم فيها
خالدون انث الفردوس بتاويل الجنة ولقد خلقنا الانسان اي ادم من سلالة
من للابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وقيل انما سمي التراب
الذي خلق ادم منه سلالة لانه سل من كل تربة من طين من للبيان كقوله
من الاوثان ثم جعلناه اي نسله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
لان ادم عليه السلام لم يصر نطفة وهو كقوله وبدا خلق الانسان من طين
اي من مخلوق من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل
الانسان بنو ادم والسلالة النطفة والعرب تسمي النطفة سلالة اي
ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعني من نطفة مسلولة من طين اي من
مخلوق من طين وهو ادم عليه السلام نطفة ماء قليلا في قرار مستقر
يعني الرحم مكين حصين ثم خلقنا النطفة اي صيرناها لدلالة تعديه
الى مفعولين والخلق يتعدى الى مفعول واحد علقة قطعة دم والمعنى
احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة لحما قدر ما يمضغ
فخلقنا المضغة عظاما فصيرناها عظاما فكسونا العظام لحما فانبتنا عليها
اللحم فصار لها كاللباس عظما العظم شامي وابو بكر عظما العظام زيد عن
يعقوب عظاما العظم عن ابي زيد ووضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذ
الانسان ذو عظام كثيرة ثم انشاناه الضمير يعود الى الانسان او الى المذكور
خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا
وناطقا وسميعا وبصيرا وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا اذا غصب بيضة
فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق اخر سوى البيضة
فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن بدل او خبر مبتدا محذوف
وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف لان المضاف اليه عوض من من الخالقين
المقدرين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين
عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي عليه السلام
فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب
هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد يوحى اليه فانا نبي يوحى الي
فارتد ولحق بمكة ثم اسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة
لان ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر او معاذ
رضي الله عنهما ثم انكم بعد ذلك بعد ما ذكرنا من امركم لميتون عند انقضاء
اجالكم ثم انكم يوم القيمة تبعثون تحيون للجزاء ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق
جمع طريقة وهي السموات لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وما كنا عن الخلق
غافلين اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقكم وما كنا عنها غافلين
عنكم وعن حفظها او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق
والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم وانزلنا من السماء ماء مطرا

يقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمناه
من حاجاتهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه
ثابتا في الارض فماء الارض كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله وانا على
ذهاب به لقادرون اي كما قدرنا على انزاله نقدر على اذهابه فقيدوا هذه النعمة
بالشكر فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة
سوى النخيل والاعناب ومنها تأكلون اي من الجنات اي من ثمارها ويجوز ان
يكون هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يعملها اي انها
طعمته وجهته التي يحصل منها رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم
ومعايشكم منها ترزقون وتعيشون وشجرة عطف على جنات وهي شجرة
الزيتون تخرج من طور سيناء طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف الطور
الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف
اليه كامرئ القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين
كقراءة الحجازي وابي عمرو للتعريف والعجمة او مفتوحها كقراءة غيرهم لان
الالف للتأنيث كصحراء تنبت بالدهن قال الزجاج الباء للحال اي تنبت
ومعها الدهن تنبت مكي وابو عمرو اما لان انبت بمعنى نبت كقوله حتى اذا
انبت البقل او لان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الدهن وصبغ
للآكلين اي ادام لهم قال مقاتل جعله الله تعالى في هذه اداما ودهنا
فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان
وخص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع
وان لكم في الانعام جمع نعم وهو الابل والبقر والغنم لعبرة نسقيكم وبفتح
النون شامي ونافع وابو بكر وسقى واسقى لغتان مما في بطونها اي
يخرج لكم من بطونها البانا سائغا ولكم فيها منافع كثيرة سوى الالبان وهي
منافع الاصواف والاوبار والاشعار ومنها تأكلون اي لحومها وعليها
وعلى الانعام في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في اسفاركم وهذا يشير
ان المراد بالانعام الابل لانها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفلك
التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة • سفينة بر تحت
خدي زمامها • يريد ناقته ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
وحدوه ما لكم من اله معبود غيره بالرفع على المحل وعلي بالجر على اللفظ
الجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا
تخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيره مما ليس
من استحقاق العبادة في شيء فقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم
لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يأكل ويشرب يريد ان يتفضل عليكم اي يطلب
الفضل عليكم ويترأس ولو شاء الله ارسال رسول لانزل ملائكة لارسل
ملائكة ما سمعنا بهذا اي بارسال بشر رسولا او بما يأمرنا به من التوحيد
وسب الهتنا والعجب منهم انهم رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة

للبشر في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة جنون فتربصوا به حتى حين فانتظروا
واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره فان افاق من جنونه والا قتلتموه
قال رب انصرني بما كذبون فلما ايس من ايمانهم دعا الله بالانتقام
منهم والمعنى اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي اذ في نصرته اهلاكهم او انصرني
بدل ما كذبون كقولك هذا بذاك اي بدل ذاك والمعنى ابدلني من
غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم فاوحينا اليه اي اجبنا دعاءه فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي اصنعه وانت واثق بحفظ الله لك
ورؤيته اياك او بحفظنا وكلاءتنا كأن معك من الله حفاظا يكلؤونك
بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عملك ومنه قولهم
عليه من الله عين كالئة ووحينا امرنا وتعليمنا اياك صنعتها روي
انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر فاذا جاء امرنا اي
عذابنا بامرنا وفار التنور اي فار الماء من تنور الخبز اي اخرج سبب
الغرق من موضع الحرق ليكون ابلغ في الانذار والاعتبار روي انه قيل
لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة
فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار الى
نوح وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة وقيل
بالشام وقيل بالهند فاسلك فيها فادخل في السفينة من كل زوجين من
كل نوع امتين زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق
والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة
والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض من كل حفص
والمفضل اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان واهلك
ونساءك واولادك الا من سبق عليه القول من الله بهلاكه وهو ابنه
واحدى زوجتيه فجيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع
في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولا تسألني
نجاة الذين كفروا فاني اغرقهم فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فاذا
تمكنتم عليها راكبين فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين امر
بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت
انت ومن معك في معنى فاذا استويتم لانه نبيهم وامامهم فكان قوله
قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة وقل حين ركبت على السفينة
او حين خرجت منها رب انزلني منزلا مباركا اي انزالا او موضع انزال منزلا
ابو بكر اي مكانا وانت خير المنزلين فالبركة في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج
منها كثرة النسل وتتابع الخيرات ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات
لعبرا ومواعظ وان هي المخففة من الثقيلة واللام الفارقة بين النافية
وبينها والمعنى وان الشأن والقصة كنا لمبتلين مصيبين قوم نوح

بلا غطيع وعقاب شديد او لمختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر
ويذكر كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم خلقنا
من بعد قوم نوح قرنا آخرين هم عاد قوم هود ويشهد له قوله
هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة
نوح في الاعراف وهود والشعراء فارسلنا فيهم الارسال يعدى بالى ولم يعدى
بالى هنا وفي قوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا من قرية ولكن
الامة والقرية جعلت موضعا للارسال كقول رؤبة ارسلت فيها
مصعبا ذا اقحام رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون
ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول عليه السلام ان اعبدوا
الله وقال الملأ من قومه ذكر مقال قوم هود في جوابه في الاعراف وهود بغير
واو لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل قالوا كيت
وكيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه
انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب متصل بكلامه
وجيء بالفاء في قصة نوح لانه جواب لقوله واقع عقيبه الذين كفروا
صفة للملأ او لمن قومه وكذبوا بلقاء الآخرة او بلقاء ما فيها من الحساب
والثواب والعقاب وغير ذلك واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا
بكثرة الاموال والاولاد ما هذا اي النبي الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون
منه ويشرب مما تشربون اي منه فحذف لدلالة ما قبله عليه اي من اين يدعي
رسالة الله من بينكم وهو مثلكم ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم به
وينهاكم عنه انكم اذا اذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم
من قومهم لخاسرون بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم ابوا اتباع
مثلهم وعبدوا اعجز منهم ايعدكم انكم اذا متم بالكسر نافع وحمزة وعلي
وحفص وغيرهم بالضم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون مبعوثون للسؤال
والحساب والثواب والعذاب وثني انكم للتوكيد وحسن ذلك
لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول
والتقدير ايعدكم انكم مخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما هيهات
هيهات وبكسر التاء يزيد وروي انه بالكسر والتنوين فيهما والكسائي
يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم لفعل واقع موقع بعد وفاعلها مضمر
اي بعد التصديق او الوقوع لما توعدون من العذاب او فاعلها
ما توعدون واللام مزيدة اي بعد ما توعدون من البعث ان هي هذا
ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا
الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى
لا حياة الا هذه الحياة التي نحن فيها ودنت منا وهذا لان ان النافية
دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا
التي لنفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن

ويأتي

ويأتي قرن آخر او فيه تقديم وتأخير اي نحيا ونموت ويؤيده قراءة ابي وابن
مسعود رضي الله عنهما وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو الا رجل افترى على الله
كذبا اي ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من ارساله له وفيما يعدنا من
البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني بما كذبون فاجاب
الله دعاءه بقوله قال عما قليل ما زائدة او بمعنى شيء او زمن وقليل
بدل منها وجواب القسم المحذوف ليصبحن نادمين اذا عاينوا ما يحل بهم
فاخذتهم الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم بالحق
بالعدل من الله يقال فلان يقضي بالحق اي بالعدل فجعلناهم غثاء شبههم
في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان
فبعدا نهلا كما يقال بعد بعدا وبعدا اي هلك وهو من المصادر
المنصوبة بافعال لا تستعمل اظهارها للقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه
بالبعد نحو هيت لك ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين قوم صالح ولوط
وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة من صلة اي ما تسبق امة اجلها المكتوب
لها او الوقت الذي حد لهلاكها وكتب وما يستاخرون لا يتاخرون عنه
ثم ارسلنا رسلنا تترى فعلى والالف للتانيث كسكرى لان الرسل جماعة
ولذا لا ينون لانه غير منصرف ونونه مكي وابو عمرو ويزيد على ان الالف
للالحاق كارطى وهو نصب على الحال في القراءتين اي متتابعين واحدا
بعد واحد وتاؤها بدل من الواو والاصل وترى من الوتر وهو الفرد
فقلبت الواو تاء كتراث كلما جاء امة رسولها كذبوه الرسول يلابس
المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما فاتبعنا
الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبار يسمر
بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث النبي
صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا
وتعجبا وهو المراد هنا فبعدا لقوم لا يؤمنون به ثم ارسلنا موسى واخاه هارون
بدل من اخاه بآياتنا التسع وسلطان مبين وحجة ظاهرة الى فرعون وملائه
فاستكبروا عن قبول الايمان ترفعا وتكبرا وكانوا قوما عالين متكبرين
مترفعين فقالوا انؤمن لبشر مثلنا البشر يكون واحدا وجمعا ومثل
وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وقومهما اي بنو اسرائيل
لنا عابدون خاضعون مطيعون وكل من دان الملك فهو عابد له عند
العرب فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد آتينا موسى اي قوم موسى
الكتاب اي التوراة لعلهم يهتدون يعملون بشرائعها ومواعظها
وجعلنا ابن مريم وامه آية تدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير
نطفة ووحد لان الاعجوبة فيهما واحدة او المراد وجعلنا ابن مريم آية
وامه آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما جعلنا مأواهما
اي منزلهما الى ربوة شامي وعاصم ربوة وغيرهما اي ارض مرتفعة وهو بيت

المقدس او دمشق او الرملة او مصر ذات قرار مستقر من ارض مستوية منبسطة
او ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ومعين وماء ظاهر
جار على وجه الارض وانه مفعول اي مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه
بعينه او فعيل لانه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهي المنفعة يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم ارسلوا
متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه
نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا
به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه او خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم
لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان ياكل من الغنايم او لعيسى عليه
السلام لاتصال الاية بذكره وكان ياكل من غزل امه وهو اطيب الطيبات
والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب ويستلذ والامر
للترفيه والاباحة واعملوا صالحا موافقا للشريعة اني بما تعملون عليم
فاجازيكم على اعمالكم وان هذه كوفي على الاستيناف وان حجازي وبصري بمعنى
ولان اي فاتقون لان هذه او معطوف على ما قبله اي بما تعملون عليم وبان
هذه او تقديره واعلموا ان هذه امتكم اي ملتكم وشريعتكم التي انتم
عليها امة واحدة ملة وهي شريعة الاسلام وانتصاب امة على الحال
والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام
وانا ربكم وحدي فاتقون فخافوا عقابي في مخالفتكم امري فتقطعوا
امرهم بينهم تقطع بمعنى قطع اي قطعوا امر دينهم زبرا جمع زبور اي كتبا
مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وقيل تفرقوا في دينهم فرقا كل ينتحل
كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ زبرا جمع
زبرة اي قطعا كل حزب كل فرقة من فرق هولاء المختلفين المتقطعين
دينهم بما لديهم من الكتاب والدين او من الهوى والراي فرحون
مسرورون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم
وغفلتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به من
مال وبنين ما بمعنى الذي وخبر ان نسارع لهم في الخيرات والعايد
من خبر ان الى اسمه محذوف اي نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد
ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم
في الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الاية حجة
على المعتزلة في مسالة الاصلح لانهم يقولون ان الله تعالى لا يفعل باحد
من الخلق الا ما هو اصلح له في الدين وقد اخبر ان ذلك ليس بخير لهم
في الدين والاصلح بل لا يشعرون بل استدراك لقوله ايحسبون اي
بل هم اشباه البهايم لا شعور لهم حتى يتاملوا في ذلك انه استدراج
او مسارعة في الخيرات ثم بين ذكر اوليايه فقال ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون خايفون والذين هم بايات ربهم يؤمنون اي بكتب الله

كلها

كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا امرهم بينهم وهم اهل الكتاب
والذين هم بربهم لا يشركون كمشركي العرب والذين يؤتون ما اتوا يعطون
ما اعطوا من الزكوة والصدقات وقرئ يأتون ما اتوا بالقصر اي يفعلون
ما فعلوا وقلوبهم وجلة خايفة لا يقبل منهم لتقصيرهم انهم الى ربهم
راجعون الجمهور على ان التقدير لانهم وخبر ان الذين اولئك يسارعون في
الخيرات يرغبون في الطاعات فيبادرونها وهم لها سابقون اي لاجل
الخيرات او لاجلها سبقوا الناس ولا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها يعني ان
الذي وصف به الصالحون غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك
كلما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق ولدينا كتاب اي
اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق وهم لا يظلمون لا يقرؤن منه يوم
القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد
بزيادة عقاب ولا نقصان ثواب او بتكليف ما لا وسع له بل قلوبهم في غمرة
من هذا بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه هولاء الموصوفون
من المؤمنين ولهم اعمال من دون ذلك اي ولهم اعمال خبيثة
متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها عاملون
وعليها مقيمون لا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب حتى اذا
اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين
حين دعا عليهم النبي عليه السلام او قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يبتدا
بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية اذا هم يجارون يصرخون
استغاثة والجوار الصراخ باستغاثة فيقال لهم حينئذ لا تجاروا اليوم
فان الجوار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون اي من جهتنا لا يلحقكم نصر
ولا معونة قد كانت اياتي تتلى عليكم اي القران فكنتم على اعقابكم تنكصون
ترجعون القهقرى والنكوص ان ترجع القهقرى وهو اقبح مشية
لانه لا يرى ما وراءه مستكبرين به مستكبرين على المسلمين حال من
تنكصون به بالبيت او بالحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل
الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت او باياتي
لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا
ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يتعلق الباء بقوله
سامرا اي يسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول
البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا
والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمارا او بقوله تهجرون
وهو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من اهجر في منطقه اذا افحش افلم يدبروا
القول افلم يتدبروا القران ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن
جاء به ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين بل اجاءهم ما لم يات اباءهم الاولين
فلذلك انكروه واستبدعوه ام لم يعرفوا رسولهم محمدا بالصدق والامانة

ووفور العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق اي عرفوه بهذه الصفات
فهم له منكرون بغيا وحسدا ام يقولون به جنة جنون وليس كذلك
لانهم يعلمون انه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا بل جاءهم بالحق الابلج والصراط
المستقيم وبما خالف شهواتهم واهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجدوا له
مردا ولا مدفعا فلذلك نسبوه الى الجنون واكثرهم للحق كارهون وفيه دليل
على ان اقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للايمان به انفة واستنكافا
من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين ابائه كابي طالب ولو اتبع الحق
اي الله اهواءهم فيما يعتقدون من الالهة لفسدت السموات والارض كما
قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ومن فيهن حتى العقلاء بالذكر لان غيرهم
تبع بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او شرفهم لان
الرسول منهم والقران بلغتهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو
ان عندنا ذكرا من الاولين الاية فهم عن ذكرهم معرضون ام تسألهم اجرا على ادائهم
ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير حجازي وبصري وعاصم خرجا فخرج شامي
خراجا فخراج علي وحمزة وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة ارضك والى كل
عامل من اجرته وجعله والخرج اخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج
الكردة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت القراءة الاولى
يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطا
الخالق خير وهو خير الرازقين افضل المعطين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
وهو دين الاسلام فحقيق ان يستجيبوا لك وان الذين لا يؤمنون بالاخرة
عن الصراط لناكبون لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر لما اخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز
جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال
قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت الاية والمعنى لو كشف
الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب
للجوا لتمادوا في طغيانهم يعمهون يترددون يعني لعادوا الى ما كانوا
عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين ولذهب عنهم
هذا التملق بين يديه ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما
يتضرعون استشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى
عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت بعد ذلك منهم
استكانة اي خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام
حالهم اي وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا ووزن استكان
استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا
انتقل من حال الى حال حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
اي باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون

ايسون

دكم

ايسون من كل خير وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك
او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك
حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس
المجرمون وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة خصها بالذكر لانه يتعلق
بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها قليلا ما تشكرون
اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا والمعنى انكم
لم تعرفوا عظم هذه النعم ولم تشكروها فضيعتموها عن مواضعها فلم تعملوا اسماعكم وابصاركم
في ايات الله وافعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولا تشركون به
شيئا وهو الذي ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل في الارض واليه تحشرون
تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت اي يحيي
النسم بالانشاء ويميتها بالافناء وله اختلاف الليل والنهار اي يجيء
احدهما عقيب الاخر واختلافهما في الظلمة والنور او في الزيادة والقصور
وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره افلا تعقلون فتعرفوا قدرتنا
على البعث او فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا بل قالوا اي اهل مكة
مثل ما قال الاولون اي الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله قالوا ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون متنا نافع وحمزة وعلي وحفص
لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا اي البعث من قبل من قبل مجيء محمد
ان هذا الا اساطير الاولين جمع اسطار جمع سطر وهي ما كتبه الاولون
مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق ثم امر نبيه عليه السلام باقامة
الحجة على المشركين بقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فانهم
سيقولون لله لانهم معترفون بانه الخالق فاذا قالوها قل لهم افلا
تذكرون فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق
وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية افلا تذكرون
بالتخفيف حمزة وعلي وحفص وبالتشديد غيرهم قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون افلا تخافونه
فلا تشركوا به او افلا تتقون في جحود كم قدرته على البعث مع اعترافكم
بقدرته على خلق هذه الاشياء قل من بيده ملكوت كل شيء الملكوت الملك
والواو والتاء للمبالغة ينبئ عن عظم الملك وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون
اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء
ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا سيقولون لله قل فانى تسحرون
تخدعون عن الحق او عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى
الاول لله بالاجماع اذ السؤال لمن هذا وكذا الثاني والثالث عند غير
اهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا فمعناه لمن هذا فيجاب
لفلان كقول الشاعر

اذا قيل من رب المزالف والقرى ورب الجياد الجرد قيل لخالد

اي لمن المؤلف ومن تراجذ به تعلي الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا
تجوابه فلان بل اتيناهم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل
وانهم لكاذبون في قولهم اتخذ الله ولدا وادعائهم الشرك ثم اكد
كذبهم بقوله ما اتخذ الله من ولد لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من
جنسه وما كان معه من اله وليس معه شريك في الالوهية اذا لذهب كل اله
بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بالذي خلقه واستبد به ولتميز ملك
كل واحد منهم عن الاخر ولعلا بعضهم على بعض ولغلب بعضهم بعضا كما ترون
حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا
لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء
ولا يقال اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب
جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف تقديره
لو كان معه الهة لدلالة وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه
من المشركين سبحان الله عما يصفون من الانداد والاولاد عالم بالجر صفة
لله وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبتدا محذوف الغيب والشهادة
السر والعلانية فتعالى عما يشركون من الاصنام وغيرها قل رب اما تريني
ما يوعدون ما والنون موكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما
تعدهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
اي فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبر الله
ان له في امته نقمة ولم يخبره وقتها فامره ان يدعو بهذا الدعاء ويجوز
ان يسال النبي المعصوم ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم
انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واستغفاره عليه السلام
اذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء في فلا لجواب شرط
ورب اعتراض بينهما للتاكيد وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا
ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على
انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار ادفع بالتي هي احسن
هي احسن السيئة هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من
التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم
ومقابلتها بما امكن من الاحسان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي
شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك او الفحش بالسلام او المنكر
بالموعظة وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة اذ المداراة
محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين نحن اعلم بما يصفون من الشرك
او بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه وقل رب اعوذ بك
من همزات الشياطين من وساوسهم ونخساتهم والهمز النخس
والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين
يحثون الناس على المعاصي كما تهمز الرائضة الدواب حثا لها على المشي

واعوذ

واعوذ بك رب ان يحضرون امر بالتعوذ من تحضيرهم بلفظ المبتهل الى ربه
المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا او عند تلاوة القران او عند
النزع حتى اذا جاء احدهم الموت حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون يشركون
الى وقت مجيء الموت او لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما
مذكور على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على
الشيطان ان يستنزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم قال رب
ارجعون ردوني الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب
الملوك لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الموضع الذي تركت وهو الدنيا لانه
ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ما تمنى ان يرجع الى اهل ولا
الى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط لعلي ساكنة الياء كوفي وسهل ويعقوب
كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد انها كلمة المراد بالكلمة
الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها
لاستيلاء الحسرة والندم عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير للجماعة
برزخ حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا الى يوم يبعثون ولم يرد
انهم يرجعون الى الدنيا يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا
رجوع بعد البعث الا الى الاخرة فاذا نفخ في الصور قيل انها النفخة
الثانية فلا انساب بينهم يومئذ وبالادغام ابو عمرو لاجتماع المثلين
وان كانا من كلمتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين
ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال ولا يتساءلون سؤال
تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا لان كلا مشغول عن سؤال صاحبه
بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان
في القيامة مواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفي موطن
يفيقون فيتساءلون فمن ثقلت موازينه جمع موزون وهي الموزونات
من الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله فلا
نقيم لهم يوم القيامة وزنا فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه بالسيئات
والمراد الكفار فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها في جهنم خالدون بدل
من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل عنه لان الصلة لا محل لها
او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح اي تحرق وجوههم
النار وهم فيها كالحون عابسون فيقال الم تكن اياتي اي القران
تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون وتزعمون انها ليست من
الله قالوا ربنا غلبت علينا اي ملكتنا شقوتنا شقاوتنا حمزة وعلي
كلاهما مصدران اي شقينا باعمالنا السيئة التي عملناها وقول اهل
السنة وبل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح لانه انما يكتب

ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه يختاره
فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا الانهماك يقولون ذلك اعتذارا
لما كان منهم من التفريط في امره فلا يحتمل ان يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان
منهم وكنا قوما ضالين عن الحق والصواب ربنا اخرجنا منها من النار
فان عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها
اسكتوا سكوت ذلة وهوان ولا تكلمون في رفع العذاب عنكم فانه
لا يرفع ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق
والزفير وان يحضرون ان ارجعون ولا تكلمون بالياء في الوصل والوقف يعقوب
وغيره بلا يا انه ان الامر والشان كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا مفعول ثان
وبالضم مدني وحمزة وعلي وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا ان في يا النسبة
مبالغة قيل هم الصحابة رضي الله عنهم وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه
اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم سببا لتنسيا نكم ذكري وكنتم منهم تضحكون
استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا بصبرهم انهم اي لانهم هم الفائزون
ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا اي جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى
يتعدى الى مفعولين وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا انهم حمزة وعلي
على الاستئناف اي انهم هم الفائزون لا انتم قال اي الله او المامور
بسؤالهم من الملائكة قل مكي وحمزة وعلي امر للملك ان يسالهم كم
لبثتم في الارض الدنيا عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم فكم نصب
للبثتم وعدد تمييز قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم في الدنيا
بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها ولان المحن يستطيل
ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة فاسأل العادين
الحساب او الملائكة الذين يعدون اعمار العباد واعمالهم فسل بلا
همز مكي وعلي قال ان لبثتم الا قليلا اي ما لبثتم الا زمانا قليلا او لبثا قليلا
لو انكم كنتم تعلمون صدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا
ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها قل حمزة وعلي افحسبتم انما خلقناكم
عبثا حال اي عابثين او مفعول له اي للعبث وانكم الينا لا ترجعون
وبفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي ويعقوب وهو معطوف على انما
خلقناكم او على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين بل خلقناكم
للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن
ونعاقب المسيء فتعالى الله عن ان يخلق عبثا الملك الحق الذي يحق
له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه
لا اله الا هو رب العرش الكريم وصف العرش بالكريم لان الرحمة تنزل منه
او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب تعالى
ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به اعتراض بين الشرط والجزاء

كقولك

كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه او صفة لازمة
جيء بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم
عليه برهان فانما حسابه اي جزاؤه وهذا جزاء الشرط عند ربه اي فهو
يجازيه لا محالة انه لا يفلح الكافرون جعل فاتحة السورة قد افلح
المؤمنون وخاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة
ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله وقل رب اغفر وارحم ثم قال وانت
خير الراحمين لان رحمته اذا ادركت احدا اغنته عن رحمة غيره ورحمة
غيره لا تغنيه عن رحمته سورة النور مدنية وهي اربع وستون اية
بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدا محذوف اي هذه
سورة انزلناها صفة لها وقرا طلحة سورة على زيدا ضربته او على اتل
سورة والسورة الجامعة لجملة ايات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها
من سورة المدينة وفرضناها اي فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض
القطع اي جعلناها مقطوعا بها وبالتشديد مكي وابو عمرو للمبالغة في
الايجاب وتوكيده او لان فيها فرايض شتى او لكثرة المفروض عليهم
من السلف ومن بعدهم وانزلنا فيها ايات بينات اي دلايل واضحات
لعلكم تذكرون لكي تتعظوا وبتخفيف الذال حمزة وعلي وخلف
وحفص ثم فصل احكامها فقال الزانية والزاني ورفعهما على الابتدا
والخبر محذوف اي فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما او
الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه
معنى الشرط وتقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من
زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا
فاجلدوهم وقرا عيسى ابن عمر بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر
وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
الجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى انه لا يبالغ ليصل الالم الى اللحم والخطاب
للائمة لان اقامة الحد من الدين وهي على الكل الا انه لا يمكن الاجتماع
فينوب الامام منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن اذ حكم المحصن الرجم
وشرائطه العقل والحرية والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح صحيح
والدخول وهذا دليل على ان التغريب ليس مشروعا لان الفاء انما
تدخل على الجزاء وهو اسم للكافي والتغريب المروي منسوخ بالاية
كما نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فاذوهما
بهذه الاية ولا تاخذكم بهما رافة رحمة والفتح لغة وهو قراءة مكي
وقيل الرافة في دفع المكروه والرحمة في ايصال المحبوب والمعنى
ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ولا ياخذهم اللين
في استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود او يخففوا الضرب في دين الله
اي في طاعته او حكمه ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر من باب

التهيج والهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر اي فاجلدوا
ولا تعطلوا الحد وليشهد عذابهما وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا
دليل على انه عقوبة طائفة فرقة يمكن ان يكون حلقة ليعتبروا
وينزجر هو واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة
حول الشيء وعن ابن عباس رضي الله عنهما اربعة الى اربعين رجلا من
المؤمنين من المصدقين بالله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا
ينكحها الا زان او مشرك اي الخبيث الذي من شانه الزنا لا يرغب في نكاح
الصوالح من النساء وانما يرغب في خبيثة من شكله او في مشركة والخبيثة
المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء وانما يرغب فيها من هو من
شكلها من الفسقة او المشركين فالاية تزهيد في نكاح البغايا اذ الزنا
عديل الشرك في القبح والايمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله
الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام
ثم نسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطي لانه غير
الزاني يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح لكنه يفضي الى قولك
الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وسئل النبي صلى
الله عليه عمن زنى بامراة ثم تزوجها فقال اوله سفاح واخره نكاح
ومعنى الجملة الاولى صفة الزاني لكونه غير راغب في العفائف ولكن
في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها
للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على
الزاني اولا لان تلك الاية سيقت لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي المادة
التي منها نشات تلك الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه
لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية
فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه الخاطب ومنه بدو الطلب
وقرئ لا ينكح بالجزم على النهي وفي المرفوع ايضا معنى النهي ولكن ابلغ
واكد ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك
وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وحرم ذلك
على المؤمنين اي الزنا او نكاح البغايا بقصد التكسب بالزنا او لما فيه
من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة
فيه والغيبة ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام
فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب والذين يرمون المحصنات بكسر
الصاد علي اي يقذفون بالزنا الحرائر العفائف المسلمات المكلفات
والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بان يقول
يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولاشتراط اربعة شهداء بقوله
ثم لم ياتوا باربعة شهداء اي ثم لم ياتوا باربعة شهود يشهدون على
الزنا لان القذف بغير الزنا بان يقول يا فاسق يا اكل الربا يكفي فيه

شاهدان وعليه التعزير وشروط احصان القذف الحرية والعقل والبلوغ
والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن والمحصنة سواء في وجوب حد القذف
فاجلدوهم ثمانين جلدة ان كان القاذف حرا ونصب ثمانين نصب المصادر
كما نصب مائة جلدة وجلدة على التمييز ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا نكر شهادة
في موضع النفي فتعم كل شهادة فرد الشهادة من الحد عندنا ويتعلق
باستيفاء الحد او بعضه على ما عرف وعند الشافعي رحمه الله يتعلق
رد شهادته بنفس القذف فعندنا جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد
ورد الشهادة على التابيد وهو مدة حياتهم واولئك هم الفاسقون كلام
مستانف غير داخل في حيز جزاء الشرط لانه حكاية حال الرامين عند
الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك اي
القذف واصلحوا احوالهم استثناء من الفاسقين ويدل عليه فان الله غفور
رحيم اي يغفر ذنوبهم ويرحمهم وحق الاستثناء ان يكون منصوبا عندنا
لانه عن موجب وعند من جعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية ان يكون
مجرورا بدلا من هم في لهم ولما ذكر بيان حكم قذف الاجنبيات وهذا بيان
حكم قذف الزوجات فقال والذين يرمون ازواجهم اي يقذفون
زوجاتهم بالزنا ولم يكن لهم شهداء اي لم يكن لهم على تصديق قولهم من
يشهد لهم به الا انفسهم ترتفع على البدل من شهداء فشهادة احدهم اربع
بالرفع كوفي غير ابي بكر على انه خبر والمبتدا فشهادة احدهم وغيرهم
بالنصب لانه في حكم المصدر والاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر
الذي هو فشهادة احدهم وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة
احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا
والخامسة لا خلاف في رفع الخامسة هنا في المشهور والتقدير والشهادة
الخامسة ان لعنة الله عليه فهي مبتدا وخبر ان كان من الكاذبين فيما
رماها به من الزنا ويدرا عنها العذاب ويدفع عنها الحبس وفاعل يدرا
ان تشهد اربع شهادات بالله انه اي الزوج لمن الكاذبين فيما رماني
به من الزنا والخامسة ان غضب الله عليها ان كان اي الزوج من الصادقين فيما
رماني به من الزنا نصب حفص الخامسة عطفا على اربع وغيره رفعها
بالابتدا وان غضب الله خبره وخفف نافع ان لعنة الله وان غضب الله
بكسر الضاد وهما في حكم المثقلة وان غضب الله سهل ويعقوب وخص
الغضب في جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث
فربما يجترين على الاقدام لكثرة جري اللعن على السنتهن وسقوط
وقعه عن قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن والاصل
ان اللعان عندنا شهادات مؤكدات بالايمان مقرونة باللعن قائمة
مقام حد القذف في حقه ومقام حد الزنا في حقها لان الله تعالى سماه
شهادة فاذا قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من اهل الشهادة صح

اللعان بينهما واذا التعنا لا يثبت في النص لا يقع الفرقة حتى يفرق القاضي بينهما
وعند زفر رحمه الله تقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة واحدة بائنة وعند
ابي يوسف وزفر والشافعي رحمهم الله تحريم مؤبد ونزلت في هلال او عويمر
حيث قال وجدت على بطن امرأتي خولة شريك ابن سحما فكذبته فلاعن
النبي صلى الله عليه وسلم بينهما **ولولا فضل الله** تفضله **عليكم ورحمته** نعمته
وان الله تواب حكيم جواب لولا محذوف اي لفضحكم ولعاجلكم بالعقوبة
ان الذين جاؤا بالافك هو ابلغ ما يكون من الكذب والافترا واصله من الافك
وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة
رضي الله عنها قالت عائشة فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق فتخلفت
ولم يعرف خلو الهودج لخفتي فلما ارتحلوا اناخ لي صفوان بن المعطل بعيره
وساقه حتى اتاهم بعد ما نزلوا فهلك فيّ من هلك فاعتللت شهرا وكان
يسأل عليه السلام كيف انت ولم ار منه لطفا كنت اراه حتى عثرت
خالة ابي ام مسطح فقالت تعس مسطح فانكرت عليها فاخبرتني بالافك
فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند ابوي لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم وهما
يظنان ان الدمع فالق كبدي حتى قال عليه السلام ابشري يا حميرا فقد
انزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك **عصبة** جماعة من العشرة
الى الاربعين واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي راس النفاق
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم **منكم** اي من جماعة المسلمين وهم ظنوا ان الافك وقع من
الكفار دون من كان من المؤمنين **لا تحسبوه** اي الافك **شرا لكم** عند
الله **بل هو خير لكم** لان الله اثابكم عليه وانزل في البراءة عنه ثماني عشرة
اية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة
وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين **لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم**
اي على كل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه وكان بعضهم
ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت **والذي تولى كبره** اي عظمه
عبد الله بن ابي **منهم** من العصبة **له عذاب عظيم** اي جهنم يحكى
ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملاء من قومه فقال من هذه
فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها ثم وبخ
الخائضين فقال **لولا** هلا **اذ سمعتموه** اي الافك **ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم** بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله
ولا تلمزوا انفسكم **خيرا** عفافا وصلاحا وذلك نحو ما يروى ان عمر
رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا قاطع
بكذب المنافقين لان الله تعالى عصمك عن وقوع الذباب على
جلدك لانه يقع على النجاسات فيتلطخ بها فلما عصمك الله عن
ذلك القدر من القذر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلطخة

بهذه الفاحشة وقال عثمان رضي الله عنه ايضا ان الله تعالى ما اوقع
ظلك على الارض لئلا يضع انسان قدمه على ذلك الظل فلما لم يمكن
احدا من وضع القدم على ظلك فكيف يمكن احدا من تلويث عرض
زوجتك وكذا قال علي رضي الله عنه ان جبريل اخبرك ان على نعلك
قذرا وامرك باخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر
فكيف لا يأمرك باخراجها بتقدير ان تكون متلطخة بشيء من الفواحش
وروي ان ابا ايوب الانصاري رضي الله عنه قال لامرأته الا ترين
ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال لا فقالت ولو كنت انا بدل
عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني
وصفوان خير منك وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير
الى الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ليبالغ في التوبيخ
بطريقة الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك
فيه يقتضي ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول
عائب ولا طاعن وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به وليتك
تجد من يسمع فيسكت ولا يشيعه باخوات **وقالوا هذا افك مبين** كذب
ظاهر لا يليق بهما **لولا جاؤا عليه باربعة شهداء** هلا جاؤا على القذف لو كانوا
صادقين باربعة شهداء **فاذ لم يأتوا بالشهداء** الاربعة **فاولئك عند الله**
اي في حكمه وشريعته **هم الكاذبون** اي القاذفون لان الله عز وجل
جعل الفيصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود
الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم تكن لهم بينة
على قولهم فكانوا كاذبين **ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم
فيما افضتم فيه عذاب عظيم** لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره بخلاف ما
تقدم اي ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم
التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو
والمغفرة لعاجلكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال
افاض في الحديث وخاض واندفع **اذ** ظرف لمسكم او لافضتم **تلقونه**
يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه **بالسنتكم**
اي ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما
بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه **وتقولون بافواهكم ما ليس
لكم به علم** انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان
الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك
ليس الا قولا يدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم **وتحسبونه** اي خوضكم في عائشة
هينا صغيرا **وهو عند الله عظيم** كبير وجزع بعضهم عند الموت

فقيل له في ذلك فقال اخاف ذنبا لم يكن مني عيا بالـ وهو عند الله **ولولا** وهلا
اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا فصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف
شانا ليس لغيرها من الاشيا منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذا
يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وفايدة تقديم الظرف انه كان الواجب عليهم
ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم
قدم والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم الافك ما يصح لنا ان نتكلم بهذا **سبحانك**
للتعجب من هذا الامر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله
عند روية العجيب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه
او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة وانما جاز ان تكون امراة
النبي كافرة كامراة نوح ولوط عليهما السلام ولا يجوز ان تكون فاجرة لان
النبي مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب ان لا يكون معه ما ينفرهم عنه
والكفر غير منفر عندهم واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات **هذا بهتان**
زور يبهت من يسمع **عظيم** وذكر فيما تقدم هذا افك مبين ويجوز ان يكونوا
امروا بهما مبالغة في التبري **يعظكم الله ان تعودوا** في ان تعودوا **لمثله**
لمثل هذا الحديث القذف والاستماع **ابدا** ما دمتم احيا مكلفين **ان كنتم**
مومنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان
الصاد عن كل قبيح **ويبين الله لكم الايات** الدلالات الواضحات او الاحكام
والشرايع والاداب الجميلة **والله عليم** بكم وباعمالكم **حكيم** يجزي على وفق
اعمالكم او علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها **ان الذين يحبون ان تشيع**
الفاحشة في الذين امنوا اي ما قبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد
الى الاشاعة ومحبة لها **لهم عذاب اليم في الدنيا** بالحد ولقد ضرب النبي صلى
الله عليه وسلم ابن ابي وحسانا ومسطحا الحد **والاخرة** بالنار وغيرها ان لم
يتوبوا **والله يعلم** بواطن الامور وسراير الصدور **وانتم لا تعلمون** اي انه
قد علم محبة من احب الاشاعة وهو تعالى معاقبه عليها **ولولا فضل الله عليكم**
ورحمته لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة في العقاب مع حذف
الجواب مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم **وان الله رؤف** حيث اظهر
براءة المقذوف واثاب **رحيم** بغفران جناية القاذف اذا تاب **يا ايها**
الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي اثاره ووساوسه بالاصغاء
الى الافك والقول به **ومن يتبع خطوات الشيطان فانه** فان الشيطان **يامر**
بالفحشاء ما افرط قبحه **والمنكر** ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولولا ان الله تفضل عليكم
بالتوبة الممحصة ما طهر منكم احد اخر الدهر من دنس اثم الافك **ولكن الله**
يزكي من يشاء يطهر التايبين بقبول توبتهم اذا محضوها **والله سميع** لقولهم
عليم بضمايرهم واخلاصهم **ولا ياتل** من ائتلى اذا حلف افتعال من
الالية او لا يقصر من الالو **اولو الفضل منكم** في الدين **والسعة** في الدنيا **ان يوتوا**

اي

اي لا يوتوا ان كان من الالية **اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله**
اي لا يحلفوا ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا
اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحنا لجناية اقترفوها **وليعفوا وليصفحوا** العفو
الستر والصفح الاعراض اي وليتجاوزوا عن الجفا وليعرضوا عن العقوبة
الا تحبون ان يغفر الله لكم فليفعلوا بهم ما يرجون ان يفعل بهم ربهم
مع كثرة خطاياهم **والله غفور رحيم** فتادبوا بادب الله واغفروا وارحموا
نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بن خالته
لخوضه في عايشة رضي الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قراها النبي
صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي الله عنه قال بلى احب ان يغفر الله لي
ورد الى مسطح نفقته **ان الذين يرمون المحصنات** العفايف **الغافلات**
السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن
لم يجربن الامور **المومنات** بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضي الله عنهما
هن ازواجه عليه السلام وقيل هن جميع المومنات اذ العبرة لعموم اللفظ
لا لخصوص السبب وقيل اريدت عايشة وحدها وانما جمع لان من قذف
واحدة من نساء النبي فكانه قذفهن **لعنوا في الدنيا والاخرة**
جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة
ان لم يتوبوا والعامل في **يوم تشهد عليهم** تعذيبهم وبالياء حمزة وعلي
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون اي بما افكوا وبهتوا والعامل
في **يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق** بالنصب صفة للدين وهو الجزاء اي يوفيهم
جزاءهم الحق الثابت الذي هم اهله وقرا مجاهد بالرفع صفة لله كقراءة ابي
يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز ان يكون الحق وصفا لله بان
ينتصب على المدح **ويعلمون** عند ذلك **ان الله هو الحق المبين** لارتفاع
الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلظ الله تعالى في القران في شي
من المعاصي تغليظه في افك عايشة رضي الله عنها فاوجز في ذلك واشبع
وفصل واجمل واكد وكرر وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
من اذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة رضي الله عنها
وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برا الله تعالى اربعة باربعة
برا يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى من قول اليهود فيه بالحجر
الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعايشة بهذه الاي العظام
في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين
تبرية اوليك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه على
انافة محله صلى الله عليه وسلم وعلى اله **الخبيثات** من القول تقال
للخبيثين من الرجال والنسا **والخبيثون** منهم يتعرضون **للخبيثات**
من القول وكذلك **والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اوليك**
مبرءون مما يقولون اي فيهم واوليك اشارة الى الطيبين وانهم مبرءون مما

ولهم عذاب عظيم

مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت
به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة
الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات
والطيبات النساء اي الخبيثات يتزوجن الخباث والخباث الخبيثات
وكذلك اهل الطيب لهم مغفرة مستانف او خبر بعد خبر ورزق كريم في
الجنة ودخل ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها
وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لا تخافي فانك لا تقدمين الا
على مغفرة ورزق كريم وتلا الاية فغشي عليها فرحا بما تلا وقالت عائشة
رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة نزل جبريل براحتي في
كفه بصورتي في راحته حين امر عليه السلام ان يتزوجني وتزوجني بكرا وما
تزوج بكرا غيري وتوفي عليه السلام وراسه في حجري وقبر في بيتي وينزل
عليه الوحي وانا في لحافه وانا ابنة خليفته وصديقه ونزل عذري من السما
وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان معتذرا في حقها

حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل •
حليلة خير الناس دينا ومنصبا • نبي الهدى والمكرمات الفواضل •
عقيلة حي من لوي بن غالب • كرام المساعي مجدها غير زائل •
مهذبة قد طيب الله خيرها • وطهرها من كل شين وباطل •

يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اي بيوتا لستم تملكونها ولا تسكنوها
حتى تستانسوا تستاذنوا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقرا به والاستيناس
في الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشي اذا ابصره
ظاهرا مكشوفا اي حتى تستعلموا المطلق لكم الدخول ام لا وذلك بتسبيحة
او بتكبيرة او تحميدة او تنحنح وتسلموا على اهلها والتسليم ان تقول السلام عليكم
اادخل ثلاث مرات فاذا اذن له والا رجع وقيل ان تلاقيا تقدم التسليم
والا فالاستيذان ذلكم اي الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية
والدمور وهو الدخول بغير اذن وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيت
غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع
امراته في لحاف واحد لعلكم تذكرون اي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتتعظوا
وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان فان لم تجدوا فيها في البيوت احدا
من الاذنين فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى تجدوا من يؤذن لكم او فان لم
تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها لان
التصرف في ملك الغير لا بد ان يكون برضاه وان قيل لكم ارجعوا اي اذا كان
فيها قوم فقالوا ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في
تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة واذا نهي
عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما ادى اليها من قرع الباب
بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك وعن ابي عبيد ما قرعت باب

على عالم قط هو ازكى لكم اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور
والبعد عن الريبة او انفع وانمى خيرا والله بما تعملون عليم وعيد للمخاطبين
بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم
جناح ان تدخلوا في ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة استثنى من البيوت التي
يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط
وحوانيت التجار فيها متاع لكم اي منفعة كاستكنان من الحر والبرد وايواء
الرحال والسلع والشرا والبيع وقيل الخربات والدور الخالية من اهل الريبة
يتبرزون فيها والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين
يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة قل للمؤمنين يغضوا من
ابصارهم من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل
ويحفظوا فروجهم عن الزنا ولم تدخل من هنا لان الزنا لا رخصة فيه
بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية وكفيها وقدميها في رواية والى
راس المحارم والصدر والساقين والعضدين ذلك اي غض البصر وحفظ
الفرج ازكى لهم اي اطهر من دنس الاثم ان الله خبير بما يصنعون فيه
ترغيب وترهيب يعني انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون
ابصارهم ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فعليهم اذا عرفوا ذلك
ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن
من ابصارهن ويحفظن فروجهن امرن بغض الابصار فلا يحل للمراة ان تنظر
من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا
ولا تنظر الى المراة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى
بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد
الفجور فبذر الهوى طموح العين ولا يبدين زينتهن الزينة ما تزينت به
المراة من حلي او كحل او خضاب والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة اذ
اظهار عين الزينة وهي الحلي ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها واظهارها
وهي في مواضعها لا لاظهار مواضعها لا لاظهار اعيانها ومواضعها الراس
والاذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهي للاكليل
والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال الا ما ظهر منها
الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان
ففي سترها حرج بين فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشيا بيديها ومن
الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر
الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وليضربن
وليضعن من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليها بخمرهن جمع
خمار على جيوبهن بضم الجيم مدني وبصري وعاصم كانت جيوبهن واسعة
تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة
فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ولا يبدين زينتهن اي مواضع

الزينة الباطنة كالصدر والساق والراس ونحوها **الا لبعولتهن** لازواجهن
جمع بعل **او آبائهن** ويدخل فيهم الاجداد **او آباء بعولتهن** فقد صاروا محارم
او ابنائهن ويدخل فيهم النوافل **او ابناء بعولتهن** فقد صاروا محارم ايضا **او اخوانهن**
او بني اخوانهن او بني اخواتهن ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام
والاخوال وغيرهم دلالة **او نسائهن** اي الحرائر لان مطلق هذا اللفظ يتناول
الحرائر **او ما ملكت ايمانهن** اي اماؤهن ولا يحل لعبدها ان ينظر الى هذه المواضع
منها خصيا كان او عنينا او فحلا وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم سورة
النور فانها في الاماء دون الذكور وعن عائشة رضي الله عنها انها اباحت
النظر اليها لعبدها **او التابعين غير** بالنصب شامي ويزيد وابو بكر على الاستثناء
او الحال وغيرهم بالجر على البدل او على الوصفية **اولي الاربة** الحاجة اي
الى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم
الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء او العنين او
الخصي او المخنث وفي الاثر انه المجبوب والاول الوجه **من الرجال** حال
او الطفل الذين هو جنس فصلح ان يراد به الجمع **لم يظهروا على عورات النساء**
اي لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه او لم يبلغوا اوان القدرة
على الوطء من ظهر على فلان اذا قوي عليه وقدر عليه **ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين**
من زينتهن كانت المراة تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها
فيعلم انها ذات خلخال فنهين عن ذلك اذ اسماع صوت الزينة كاظهارها
ومنه سمي صوت الحلي وسواسا **وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون** ايه شامي
اتباعا للضمة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء
لان بعدها الفا والتقدير **لعلكم تفلحون** العبد لا يخلوا عن سهو وتقصير
في اوامره ونواهيه وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وبتأميل
الفلاح اذا تابوا وقيل احوج الناس الى التوبة من توهم انه ليس له حاجة
الى التوبة فظاهر الاية يدل على ان العصيان لا ينافي الايمان **وانكحوا الايامى**
منكم الايامى جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان او امراة بكرا كان او ثيبا
واصله ايايم فقلب **والصالحين** اي الخيرين او المؤمنين والمعنى زوجوا
من تايم منكم من الاحرار والحرائر من كان فيه صلاح **من عبادكم وامائكم**
اي من غلمانكم وجواريكم والامر للندب اذ النكاح مندوب اليه **ان يكونوا فقراء**
من المال **يغنهم الله من فضله** بالكفاية والقناعة او باجتماع الرزقين
وفي الحديث التمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رضي الله عنه مثله **والله واسع** غني
ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق **عليم** يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقيل
في الاية دليل على ان تزوج النساء والايامى الى الاولياء كما ان تزويج العبيد
والاماء الى الموالي قلنا الرجل لا يلي على الرجل الايم الا باذنه فكذا لا يلي على المراة
الا باذنها لان الايم ينتظمهما **وليستعفف الذين** وليجتهد في العفة كان المستعف
طالب من نفسه العفاف **لا يجدون نكاحا** استطاعة تزوج من المهر

والنفقة

والنفقة قال عليه السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
فانه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر اولا بما يعصم من الفتنة
ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين
المغني عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة
عند العجز عن النكاح الى ان يقدر عليه **حتى يغنيهم الله من فضله**
اي والمماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء او منصوب
بفعل يفسره **فكاتبوهم** وهو للندب ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط
والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول لمملوكه كاتبتك
على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني
اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء
بالمال وكتبت على العتق ويجوز حالا او مؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاق الامر
ان علمتم فيهم خيرا قدرة على الكسب او امانة وديانة والندبية متعلقة بهذا
الشرط **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** امر للمسلمين على وجه الوجوب
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة كقوله تعالى وفي الرقاب
وعند الشافعي رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة ربعا وهذا عندنا
على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سال
صبيح مولاه حويطبا ان يكاتبه فابى فنزلت واعلم ان العبيد اربعة قن مقتنى
للخدمة ومأذون في التجارة ومكاتب وآبق فمثال الاول ولي العزلة الذي
حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثاني ولي العشرة فهو نجي الحضرة
يخالط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطي في الله ويفهم عن
الله ويتكلم مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل راس بضاعته والعدل
في الغضب والرضا ميزانه والقصد في الفقر والغنا عنوانه والعلم مفزعه
ومنجاه والقرآن كتاب الاذن من مولاه فهو كاين في الناس بظواهره باين
منهم بسرائره فقد هجرهم فيما له عليهم في الله باطنا ثم وصلهم فيما لهم عليه
لله ظاهرا وما هو منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام باكل
ما ياكلون ويشرب ما يشربون وما يدريهم انه ضيف الله يري السموات
والارض قائمات بامره وكانه قيل فيه

• فان تفق الانام وانت منهم • فان المسك بعض دم الغزال •

فحال ولي العزلة اصفى واحلى وحال ولي العشرة اوفى واعلى وتنزل الاول
من الثاني في حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان اما النبي
فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين
فباطن احواله مهتدى ولي العزلة وظاهر اعماله مقتدى ولي العشرة والثالث
المجاهد المحاسب العامل الطالب بالضرائب كنجوم المكاتب في اليوم والليلة
خمس وفي الاسبوع جمعة وفي السنة شهر وفي العمر زورة فكانه اشترى

نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى في فكاك رقبته خوفا من البقاء في ربقة
العبودية وطمعا في نفحة الحرية ليسرح في رياض الجنة فيتمتع برضاه
ويفعل ما يشاء ويهواه والرابع الاباق فما اكثرهم فمنهم القاضي الجائر والعالم
غير العامل والقراء المرائي والواعظ الذي لا يفعل ما يقول ويكون اكثر اقواله
الفضول وعلى كل من لا ينفعه بقول فضلا عن السارق والزاني والغاصب
فمنهم اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليبغض هذا الذي يقوم لا خلاق
لهم في الآخرة **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء** كان لابن ابي ست جوار معاذة
ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء ويضرب
عليهن الضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة
وهو مصدر البغي **ان اردن تحصنا** تعففا عن الزنا وانما قيده بهذا الشرط
لان الاكراه لا يكون الا مع ارادة التحصن فامر الطيعة للبغاء لا يسمى مكرها
ولا امره اكراها ولانها نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة وفيه
توبيخ بالموالي اي اذا رغبن في التحصن فانت احق بذلك **لتبتغوا عرض الحياة
الدنيا** اي لتبتغوا باكراههن على الزنا اجورهن واولادهن **ومن يكرههن فان
الله من بعد اكراههن غفور رحيم** اي لهن وفي مصحف ابن مسعود رضي الله
عنه كذلك وكان الحسن يقول لهن والله ولعل الاكراه كان دون ما اعتبرته
الشريعة وهو الذي يخاف التلف فكانت اثمة او لهم اذا تابوا **ولقد انزلنا
اليكم ايات** بينات **مبينات** بفتح اليا حجازي وبصري وابو بكر وحماد والمراد
الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود
وجاز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وبكسرها غيرهم اي بينت
هي الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا او من بين بمعنى تبين ومنه المثل
قد بين الصبح لذي عينين **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم** ومثلا من امثال
من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة
رضي الله عنه **وموعظة** ما وعظ به من الايات والمثل من نحو قوله ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله لولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا **للمتقين**
اي هم المنتفعون بها وان كانت موعظة للكل نظير قوله **الله نور السموات
والارض** مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره فقولك زيد كرم وجود ثم تقول
ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات والارض الحق شبهه
بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه
وفشو اضاءته حتى يضيء له السموات والارض وجاز ان يراد اهل السموات
والارض وانهم يستضيئون به **مثل نوره** اي صفة نوره العجيبة الشان في
الاضاءة **كمشكاة** كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة **فيها مصباح**
سراج ضخم ثاقب **المصباح في زجاجة** في قنديل من زجاج شامي ازهر **الزجاجة**

كانها

كانها كوكب دري مضيء بضم الدال وتشديد اليا منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه
وبالكسر والهمز ابو عمرو وعلي كانه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمز ابو بكر وحمزة
شبهه في زهرته باحد الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما توقد
بالتخفيف حمزة وعلي وابو بكر اي الزجاجة ويوقد بالتخفيف شامي ونافع وحفص
وتوقد بصري ومكي اي هذا المصباح **من شجرة** من زيت شجرة يعني رويت
ذبالته بزيتها **مباركة** كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها
للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام **زيتونة** بدل
من شجرة نعتها **لا شرقية ولا غربية** اي منبتها الشام يعني ليست من
المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام واجود الزيتون زيتون الشام
وقيل نزلت ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط
بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية **يكاد زيتها** دهنها **يضيء
ولو لم تمسسه نار** وصف الزيت بالصفاء والوميض وانه لتلألؤه يكاد يضيء من
غير نار **نور على نور** اي هذا النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر
فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوي النور وهذا
لان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اجمع لنوره بخلاف المكان
الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك
الزيت وصفاؤه وضرب المثل بكون بدني محسوس معهود لعلي غير معاين ولا
مشهود فابو تمام لما قال في المامون

• اقدام عمرو في سماحة حاتم • في حلم احنف في ذكاء اياس •
قيل له ان الخليفة فوق من مثلته بهم فقال مرتجلا •
• لا تنكروا ضربي له من دونه • مثلا شرودا في الندى والباس •
• فالله قد ضرب الاقل لنوره • مثلا من المشكاة والنبراس •

يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثاقب **من يشاء** من عباده بالهام من الله
او بنظره في الدليل **ويضرب الله الامثال للناس** تقريبا الى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا
والله بكل شيء عليم فيبين كل شيء بما يمكن ان يعلم به وقال ابن عباس رضي الله عنهما
مثل نوره اي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرا ابن مسعود رضي الله عنه مثل
نوره في قلب المؤمن كمشكاة وقرا ابي مثل نور المؤمن **في بيوت** يتعلق بمشكاة
اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما نرى في
المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بتوقد اي توقد في بيوت
او بيسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير فيه توكيد نحو زيد في الدار
جالس او بالمحذوف اي سبحوا في بيوت **اذن الله** اي امر **ان ترفع** تبنى كقوله
بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد او تعظم من الرفعة
وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم **ويذكر فيها اسمه** يتلى
فيها كتابه او هو عام في كل ذكر **يسبح له فيها بالغدو والاصال** اي يصلى له فيها
بالغداة صلاة الفجر وبالاصال صلاة الظهر والعصر والعشائين وانما وحد الغدو

لان صلاته صلاة واحدة وفي الاصال صلوات والاصال جمع اصل جمع اصيل وهو العشي
رجال فاعل يسبح بيسبح شامي وابو بكر ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعني
له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح اي يسبح له رجال **لا تلهيهم**
لا تشغلهم **تجارة** في السفر **ولا بيع** في الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقا لاسم
الجنس على النوع او خص البيع بعدما عم لانه اوغل في الالهاء من الشراء لان
الربح في البيعة الراجحة بتعين وفي الشراء مظنون **عن ذكر الله** باللسان والقلب
واقام الصلاة اي وعن اقام الصلاة التاء في اقامة من العين الساقطة للاعلال
اذ الاصل اقوام فلما قلبت الواو الفا اجتمع الفان فحذف احداهما لالتقاء
الساكنين فبقي اقاما فادخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما اضيفت
اقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت **وايتاء الزكاة** اي وعن ايتاء الزكاة
والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كاولياء العزلة او يبيعون ويشترون ويذكرون
الله مع ذلك واذا حضرت الصلاة قاموا اليها غير متثاقلين كاولياء العشرة
يخافون يوما اي يوم القيامة ويخافون حال من الضمير في تلهيهم او صفة
اخرى او حال **تتقلب فيه القلوب** ببلوغها الى الحناجر **والابصار** بالشخوص
والزرقة او تتقلب القلوب الى الايمان بعد الكفران والابصار الى العيان
بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله اي يسبحون ويخافون ليجزيهم
الله احسن جزاء اعمالهم اي ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب
الموعود على العمل تفضلا **والله يرزق من يشاء بغير حساب** اي يثيب من يشاء ثوابا
لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه
فالمذكورون بقوله **والذين كفروا اعمالهم كسراب** هو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس
وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري **بقيعة** بقاع او جمع
قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار **يحسبه الظمآن** يحسبه
العطشان **ماء حتى اذا جاءه** اي جاء الى ما توهم انه ماء **لم يجده شيئا** اي لم يجده
كما ظنه **ووجد الله** اي جزاء الله كقوله يجد الله توابا رحيما اي يجد مغفرته ورحمته
عنده عند الكافر **فوفاه حسابه** اي اعطاه جزاءه كله وافيا كاملا ووحد بعد تقدم
الجمع حملا على كل واحد من الكفار **والله سريع الحساب** لانه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغله
حساب عن حساب او قريب حسابه لان ما هو آت قريب شبه ما يعمله
من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه
عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب
يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فياتيه
فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله فياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه
الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم
يحسنون صنعا قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان يترهب ملتمسا
للدين في الجاهلية فلما جاء الاسلام كفر **او كظلمات في بحر** او هنا كاو في كصيب

لجي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر **يغشاه** يغشى البحر
من فيها اي يعلوه ويغطيه **موج** هو ما ارتفع من الماء **من فوقه موج** اي
من فوق الموج موج اخر **من فوقه سحاب** من فوق الموج الاعلى سحاب **ظلمات**
ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على ظلمة الموج وظلمة السحاب على الموج
بعضها فوق بعض ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على ظلمة الموج وظلمة
السحاب على الموج **اذا اخرج يده** اي الواقع فيه **لم يكد يراها** مبالغة في لم
يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها
وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة كفيره
من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها
وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر
والامواج والسحاب **ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور** اي من لم يهده الله
لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره
فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل **الم تر** الم تعلم يا محمد علما
يقوم مقام العيان في الايقان **ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير**
عطف على من **صافات** حال من الطير اي يصففن اجنحتهن في الهواء **كل قد**
علم صلاته وتسبيحه الضمير في علم لكل او لله وكذا في صلاته وتسبيحه والصلاة
الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم
الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها **والله عليم بما يفعلون** لا يعزب
عن علمه شيء **ولله ملك السموات والارض** لانه خالقهما ومن ملك شيئا
فيتملكه اياه **والى الله المصير** مرجع الكل **الم تر ان الله يزجي** يسوقه الى حيث
يريده **سحابا** جمع سحابة دليله **ثم يؤلف بينه** وتذكيره للفظ اي يضم بعضه
الى بعض **ثم يجعله ركاما** متراكما بعضه فوق بعض **فترى الودق** المطر **يخرج من**
خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل **وينزل** وينزل مكي
وبصري **من السماء** من لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء **من جبال**
من للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي **فيها** في السماء **من برد**
للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد
من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال اي بعض
جبال ومعنى من جبال فيها من برد ان يخلق الله في السماء جبال برد كما
خلق في الارض جبال حجر او يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان
يملك جبالا من الذهب **فيصيب به** بالبرد **من يشاء** اي يصيب الانسان
وزرعه **ويصرفه عمن يشاء** فلا يصيب او يعذب او يعذب به من يشاء ويصرفه
عمن يشاء فلا يعذبه به **يكاد سنا برقه** ضوءه **يذهب بالابصار** يخطفها
يذهب يزيد على زيادة الباء **يقلب الله الليل والنهار** يصرفهما في الاختلاف طولا
وقصرا او التعاقب **ان في ذلك** في ازجاء السحاب وانزال الودق وتقليب
الليل والنهار **لعبرة لاولي الابصار** لذوي العقول وهذا من تفاصيل الدلائل

على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطين بينهما ودعام
له وتسخير السحاب الى اخر ما ذكر فهي براهين لائحة على وجوده ودلايل واضحة
على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا اخر فقال **والله خلق كل** خالق كل احم
وعلى **دابة** كل حيوان يدب على وجه الارض **من ماء** من نوع من الما مختص
بتلك الدابة او من ماء مخصوص وهو النطفه ثم خالف بين المخلوقات من النطفه
فمنها هوام ومنها بهايم ومنها اناسي وهو كقوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل وهذا دليل على ان لها خالقا مدبرا والا لم تختلف لاتفاق
الاصل وانما عرف الماء في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي لان المقصود ثمة
ان اجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخللت بينه
وبينها وسايط قالوا ان اول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين
فخلق من النار الجن ومن الريح الملايكة ومن الطين ادم ودواب الارض ولما
كانت الدابة تشمل المميز وغيره غلب المميز فاعطي ماوراه حكمه كان الدواب
كلهم مميزون ثم قيل **فمنهم من يمشي على بطنه** كالحية والحوت وسمى الزحف على
على البطن مشيا استعارة كما يقال في الامر المستمر قد مشى هذا الامر وعلى
طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين **ومنهم من يمشي على رجلين** كالانسان
والطير **ومنهم من يمشي على اربع** كالبهايم وقدم ما هو اعرف في القدرة وهو الماشي
بغير الة مشي من ارجل او غيرها ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع **يخلق**
الله ما يشا كما يشا **ان الله على كل شيء قدير** لا يتعذر عليه شيء **لقد انزلنا ايات**
مبينات والله يهدي من يشا بلطفه ومشيته **الى صراط مستقيم** دين الاسلام
الذي يوصل الى جنته والايات لالزام حجته لما ذكر انزال الايات ذكر بعدها
افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا وهم المنافقون
وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطنا
وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدا بالمنافقين فقال **ويقولون امنا بالله**
وبالرسول بالسنتهم **واطعنا** الله والرسول **ثم يتولى** يعرض عن الانقياد
لحكم الله ورسوله **فريق منهم من بعد ذلك** اي من بعد قولهم امنا بالله وبالرسول
واطعنا **وما اولئك بالمومنين** اي المخلصين وهو اشارة الى القايلين امنا
واطعنا لا الى الفريق المتولي وحده وفيه اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم
الايمان لاعتقادهم ما يعتقد هولاء والاعراض وان كان من بعضهم فالرضى
بالاعراض من كلهم **واذا دعوا الى الله ورسوله** اي الى رسول الله كقولك
اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد **ليحكم** الرسول **بينهم اذا فريق منهم معرضون**
اي فاجاء فريق منهم الاعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين
اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق
الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا **وان يكن لهم الحق** اي اذا كان
الحق لهم على غيرهم **ياتوا اليه** الى الرسول عليه السلام **مذعنين** حال اي
مسرعين في الطاعة طلبا لحقهم لا رضى بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان

الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معه الا الحق المر والعدل
البحت يمتنعون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم
بقضايك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا
الا بحكومتك لتاخذ لهم ما وجب لهم في ذمة الخصم **افي قلوبهم مرض ام ارتابوا**
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله فقسم الامر في صدودهم عن حكومته
اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته
او خايفين الحيف في قضايه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله **اولئك هم الظالمون**
اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا
من له الحق عليهم وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن ثم يابون المحاكمة اليه **انما كان قول المومنين** وعن الحسن قول
بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف
وان يقولوا اوغل بخلاف قول المؤمنين **اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم** النبي
ليحكم يريد اي ليفعل الحكم **بينهم** بحكم الله الذي انزله عليه **ان يقولوا سمعنا**
قوله **واطعنا** امره **واولئك هم المفلحون** الفايزون **ومن يطع الله** في فرايضه
ورسوله في سننه **ويخش الله** على ما مضى من ذنوبه **ويتقه** فيما يستقبل
فاولئك هم الفايزون وعن بعض الملوك انه سال عن اية كافية فتليت عليه
هذه الاية وهي جامعة لاسباب الفوز ويتقه بسكون الها ابو عمرو وابو بكر
بنية الوقف وبسكون القاف وكسر الها مختلسة حفص وبكسر القاف
والها غيرهم **واقسموا بالله جهد ايمانهم** اي حلف المنافقون بالله وهو جهد
اليمين لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ
اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين بلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم بجهد
اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول
كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين
ايمانهم **لئن امرتهم ليخرجن** اي لئن امرنا محمد بالخروج الى الغزو لغزونا
او بالخروج من ديارنا لخرجنا **قل لا تقسموا** لا تحلفوا كاذبين لانه معصية **طاعة**
معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة مبتدا محذوف الخبر او خبر
مبتدا محذوف اي الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا
يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم
على خلافها **ان الله خبير بما تعملون** يعلم ما في ضمايركم ولا يخفى عليه شيء من
سرايركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم **قل اطيعوا الله واطيعوا**
الرسول صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ
في تبكيتهم **فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم** يريد فان تتولوا فما ضررتموه
وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله تعالى وكلفه من
اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج من عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم

الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث
فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا الحلم بالاحتلام او بالسن وجب ان يفطموا
عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار
الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ثلاث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند
الله اتقاكم وقوله واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة
والله ما هي بمنسوخة كذلك يبين الله لكم الاية والله عليم بما يبيح من الاحكام
حكيم بمصالح الانام والقواعد جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء
كالطالق والحائض اي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن من النساء اللاتي
لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه وهي في محل الرفع صفة للمبتدا وهي القواعد
والخبر فليس عليهن جناح اثم ودخلت الفاء في المبتدا من معنى الشرط بسبب
الالف واللام ان يضعن في ان يضعن ثيابهن اي الظاهرة كالملحفة
والجلباب الذي فوق الخمار غير حال متبرجات بزينة اي غير مظهرات
زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك اي لا يقصدن
بوضعهن التبرج ولكن التخفف وحقيقة التبرج اظهار ما يجب اخفاؤه
وان يستعففن اي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدا خبره
خير لهن والله سميع لما يقلن عليم بما يقصدن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج
ولا على المريض حرج قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو
مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج
وعند اقاربهم ويأذنونهم ان يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون من ذلك
ويقولون نخشى ان لا تكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت الاية رخصة لهم ولا على
انفسكم اي حرج ان تأكلوا من بيوتكم اي بيوت اولادكم لان ولد الرجل بعضه
وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الاولاد في الاية وقد قال عليه السلام انت
ومالك لابيك او بيوت ازواجكم لان الزوجين صارا كنفس واحدة فصار
بيت المراة كبيت الزوج او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم
او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم لان الاذن من
هؤلاء ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق قال
ابن عباس رضي الله عنهما هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له ان يأكل
من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته واريد بملك المفاتح كونها في يده
وحفظه وقيل اريد به بيت عبده لان العبد وما في يده لمولاه او صديقكم يعني
او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وهو من يصدقك في مودته
وتصدقه في مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب
فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاها اعتقها سرورا بذلك
فاما الان فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل الا باذن ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا
مجتمعين او اشتاتا متفرقين جمع شت نزلت في بني ليث بن عمرو وكانوا

يتحرجون

يتحرجون ان يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من
يواكله اكل ضرورة او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا مع
ضيفهم او تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة
بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فسلموا على انفسكم
اي فابدؤوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة او بيوتا فارغة
او مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية نصب
بسلموا لانها في معنى تسليما نحو قعدت جلوسا من عند الله اي ثابتة بامره
مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه
والمحيا من عند الله مباركة طيبة وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة
مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق كذلك يبين الله
لكم الايات لعلكم تعقلون لكي تعقلوا وتفهموا انما المؤمنون الذين امنوا
بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع اي الذي يجمع له الناس
نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدين لم يذهبوا
حتى يستاذنوه اي ويأذن لهم ولما اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية
في ذهاب الذاهب في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا
معه على امر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله
والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير
الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر
الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر
وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
وضمنه شيئا اخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض
بحال المنافقين وتسللهم لواذا فاذا استاذنوك في الانصراف لبعض
شأنهم امرهم فأذن لمن شئت منهم فيه رفع شأنه عليه السلام واستغفر
لهم الله ان الله غفور رحيم وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان
الافضل ان يستاذنوه قالوا وينبغي ان يكون الناس كذلك مع ائمتهم ومقدميهم
في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن وقيل نزلت يوم
الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استئذان لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا
دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او
لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ونداءه باسمه الذي سماه
به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير
والتعظيم والصوت المخفوض قد يعلم الله الذين يتسللون يخرجون قليلا قليلا
منكم لواذا حال اي ملاوذين واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك
وذاك بهذا اي يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار

بعضهم بعضا فليحذر الذين يخالفون عن امره اي الذين يصدون عن امره دون المومنين
وهم المنافقون يقال خالفه الي الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه وما اريد ان
اخالفكم الي ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والضمير في امره
لله سبحانه او للرسول عليه السلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول يحذر
ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او قتل او زلازل واهوال او تسليط سلطان
جاير او قسوة القلب عن معرفة الرب او اسباغ النعم استدراجا او يصيبهم
عذاب اليم في الاخرة والاية تدل على ان الامر للايجاب الا ان لله ما في السموات
والارض الا تنبيه على انه لا يخالفوا امر من له ما في السموات والارض قد يعلم
ما انتم عليه ادخل قد ليوكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق
ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض
مختصا به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون
في سترها ويوم يرجعون اليه وبفتح اليا وكسر الجيم يعقوب اي ويعلم يوم
يردون الى جزايه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم
عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات
ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين فينبئهم يوم القيمة
بما عملوا بما ابطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شيء عليم
فلا يخفى عليه خافية روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قرا سورة النور على
المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم والله اعلم بالصواب

سورة الفرقان سبع وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تفاعل
من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر او تزايد
عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا لله وحده
والمستعمل منه الماضي فحسب الذي نزل الفرقان هو مصدر فرق بين الشيئين
اذا فصل بينهما وسمي به القران لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام
او لانه لم ينزل جملة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى
الى قوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا على عبده
محمد عليه السلام ليكون العبد او الفرقان للعالمين الجن والانس وعموم
الرسالة من خصايصه عليه السلام نذيرا منذرا مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى
الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر الذي رفع على انه خبر مبتدا
محذوف او على الابدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه
بقوله ليكون لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه
لم يتم الا به او نصب على المدح له ملك السموات والارض على الخلوص ولم يتخذ ولدا
كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام ولم يكن له شريك في الملك
كما زعمت الثنوية وخلق كل شيء اي احدث كل شيء وحده لا كما يقول المجوس
والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهرمن ولا شبهة فيه لمن لا يقول
ان الله شيء ولا لمن يقول بخلق القران لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له

على ان لفظ شيء اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذه اوضح دليل لنا على
المعتزلة في خلق افعال العباد فقدره تقديرا فهياه لما يصلح له فلا خلل فيه كما
انه خلق الانسان على هذا الشكل الذي نراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة
في الدين والدنيا او فقدره للبقا الى امد معلوم واتخذوا الضمير للكافرين
لاندراجهم تحت العالمين او لدلالة نذيرا عليهم لانهم هم المنذرون من دونه
الهة اي الاصنام لا يخلقون شيا وهم يخلقون اي انهم اثروا على عبادة
من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون
على خلق شيء وهم مخلوقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يستطيعون
لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها ولا يملكون موتا اماتة ولا حياة
احيا ولا نشورا احيا بعد الموت وجعلها كالعقلا لزعم عابديها وقال
الذين كفروا ان هذا ما هذا القران الا افك كذب افتراه اختلقه واخترعه
محمد من عند نفسه واعانه عليه قوم اخرون اي اليهود او عداس ويسار
وابو فكيهة الرومي قاله النضر بن الحارث فقد جاوا ظلما وزورا هذا اخبار من
الله تعالى ردا للكفرة فيرجع الضمير الي الكفار وجا يستعمل في معنى فعل
فيعدى تعديته او حذف الجار واوصل الفعل اي بظلم وجور وظلمهم ان جعلوا
العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء
العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بري منه اليه وقالوا اساطير الاولين
اي هو احاديث المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره جمع اسطار او اسطورة
كاحدوثة اكتتبها اي كتبها لنفسه فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه
بكرة اول النهار واصيلا اخره فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا
قل يا محمد انزله اي القران الذي يعلم السر في السموات والارض اي
يعلم كل سر خفي في السموات والارض يعني ان القران لما اشتمل على علم
الغيوب التي يستحيل عادة ان يعلمها محمد من غير تعلم دل ذلك على
انه من عند علام الغيوب انه كان غفورا رحيما فيمهلهم ولا يعاجلهم
بالعقوبة وان استوجبوها بمكابرتهم وقالوا مال هذا الرسول وقعت
اللام في المصحف مفصولة عن الها وخط المصحف سنة لا تغير وتسميتهم
اياه بالرسول سخرية منهم كانهم قالوا اي شيء لهذا الزاعم انه رسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق حال والعامل فيها هذا لولا انزل عليه ملك فيكون
معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها اي ان صح انه رسول
الله فما باله ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد
يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش
ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا
في الانذار والتخويف ثم نزلوا الى ان يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السما
يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بستان
ياكل منه كالمياسير او ناكل نحن كقراءة حمزة وعلي وحسن عطف المضارع

وهو يلقى وتكون على انزل وهو يما من لدخول المضارع وهو فيكون بينهما
وانتصب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه
حكم الاستفهام واراد بالظالمين بقوله **وقال الظالمون** اياهم باعيانهم
غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم
كفار قريش **ان تتبعون الا رجلا مسحورا** سحر فجن او ذا سحر وهو الرئة
عنوا انه بشر لا ملك **انظر كيف ضربوا لك الامثال** الاشباه
اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال
من المفتري والملقى عليه والمسحور **فضلوا** عن الحق **فلا يستطيعون سبيلا**
فلا يجدون طريقا اليه **تبارك الذي ان شاء جعل لك جنات تجري من تحتها**
الانهار ويجعل لك قصورا اي تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا
خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات
والقصور وجنات بدل من خيرا من ذلك ويجعل بالرفع مكي وشامي
وابو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم **بل كذبوا**
بالساعة عطف على ما حكى عنهم تقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو
تكذيبهم بالساعة وكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل
مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بها **واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** وهيأنا
للمكذبين بها نارا شديدة في الاستعار **اذا رأتهم** النار اي قابلتهم **من مكان**
بعيد اي كانت منهم بمرأى الناظرين في البعد **سمعوا لها تغيظا وزفيرا**
اي سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر واذا رأتهم
زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار **واذا القوا منها** من النار **مكانا ضيقا**
ضيقا مكي لان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة
بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه يضيق عليهم
كما يضيق الزج في الرمح **مقرنين** اي وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون
في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال او يقرن مع كل كافر
شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد **دعوا هنالك** حينئذ **ثبورا** هلاكا
اي قالوا واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم **لا تدعوا اليوم**
ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اي انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا
انما هو ثبور كثير **قل اذلك خير** اي المذكور من صفة النار خير **ام جنة الخلد التي وعد**
المتقون اي وعدها فالراجع الى الموصول محذوف وانما قال اذلك خير ولا خير
في النار توبيخا للكفار **كانت لهم جزاء** ثوابا **ومصيرا** مرجعا وانما قيل كانت لانما وعده
الله تعالى كانه كان لتحققه او كان ذلك مكتوبا في اللوح قبل ان خلقهم **لهم فيها**
ما يشاؤون اي ما يشاؤونه **خالدين** حال من ضمير يشاؤون والضمير في **كان**
لما يشاؤون **على ربك وعدا** اي موعودا **مسؤولا** مطلوبا او حقيقا ان يسأل
او قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي

وعدتهم

وعدتهم **ويوم يحشرهم** للبعث عند الجمهور وبالياء مكي ويزيد ويعقوب وحفص
وما يعبدون من دون الله يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن
الكلبي يعني الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانه
اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم **فيقول** وبالنون شامي **أأنتم اضللتم**
عبادي هؤلاء بدل من عبادي اي المشركين **ام هم ضلوا السبيل** والقياس
ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى
الطريق وللطريق وضل مطاوع اضله والمعنى انتم اوقعتموهم في الضلال
عن طريق الحق بادخال الشبه ام هم ضلوا عنه بانفسهم وانما لم تقل أأضللتم
عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل وزيد انتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل
ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد
من ذكره وايلائه حرف الاستفهام ليعلم انه المسؤول عنه وفائدة سؤالهم
مع علمه تعالى بالمسؤول عنه ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم
بتكذيبهم اياهم فتزيد حسرتهم **قالوا سبحانك** تعجب منهم مما قيل لهم
او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له نبي او ملك او غيرهما ندا
ثم قالوا **ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء** اي ما كان يصح لنا
ولا يستقيم ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا ان يتولوك
دونك نتخذ يزيد واتخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو اتخذ وليا والى
المفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض
وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو
من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتأكيد النفي والقراءة الثانية
من المتعدي الى المفعولين فالمفعول الاول ما بني له الفعل والمفعول الثاني
من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء لان من لا تزاد الا في المفعول
الثاني بل في الاول تقول ما اتخذت من احد وليا ولا تقول ما اتخذت
من احد من ولي **ولكن متعتهم وآباءهم** بالاموال والاولاد وطول العمر
والسلامة من العذاب **حتى نسوا الذكر** اي ذكر الله والايمان به والقرآن
والشرائع **وكانوا** عند الله **قوما بورا** هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال
للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة **فقد كذبوكم** وهذه المفاجأة
بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف
القول ونظيرها يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل
الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل
٭ قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ٭ ثم القفول فقد جئنا خراسانا ٭
بما تقولون بقولكم فيهم انهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق
والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل بل كذبوا بما يقولون وعن قنبل
بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من
دونك من اولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم **فما يستطيعون**

صرفا ولا نصرا اي فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ينصروكم وبالتا
حتى اي فما تستطيعون انتم يا لكفار صرف العذاب عنكم ولا نصرا نفسكم
ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله ومن يظلم منكم اي يشرك لان الظلم
وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده
قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم نذقه عذابا كبيرا فسر بالخلود في النار
وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الا على قول المعتزلة والخوارج وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
كسرت ان لاجل اللام في الخبر والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف
والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما
حذف اكتفاء بالجار والمجرور اي من المرسلين ونحوه وما منا الا له مقام
معلوم اي وما منا احد فنزل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وتسلية للنبي عليه السلام وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى
الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه في الاسواق يعني انه جعل
الاغنياء فتنة للفقراء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء اتصبرون على هذه الفتنة
فتوجروا ام لا تصبرون فيزداد غمكم وحكي ان بعض الصالحين تبرم
بضنك عيشه فخرج ضجرا فراى خصيا في مواكب ومراكب تخطر بباله شيء
فاذا بمن يقرا هذه الاية فقال بلى نصبر ربنا او جعلناك فتنة لهم لانك
لو كنت صاحب كنوز وجنات لكان طاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا
فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا وكان ربك بصيرا
عالما بالصواب فيما يبتلى به او بمن يصبر ويجزع وقال الذين لا يرجون
لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة لا يؤمنون بالبعث او لا يخافون عقابنا
اما لان الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف او لان الرجا في اللغة الخوف
لولا هلا انزل علينا الملائكة رسلا دون البشر او شهودا على نبوته
ودعوى رسالته او نرى ربنا جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه لقد
استكبروا في انفسهم اي اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد
في قلوبهم وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا وصف العتو
بالكبير فبالغ في افراطه اي انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم
بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف يوم
يرون الملائكة اي يوم الموت او يوم البعث وهو منصوب بما دلت
عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى وقوله يومئذ
مؤكد ليوم يرون او باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم اخبر فقال
لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لان المضاف اليه لا يعمل في
المضاف ولا ببشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفي بلا لا
يعمل فيما قبله لا للمجرمين ظاهر في موضع ضمير او عام فيتناولهم بعمومه

وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاسما يتناول اكمل
المسميات ويقولون اي الملائكة حجرا محجورا حراما محرما عليكم البشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم انما البشرى للمؤمنين والحجر مصدر والكسر
والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبة
بافعال متروكة اظهارها ومحجورا للتاكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا هو صفة لهباء ولا قدوم
هنا ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم
واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه
فقدم الى اشيائه وقصد الى ما تحت يده فافسدها ومزقها كل ممزق ولم
يترك لها اثرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار والمنثور
المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع
ثم بين فضل اهل الجنة على اهل النار فقال اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
تمييز والمستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون
ويتحادثون واحسن مقيلا مكانا يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم
ولا نوم في الجنة ولكنه سمي مكان استرواحهم الى ازواجهم الحور مقيلا على
طريق التشبيه وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي لفظ الاحسن تهكم بهم
ويوم واذكر يوم تشقق السماء والاصل تتشقق فحذف كوفي وابو عمرو والتا
وغيرهم ادغمها في الشين بالغمام لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع
الغمام منها جعل الغمام كانه الذي يشق السماء كما تقول شق السنام
بالشفرة فانشق بها ونزل الملائكة تنزيلا وننزل الملائكة مكي وتنزيلا
على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام ابيض يخرج
منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد الملك
مبتدا يومئذ ظرفه الحق نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ
ولا يبقى الا ملكه للرحمن خبره وكان ذلك اليوم يوما على الكافرين عسيرا
شديدا يقال عسر عليه فهو عسير وعسر فهو عسر ويفهم منه تيسيره
على المؤمنين ففي الحديث يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم
اخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا ويوم يعض الظالم على يديه عض
اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها
على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه
من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه واللام في الظالم للعهد اوريد به
عقبة لما نبين او للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار يقول يا ليتني
اتخذت في الدنيا مع الرسول مع محمد عليه السلام سبيلا طريقا الى النجاة
او الجنة وهو الايمان يا ويلتى وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل
ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء

الغاكلاني صماري ومداري **ليتني لم اتخذ فلانا خليلا** فلان كناية عن
الاعلام فان اريد بالظالم عقبة لما روي انه اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل
فقال له ابي بن خلف وهو خليله وجهي من وجهك حرام الا ان ترجع فارتد
فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من
اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه وقيل
هو كناية عن الشيطان **لقد اضلني عن الذكر** عن ذكر الله او القران او الايمان
بعد اذ جاءني من الله **وكان الشيطان** اي خليله سماه شيطانا لانه اضله
كما يضله الشيطان او ابليس لانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول
للانسان المطيع له **خذولا** هو مبالغة في الخذلان اي من عادته ترك من
يواليه وهذا حكاية كلام الله عز وجل او كلام الظالم **وقال الرسول** اي محمد
عليه السلام في الدنيا **يا رب ان قومي** قريشا **اتخذوا هذا القران مهجورا**
متروكا اي تركوه ولم يومنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفي هذا
تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء اذا اشتكوا اليه قومهم حل بهم
العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا وواعدا للنصرة عليهم فقال
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا اي
وكذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق
قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا
والباء زائدة اي وكفى ربك هاديا وهو تمييز **وقال الذين كفروا** اي قريش
او اليهود **لولا نزل عليه القران جملة** حال من القران اي مجتمعا **واحدة**
يعني هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة
وماله انزل على التفاريق وهذا فضول من القول ومماراة بلا طائل تحته
لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا ونزل
هنا بمعنى انزل والا كان متدافعا بدليل جملة واحدة وهو اعتراض فاسد لانهم
تحدوا بالاتيان بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم حتى
لازوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبذلوا المهج ومالوا الى الحجج **كذلك**
جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا في عشرين سنة او في ثلاث وعشرين
وذلك في كذلك اشارة الى مدلول قوله لولا نزل عليه القران جملة واحدة
لان معناه لم نزل عليه القران جملة مفرقا فاعلم ان ذلك **لنثبت به فوادك**
لنقوي به فوادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ
العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه
او لنثبت به فوادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب
يسكن بتواصل كتب المحبوب **ورتلناه ترتيلا** معطوف على الفعل الذي يتعلق
به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه اي قدرناه اية بعد اية ووقفة
عقيب وقفة وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القران ترتيلا

اي اقراه بترسل وتثبت او بيناه تبيينا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت
ولا ياتونك بمثل بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان
الا جئناك بالحق الا اتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه **واحسن
تفسيرا** وبما هو احسن معنى ومودى من مثلهم اي من سؤالهم واعا
حذف من مثلهم لان في الكلام دليلا عليه كما لو قلت رايت زيدا وعمرا
وكان عمرو احسن وجها فيه دليل على انك تريد من زيد ولما كان
التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام ومنع موضع معناه فقالوا
تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او ولا ياتونك بحال
وصفة عجيبة يقولون هلا انزل عليه القران جملة الا اعطيناك من
الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ان نعطاه ما هو احسن تكشيفا لما بعثت
عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض
تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز من ان ينزل كله جملة
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر الذين مبتدا
واولئك مبتدا ثان وشر خبر اولئك واولئك مع شر خبر الذين او التقدير
هم الذين او اعني الذين واولئك مستانف **مكانا** اي مكانة ومنزلة
او مسكنا ومنزلا **واضل سبيلا** واخطا طريقا وهو من الاسناد المجازي والمعنى
ان حاملكم على هذه السوالات انكم تضلون سبيله وتحتقرون مكانه
ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم
الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه ومنزلته وسبيلكم اضل من سبيله
وفي طريقته قوله قل هل انبيكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة
على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على ارجلهم وصنف على
وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال عليه السلام
الذي مشاهم على اقدامهم يمشيهم على وجوههم **ولقد اتينا موسى الكتاب** التوراة
كما اتيناك القران **وجعلنا معه اخاه هارون** بدل او عطف بيان **وزيرا**
هو في اللغة من يرجع اليه ويتحصن برايه من الوزر وهو الملجا والوزارة
لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويومرون بان يوازر
بعضهم بعضا **فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا** اي فرعون
وقومه وتقديره فذهبا اليهم وانذرا فكذبوهما **فدمرناهم تدميرا** التدمير
الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة فذكر اولها واخرها لانهما المقصود
من القصة اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
وقوم نوح اي ودمرنا قوم نوح **لما كذبوا الرسل** يعني نوحا وادريس
وشيثا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع **اغرقناهم** بالطوفان
وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم **للناس اية** عبرة يعتبرون بها **واعتدنا**
وهيانا **للظالمين** لقوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه اراد تظليمهم

يتوضأ به ويتوقد به النار او مصدر بمعنى التطهير كقولك تطهرت طهورا حسنا
ومنه قوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور اي بطهارة وما حكي عن ثعلب هو
ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعي رحمه الله ان كان هذا زيادة
بيان لطهارته فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
والا فليس فعول من التفعيل في شيء وقياسه على ما هو مشتق من الافعال
المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان بناء الفعول للمبالغة فان كان الفعل
متعديا فالفعول متعد وان كان لازما فلازم **لنحيي به** بالمطر **بلدة ميتا**
ذكر ميتا على ارادة البلد او المكان **ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا**
ونسقي الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من انعاما واناسي اي انعاما
مما خلقنا ونسقي واسقى لغتان وقرأ المفضل والبرجمي ونسقيه والاناسي
جمع انسي على القياس ككرسي وكراسي او انسان واصله اناسين كسرحان وسراحين
فابدلت النون ياء وادغمت وقدم احياء الارض على سقي الانعام والاناسي لان
حياتها سبب لحياتهما فقدم ما هو سبب حياتهما على سقيهما وتخصيص الانعام
من بين الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسي متعلقة بها فكان الانعام
بسقي الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة لان
اكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فبهم غنية عن سقي الماء
واعقابهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلدة لانه يريد
بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقي الاناسي من جملة ما
انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيانا ان من حقهم ان يؤثروا الطهارة
في بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط للاحياء **ولقد صرفناه بينهم ليذكروا** ليذكروا
حمزة وعلي يزيد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب
المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا
ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا **فأبى اكثر الناس الا كفورا** فابى اكثرهم الا
كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها او صرفنا المطر بينهم في البلدان
المختلفة والاوقات المتغايرة على الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود
ورذاذ وديمة فابوا الا كفورا وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله
ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله
يصرفه حيث يشاء وقرأ الاية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره
في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب
في تنكير البلدة والانعام والاناسي ومن نسب الامطار الى الانواء وجحد ان
تكون هي والانواء من خلق الله كفر وان رأى ان الله خالقها وقد نصب الانواء
امارات ودلالات عليها لم يكفر **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع**
الكافرين اي ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا
في كل قرية نبيا ينذرها ولكن شئنا ان نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة
الى كافة العالمين فقصرنا الامر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم

وكذلك

وكذلك خوطب بالجمع يا ايها الرسل فقابل ذلك بالشكر والتشدد والتصبر ولا
تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما آثرتك على جميع
الانبياء فآثر رضاي على جميع الاهواء واريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين
وتحريكهم **وجاهدهم به** اي بالله يعني بعونه وتوفيقه او بالقرآن اي جادلهم
به وقرعهم بالعجز عنه **جهادا كبيرا** عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من
المشاق ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل
قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب
على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك المجاهدات فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب
كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة **وهو الذي مرج البحرين**
خلاهما متجاورين متلاصقين تقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمى
الماءين الكثيرين الواسعين بحرين **هذا** اي احدهما **عذب فرات** صفة
للعذب اي شديد العذوبة حتى يقرب الى الحلاوة **وهذا ملح اجاج** صفة
للملح اي شديد الملوحة **وجعل بينهما برزخا** حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما
التمازج فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان **وحجرا محجورا** وسترا
ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا **وهو الذي خلق من الماء** اي النطفة **بشرا** انسانا
فجعله نسبا وصهرا اراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب
اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا
يصاهر بهن وهو كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى **وكان ربك قديرا** حيث
خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى وقيل فجعله نسبا
اي قرابة وصهرا اي مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح من باب الانساب لان التواصل
يقع بها وبالمصاهرة لان التوالد يكون بهما **ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم**
ان عبدوه **ولا يضرهم** ان تركوه **وكان الكافر على ربه** على معصية ربه **ظهيرا** معينا
ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والظهير المظاهر كالعوين والمعاون
والمظاهرة المعاونة والمعنى ان الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه
على معصية الرحمن **وما ارسلناك الا مبشرا** للمؤمنين **ونذيرا** منذرا للكافرين
قل لا اسألكم عليه على التبليغ **من اجر** من جعل مال **الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا**
والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى
لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا
تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة
الثواب كأنه يقول ان حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لي ورضاي
به كرضى المثاب بالثواب ولعمري انه عليه السلام مع امته بهذا الصدد ومعنى
اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه بالايمان والطاعة او بالصدقة والنفقة وقيل
المراد ولكن من شاء ان يتخذ بالانفاق الى مرضاة ربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره
لا اسألكم على ما ادعوكم اليه اجرا الا اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك

اجري لان الله يا جري عليه وتوكل على الحي الذي لا يموت اتخذ من لا يموت وكيلا
لا يكلك الي من يموت ذليلا يعني ثق به واسند امرك اليه في استكفاء
شرورهم ولا تتكل على حي يموت وقراها بعض الصالحين فقال لا يصح لذي عقل
ان يثق بعدها بمخلوق والتوكل الاعتماد عليه في كل امر وسبح ونزهه عن
ان يكل الي غيره من توكل عليه بحمده بتوفيقه الذي يوجب الحمد او قل
سبحان الله وبحمده او نزهه عن كل العيوب بثناء تثني عليه وكفى به بذنوب
عباده خبيرا اي كفى الله خبيرا بذنوب عباده يعني انه خبير باحوالهم كاف
في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام اي في مدة
مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ ليل ولا نهار وعن مجاهد اولها يوم الاحد
واخرها يوم الجمعة وانما خلقها في ستة ايام وهو يقدر ان يخلقها في لحظة
تعليما لخلقه الرفق والتثبت ثم استوى على العرش الرحمن اي هو الرحمن
فالرحمن خبر مبتدا محذوف او بدل عن المضمر في استوى او الذي خلق مبتدا
والرحمن خبر فسئل وبلا همز مكي وعلي به صلة سل كقوله سال سايل بعذاب
واقع كما يكون عن صلته في قوله ثم لتسالن يومئذ عن النعيم فسال به كقولك
اهتم به واشتغل به وسال عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه او صلة خبيرا
ويكون خبيرا مفعول سل اي فسئل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسال
رجلا خبيرا به وبرحمته او الرحمن اسم من اسما الله تعالى مذكور في الكتب
المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسئل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب
حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة
يعني مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم اي اذا قال محمد
عليه السلام للمشركين اسجدوا للرحمن صلوا لله واخضعوا له قالوا وما الرحمن
اي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سوال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه
بهذا الاسم والسوال عن المجهول بما او عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم
كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم انسجد لما تامرنا للذي تامرنا بالسجود
له او لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به يامرنا علي وحمزة كان بعضهم قال
لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو فقد
عاندوا لان معناه عند اهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لان فعلان
من ابنية المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان في غاية بنهاية العطش وزادهم
قول اسجدوا للرحمن نفورا تباعدا عن الايمان تبارك الذي جعل في السما بروجا
هي منازل الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب بيتان يقوي حاله فيهما
وللشمس بيت وللقمر بيت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا
الزهرة والجوزة والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت
الشمس والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية
والجوزة والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة
مائية سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل

لسكانها

لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره وعنه قال الحسن وقتادة
ومجاهد البروج هي النجوم الكبار لظهورها وجعل فيها في السما سراجا
يعني الشمس لتوقدها سرجا حمزة وعلي اي نجوما وقمرا منيرا مضيا
بالليل وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة فعلة من خلف كالركبة
من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر
والمعنى جعلهما ذوي خلفة يخلف احدهما الاخر عند مضيه او يخلفه
في قضاء ما فاته من الورد لمن اراد ان يذكر يتدبر في تسخيرهما واختلافهما
فيعرف مدبرهما يذكر حمزة وخلف اي يذكر الله او المنسي فيقضي او اراد
شكورا اي يشكر نعمة ربه عليه فيهما وعباد الرحمن مبتدا خبره الذين
يمشون او اولئك يجزون الغرفة بما صبروا والذين يمشون وما بعده
صفة والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصف اوليائه بعد
ما وصف اعداءه على الارض هونا حال او صفة للمشي اي هينين او مشيا
هينا والهون الرفق واللين اي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون
مرح واختيال وتكبر فلا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا
وبطرا وكذا كره بعض العلما الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في
الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون اي السفها بما يكرهون قالوا سلاما
سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم او نسلم منكم نتارككم
ولا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسليم وقيل نسخها اية القتال ولا
حاجة الى ذلك فالاغضا عن السفها مستحسن شرعا ومروة هذا
وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا جمع
ساجد وقياما جمع قايم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك
الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرا شيا من القران في صلاة وان قل بات
ساجدا وقايما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشا
والظاهر انه وصف لهم باحيا الليل او اكثره والذين يقولون ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما هلاكا لازما ومنه الغريم
لملازمته وصفهم باحيا الليل ساجدين وقايمين ثم عقبه بذكر دعوتهم
هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خايفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب
عنهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي انها اي جهنم وساءت في حكم
بيست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف
معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة
باسم ان وجعلها خبرا لها ويعني احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال
او تمييز ويصح ان يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وان يكونا
من كلام الله وحكاية لقولهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا
الحد في النفقة او لم ياكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لم ينفقوا في المعاصي فالاسراف مجاوزة حد الامر

لا بمجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف
في الخير وقال عليه السلام من منع حقا فقد قتر ومن اعطى في غير
حق فقد اسرف **ولم يقتروا** بضم التاء والقتر والاقتار والتقتير
التضييق الذي هو نقيض الاسراف **وكان** اي انفاقهم **بين ذلك**
قواما عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبات اي بين
ذلك قواما خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير
وبمثله امر عليه السلام ولا تجعل يدك مغلولة الاية وسال عبد الملك
بن مروان عمر ابن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال
الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية
وقيل اولئك اصحاب محمد عليه السلام كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم
واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر
العورة ودفع الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي
رجل شيئا الا اشتراه فاكله **والذين لا يدعون مع الله الها اخر** اي لا يشركون
ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها يعني قتلها **الا بالحق** بقود او رجم
او ردة او شرك او سعي في الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف
او بلا يقتلون **ولا يزنون** ونفي هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض
لما كان عليه اعداؤهم من قريش وغيرهم كانه قيل والذين طهرهم الله
مما انتم عليه **ومن يفعل ذلك** اي المذكور **يلق اثاما** جزاء الاثم **يضاعف**
بدل من يلق لانهما في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقاء الاثام
كقوله ٥ متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ٥
تجزم تلمم لانه بمعنى تاتنا اذ الاتيان هو الالمام يضعف مكي ويزيد
ويعقوب يضعف شامي يضاعف ابو بكر على الاستيناف او على الحال
ومعنى يضاعف **له العذاب يوم القيامة** اي يعذب على مرور الايام
في الاخرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك
عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب
عليه **ويخلد** جزمه جازم يضاعف ورفعه رافعه لانه معطوف عليه
فيه في العذاب فيهي مكي وحفص بالاشباع وانما خص حفص الاشباع
بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل
في هاء الكناية الاشباع **مهانا** حال اي ذليلا **الا من تاب** عن الشرك
وهو استثناء من الجنس في موضع النصب **وامن** بمحمد عليه السلام
وعمل عملا صالحا بعد توبته **فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** اي
يوفقهم للمحاسن بعد القبائح او يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات
الايمان والطاعة ولم يرد ان السيئة بعينها تصير حسنة ولكن المراد
ما ذكرنا يبدل مخففا البرجمي **وكان الله غفورا** يكفر السيئات **رحيما** يبدلها
بالحسنات **ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا**

اي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا
عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب **والذين لا يشهدون الزور** اي الكذب يعني
ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزها عن
مخالطة الشر واهله اذ مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظار
الى ما لم تشرعه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم
دليل الرضى به وسبب وجود الزيادة فيه وفي مواعظ عيسى عليه السلام
اياكم ومجالسة الخطائين او لا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف
وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون اللهو
والغناء **واذا مروا باللغو** بالفحش وكل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى
واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به **مروا كراما** معرضين عنه
مكرمين انفسهم عن التلوث به لقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه
وعن الباقر اذا ذكروا الفروج كنوا عنها **والذين اذا ذكروا بايات ربهم** اي
قرئ عليهم القران او وعظوا بالقران **لم يخروا عليها صما وعميانا** هذا
ليس بنفي للخرور بل هو اثبات له ونفي للصمم والعمى ونحوه لا يلقاني
زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء يعني انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا
وبكيا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية لما امروا به ونهوا
عنه لا كالمنافقين واشباههم دليله قوله تعالى وممن هدينا واجتبينا
اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا **والذين يقولون ربنا**
هب لنا من ازواجنا من للبيان كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت
القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله
لهم قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد او للابتدا
على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح **وذريتنا**
ابو عمرو وكوفي غير حفص لارادة الجنس وغيرهم ذرياتنا **قرة اعين** وانما
نكر لاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف
اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين على القلة
دون عيون لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم
قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير
اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين والمعنى انهم سالوا ربهم ان يرزقهم
ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وقيل ليس
شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله وعن
ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا راه يكتب الفقه **واجعلنا للمتقين اماما**
اي ائمة يقتدى بنا في الدين فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم
اللبس او واجعل كل واحد منا اماما وقيل في الاية ما يدل على ان الرياسة
في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها **اولئك يجزون الغرفة** اي
الغرفات وهي العلالي في الجنة ووحد اقتصارا على الواحد الدال على

الجنس دليله قوله وهم في الغرفات امنون **بما صبروا** بصبرهم علي
الطاعات وعن الشهوات وعلى اذي الكفار وعلى مجاهدتهم وعلي
الفقر وغير ذلك **ويلقون فيها** ويلقون كوفي غير حفص **تحية** دعا
بالتعمير **وسلاما** ودعا بالسلامة يعني ان الملايكه يحيونهم ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه **خالدين فيها** حال **حسنت** اي
الغرفة **مستقرا ومقاما** موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساءت مستقرا
ومقاما **قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم** ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي
في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الي الاسلام
او لولا عبادتكم له اي انه خلقكم لعبادته كقوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون اي الاعتبار عند ربكم لعبادتكم له او ما يصنع
بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة وهو كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم **فقد كذبتم** رسولي يا اهل مكة **فسوف يكون** العذاب **لزاما**
اي ذا لزام او ملازما ومنع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال
الضحاك ما يعبؤ ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم الها اخر والله اعلم
سورة الشعرا مكية الا والشعرا يتبعهم الغاوون ماية وسبع وعشرون اية
بسم الله الرحمن الرحيم **طسم** وطس ويس
وحم بمالة كوفي غير الاعشي والبرجمي وحفص ويظهر النون عند الميم
يزيد وحمزة وغيرهما يدغمها **تلك ايات الكتاب المبين** الظاهر اعجازه
وصحته انه من عند الله والمراد به السورة او القران والمعني ايات هذا
المؤلف من الحروف المبسوطة تلك ايات الكتاب المبين **لعلك باخع**
قاتل ولعل للاشفاق **نفسك** من الحزن يعني اشفق على نفسك ان
تقتلها حسرة وحزنا عا ما فاتك من اسلام قومك **ان لا يكونوا مومنين**
لئلا يومنوا ولامتناع ايمانهم او خشية ان لا يومنوا **ان نشا** ايمانهم **ننزل
عليهم من السما اية** دلالة واضحة **فظلت** اي فتظل لان الجزاء يقع فيه
لفظ الماضي في معني المستقبل تقول ان زرتني اكرمتك اي اكرمك
كذا قاله الزجاج **اعناقهم** روساؤهم ومقدموهم او جماعاتهم يقال
جانا عنق من الناس لفوج منهم **لها خاضعين** منقادين وعن ابن
عباس رضي الله عنهما نزلت فينا وفي بني امية فستكون لنا عليهم
الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة **وما
ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين** اي وما يجدد لهم الله
بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به **فقد كذبوا** محمد
بما اتاهم به **فسياتيهم** فسيعلمون **انبا** اخبار **ما كانوا به يستهزءون**
وهذا وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مستهم عذاب الله يوم بدر
ويوم القيامة ما الشي الذي كانوا يستهزءون به وهو القران وسياتيهم انباؤه
واحواله التي كانت خافية عليهم **اولم يروا الى الارض كم انبتنا** كم نصب

بانبتنا

بانبتنا **فيها من كل زوج** صنف من النبات **كريم** محمود كثير المنفعة ياكل
منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفايدة الجمع بين
كلمتي الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة لازواج النبات
عا سبيل التفصيل وكم تدل عا ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه
نبه عا كمال قدرته **ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين** اي
ان في انبات تلك الاصناف لاية عا ان منبتها قادر على احيا الموتى وقد
علم الله ان اكثرهم مطبوع عا قلوبهم غير مرجو ايمانهم **وان ربك لهو العزيز**
في انتقامه من الكفرة **الرحيم** لمن امن به منهم ووحد اية مع الاخبار بكثرتها
لان ذلك مشار به الي مصدر انبتنا او المراد ان في كل واحد من تلك الازواج
لاية اي اية **واذ** مفعول به اي اذكر اذ **نادى** دعا **ربك موسى ان ايت** ان
بمعنى اي **القوم الظالمين** انفسهم بالكفر وبني اسرايل بالاستعباد وذبح
الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف **قوم فرعون** عليهم عطف البيان كان
معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون فكانهما عبارتان تعتقبان
عا مودي واحد **الا يتقون** اي ايتهم زاجرا فقد ان لهم ان يتقوا وهي
كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير
متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال **قال رب اني اخاف**
الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقع **ان يكذبون ويضيق صدري**
بتكذيبهم اياي مستانف او عطف على اخاف **ولا ينطلق لساني** بان
تغلبني الحمية عا ما اري من المحال واسمع من الجدال وبنصبهما يعقوب
عطفا عا يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب
وحده بتقدير الرفع **فارسل الى هارون** اي ارسل اليه جبريل واجعله نبيا
يعينني عا الرسالة وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام
ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفا في الامتثال بل التماس
عون في تبليغ الرسالة وتمهيد العذر على التماس المعين على تنفيذ الامر ليس
بتوقف في امتثال الامر وكفي بطلب العون دليلا عا التقبل لا على التعلل
ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب بقتل القبطي فحذف المضاف او سمي تبعة
الذنب ذنبا كما يسمي جزاء السيئة سيئة **فاخاف ان يقتلون** اي يقتلوني
به قصاصا وليس هذا تعللا ايضا بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من
ان يقتل قبل اداء الرسالة ولذا وعده بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجمع
له الاستجابتين معا في قوله **قال كلا فاذهبا** لانه استدفعه بلاهم فوعده
الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة اخيه فاجابه بقوله اذهب
اي جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا عا الفعل الذي يدل عليه
كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهارون **باياتنا**
مع اياتنا وهي اليد والعصا وغيرهما لكن **انا معكم** اي معكما بالعون والنصرة
ومع من ارسلتما اليه بالعلم والقدرة **مستمعون** خبر لان ومعكم لغو او هما

خبرا اي سامعون والاستماع في غير هذا الاصغاء للسماع يقال استمع الى
حديثه اي اصغى اليه ولا يجوز حمله هنا على ذلك فحمل على السماع **فاتيا فرعون**
فقولا انا رسول رب العالمين ولم يثن الرسول كما ثنى في قوله انا رسولا ربك
لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فيستوي في الوصف به الواحد
والتثنية والجمع او لانهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كانهما رسول
واحد او اريد ان كل واحد منا **ان ارسل** بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى
الارسال وفيه معنى القول **معنا بني اسرائيل** يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين
وكانت مسكنهما فاتيا بابه فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هاهنا
انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه
فاديا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى فعند ذلك **قال الم نربك فينا وليدا**
وانما حذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك اختصارا والوليد الصبي لقرب
عهده من الولادة اي الم تك صغيرا فربيناك **ولبثت فينا من عمرك سنين**
قيل ثلاثين سنة **وفعلت فعلتك التي فعلت** يعني قتلت القبطي
تعرض اذ كان ملكا **وانت من الكافرين** بنعمتي حيث قتلت خبازي او كنت
على ديننا الذي تسميه كفرا وهذا افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان
يعايشهم بالتقية **قال فعلتها اذا** اي اذ ذاك **وانا من الضالين** الجاهلين
بانها تبلغ القتل والضال عن الشيء هو الذاهب عن الشيء معرفته او الناسين
من قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه
ووضع الضالين موضع الكافرين واذا جواب وجزاء معا وهذا الكلام وقع
جوابا لفرعون وجزاء له لان قول فرعون وفعلت فعلتك معناه انك
جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله
لان نعمته كانت جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء **ففررت منكم** الى مدين
لما خفتكم ان تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ان الملا
ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج الاية **فوهب لي ربي حكما** نبوة وعلما
فزال عني الجهل والضلالة **وجعلني من المرسلين** من جملة رسله **وتلك**
نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله
من اصله وابى ان يسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه
تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله
عنده وتربيته ولو تركهم لرباه ابواه فكان فرعون امتن على موسى بتعبيد
قومه واخراجه من حجر ابويه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم
عبيدا ووحد الضمير في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لان الخوف
والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل
قوله ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذا
التعبيد وتلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها
ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك اي تعبيدك بني اسرائيل نعمة

تمنها علي **قال فرعون وما رب العالمين** اي انك تدعي انك رسول رب
العالمين فما صفته لانك اذا اردت السؤال عن صفة زيد تقول
ما زيد تعني اطويل ام قصير ام طبيب نص عليه صاحب الكشاف وغيره
قال موسى مجيبا له على وفق سؤاله **رب السموات والارض وما بينهما** اي وما
بين الجنسين **ان كنتم موقنين** اي ان كنتم تعرفون الاشياء بالدليل فكفى
خلق هذه الاشياء دليلا او ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه
النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع والايقان العلم الذي يستفاد
بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن **قال** فرعون **لمن حوله** من اشراف
قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة **الا تستمعون**
معجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وان لهما ربا
فاحتاج موسى ان يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث
قال ربكم ورب آبائكم الاولين اي هو خالقكم وخالق آبائكم الاولين
فان لم تستدلوا بغيركم فبانفسكم وانما قال رب آبائكم لان فرعون كان
يدعي الربوبية على اهل عصره دون من تقدمهم **قال** فرعون **ان رسولكم**
الذي ارسل اليكم لمجنون حيث يزعم ان في الوجود الها غيري وكان ينكر
الهية غيره **قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون**
تستدلون بالعقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عمم اولا
بخلق السموات والارض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان انفسهم
وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد
من احواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق
والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير
مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به
ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة
على نمرود بن كنعان وقيل سأله فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله
فلما اجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده ان موسى حاد عن الجواب
حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال معجبا
لهم من جواب موسى الا تستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول فجننه
فرعون زاعما انه حائر عن الجواب فعاد ثانيا الى مثل كلامه الاول
مبينا ان الفرد الحقيقي انما يعرف بالصفات وان السؤال عن الماهية
محال واليه الاشارة في قوله ان كنتم تعقلون اي ان كان لكم عقل علمتم انه
لا تكون معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم يتهيأ له ان يدفع
ظهور آثار صنعه **قال لئن اتخذت الها غيري** اي غيري الها **لاجعلنك**
من المسجونين اي لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان
من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض
بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل ولو قيل

لا سجننك لم يؤد هذا المعنى وان كان اخصر قال اولو جئتك الواو للحال
دخلت عليها همزة الاستفهام اي اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين
اي جائيا بالمعجزة قال فأت به اي بالذي يبين صدقك ان كنت من الصادقين
ان لك بينة وجواب الشرط مقدر اي فاحضره فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة
والسحر وروي انها ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة على
فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت فيقول فرعون اسالك
بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا ونزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين فيه دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه
لخروجه عن العادة وكان بياضها نوريا روي ان فرعون لما ابصر الاية
الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال لفرعون ما هذه فقال فرعون
يدك فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد
الافق قال اي فرعون للملأ حوله هو منصوب نصبين نصب
في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على
الحال من الملأ اي كائنين حوله والعامل فيه قال ان هذا لساحر عليم
بالسحر ثم اغرى قومه على موسى بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا
منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك الخير تامرون تشيرون
في امره من حبس او قتل من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو
ضد النهي لما تحير فرعون برؤية الايتين وزل عنه ذكر دعوى الالوهية
وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا طفق يؤامر
قومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم او جعلهم امرين ونفسه
مامورا قالوا ارجه واخاه اخر امرهما ولا تبادر قتلهما خوفا من الفتنة
وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا
لساحر عليم بقولهم ياتوك بكل سحار عليم فجاؤوا بكلمة الاحاطة
وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
اي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى
عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وان يحشر
الناس ضحى والميقات ما وقت به اي حد من زمان او مكان ومنه
مواقيت الاحرام وقيل للناس هل انتم مجتمعون اي اجتمعوا وهو
استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم لعلنا نتبع السحرة في دينهم
ان كانوا هم الغالبين ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس
غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام
مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء
السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وبكسر العين علي وهما لغتان وانكم اذا لمن المقربين اي قال فرعون

نعم

نعم ان لكم اجرا عندي وتكونوا مع ذلك من المقربين عندي في المرتبة والجاه
فتكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج ولما كان قوله ائن لنا لاجرا
في جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا
عليه دخلت اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون من السحر فسوف ترون عاقبته
فالقوا حبالهم سبعين الف حبل وعصيهم سبعين الف عصا وقيل
كانت الحبال اثنين وسبعين وكذا العصي وقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون اقسموا بعزته وقوته وهي من ايمان الجاهلية فالقى موسى
عصاه فاذا هي تلقف تبتلع ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته
بسحرهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى
فالقي السحرة ساجدين عبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة كانه ذكر
مع الالقاءات ولانهم لسرعة ما سجدوا صاروا كانهم القوا قالوا امنا
برب العالمين عن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء رب موسى
وهارون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية
فارادوا ان يعزلوه وقيل ان فرعون لما سمع منهم امنا برب العالمين
قال اياي عنيتم قالوا رب موسى وهارون قال امنتم له قبل ان اذن لكم
بذلك انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقد تواطاتم على امر ومكر فلسوف
تعلمون وبال ما فعلتم ثم صرح فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
من اجل خلاف ظهر منكم ولاصلبنكم اجمعين كانه اراد به ترهيب العامة
لئلا يتبعوهم في الايمان قالوا لا ضير لا ضرر وخبر لا محذوف اي في ذلك
او علينا انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان
كنا اول المؤمنين من اهل المشهد او من رعية فرعون اراد والامر
علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا من الصبر عليه لوجه
الله من تكفير الخطايا او لا ضرر علينا فيما تتوعدنا به انه لا بد لنا من
الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه
وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا
انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى
الايمان واوحينا الى موسى ان اسر وبوصل الهمزة حجازي بعبادي بني اسرائيل
وسماهم عباده لايمانهم بنبيهم اي سر بهم ليلا وهذا بعد سنين من
ايمان السحرة انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه علل الامر بالاسراء
باتباع فرعون وجنوده يعني اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا
ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم في طريق البحر فاهلكهم وروي انه مات في
تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى
بقومه وروي ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات
في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملائكة

ان لا يخرجوا ابنيا على ابوابها دم وسائرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا
فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري
فارسل فرعون في المداين حاشرين جامعين الناس بعنف فلما اجتمعوا قال
ان هولاء لشرذمة قليلون والشرذمة الطايفة القليلة ذكرهم بالاسم
الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب
منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة او اراد بالقلة الذلة لا قلة
العدد اي انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى
وكانوا ستماية الف وسبعين الفا لكثرة من معه فعن الضحاك كانوا
سبعة الاف الف وانهم لنا لغايظون اي انهم يفعلون افعالا تغيظنا
وتضيق صدورنا وهو خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم ابكارنا
وانا لجميع حاذرون شامي وكوفي وغيرهم حذرون فالحذر المتيقظ والحاذر
الذي يجدد حذره وقيل المودي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا
لنفسه يعني ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور
فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها
الى اهل المداين لئلا يظن به العجز والفتور فاخرجناهم من جنات بساتين
وعيون وانهار جارية وكنوز واموال ظاهرة من الذهب والفضة
وسماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى ومقام ومنزل كريم
بهي بهيج وعن ابن عباس رضي الله عنهما المنابر كذلك يحتمل النصب على اخرجناهم
اي مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي الامر
كذلك واورثناها بني اسرايل عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا
ديارهم واموالهم فاتبعوهم فاعقبوهم فاتبعوهم زيد مشرقين حال
اي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها اي ادرك قوم فرعون
موسى وقومه وقت طلوع الشمس فلما تراءا الجمعان اي تقابلا بحيث يرى
كل فريق صاحبه والمراد بنوا اسرايل والقبط قال اصحاب موسى انا لمدركون
اي قرب ان يلحقنا عدونا وامامنا البحر قال موسى ثقة بوعد الله اياه كلا
ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم ان معي ربي حفص سيهدين اي
سيهديني طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم سيهديني بالياء يعقوب فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر اي القلزم او النيل فانفلق اي فضرب
فانفلق وانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط فكان كل فرق اي
كل جزء تفرق منه كالطود كالجبل المنطاد في السماء العظيم وازلفنا ثم حيث
انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرايل او من البحر
وانجينا موسى ومن معه اجمعين من الغرق ثم اغرقنا الاخرين فرعون
وقومه وفيه ابطال القول بتاثير الكواكب في الاجال وغيرها من الحوادث
فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوالعهم وروي ان جبريل عليه السلام
كان بين بني اسرايل وبين ال فرعون فكان يقول لبني اسرايل ليلحق

اخركم

اخركم باولكم وليستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق اخركم فلما انتهى موسى الى
البحر قال يوشع لموسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون
قال موسى ههنا فخاض يوشع الما وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي
ان موسى عليه السلام قال عند ذلك يا من كان قبل كل شي والمكون لكل
شي والكاين بعد كل شي ان في ذلك اي فيما فعلنا بموسى وفرعون لاية
لعبرة عجيبة لا توصف وما كان اكثرهم اي المصريين مومنين قالوا لم يومن
منهم الا اسية وحزبيل مومن ال فرعون ومريم التي دلت موسى على قبر
يوسف وان ربك لهو العزيز بالانتقام من اعدايه الرحيم بالانعام على اوليايه
واتل عليهم على مشركي قريش نبا ابراهيم خبره اذ قال لابيه وقومه قوم
ابراهيم او قوم الاب ما تعبدون اي شي تعبدون وابراهيم عليه السلام
يعلم انهم عبدة اصنام ولكن سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس بمستحق
للعبادة قالوا نعبد اصناما وجواب ما تعبدون اصناما كقولك ماذا
ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سوال عن المعبود لا عن
العبادة وانما زادوا نعبد في الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها وكذا
عطفوا على نعبد فنظل لها عاكفين فنقيم على عبادتها طول النهار وانما قالوا
فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل او معناه الدوام قال اي
ابراهيم هل يسمعونكم هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف فحذف
لدلالة اذ تدعون عليه او ينفعونكم ان عبدتموها او يضرون ان تركتم
عبادتها قالوا بل اضراب اي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا نعبدها لشي من
ذلك ولكن وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فقلدناهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون الاولون فانهم اي الاصنام عدو لي العدو
والصديق يجيئان في معنى الواحد والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا اعداء
لي يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال
الفرا هو من المقلوب اي فاني عدو لهم وفي قوله عدو لي دون لكم زيادة
نصح ليكون ادعى لهم الى القبول ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة
الا رب العالمين استثنا منقطع لانه لم يدخل تحت الاعدا وكانه قال
لكن رب العالمين الذي خلقني بالتكوين في القرار المكين فهو يهدين لمناهج
الدنيا ومصالح الدين والاستقبال في يهدين مع سبق الهداية بالهداية
لانه يحتمل يهديني للاهم الافضل والاتم الاكمل او الذي خلقني لاسباب
خدمته فهو يهديني الى اداب خدمته والذي هو يطعمني اضاف الاطعام
الى ولي الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام ويسقين قال
ابن عطا هو الذي يحييني بطعامه ويرويني بشرابه واذا مرضت وانما لم
يقل امرضني لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه ما يقتضي
الضر ابن عطا اذا مرضت برؤية الخلق فهو يشفين بمشاهدة الحق
الصادق اذا مرضت برؤية الافعال فهو يشفيني بكشف منة الافضال

والذي يميتني ثم يحيين ولم يقل اذا امت لانه الخروج من حبس البلا ودار الفنا
الى روض البقا بوعد اللقا وادخل ثم في الاحيا لتراخيه عن الافنا وادخل
الفا في الهداية والشفا لانهما يعقبان الخلق والمرض لا معا معا والذي اطمع
طمع العبيد في الموالي بالافضال لا في سبيل الاستحقاق بالسؤال ان يغفر لي
خطيئتي قيل هي قوله اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربي للبازغ هي اختي لسارة
وما هي الا معاريض جائزة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار
الانبيا تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة يوم
الدين يوم الجزاء رب هب لي حكما حكمة او حكما بين الناس بالحق او نبوة
لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والحقني بالصالحين اي الانبيا
ولقد اجابه حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق
في الاخرين اي ثنا حسنا وذكرا جميلا في الامم التي تجي بعدي فاعطي ذلك
فكل اهل دين يتولونه ويثنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان
القول يكون به واجعلني من يتعلق بمحذوف اي وارثا من ورثة جنة النعيم
اي من الباقين فيها واغفر لابي اجعله اهلا للمغفرة باعطا الاسلام وكان
وعده الاسلام يوم فارقه انه كان من الضالين من الكافرين ولا
تخزني لا تخزني من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحيا وهذا نحو
الاستغفار كما بينا يوم يبعثون الضمير فيه للعباد لانه معلوم او
للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه اي ولا تخزني يوم يبعث
الضالون وابي فيهم يوم لا ينفع مال هو بدل من يوم الاول ولا بنون احدا
الا من اتى الله بقلب سليم عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض
لقوله تعالى في قلوبهم مرض اي ان المال اذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون
فانه ينتفع به وبهم سليم القلب او جعل المال والبنون في معنى الغنى كانه
قيل يوم لا ينفع غنى الاغنيا من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه
بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه وقد جعل مفعولا لينفع اي
لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة
الله تعالى ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على
هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الخليل
استثنا الخليل الكرام اياه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابراهيم
اذ جاء ربه بقلب سليم وما احسن ما رتب عليه السلام كلامه مع المشركين
حيث سالهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على الهتهم
فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم اباهم الاولين
فاخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسالة في
نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شانه وعدد نعمته
من حين انشاه الى وقت وفاته مع ما يرجى في الاخرة من رحمته ثم
اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين

ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون
يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة
الاولى الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين اي قربت
عطف جملة على جملة اي تزلف من موقف السعدا فينظرون اليها
وبرزت الجحيم للغاوين للكافرين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله
هل ينصرونكم او ينتصرون يوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين الهتكم هل ينفعونكم
بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار
فكبكبوا نكسوا او طرح بعضهم على بعض فيها في الجحيم هم اي الالهة
والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل
التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب
مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها نعوذ بالله منها وجنود ابليس اجمعون
شياطينه او متبعوه من عصاة الجن والانس قالوا وهم فيها يختصمون
يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التخاصم والتقاول ويجوز ان يجري
ذلك بين العصاة والشياطين تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
نعدلكم ايها الاصنام برب العالمين في العبادة وما اضلنا الا المجرمون
اي رؤساؤهم الذين اضلوهم او ابليس وجنوده ومن سن الشرك فما لنا
من شافعين كما للمؤمنين من الانبيا والاوليا والملائكة ولا صديق حميم
كما نرى لهم اصدقا اذ لا يتصادق في الاخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم
التعادي والاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعا واصدقا لانهم كانوا يعتقدون
في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقا من شياطين الانس
والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة
بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة
الشفعا في العادة واما الصديق وهو الصادق في وداده الذي يهمه ما اهمك
فقليل وسيل حكيم عن الصديق فقال اسم لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق
الجمع فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين وجواب لو
محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت او لو في مثل هذا للتمني كانه قيل فليت لنا
كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقي ان في ذلك فيما ذكر من الانبيا لاية
لعبرة لمن اعتبر وما كان اكثرهم مؤمنين فيه ان فريقا منهم امنوا وان ربك لهو
العزيز المنتقم ممن كذب ابراهيم بنار الجحيم الرحيم المسلم كل امر سليم الى جنة
النعيم كذبت قوم نوح المرسلين القوم يذكر ويؤنث قيل ولد نوح في زمن
ادم عليهما السلام ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان
يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة او برد او كانوا ينكرون بعث
الرسل اصلا فلذا جمع ولان من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لان كل رسول
يدعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما في هذه السورة اذ قال لهم اخوهم

اي نسبا لا دينا نوح الا تتقون خالق الانام فتتركوا عبادة الاصنام
اني لكم رسول امين كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه السلام في قريش
فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به وادعوكم اليه من الحق وما اسالكم
عليه على هذا الامر من اجر ان اجري بالفتح مدني وشامي وابو عمرو
وحفص الا على رب العالمين فلذلك اريده فاتقوا الله واطيعون كرره
ليقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الاول كونه امينا
فيما بينهم وعلة الثاني حسم طمعه منهم كانه قال اذا عرفتم رسالتي وامانتي
فاتقوا الله ثم اذا عرفتم احترازي عن الاجر فاتقوا الله قالوا انؤمن لك
واتبعك الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة يعقوب واتباعك
جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال الارذلون السفلة
والدناة ولذا استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل
كانوا من اهل الصناعات الدنية والصناعة لا تزري بالديانة فالغنى غنى
الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز ان يسمى المومن رذلا وان كان افقر
الناس واوضعهم نسبا وما زالت اتباع الانبيا كذلك قال وما علمي واي
شي علمي بما كانوا يعملون من الصناعات انما اطلب منهم الايمان
وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وقالوا ان الذين امنوا بك ليس
في قلوبهم ما يظهرونه فقال وما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش
عن السرائر ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون ان الله يحاسبهم على ما في
قلوبهم وما انا بطارد المومنين اي ليس من شاني ان اتبع شهواتكم
بطرد المومنين طمعا في ايمانكم ان انا الا نذير مبين وما علي الا ان انذركم
انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم
بشانكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المقتولين
بالحجارة قال رب ان قومي كذبون ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم
الغيب اعلم ولكنه اراد انهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح بيني
وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم حكما والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم
لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات ونجني ومن
معي حفص من المومنين من عذاب عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك اي
السفينة وجمعه فلك فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد المشحون المملو
ومنه شحنة البلد اي الذي يملاه كفاية ثم اغرقنا بعد بعد انجاء نوح ومن
امن معه الباقين من قومه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز المنتقم باهانة من جحد واصر الرحيم المنعم باعانة من وحد
واقر كذبت عاد المرسلين هي قبيلة وفي الاصل اسم رجل هو ابو القبيلة اذ
قال لهم اخوهم نسبا هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله في
تكذيب الرسول الامين واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين اتبنون بكل ريع مكان مرتفع اية برج حمام او بنا يكون لارتفاعه

كالعلامة

كالعلامة يهتدون لمن مر بهم تعبثون تلعبون وتتخذون مصانع ماخذ
الماء او قصورا مشيدة او حصونا لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا
واذا بطشتم اخذتم اخذ العقوبة بطشتم جبارين قتلا بالسيف او
ضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب فاتقوا الله في البطش
واطيعون فيما ادعوكم اليه واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من النعم
ثم عددها عليهم فقال امدكم بانعام وبنين قرن البنين بالانعام لانهم
يعينونهم على حفظها والقيام عليها وجنات وعيون اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم ان عصيتموني قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
اي لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت ام سكت ولم يقل ام لم تعظ لرؤس
الاي ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت
واتخاذ الابنية الا عادة الاولين او ما هذا الذي نحن عليه الا دين الاولين
مكي وبصري ويزيد وعلي اي ما جئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبئين
قبلك كقولهم اساطير الاولين او خلقنا كخلق الاولين نموت ونحيى
وما نحن بمعذبين في الدنيا ولا بعث ولا حساب فكذبوه اي هودا فاهلكناهم
بريح صرصر عاتية ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين اتتركون اي هو انكار لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون
عنه فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم امنين من العذاب
والزوال والموت ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال
ثم تفصيل وزروع ونخل وعطف نخل على جنات مع ان الجنة تتناول النخل
اول شي تفضيلا للنخل على سائر الشجر طلعها هو ما يخرج من النخلة كنصل
السيف هضيم لين نضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون تنقبون
من الجبال بيوتا فارهين شامي وكوفي حاذقين حال وغيرهم فرهين اشرين
والفراهة الكيس والنشاط فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين
الكافرين او التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي
والمراد الامر وهو كل جملة اخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في
العقل لضرب من التاويل كقولهم انبت الربيع البقل الذين يفسدون في
الارض بالظلم والكفر ولا يصلحون بالايمان والعدل والمعنى ان فسادهم
فساد مصمت ليس معه شي من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة
ببعض الصلاح قالوا انما انت من المسحرين المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على
عقله وقيل هو من السحر الرية وانه بشر ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت
من الصادقين في دعوى الرسالة قال هذه ناقة لها شرب نصيب من
الماء فلا تزاحموها فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم هي فيه روي انهم قالوا
نريد ناقة عشرا تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر

فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت
الناقة ونتجت سقبا مثلها في العظم ومصدرها ستون ذراعا واذا كان
يوم شربها شربت ماءهم كله واذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الما وهذا
دليل على جواز المهاياة لان قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من
المهاياة ولا تمسوها بسوء بضرب او عقر او غير ذلك فياخذكم عذاب عظيم
عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب
لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها عقرها
قدار ولكنهم راضون به فاضيف اليهم روي ان عاقرها قال لا اعقرها
حتى ترضوا اجمعين وكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون
اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا
من نزول العذاب بهم لا ندم توبة او ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند
معاينة العذاب او على ترك الولد فاخذهم العذاب المتقدم ذكره ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من
العالمين اراد بالعالمين الناس اي اتطاون الذكور من الناس مع كثرة الاناث
او اتطاون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران اي انتم مختصون
بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما خلق
لكم من ازواجكم من تبيين لما خلق او تبعيض والمراد به ما خلق العضو
المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم ادبار
الزوجات والمملوكات ومن اجازه فقد اخطا خطاء عظيما بل انتم قوم
عادون العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد اي بل انتم قوم
احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم
تنته يا لوط عن انكارك علينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من
جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون
من اخرجوه على اسوء حال قال اني لعملكم من القالين هو ابلغ من ان يقول
قال فقولك فلان من العلماء ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانه
مساهم لهم في العلم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفواد والكبد
وفيه دليل على عظم المعصية لانه قلاه من حيث الدين رب نجني واهلي
مما يعملون من عقوبة عملهم فنجيناه واهله اجمعين يعني بناته ومن امن
معه الا عجوزا هي امراة لوط راضية بذلك والراضي بالمعصية في حكم
العاصي واستثناء الكافرة من الاهل وهم مومنون في الاشتراك في هذا
الاسم وان لم تشاركهم في الايمان في الغابرين صفة لها اي في الباقين
في العذاب فلم تنج منه والغابر في اللغة الباقي كانه قيل الا عجوزا
غابرة اي مقدرا غبورها اذ الغبور لم يكن صفتها وقت تجنيتهم

ثم دمرنا الآخرين والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وامطرنا عليهم مطرا
عن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وقيل لم يرض
بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة فساء فاعله مطر المنذرين والمخصوص
بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم بل المراد جنس
الكافرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذب اصحاب الايكة بالهمز والجر غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة
حجازي وشامي وكذا في ص علم لبلد قيل اصحاب الايكة هم اهل مدين
النجا والا غيضة اذا الح عليهم الوهج والاصح انهم غيرهم نزلوا غيضة
بعينها بالبادية واكثر شجرهم المقل بدليل انه لم يقل هنا اخوهم شعيب
لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب اهل مدين ففي الحديث ان شعيبا
اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا
تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اتموه ولا تكونوا
من المخسرين ولا تنقصوا حقوقهم فالكيل واف وهو مامور به وطفيف
وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتركه دليل على انه ان فعله
فقد احسن وان لم يفعل فلا عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم وبكسر القاف
كوفي غير ابي بكر وهو الميزان او القبان فان كان من القسط وهو العدل
وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي ولا تبخسوا الناس
يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه اشياءهم دراهمهم ودنانيرهم
بقطع اطرافهما ولا تعثوا في الارض مفسدين ولا تبالغوا فيها في الافساد
وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزرع وكانوا يفعلون ذلك
فنهوا عن ذلك يقال عثا في الارض اذا افسد وعثي في الارض لغة في عثا
واتقوا الذي خلقكم والجبلة الخلق عطف على كم اي واتقوا الذي خلقكم وخلق
الجبلة الاولين الماضين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال
الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية
وتركها في قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا
مثلهم وان نظنك لمن الكاذبين ان مخففة من الثقيلة فاللام دخلت
للفرق بينها وبين النافية وانما تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه
لان اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان بابا
كان وظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان
كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط علينا كسفا كسفا حفص
وهما جمعا كسفة ومعنى القطعة وكسفه قطعه من السماء من السحاب
او المظلة ان كنت من الصادقين اي ان كنت صادقا انك نبي فادع الله
ان يسقط علينا كسفا من السماء اي قطعة من السماء عقوبة قال ربي بفتح اليا
حجازي وابو عمرو وبسكونها غيرهم اعلم بما تعملون اي ان الله اعلم باعمالكم

وبما تستحقون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السما
فعل وان اراد عقابا اخر فاليه الحكم والمشيئة فاخذهم عذاب يوم الظلة
هي سحابة اظلتهم بعدما حبس عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة ايام فاجتمعوا
تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم وقد كرر في هذه السورة في اول كل قصة
واخرها ما كرر تقريرا لمعانيها في الصدور وليكون ابلغ في الوعظ والزجر ولان
كل قصة منها كتنزيل براسه فيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة
بان تفتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به وانه يعني
القران لتنزيل رب العالمين منزل منه نزل به مخففا الفاعل الروح الامين
اي جبريل لانه امين على الوحي الذي فيه الحياة حجازي وابو عمرو وزيد
وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى اي جعل الله
الروح نازلا به والبا على القرائتين للتعدية على قلبك اي حفظك وفهمك
اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى لتكون
من المنذرين بلسان عربي بلغة قريش وجرهم مبين فصيح مصحح عما صحفته
العامة والبا اما ان تتعلق بالمنذرين اي لتكون من المنذرين الذين انذروا
بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم السلام او بنزل اي نزله
بلسان عربي لتنذر به لانه لو نزله بلسان اعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا
ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي
هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك
ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف
لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته
التي نشأ عليها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام وان كلم بغيرها كان نظره اولا
في الفاظها ثم في معانيها وان كان ماهرا بمعرفتها فهذا تقرير انه نزل على
قلبه لنزوله بلسان عربي وانه وان القران لفي زبر الاولين يعني ذكره
مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وفيه دليل على ان
القران قران اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القران
بالفارسية في الصلاة اولم تكن لهم اية شامي ان جعلت اية اسم كان وخبره
ان يعلمه اي القران لوجود ذكره في التوراة وقيل في تكن ضمير القصة
واية خبر مقدم والمبتدا ان يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تامة والفاعل
اية وان يعلمه بدل منها او خبر مبتدا محذوف اي اولم يحصل لهم اية وغيره
لم يكن بالتذكير واية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وتقديره
اولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل اية علماء بني اسرائيل كعبد الله بن سلام
وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا
انا كنا من قبله مسلمين وخط في المصحف علمواء بواو وقيل الالف

ولو نزلناه على بعض الاعجمين جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وكذلك الاعجمي
الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير
لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين
والعجمي الذي من جنس العجم افصح او لم يفصح وقرا الحسن الاعجميين
وقيل الاعجمين تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون اي الاشعريون
بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤنثه
عجما فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين والمعنى انا انزلنا هذا القران
على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوه وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز
وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله
وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند
الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا
اخرى وقالوا هذا من افتراء محمد ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن
العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا معجزا لكفروا به
كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه
اي ادخلنا التكذيب او الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين
في قلوب المجرمين الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاصرار عليه يعني
مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقررناه فيها فكيف ما فعل بهم وعلى اي
وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما
قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان
هذا الا سحر مبين وهو حجة على المعتزلة في خلق افعال العباد خيرها وشرها
وموقع قوله لا يؤمنون به بالقران من قوله سلكناه في قلوب المجرمين
موقع الموضح والملخص لانه مسوق لبيانه مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع
ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد
ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به حتى يروا العذاب الاليم والمراد
معاينة العذاب عند الموت ويكون ذلك ايمان باس فلا ينفعهم فياتيهم بغتة
فجاة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا وفي اتيانهم معطوفات على يروا هل نحن
منظرون يسالون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابوا اليها افبعذابنا
يستعجلون توبيخ لهم وانكار عليهم قولهم فامطر علينا حجارة من السماء او
ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك قال يحيى ابن معاذ اشد الناس غفلة من
اغتر بحياته والتذ بمراداته وسكن الى مالوفاته والله تعالى يقول افرايت ان
متعناهم سنين قيل هي سنو مدة الدنيا ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من
العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون به في تلك السنين والمعنى ان
استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم
ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال الله تعالى افبعذابنا يستعجلون
اشرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما

يتنفعون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ
ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن
في الطواف وكان يتمنى لقاه فقال له عظني فلم يزد على تلاوة هذه الاية فقال
ميمون لقد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقرأها عند جلوسه
للحكم وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على
الجملة بعد الا كما في وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل
عدم الواو اذ الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف
ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون
تذكرة او حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة او مفعول له
اي ينذرون لاجل التذكرة والموعظة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف
بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى
او تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من قرية ظالمين
الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة
وعبرة لغيرهم فلا يعصوا امثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما
غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقي القرآن على محمد نزل
وما تنزلت به بالقرآن الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون وما يتسهل
لهم ولا يقدرون عليه انهم عن السمع عن استراقه لمعزولون لممنوعون
بالشهب فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهديد لغيره عن
التعريض وتحريك له على زيادة الاخلاص وانذر عشيرتك الاقربين خصهم
لنفي التهمة اذ الانسان يتساهل قرابته او ليعلموا انه لا يغني عنهم من الله شيئا
وان النجاة في اتباعه دون قربه ولما نزلت صعد الصفا ونادى الاقرب
فالاقرب وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس
عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك من الله شيئا واخفض جناحك
والن جانبك وتواضع واصله ان الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه
وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند
الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب لمن اتبعك من المؤمنين من عشيرتك
وغيرهم فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون يعني انذر قومك فان اتبعوك
واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم
ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على العزيز الرحيم على الذي يقهر
اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفيك شر من يعصيك منهم ومن
غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه
وضره وقالوا المتوكل من اذا دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية
الله وقال الجنيد التوكل ان تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه
فان حاجتك اليه في الدارين فتوكل حري وشامي عطف على فقل او فلا تدع
الذي يراك حين تقوم متهجدا وتقلبك اي ويرى تقلبك في الساجدين في

المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان
يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين
من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ليعلم انهم كيف يعبدون الله
ويعملون لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة
وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم لقيامه وركوعه وسجوده وقعوده
اذا امهم وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رضي الله عنه هل تجد الصلاة
بالجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه الاية انه هو السميع لما تقوله
العليم على ما تنويه وتعلمه هون عليه معاناة مشاق العبادات حيث اخبر برؤيته
له اذ لا مشقة على من يعلم انه يعمل بمرأى مولاه وهو كقوله بعيني ما يتحمل المتحملون
من اجلي ونزل جوابا لقول المشركين ان الشياطين تلقي السمع على محمد هل انبئكم
هل اخبركم ايها المشركون على من تنزل الشياطين ثم نبأ فقال تنزل على كل افاك
كذاب اثيم مرتكب للآثام وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح وطليحة ومسيلمة
ومحمد ليس بآفاك فكيف تتنزل الشياطين عليه يلقون السمع هم
الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملائكة فيخطفون
بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم
ويلقون حال اي تنزل ملقين السمع او صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع
فيكون في محل الجر او استيناف فلا يكون له محل كانه قيل لم تنزل على الافاكين
فقيل يفعلون كيت وكيت واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم
ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة
وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين ويتلقون وحيهم اليهم
او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون
يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والافاك الذي يكثر الافك
ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين
قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلهم
وانما فرق بين وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين
هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهن اخوات لانه اذا فرق بينهن
بآيات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة اخرى بعد مرة دل ذلك على
شدة العناية بهن كما اذا حدثت بحديث وفي صدرك اهتمام بشيء فتعيد
ذكره ولا تنفك عن الرجوع اليه ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول
نحن نقول كما يقول محمد واتبعهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم
والشعراء مبتدا خبره يتبعهم الغاوون اي لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم
وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب ومدح من لا يستحق المدح والهجا
ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون اي السفهاء او الراوون او الشياطين
او المشركون قال الزجاج اذا مدح او هجا شاعر على ما لا يكون واحب ذلك
قوم وتابعوه فهم الغاوون يتبعهم تابع الم تر انهم في كل واد من الكلام

يهيمون حيران اي في كل فن من الكذب يتحدثون او في كل لغو وباطل يخوضون
والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب
من القول واعتسافهم حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة وابخلهم على
حاتم عن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع من قوله
فبتن بجانبي مصرعات ٭ وبت افض اغلاق الختام
فقال قد وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم
يقولون ما لا يفعلون حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد ثم
استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك
وذكروا الله كثيرا اي كان ذكر الله وتلاوة القرآن اغلب عليهم من الشعر
واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد
والادب ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة
ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال ابو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد
والغفلة لكنه بالحضور وانتصروا وهجوا من بعد ما ظلموا هجوا اي ردوا
هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهجاه وعن كعب
بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده
لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم
السورة بما يقطع به اكباد المتدبرين وهو قوله وسيعلم وما فيه من
الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون
وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان
السلف يتواعظون بها قال ابن عطا سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منا
واي منصوب بينقلبون على المصدر لا بسيعلم لان اسماء الاستفهام
لا يعمل فيها ما قبلها اي ينقلبون اي انقلاب والله اعلم بالصواب

سورة النمل ثلاث وتسعون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك ايات القرآن وكتاب مبين اي وايات كتاب مبين
وتلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اللوح وابانته انه قد خط
فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة او القرآن وابانته
انه يبين ما اودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن
كعطف احدى الصفتين على الاخرى نحو هذا فعل السخي والجواد ونكر
الكتاب ليكون افخم له وقيل انما نكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف
القرآن هنا ونكره ثم لان القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ
التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف هدى وبشرى في
محل النصب على الحال من ايات اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك
من معنى الاشارة او الجر على انه بدل من كتاب او صفة له او الرفع على هي

هدى

هدى وبشرى وعلى البدل من ايات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر لتلك اي تلك
ايات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى
للمؤمنين خاصة الذين يقيمون الصلاة يدومون على فرائضها وسننها
ويؤتون الزكاة يؤدون زكاة اموالهم وهم بالاخرة هم يوقنون من جملة
صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده وهو استيناف كانه قيل وهؤلاء
الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم
الموقنون بالاخرة ويدل على انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذي هو
هم حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين
الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا
يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم بخلق الشهوات فيهم حتى رأوا ذلك
حسنا كما قال افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فهم يعمهون يترددون
في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق اولئك الذين لهم سوء العذاب القتل
والاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الاعمال وهم في الاخرة هم الاخسرون اشد
الناس خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك
مع خسران النجاة وثواب الله وانك لتلقى القرآن وانك لتؤتاه وتلقنه
من لدن حكيم عليم من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الاية
بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من
لطائف حكمته ودقائق علمه اذ منصوب باذكر كانه قال اثر ذلك خذ من
اثار حكمته وعلمه قصة موسى قال موسى لاهله لزوجته ومن معه عند مسيره
من مدين الى مصر اني انست نارا ابصرت نارا سآتيكم منها بخبر عن حال الطريق
لانه كان قد اضله او اتيكم بشهاب بالتنوين كوفي اي شعلة مضيئة قبس نار
مقبوسة بدل او صفة وغيرهم بشهاب قبس على الاضافة لانه يكون قبسا
وغير قبس ولا تدافع بين قوله سآتيكم هنا ولعلي اتيكم في القصص مع ان احدهما
ترج والاخر تيقن لان الراجي اذا قوي رجاؤه يقول سافعل كذا وسيكون
كذا مع تجويزه الخيبة وجيء بسين التسويف عدة لاهله انه ياتيهم به وان
ابطأ او كانت المسافة بعيدة وباو لانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه
جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ولم يدر انه
ظافر على النار بحاجتيه الكليتين وهما عز الدنيا والاخرة واختلاف الالفاظ
في هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى
وجواز الصلاة بالفارسية وجواز النكاح بغير لفظ النكاح والتزويج لعلكم
تصطلون تستدفئون بالنار من البرد الذي اصابكم والطاء بدل من تاء
افتعل لاجل الصاد فلما جاءها اي النار التي ابصرها نودي موسى ان بورك
مخففة من الثقيلة وتقديره نودي موسى بانه بورك والضمير ضمير الشأن
وجاز ذلك من غير عوض وان منعه الزمخشري لان قوله بورك دعاء والدعاء
يخالف غيره في احكام كثيرة او مفسرة لان في النداء معنى القول اي قيل له

بورك اي قدس او جعل فيه البركة والخير من في النار ومن حولها اي بورك
من في مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها اي موسى لحدوث امر
ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه
وسبحان الله رب العالمين هو من جملة ما نودي فقد نزه ذاته عما لا يليق به
من التشبيه وغيره يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم الضمير في انه للشأن
والشأن انا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر او يرجع الى ما دل
عليه ما قبله اي ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين
وهو تمهيد لما اراد ان يظهر على يده من المعجزات والق عصاك لتعلم معجزتك
فتأنس بها وهو عطف على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار
وان الق عصاك وكلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل
له الق عصاك ويدل عليه ما ذكر في سورة القصص وان الق عصاك بعد قوله
ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير فلما رآها تهتز تتحرك حال
من الهاء في رآها كأنها جان حية صغيرة حال من الضمير في تهتز ولى موسى
مدبرا اي ادبر عنها وجعلها تلي ظهره خوفا من وثوب الحية عليه ولم يعقب
لم يلتفت او لم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودي
يا موسى لا تخف انه لا يخاف لدي المرسلون اي لا يخاف عندي المرسلون حال
خطابي اياهم او لا يخاف لدي المرسلون من غيري الا من ظلم اي لكن من ظلم
من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون او لكن من ظلم منهم اي من زل من المرسلين
فجاء منه غير ما اذنت له مما يجوز على الانبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان
عليهم السلام ثم بدل حسنا اي اتبع توبة بعد سوء زلة فاني غفور رحيم اقبل
توبته واغفر زلته وارحمه فاحقق امنيته وكانه تعريض بما قال موسى
حين قتل القبطي رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك
جيب قميصك واخرجها تخرج بيضاء نيرة تغلب نور الشمس من غير سوء برص
وبيضاء من غير سوء حالان في تسع آيات كلام مستأنف وفي يتعلق بمحذوف
اي اذهب في تسع آيات او والق عصاك وادخل يدك في جملة تسع آيات
الى فرعون وقومه الى يتعلق بمحذوف اي مرسلا الى فرعون انهم كانوا قوما فاسقين
خارجين عن امر الله كافرين فلما جاءتهم آياتنا معجزاتنا مبصرة حال اي ظاهرة
بينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لملابستهم اياها بالنظر والتفكر
فيها وجعلت كأنها تبصر وتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي
غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وعوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي
قالوا هذا سحر مبين ظاهر لمن تأمله وقد قوبل بين المبصرة والمبين وجحدوا بها قيل
الجحود لا يكون الا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لان الجحود هو الانكار
وقد يكون الانكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا في شرح التأويلات
وذكر في الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى والواو في واستيقنتها للحال وقد
بعدها مضمرة والاستيقان ابلغ من الايقان انفسهم اي جحدوها بألسنتهم

واستيقنوها

واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم ظلما حال من الضمير في جحدوا واي ظلم افحش
من ظلم من استيقن انها آيات من عند الله ثم سماها سحرا بينا وعلوا تكبرا
وترفعا عن الايمان بما جاء به موسى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو
الاغراق هنا والاحراق ثمة ولقد آتينا اعطينا داود وسليمان علما طائفة
من العلم او علما سنيا غزيرا والمراد علم الدين والحكم وقالا الحمد لله الذي فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين والآية حجة لنا على المعتزلة في ترك الاصلح وهنا
محذوف ليصح عطف الواو عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء
كقولك اعطيته فشكر وتقديره آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق
النعمة فيه وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير والكثير المفضل عليه من
لم يؤت علما او من يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير
وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل
النعم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباده وما سماهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم
القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة ان يحمدوا
الله على ما اوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل الله عليه
مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث
سليمان داود ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر
قالوا وفي النبوة مثل ابيه فكانه ورثه والا فالنبوة لا تورث وقال يا ايها
الناس علمنا منطق الطير تشهيرا لنعمة الله واعترافا بمكانها ودعاء للناس
الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به
من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها
كما يفهم بعضها عن بعض روي انه صاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت
ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد
فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول
قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء
سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأ
يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والديك يقول
اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت
والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي
القدوس واوتينا من كل شيء المراد به كثرة ما اوتي كما تقول فلان يعلم كل شيء
ومثله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على
سبيل الشكر كقوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا
القول شكرا ولا اقوله فخرا والنون في علمنا واوتينا نون الواحد المطاع
وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على الحالة التي كان عليها وليس
التكبر من لوازم ذلك وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير

روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاث مائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشيا طين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير مسيرة شهر ويروي انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخا تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السما والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشي الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الي الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي ال داود **فهم يوزعون** يحبس اولهم على اخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران **حتى اذا اتوا على وادي النمل** اي ساروا حتى اذا بلغوا وادي النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدي بعلى لان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلا **قالت نملة** عرجا تسمى طاخية او منذرة عن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فساله ابو حنيفة رضي الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فافحم فقال ابو حنيفة رضي الله عنه كانت انثى فقيل له بم عرفت فقال بقوله تعالى قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك لان النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي **يايها النمل ادخلوا مساكنكم** ولم يقل ادخلن لانه لما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجري خطابهم مجرى خطابهم **لا يحطمنكم** لا يكسرنكم والحطم الكسر وهو نهي مستانف وهو في الظاهر نهي لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهي لهن عن البروز والوقوف على طريقه نحو لا ارينك ههنا اي لا تحضر هذا الموضع وقيل هو جواب للامر وهو متعيف يدفعه نون التاكيد لانه من ضرورات الشعر **سليمان وجنوده** قيل اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجا بما هو ابلغ **وهم لا يشعرون** لا يعلمون بمكانكم اي لو شعروا لم يفعلوا قالت ذلك على وجه العذر واعلمت سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة اميال **فتبسم ضاحكا من قولها** متعجبا من حذرها واهتدايها لمصالحها ونصيحتها للنمل او فرحا لظهور عدله وضاحكا حال موكدة لان تبسم بمعنى ضحك واكثر ضحك الانبيا التبسم كذا قاله الزجاج **وقال رب اوزعني** الهمني وحقيقته كفني

عن الاشيا الا عن شكر نعمتك **ان اشكر نعمتك التي انعمت علي** من النبوة والملك والعلم **وعلى والدي** لان الانعام على الوالدين انعام على الولد **وان اعمل صالحا ترضاه** في بقية عمري **وادخلني برحمتك** اي ادخلني الجنة برحمتك لا بصالح عملي اذ لا يدخل الجنة احد الا برحمته كما جا في الحديث **في عبادك الصالحين** اي في زمرة انبيائك المرسلين او مع عبادك الصالحين روي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهوا فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة **وتفقد الطير فقال مالي** مكي وعلي وعاصم وغيرهم بسكون اليا والتفقد طلب ما غاب عنك **لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين** ام بمعنى بل والمعنى انه تفقد الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما حج خرج الى اليمن فوافا صنعا وقت الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الما وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الما من تحت الارض كما يرى الما في الزجاجة فتستخرج الشياطين الما فتفقده لذلك وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله فلم يجد عنده علمه فقال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله فتركته فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان وعفى عنه **لاعذبنه عذابا شديدا** بنتف ريشه والقايه في الشمس او بالتفريق بينه وبين الفه او بالزامه خدمة اقرانه او بالحبس مع اضداده وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد او بايداعه القفص او بطرحه بين يدي النمل لياكلنه وحل له تعذيب الهدهد لما راى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهايم والطير للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم التسخير الا بالتاديب حل له التاديب والسياسة **او لاذبحنه او لياتيني** بالنون الثقيلة ليشاكل قوله لاعذبنه ولاذبحنه وحذف نون العماد للتخفيف لياتينني بنونين مكي الاولى للتاكيد والثانية للعماد **بسلطان مبين** بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته والاشكال انه حلف على احد ثلاثة اشيا اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد وهو مشكل من اين دري انه ياتي بسلطان حتى قال والله لياتيني بسلطان والجواب ان معنى كلامه ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن احدهما وليس في هذا ادعا دراية **فمكث** الهدهد بعد تفقد سليمان اياه وبفتح الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب وهما لغتان **غير بعيد** اي مكثا غير طويل او غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان عليه السلام فلما رجع ساله عما لقي **فقال احطت** علمت شيا من جميع جهاته **بما لم تحط به** الهم الله تعالى الهدهد فكافح سليمان

بهذا الكلام مع ما اوتي من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه وتنبيه دليل
بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شي ولا يكون في زمانه احد اعلم
منه وجئتك من سبا غير منصرف ابو عمرو جعله اسما للقبيلة او المدينة وغيره
بالتنوين جعله اسما للحي او للاب الاكبر بنبا يقين والنبا الخبر الذي له شان
وقوله من سبا بنبا من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا
ومعنى ههنا الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جا
اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امراة هي
بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت
على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم
راجع الى سبا على انه قبيل القوم او اهل المدينة واوتيت حال وقد مقدرة
من كل شي من اسباب الدنيا ما يليق بحالها ولها عرش سرير عظيم كبير
قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا وطوله في الهواء ثمانون ذراعا وكان
من ذهب وفضة وكان مرصعا بانواع الجواهر وقوائمه من ياقوت احمر واخضر
ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستصغر حالها
الى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقد اخفى الله تعالى على سليمان ذلك
لمصلحة راها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب وجدتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اي سبيل التوحيد
فهم لا يهتدون الى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدي الى معرفة الله ووجوب
السجود له وحرمة السجود للشمس الهاما من الله له كما الهمه وغيره من الطيور
وساير الحيوانات المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلا الرجاح العقول يهتدون
لها الا يسجدوا بالتشديد اي فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار
مع ان وادغمت النون في اللام ويجوز ان يكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم
لا يهتدون الى ان يسجدوا وبالتخفيف يزيد وعلي وتقديره الا يا هولا اسجدوا
فالا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف فمن شدد لم يقف الا على العرش
العظيم ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء الا يسجدوا او وقف
على الا يا ثم ابتدا اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا
بخلاف ما يقوله الزجاج انه لا يجب السجود مع التشديد لان مواضع السجدة
اما امر بها او مدح للاتي بها او ذم للتارك لها واحدى القراءتين امر والاخرى
ذم للتارك لله الذي يخرج الخبء سمي المخبوء بالمصدر في السموات والارض قتادة
خبء السموات المطر وخبء الارض النبات ويعلم ما يخفون وما يعلنون وبالتاء
فيهما على وحفص الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وصف الهدهد وصف الله بالعظم
تعظيم له بالنسبة الى ساير ما خلق الله من السموات والارض ووصف عرش
بلقيس تعظيم له بالاضافة الى عروش ابنا جنسها من الملوك الى هنا كلام
الهدهد فلما فرغ من كلامه قال سليمان للهدهد سننظر من النظر الذي
هو التامل فيما اخبرت اصدقت ام كنت من الكاذبين وهذا ابلغ من ام كذبت

لانه

لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان
كاذبا اتهم فيما اخبر به فلا يوثق به ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبد الله
سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على
من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وطبعه بالمسك
وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه بسكون الها تخفيفا
ابو عمرو وعاصم وحمزة ويختلسها كسرا لنقل الكسرة على اليا المحذوفة
يزيد وقالون ويعقوب فالقيه باثبات اليا غيرهم اليهم الى بلقيس وقومها
لانه ذكرهم في قوله وجدتها وقومها يسجدون وبنى الخطاب في الكتاب
على لفظ الجمع لذلك ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا
يرونك ليكون ما يقولونه بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون ما الذي يردونه
من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب
على نحرها وهي راقدة وتوارى في الكوة فانتبهت فزعة او اتاها والجنود
حولها فرفرف ساعة فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارية فلما رات
الخاتم قالت لقومها خاضعة خائفة يا ايها الملا اني وبفتح اليا مدني
القي الي كتاب كريم حسن مضمونه وما فيه او مختوم قال عليه السلام كرم
الكتاب ختمه وقيل من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به او مصدر
ببسم الله الرحمن الرحيم او لانه من عند ملك كريم انه من سليمان وانه
بسم الله الرحمن الرحيم هو تبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب
كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وان في
ان لا تعلوا لا تترفعوا علي ولا تتكبروا كما يفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق
الملا منهم ان امشوا بمعنى اي امشوا واتوني مسلمين مومنين او منقادين
وكتب الانبيا عليهم السلام مبنية على الايجاز والاختصار قالت يا ايها الملا
افتوني في امري اشيروا علي في الامر الذي نزل بي والفتوى الجواب في الحادثة
اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى في السن والمراد هنا الاشارة
عليها بما عندهم من الراي وقصدها بالرجوع الى استشارتهم تطييب نفوسهم
ليمالئوها ويقوموا معها ما كنت قاطعة امرا فاصلة او ممضية حكما حتى
تشهدون بكسر النون والفتح لحن لان النون انما تفتح في موضع الرفع وهذا
موضع النصب واصله تشهدونني فحذفت النون الاولى للنصب واليا
لدلالة الكسرة عليها وباليا في الوصل والوقف يعقوب اي تحضروني
او تشيروا علي وتشهد وانه صواب اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان
اهل مشورتها ثلاث ماية وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة الاف
قالوا مجيبين لها نحن اولوا قوة واولوا باس شديد اراد بالقوة قوة الاجساد
والالات وبالباس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك فانظري ماذا تامرين
اي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم
اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة

وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رايك فلما احست منهم الميل
الى المحاربة مالت الى المصالحة ورتبت الجواب ترتيبا اولا ما ذكروه
وازيفهم الخطا فيه حيث قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا
افسدوها خربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اذلوا اعزتها واهانوا اشرافها
وقتلوا واسروا فذكرت لهم سوء مغبة الحرب ثم قالت وكذلك يفعلون
ارادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك
القديم فسمعت نحو ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما
رات من الراي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها ذكره الساعي في الارض
بالفساد بهذه الاية ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقران على
وجه التحريف فقد جمع بين كفرين واني مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا
بهدية فناظرة فمنتظرة بم اي بما الا ان الالف تحذف مع حرف الجر في ما
الاستفهامية يرجع المرسلون بقبولها ام بردها لانها عرفت عادة الملوك
وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان كان نبيا ردها
ولم يرض منا الا ان نتبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب
الجواري وحليهن راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج
بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان
والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة
عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وامرت عليهم المنذر بن عمرو
بدليل قوله بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه
ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها
وانقب الدرة ثقبا مستويا واسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر
ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وان رايته بشا لطيفا
فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان الخبر كله فامر سليمان الجن فضربوا لبنات
الذهب والفضة وفرشها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول
الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر
فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبنات وامر باولاد الجن وهم خلق
كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه
واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع
والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم وراوا الدواب تروث على اللبن رموا
بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه
كتاب الملكة فنظر فيه فقال اين الحقة فامر الارضة فاخذت شعرة
ونفذت في الدرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها ودعا بالماء
وكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها
والغلام كما ياخذ يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم
فلما جاء رسولها المنذر بن عمرو سليمان قال اتمدونن بمال بنونين

وانبات

واثبات اليا في الوصل والوقف مكي وسهل وافق مدني وابو عمرو في الوصل
اتمدوني حمزة ويعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلا يا فيهما والخطاب
للرسل فما اتاني الله من النبوة والملك والنعمة وبفتح اليا مدني وابو عمرو
وحفص خير مما اتاكم من زخارف الدنيا بل انتم بهديتكم تفرحون الهدية
اسم المهدي كما ان العطية اسم المعطي فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول
هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمعنى ان ما عندي
خير مما عندكم وذلك ان الله تعالى اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر
والغنى الاوسع واتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان
يمد بمال بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون
بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما
ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية والفرق بين
قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفا انه اذا قلته
بالواو وجعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى وهو مع ذلك يمدني
بالمال واذا قلته بالفا فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة
بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني
عنه وعليه ورد فما اتاني الله خير مما اتاكم ووجه الاضراب انه لما انكر عليهم
الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو
انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون
غيرها ارجع خطاب للرسول او للهدهد محملا كتابا اخر اليهم الى بلقيس
وقومها فلناتينهم بجنود لا قبل لا طاقة لهم بها وحقيقته القبل المقاومة والمقابلة
اي لا يقدرون ان يقابلوهم ولنخرجنهم منها من سبا اذلة وهم صاغرون الذل ان
يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد
فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبي وما لنا به طاقة
ثم جعلت عرشها في اخر سبعة ابيات وغلقت الابواب ووكلت به حراسا
يحفظونه وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك لانظر ما الذي تدعوا اليه وشخصت
اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف فلما بلغت على راس فرسخ من سليمان
قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين اراد ان يريها
بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء العجايب على يده مع اطلاعها على
عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان او اراد ان ياخذه قبل ان تسلم
لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وهذا بعيد عند اهل التحقيق او
اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها قال
عفريت من الجن وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان انا اتيك به قبل ان تقوم
من مقامك مجلس حكمك وقضائك واني عليه على حمله لقوي امين اتي به
كما هو لا اختزل منه شيا ولا ابدله فقال سليمان عليه السلام اريد اعجل من
هذا قال الذي عنده علم من الكتاب اي ملك بيده كتاب المقادير ارسله

الله تعالى عند قول العفريت او جبريل عليه السلام او الكاتب على هذا
اللوح المحفوظ او الخضر او اصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الاصح وعليه
الجمهور وكان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب وهو يا حي
يا قيوم او يا ذا الجلال والاكرام او يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله
الا انت وقيل كان له علم بمجاري الغيوب الهاما انا اتيك به بالعرش
واتيك في الموضعين يجوز ان يكون فعلا او اسم فاعل ومعنى قوله قبل ان
يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت
العرش بين يديك ويروى ان اصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك
حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن فدعا اصف فغار العرش
في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل ان يرتد اليه طرفه
فلما راه اي العرش مستقرا عنده ثابتا لديه غير مضطرب قال هذا
اي حصول مرادي وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف من فضل
ربي علي واحسانه الي بلا استحقاق مني بل هو فضل خال عن العوض
صاف عن الغرض ليبلوني ااشكر لمنعمي الشكر انعامه ام اكفر ومن شكر
فانما يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن
سمة الكفران ويستجلب به المزيد وترتبط به النعمة فالشكر قيد النعمة
الموجودة وصيد النعمة المفقودة وفي كلام بعضهم ان كفران النعمة بوار
وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم
راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم
ترج لله وقارا اي لم تشكر لله نعمة ومن كفر بترك الشكر على النعمة فان
ربي غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطي ما كان منا
من الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو علينا وله المنة والفضل علينا
قال نكروا لها عرشها غيروا اي اجعلوا مقدمه موخره واعلاه اسفله ننظر
بالجزم على الجواب اتهتدي الى معرفة عرشها او للجواب الصواب اذا سئلت
عنه ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت بلقيس قيل اهكذا عرشك
ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم الاشارة ولم تقل اهذا عرشك ولكن
امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كانه هو فاجابت احسن جواب
فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل
للامرين او لما شبهوا عليها بقولهم اهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كانه
هو مع انها علمت عرشها واوتينا العلم من قبلها من كلام بلقيس اي واوتينا
العلم بقدرة الله تعالى وبصحة نبوتك بالايات المتقدمة من امر الهدهد
والرسل من قبل هذه المعجزة اي احضار العرش او من قبل هذه الحالة وكنا
مسلمين منقادين لك مطيعين لامرك او من كلام سليمان وملائه عطفوا
على كلامها قولهم واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها
او واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين موحدين

خاضعين

خاضعين وصدها ما كانت تعبد من دون الله متصل بكلام سليمان اي
وصدها عن العلم بما علمناه او عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس
ونشوها بين ظهراني الكفرة ثم بين نشوها بين الكفرة بقوله انها
كانت من قوم كافرين اي كلام مبتدا اي قال الله وصدها قبل
ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل او وصدها الله او سليمان
عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل قيل لها ادخلي الصرح
القصر او صحن الدار فلما راته حسبته لجة ماء عظيما وكشفت عن ساقيها
سأقيها بالهمز مكي وروي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني
له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري تحته الماء والقي فيه السمك وغيره
ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما
فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وقيل ان الجن كرهوا
ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان
يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان
الى ملك اشد منه فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها
ورجلها فكشفت عنها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء
وصرف بصره قال انه صرح ممرد مملس مستو ومنه الامرد من قوارير من
الزجاج واراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت له الشياطين النورة فازالته
فنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم
عندها ثلاثة ايام وولدت له قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة الشمس واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين قال المحققون لا يحتمل ان يحتال سليمان لينظر
الى ساقيها وهي اجنبية فلا يصلح القول لمثله ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب
صالحا بدل ان اعبدوا الله بكسر النون في الوصل عاصم وحمزة وبصري وبضم النون
غيرهم اتباعا للباء والمعنى بان اعبدوا الله اي وحدوه فاذا للمفاجاة هم مبتدا
فريقان خبر يختصمون صفة وهي العامل في اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان
مومن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مبين في قوله تعالى
قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مومنون قال الذين استكبروا
انا بالذي امنتم به كافرون وقال الفريق الكافر يا صالح ائتنا بما تعدنا ان
كنت من المرسلين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعذاب الذي توعدون
به قبل الحسنة قبل التوبة لولا هلا تستغفرون الله تطلبون المغفرة من كفركم
بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم لعلكم ترحمون بالاجابة قالوا اطيرنا بك
تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا
وقرئ به فادغمت التاء في الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء وبمن معك من
المومنين قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله

وهو قدره وقسمته او عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم
وفتنة ومنه وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واصله ان المسافر
اذا مر بطائر يزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا
الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته
او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة **بل انتم قوم تفتنون**
تختبرون او تعذبون بذنبكم **وكان في المدينة** مدينة ثمود وهي الحجر
تسعة رهط وهو جمع لا واحد له فلذا جاز تمييز التسعة به فكانه قيل
تسعة انفس وهو من الثلاثة الى العشرة عن ابن زيد وراسهم قدار
بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا ابناء اشرافهم **يفسدون**
في الارض ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء
من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن
يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطا يتبعون معايب
الناس ولا يسترون عوراتهم **قالوا تقاسموا بالله** تحالفوا خبر في محل الحال
باضمار قد اي قالوا متقاسمين او امر اي امر بعضهم بعضا بالقسم **لنبيتنه**
بالنون وضم التاء الثانية لنقتلنه بياتا اي ليلا **واهله** ولده وتبعه **ثم لنقولن**
لوليه لولي دمه لتبيتنه بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم
اللام حمزة وعلي **ما شهدنا** ما حضرنا **مهلك اهله** حفص مهلك ابو بكر وحماد
والمفضل من هلك فالاول موضع الهلاك والثاني المصدر مهلك غيرهم
من اهلك وهو الاهلاك او مكان الاهلاك اي لم نتعرض لاهله فكيف تعرضنا
له او ما حضرنا موضع هلاكه فكيف توليناه **وانا لصادقون** فيما ذكرناه **ومكروا**
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك
بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على
سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح في الحجر شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح
انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب
وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة
من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم
اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا
ومن معه **فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم** بفتح الالف كوفي ويعقوب وسهل
وكسرها غيرهم على الاستيناف ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة او خبر
مبتدا محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي
كان عاقبة مكرهم الدمار **وقومهم اجمعين** بالصيحة **فتلك بيوتهم خاوية** ساقطة
منهدمة من خوى النجم اذا سقط او خالية من الخوى وهي حال عمل فيها ما دل
عليه تلك **بما ظلموا** بظلمهم **ان في ذلك** فيما فعل بثمود **لاية لقوم يعلمون** قدرتنا
فيتعظون **وانجينا الذين امنوا** بصالح **وكانوا يتقون** ترك اوامره وكانوا اربعة
الاف فخرج بهم صالح من العذاب **ولوطا اذ قال** اي واذكر لوطا اذ بدل من لوطا

اي

اي واذكر وقت قول لوط **لقومه اتاتون الفاحشة** اي اتيان الذكور **وانتم تبصرون**
تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر القلب او يرى ذلك بعضهم من بعض
لانهم كانوا يرتكبونها في ناديهم معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة
وانهماكا في المعصية او تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال
ائنكم بهمزتين كوفي وشامي **لتاتون الرجال شهوة** للشهوة **من دون النساء**
اي ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى
فهي مضادة لله تعالى في حكمته **بل انتم قوم تجهلون** تفعلون فعل الجاهلين
بانها فاحشة مع علمكم بذلك او اريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها
وقد اجتمع الخطاب والغيبة في قوله بل انتم قوم تجهلون وبل انتم قوم تفتنون
فغلب الخطاب على الغيبة لانه اقوى اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط اي لوطا ومتبعيه خبر كان جواب
واسمه ان قالوا **من قريتكم انهم اناس يتطهرون** يتنزهون عن القاذورات
فينكرون هذا العمل القذر الواقع بالقوم **فانجيناه واهله الا امراته قدرناها** بالتشديد
سوى حماد وابي بكر اي قدرنا كونها **من الغابرين** من الباقين في العذاب **وامطرنا**
عليهم مطرا حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها **فساء مطر المنذرين** الذين لم
يقبلوا الانذار **قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى** امر رسوله محمدا عليه السلام
بتحميده ثم بالسلام على المصطفين من عباده توطية لما يتلوه من الدلالة على
وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم لكل متكلم في امر ذي بال بان يتبرك بهما
ويستظهر بمكانهما او هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار
قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم **الله خير**
اما يشركون بالياء بصري وعاصم ولا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين
من هو خالق كل شيء وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا عبادة
الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من
زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما اثروه وانما لم يؤثروه لزيادة
الخير ولكن هوى لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب
ان يكون للخير الزائد وكان عليه السلام اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل
واكرم ثم عدد سبحانه الخير والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله فقال **امن خلق**
السموات والارض والفرق بين ام وام في اما يشركون وامن خلق ان تلك
متصلة اذ المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال الله خير ام
الالهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق
العالم خير من جماد لا يقدر على شيء **وانزل لكم من السماء ماء** مطرا **فانبتنا** صرف
الكلام عن الغيبة الى التكلم تاكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وايذانا بان انبات
الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد
لا يقدر عليه الا هو وحده **به** بالماء **حدائق** بساتين والحديقة البستان وعليه
حائط من الاحداق وهو الاحاطة **ذات** ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق

كما تقول النساء هيت. بهجة حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص
بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك
محال من غيره االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له بل هم قوم يعدلون به
غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطية
رايهم امن جعل الارض وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا
دحاها وسواها للاستقرار عليها وجعل خلالها ظرف اي وسطها وهو المفعول
الثاني والاول انهارا وبين الجريين مثله وجعل لها للارض رواسي جبالا
ثوابت تمنعها من الحركة وجعل بين البحرين العذب والملح حاجزا مانعا ان
يختلطا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون التوحيد فلا يؤمنون امن يجيب المضطر اذا دعاه
الاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى اللجا يقال اضطره الى كذا
والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل
الدهر الى اللجا والتضرع الى الله او المذنب والمستغفر او المظلوم اذا دعا او من رفع
يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو على خطر ويكشف السوء الضر
او الجور ويجعلكم خلفاء الارض اي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد
قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط االه مع الله قليلا ما تذكرون وبالياء
ابو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلي وحفص وما مزيدة اي تذكرون تذكرا قليلا امن
يهديكم يرشدكم بالنجوم في ظلمات البر والبحر ليلا وبعلامات في الارض نهارا ومن
يرسل الرياح الريح مكي وحمزة وعلي بشرا من البشارة وقد مر بين يدي رحمته
قدام المطر االه مع الله تعالى الله عما يشركون امن يبدؤا الخلق ينشئ الخلق ثم يعيده
وانما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للاعادة لانه ازيحت عللهم بالتمكين
من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار ومن يرزقكم من السما المطر
والارض اي ومن الارض النبات االه مع الله قل هاتوا برهانكم حجتكم على اشراككم
ان كنتم صادقين في دعواكم ان مع الله الها اخر قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله من فاعل يعلم والغيب وهو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه
مخلوق مفعول والله بدل من من والمعنى لا يعلم احد الغيب الا الله ثم ان الله تعالى
يتعالى عن ان يكون ممن في السموات والارض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث
يجرون الاستثنا المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في
المتصل ويقولون ما في الدار احد الا حمار قالت عايشة رضي الله عنها من زعم انه
يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشركين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وقت الساعة وما يشعرون وما يعلمون ايان متى يبعثون ينشرون بل
ادارك مكي وبصري ويزيد والمفضل اي انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة تكاملت
نضجا بل ادرك عن الاعشى افتعل بل اادرك غيرهم اي استحكم واصله تدارك
فادغمت التاء في الدال وزيد الف الوصل ليمكن التكلم بها علمهم في الاخرة اي في
شان الاخرة ومعناها والمعنى ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة

كائنة

كائنة لا ريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك
قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم
وتكرير لجهلهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون
بان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة
مستطاعة ثم بما هو اسوا حالا وهو العمى وقد جعل الاخرة مبدا عماهم
ومنشاه فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزا هو الذي منعهم
عن التدبر والتفكر ووجه ملائمة مضمون هذه الاية وهو وصف المشركين
بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله
وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشي منه انه لما
ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب كان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم
وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه هو انهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه
وهو وقت جزاء اعمالهم لا تكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه
واستحكام العلم به وجاز ان يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما
بهم كما تقول لا جهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزو وذلك حيث شكوا
وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت
كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني
من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها
الحسن باضمحل علمهم في الاخرة وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا
في الهلاك وقال الذين كفروا ايذا كنا ترابا وابا وانا اينا لمخرجون من
قبورنا احيا، وتكرير حرف الاستفهام في اذا وان في قراءة عاصم وحمزة
وخلف انكار بعد انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر موكد بالغ فيه
والعامل في اذا ما دل عليه لمخرجون وهو نخرج لان اسم الفاعل او المفعول
بعد همزة الاستفهام او ان او لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن
والضمير في انا لهم ولابايهم لان كونهم ترابا قد تناولهم واباهم لكنه غلبت
الحكاية على الغايب واباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول جرى مجرى
التوكيد لقد وعدنا هذا اي البعث نحن واباؤنا من قبل من قبل محمد صلى الله
عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن واباؤنا وفي المؤمنون قدم نحن واباؤنا
على هذا ليدل على ان المقصود بالذكر هو البعث هنا وثم المبعوث ان هذا الا
اساطير الاولين ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم قل سيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المجرمين يعني اي اخر امر الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف
بالمسلمين بترك الجرايم كقوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطاياهم
اغرقوا ولا تحزن عليهم لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا ولا تكن
في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك فان الله
يعصمك من الناس يقال ضاق الشي ضيقا بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير
وبالكسر وهو قراءته ويقولون متى هذا الوعد اي وعد العذاب ان كنتم

صادقين ان العذاب نازل بالمكذب قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي
تستعجلون) ستعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردف لكم
بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم
او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم
ولعل وعسى وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده فعلى
ذلك جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل اي افضال على الناس بترك
المعاجلة بالعذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون اي اكثرهم لا يعرفون حق النعمة
ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم وان ربك ليعلم ما تكن تخفي صدورهم
وما يعلنون يظهرون من القول وليس تاخير العذاب عنهم لخفاء حالهم
ولكن له وقت مقدر او انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن
يقال كننت الشيء اذا سترته واخفيته وما من غائبة في السماء والارض الا في
كتاب مبين سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية والتاء فيهما
كالتاء في العافية والعاقبة ونظائرهما الرمية والنطيحة والذبيحة في انها
اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية كانه
قال وما من شيء شديد الغيبوبة الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح
المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القران يقص
على بني اسرائيل اي يبين لهم اكثر الذي هم فيه يختلفون فانهم اختلفوا في المسيح
فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا
وقد نزل القران ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد
اليهود والنصارى وانه اي القران لهدى ورحمة للمؤمنين لمن انصف منهم
وامن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم ان ربك يقضي بينهم بين من امن
بالقران ومن كفر به بحكمه اي بعدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به
حكما او بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم
بمن يقضي له وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل
بينهم وبين المحقين فتوكل على الله امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء
الدين انك على الحق المبين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح الذي
لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق على الله وبنصرته
انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس
وبالصم الذي ينعق بهم فلا يسمعون وبالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان
ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل ثم اكد حال الاصم بقوله
اذا ولوا مدبرين لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك
صوته ولا يسمع الصم مكي وكذا في الروم وما انت تهدي العمي وكذا في الروم حمزة
ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون

باياتنا

باياتنا اي يصدقون بها فهم مسلمون مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعني
جعله سالما لله خالصا له واذا وقع القول عليهم سمي معنى القول ومؤداه بالقول
وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة
الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم
هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
ولها اربعة قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها راس ثور وعين خنزير
واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب
كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم
بالعربية فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اي لا يوقنون
بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين او تكلمهم
ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام او بان هذا مؤمن وهذا كافر وفتح
ان كوفي وسهل على حذف الجار اي تكلمهم بان وعن غيرهم كسر ان لان الكلام بمعنى
القول او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك ويكون المعنى باياتنا ربنا
او هي حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال ويوم نحشر
من كل امة فوجا من للتبعيض اي واذكر يوم نجمع من كل امة من الامم زمرة
ممن يكذب من للتبيين باياتنا المنزلة على انبيائنا فهم يوزعون يحبس
اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا حين يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن
كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة حتى اذا جاءوا حضروا موقف
الحساب والسؤال قال لهم تعالى تهديدا اكذبتم باياتي المنزلة على رسلي ولم تحيطوا
بها علما الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي من غير فكر ولا
نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب اماذا
كنتم تعملون حيث لم تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا ووقع القول عليهم بما
ظلموا فهم لا ينطقون اي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو
التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا
ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا حال جعل الابصار
للنهار وهو لاهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه
طرق التقلب في المكاسب ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يصدقون فيعتبرون
فيه دليل على صحة البعث لان معناه الم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار قواما
لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند
ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى للثواب
والعقاب ويوم ينفخ في الصور هو قرن او جمع صورة والنافخ اسرافيل ففزع من
في السموات ومن في الارض واختير فزع على يفزع للاشعار بتحقق الفزع
وثبوته وانه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون
الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش

وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه حمزه وحفص وخلف اتوه غيرهم واصله
اتيوه داخرين حال اي صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم الموقف او رجوعهم
الي امره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها بفتح السين شامي وحمزه ويزيد
وعاصم وبكسرها غيرهم حال من المخاطب جامدة واقفة ممكسة عن
الحركه من جمد في مكانه اذا لم يبرح وهي تمر حال من الضمير المنصوب في
تحسبها مر السحاب اي مر مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رايت الجبال
وقت النفخة ظننتها ثابته في مكان واحد لعظمها وهي تسير سيرا سريعا
كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت
لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش
بارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تهملج
صنع الله مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها مر السحاب من صنع الله
فكانه قيل صنع ذلك صنعا وذكر اسم الله لانه لم يذكره قبل الذي اتقن كل شي
اي احكم خلقه انه خبير بما يفعلون مكي وبصري غير سهل وابو بكر غير يحيى
وغيرهم بالتا اي انه عالم بما يفعل العباد فيكافيهم على حسب ذلك
ثم لخص ذلك بقوله من جا بالحسنة اي بقول لا اله الا الله عند الجمهور
فله خير منها اي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون
خير بمعنى افضل ويكون منها في موضع رفع صفة لخير بسببها وهم من فزع
كوفي اي من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار او من فزع ما
وان قل وبغير تنوين غيرهم يومئذ كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم والمراد
يوم القيمة امنون آمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله ومن جا
بالسيئة بالشرك فكبت القيت وجوههم في النار يقال كببت الرجل القيته
على وجهه اي القوا على روسهم في النار او عبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالراس
والرقبة عنها اي القوا في النار ويقال لهم تبكيتا عند الكب هل تجزون الا ما
كنتم تعملون في الدنيا من الشرك والمعاصي انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة
مكة الذي حرمها جعلها حرما امنا فيها يامن اللاجي اليها ولا يختلى خلاها ولا
يعضد شوكها ولا ينفر صيدها وله كل شي مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والاخرة
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين له وان اتلو القران من التلاوة او من
التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك امر رسوله بان يقول امرت ان
اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من
الحنفا الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القران لاعرف الحرام من الحلال
وما يقتضيه الاسلام وخص مكة من بين ساير البلاد باضافة اسمه اليها
احب بلاده اليه واعظمها عنده واشار اليها بقوله هذه اشارة تعظيم لها
وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته تعالى بالتحريم
الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شي تحت ربوبيته وملكوته كالتابع

لدخولها

لدخولها تحتها فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الشركا عنه
والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فانما يهتدي لنفسه اي
فمنفعة اهتدايه راجعة اليه لا الي ومن ضل فقل انما انا من المنذرين اي ومن
ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ المبين
وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من
نعمة النبوة التي لا يقادرها نعمة وان يهدد اعداه بما سيريهم الله من اياته في
الاخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من
نقمات الله في الدنيا وما ربك بغافل عما تعملون بالتا مدني وشامي وحفص
ويعقوب خطاب لاهل مكة وبالياء غيرهم اي كل عمل يعملونه فالله عالم به
غير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه سورة القصص ثمان وثمانون اية
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين يقال بان
الشي واباه بمعنى واحد ويقال ابنته فابان لازم ومتعد اي يبين خيره وبركته
او مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والاخلاص والتوحيد نتلو عليك نقرا
عليك اي يقرا جبريل عليه السلام بامرنا ومفعول نتلوا من نبا موسى وفرعون
اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق حال اي محقين لقوم يؤمنون لمن سبق
في علمنا انه يومن لان التلاوة انما تنفع هولاء دون غيرهم ان فرعون جملة
مستانفة كالتفسير للمجمل كان قايلا قال وكيف كان نباهما فقال ان فرعون
علا طغى وجاوز الحد في الظلم او استكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية في الارض
ارض مملكته يعني مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه
لا يملك احد ان يلوي عنقه او فرقا مختلفة يكرم طايفة ويهين اخرى فاكرم
القبط واهان الاسرايلي يستضعف طايفة منهم هم بنو اسرايل يذبح ابناهم
ويستحيي نساهم اي يترك البنات احيا للخدمة وسبب ذبح الابنا ان كاهنا
قال له يولد مولود في بني اسرايل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق
فرعون فانه ان صدق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فلا معنى للقتل
ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح
بدل من يستضعف انه كان من المفسدين اي ان القتل ظلما انما هو فعل
المفسدين اذ لا طايل تحته صدق الكاهن او كذب ونريد ان نمن نتفضل وهو
دليل لنا في مسالة الاصلح وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض
لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له او
حال من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم
وارادة الله تعالى كاينة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ايمة اي قادة يقتدى بهم في الخير او دعاة الي الخير او
ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين اي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل
ما كان لهم ونمكن مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد ومعنى
التمكين لهم في الارض ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم

ويسلطهم وينفذ امرهم ونري فرعون وهامان وجنودهما بضم النون ونصب
فرعون وما بعده حمزة وعلي ان يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم ويري بفتح عطف على المنصوب قبله لقراءة النون او رفع على
الاستيناف منهم من بني اسرايل ويتعلق بنري دون يحذرون لان الصلة
لا تتقدم على الموصول ما كانوا يحذرون الحذر التوقي من الضرر واوحينا الى ام موسى
بالالهام او بالرويا او باخبار ملك كما كان لمريم وليس هذا وحي رسالة فلا
تكون هي رسولا ان ارضعيه ان بمعنى اي او مصدرية فاذا خفت عليه من القتل
بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه فالقيه في اليم البحر هو نيل مصر ولا تخافي من
الغرق والضياع ولا تحزني بفراقه انا رادوه اليك بوجه لطيف لتربيه
وجاعلوه من المرسلين وفي هذه الاية امران ونهيان وخبران وبشارتان
والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن
غم يلحق الانسان لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما وبشرت
برده اليها وروي انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات
بحبالى بني اسرايل مصافية لها فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين
عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ما جيت الا لاقتل مولودك واخبر فرعون
ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت القابلة
جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور ولم تعلم
ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري
مكانه فسمعت بكاه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه
بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولد اوحى الله اليها بالقايه في اليم
فالقته في اليم بعد ان ارضعته ثلاثة اشهر فالتقطه ال فرعون اخذه
قال الزجاج وكان فرعون من اهل فارس من اصطخر ليكون لهم عدوا اي ليصير
الامر الى ذلك لا انهم اخذوه لهذا كقولهم للموت ما تلد الوالدة وهي لم تلده
لان يموت ولدها ولكن المصير الى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون
ان هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشاف هي لام كي التي
معناها التعليل كقولك جيتك لتكرمني ولكن معنى التعليل فيها وارد على
طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعي الذي يفعل
الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجي وحزنا وحزنا على وحزن
وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطيين
خاطين بتخفيف خاطيين ابو جعفر اي كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى
بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك روي
انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره
فاعياهم فدنت اسية فرات في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته
فاذا بصبي نوره بين عينيه فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصا
فنظرت الى وجهه فبرئت فقالت الغواة من قومه هو الذي نحذر

منه فايذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت اسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا
لي وفي الحديث لو قال كما قالت لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض اي لو كان
غير مطبوع على قلبه كاسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت وقرة خبر مبتدا محذوف
اي هو قرة ولي ولك صفتان لقرة لا تقتلوه خاطبته خطاب الملوك او خاطبت
الغواة عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلايل النفع وذلك لما عاينت من النور
وبرء البرصاء او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل لان يكون ولدا للملوك وهم لا يشعرون
حال وذو حالها ال فرعون وتقدير الكلام فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطا عظيم في التقاطه ورجاء النفع
والتبني وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه
موكدة لمعنى خطاهم وما احسن نظم هذا الكلام عند اصحاب المعاني والبيان واصبح
وصار فواد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه
في يد فرعون ان كادت لتبدي به لتظهر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها
قيل لما رات الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول يا ابناه وقيل لما سمعت
ان فرعون اخذ التابوت لم تشك انه يقتله فكادت تقول وا ابناه شفقة عليه
وان مخففة من الثقيلة اي انها كادت لولا ان ربطنا على قلبها لولا ربطنا على قلبها والربط
على القلب تقويته بالهام الصبر لتكون من المومنين من المصدقين بوعدنا وهو انا
رادوه اليك وجواب لولا محذوف اي لابدته او فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون
تبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت
لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقها الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المومنين
الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون قال يوسف بن الحسين امرت ام موسى بشيين
ونهيت عن شيين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها
فربط على قلبها وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره لتعلمي خبره فبصرت به اي ابصرته
عن جنب عن بعد حال من الضمير في به او من الضمير في بصرت وهم لا يشعرون انها اخته
وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم شرع اي منعناه ان يرضع ثديا غير ثدي امه
وكان لا يقبل ثدي مرضع حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع
او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها
اثره او من قبل ان نرده على امه فقالت اخته وقد دخلت داره بين المراضع ورات انه
لا يقبل ثديا هل ادلكم ارشدكم على اهل بيت يكفلونه اي موسى لكم وهم له ناصحون
النصح اخلاص العمل من شايب الفساد روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال
هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فخذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت انما
اردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون
يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها
فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة طيبة
الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى
بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها انه سيكون نبيا وذلك

قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بالمقام معه ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله
حق اي وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف
على تقر وانما حل لها ما تاخذه من الدنيا ركل يوم كما قال السدي لانه مال حربي
لا انها اجرة على ارضاع ولدها ولكن اكثرهم لا يعلمون هو داخل تحت علمها
اي لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه
التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت ولما بلغ اشده بلغ موسى
نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وانعم عند سيبويه واستوى
واعتدل وتم استحكامه وهو اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس
اربعين سنة اتيناه حكما نبوة وعلما فقها او علما بمصالح الدارين وكذلك نجزي
المحسنين اي كما فعلنا بموسى وامه نفعل بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله
تعالى ايتاء العلم والحكمة مجازاة على الاحسان لانهما يؤديان الى الجنة التي
هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لانه تعالى قال ولبئس ما شروا
به انفسهم لو كانوا يعلمون فجعلهم جهالا اذ لم يعملوا بالعلم ودخل المدينة اي مصر
على حين غفلة من اهلها حال من الفاعل اي مختفيا وهو ما بين العشائين
او وقت القايلة يعني انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق
وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل المدينة الا على تغفل فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرايل وقيل هو السامري
وشيعة الرجل اتباعه وانصاره وهذا من عدوه من مخالفيه من القبط وهو
فاتون وقيل فيهما هذا وهذا وان كانا غايبين على جهة الحكاية اي اذا نظر
اليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه فاستنصره
الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى ضربه بجمع كفه او باطراف
اصابعه فقضى عليه فقتله قال هذا اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد
من عمل الشيطان وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه
واستغفر منه لانه كان مستامنا فيهم فلا يحل له قتل الكافر الحربي او لانه قتله
قبل ان يأذن له في القتل وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر انه عدو
مضل مبين ظاهر العداوة قال رب يا رب اني ظلمت نفسي بفعل صار قتلا
فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو الغفور باقالة الزلل الرحيم بازالة الخجل
قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا معينا للمجرمين للكافرين وبما
انعمت على قسم جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة فلن اكون
ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه
في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد فاصبح في المدينة
خايفا على نفسه من قتله القبطي ان يؤخذ به يترقب حال اي يتوقع المكروه
وهو الاستقادة منه او الاخبار او ما يقال فيه وقال ابن عطا خايفا على نفسه
يترقب نصرة ربه وفيه دليل على انه لا باس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله
بعض الناس انه لا يسع الخوف من دون الله فاذا الذي اذا للمفاجاة وما بعدها

مبتدا استنصره اي موسى بالامس يستصرخه يستغيثه والمعنى ان الاسرايلي
الذي خلصه موسى استغاث به ثانيا من قبطي اخر قال له موسى اي للاسرايلي
انك لغوي مبين اي ضال عن الرشد ظاهر الغي فقد قاتلت بالامس رجلا
فقتلته بسببك والرشد في التدبير اي لا يفعل فعلا يفضي الى البلاء على نفسه
وعلى من يريد نصرته فلما ان اراد اي موسى ان يبطش بالذي هو عدو
لهما لموسى والاسرايلي لانه ليس على دينهما او لان القبط كانوا اعداء بني اسرايل
قال الاسرايلي لموسى عليه السلام وقد توهم انه اراد اخذه لا اخذ القبطي اذ
قال له انك لغوي مبين يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا يعني القبطي
بالامس ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا اي قتالا بالغضب في الارض ارض
مصر وما تريد ان تكون من المصلحين في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالامس
قد شاع ولكن خفي قاتله فلما افشى على موسى عليه السلام علم القبطي ان قاتله
موسى فاخبر فرعون فهموا بقتله وجاء رجل من اقصى المدينة هو مؤمن من ال فرعون
وكان ابن عم فرعون يسعى صفة لرجل او حال من رجل لانه وصف بقوله من
اقصى المدينة قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك اي يامر بعضهم
بعضا بقتلك او يتشاورون بسببك والايتمار التشاور يقال الرجلان
يتامران ويأتمران لان كل واحد منهما منهما يامر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر
فاخرج من المدينة اني لك من الناصحين لك بيان وليس بصلة الناصحين
لان الصلة لا تتقدم على الموصول كانه قال اني من الناصحين ثم اراد ان يبين
فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا لك فخرج موسى منها من المدينة خايفا
يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحقه من يقتله قال رب نجني من القوم الظالمين
اي قوم فرعون ولما توجه تلقاء مدين نحوها والتوجه الاقبال على الشيء ومدين
قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين ابن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون
وبينها وبين مصر ثمانية ايام قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج ولم يكن له علم
بالطريق الا حسن الظن بربه قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي وسطه ومعظم
نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى مدين ولما ورد وصل ماء مدين ماءهم الذي
يستقون منه وكان بيرا وجد عليه على جانب من البير امة جماعة كثيرة من الناس
من اناس مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم
امراتين تذودان تطردان غنمهما عن الماء لان على الماء من هو اقوى منهما
فلا يتمكنان من السقي او لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم والذود الطرد والدفع
قال ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي ما مطلوبكما من الذياد
فسمي المخطوب خطبا قالتا لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم يصدر
شامي ويزيد وابو عمرو اي يرجع والرعاء جمع راع كقايم وقيام وابونا شيخ
لا يمكنه سقي الاغنام كبير في حاله او في السن لا يقدر على رعي الغنم ابلتنا
اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما رغبة
في المعروف واغاثة للملهوف روي انه نحى القوم عن راس البير وسالهم

دلوا ناعطوه دلوهم وقالوا استق به وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها
وصبها في الحوض ودعا بالبركة وترك المفعول في يسقون وتذودان ولا نسقي
وفسقى لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا
على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذا
في لا نسقي وفسقى فالمقصود هو السقي لا المسقي ووجه مطابقة جوابهما سؤاله
انه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان مستورتان
ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ونستحي من الاختلاط بهم فلا بد لنا من
تأخير السقي الى ان يفرغوا وانما رضي شعيب عليه السلام لابنتيه بسقي الماشية
لان هذا الامر في نفسه ليس بمحظور والدين لا يأباه واما المروءة فعادات الناس
في ذلك متباينة واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو
فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة **ثم تولى الى الظل** اي
ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتقشفة
ولما طال البلاء عليه انس بالشكوى اذ لا نقص في الشكوى الى المولى **فقال رب**
اني لما لاي شيء **انزلت الي من خير** قليل او كثير غث او سمين **فقير** محتاج وعدي
فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما سبعة ايام
وقد لصق بظهره بطنه ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت
الي من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك
وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطا
نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الانوار
فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا
على استحياء في موضع الحال اي مستحيية وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها
لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم ايجيبها ام لا فاتته مستحيية قد
استترت بكم درعها وما في ما سقيت مصدرية اي جزاء سقيك روي
انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل قال لهما ما اعجلكما
قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي
فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي
وانعتي لي الطريق **فلما جاءه وقص عليه القصص** اي قصته واحواله مع فرعون
والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص **قال** له **لا تخف نجوت من القوم**
الظالمين اذ لا سلطان لفرعون بارضنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد
ولو عبدا او انثى والمشي مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع واما اخذ
الاجر على البر والمعروف فقيل انه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام
على انه روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك وانما اجابها لئلا يخيب قصدها
لان للقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب الست
جائعا قال بلى ولكن اخاف ان يكون عوضا مما سقيت لهما وانا اهل بيت
لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام

هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فاكل **قالت احداهما يا ابت استأجره** اتخذه اجيرا
لرعي الغنم روي ان اكبرهما كانت تسمى صفرا والصغرى صفيرا وصفرا هي التي
ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستأجره وهي التي تزوجها **ان خير من استأجرت**
القوي الامين فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت نزع الدلو وامرها
بالمشي خلفه وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على ان امانته وقوته امران
متحققان وقولها ان خير من استأجرت القوي الامين كلام جامع لانه اذا
اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ
بالك وتم مرادك وقيل القوي في دينه الامين في جوارحه وقد استغنت
بهذا الكلام الجاري مجرى المثل عن ان تقول استأجره لقوته وامانته
وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب
يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر **قال اني اريد ان انكحك**
ازوجك **احدى ابنتي هاتين** قوله هاتين يدل على انه كانت له غيرهما وهذه
مواعدة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح اذ لو كان نكاحا لقال انكحتك
على ان تأجرني تكون اجيرا لي من اجرته اذا كنت له اجيرا **ثماني حجج** ظرف
والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لانه من
باب القيام بامر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة **فان اتممت**
عشرا اي عمل عشر حجج **فمن عندك** اي فذلك تفضل منك ليس بواجب
عليك او فاتمامه من عندك ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل
وتبرع **وما اريد ان اشق عليك** بالزام اتم الاجلين وحقيقته قولهم شققت
عليك وشق عليه الامر ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين
تقول تارة اطيقه وطورا لا اطيقه **ستجدني ان شاء الله من الصالحين** في
حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز ان يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته
حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال
على توفيقه فيه ومعونته لانه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ذلك **قال** موسى **ذلك**
مبتدأ وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب والخبر **بيني وبينك** يعني
ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا
عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال **ايما الاجلين**
قضيت اي اي اجل قضيت من الاجلين يعني العشرة او الثمانية واي نصب
بقضيت وما زائدة ومؤكدة لابهام اي وهي شرطية وجوابها **فلا عدوان علي**
اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في
اتمهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم في الوفاء وكما ان طلب الزيادة على الاتم
عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل **والله على ما نقول وكيل** هو من وكل
اليه الامر وعدي بعلى لانه استعمل في موضع الشاهد والرقيب روي ان
شعيبا كانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام فقال لموسى ادخل ذلك البيت
فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنة ولم يزل الانبياء

عليهم السلام بنوار نبوتها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها
فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا ولما اصبح
قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان
كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين
ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا
التنين قد اقبل فحاربته العصى حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية
فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس
الغنم فوجدها ملاء البطون وغزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان
لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل
ادرع ودرعا فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل
ثم سقي فوضعت كلهن ادرع ودرعا فوفى بشرطه **فلما قضى موسى الاجل** قال
عليه السلام قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا بخلاف الرواية التي مرت
وسار باهله بامراته نحو مصر وذلك بعد عطا لما تم اجل المحنة ودنا ايام الزلفة
وظهر انوار النبوة سار باهله تشترك معه في لطايف صنع ربه **انس من جانب
الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر** عن الطريق
لانه قد ضل الطريق **او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من
شاطئ الوادي الايمن** بالنسبة الى موسى **في البقعة المباركة** بتكليم الله تعالى
فيها **من الشجرة** العناب او العوسج **ان يا موسى** ان مفسرة او مخففة من
الثقيلة **اني انا الله رب العالمين** قال جعفر ابصر نارا دلته على الانوار
لانه راي النور على هيئة النار فلما دنا منها شملته انوار القدس واحاطت به
جلابيب الانس فخاطب بالطف خطاب واستدعي منه احسن جواب
فصار بذلك مكلما شريفا اعطى ما سال وامن مما خاف الجذوة باللغات
الثلاث وقري بهن فعاصم بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها
العود الغليظ كانت في راسه نار اولم تكن ومن الاولى والثانية لابتداء
الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل
من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطي
اي الجانب **وان الق عصاك** ونودي ان الق عصاه فالقاها فقلبها الله
ثعبانا **فلما راها تهتز** تتحرك **كانها جان** حية في سعيها وفي ثخانة
في جثتها **ولى مدبرا ولم يعقب** يرجع فقيل له **يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين**
اي امنت من ان ينالك مكروه من الحية **اسلك** ادخل **يدك في جيبك** جيب
قميصك **تخرج بيضاء** لها شعاع كشعاع الشمس **من غير سوء** برص **واضمم اليك
جناحك من الرهب** بجازي الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكل الخوف
والمعنى واضمم يدك الى صدرك يذهب ما بك من فرق اي لاجل الحية
عن ابن عباس رضي الله عنهما كل خايف اذا وضع يده على صدره زال خوفه
وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العصى حية فزع موسى

وأتقاها

واتقاها بيده كما يفعل الخايف فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة
عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك
مكان اتقايك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو
غضاضة عليك واظهارها معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي
الانسان بمنزلة جناحي الطاير واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى
فقد ضم جناحه اليه او اريد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه
عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطاير لانه
اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى
من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك
جناحك جعل الرهب الذي كان بصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه
ومعنى واضمم اليك جناحك واسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد
ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين اذ الغرض في احدهما خروج
اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى جناحك في
طه ادخل يمناك تحت يسراك **فذانك** مخففا مثنى ذاك ومشددا مكي
وابو عمرو ومثنى ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد
والعصا **برهانان** حجتان نيرتان بينتان وسميت الحجة برهانا لانارتها
من قولهم للمراة البيضاء برهوهة **من ربك الى فرعون وملايه** اي ارسلناك الى
فرعون وملايه بهاتين الايتين **انهم كانوا قوما فاسقين** كافرين **قال رب
اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون** به وبالياء يعقوب **واخي هارون
هو افصح مني لسانا فارسله معي** حفص **ردءا** حال اي عونا يقال ردأته
اعنته وبلا همز مدني **يصدقني** عاصم وحمزة صفة اي ردءا مصدقا لي وغيرهما
بالجزم جواب لارسله ومعنى تصديقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان
في مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لا ان يقول له صدقت
الا ترى الى قوله هو افصح مني لسانا فارسله وفضل الفصاحة انما يحتاج
اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان
اني اخاف ان يكذبون يكذبوني في الحالين يعقوب **قال سنشد عضدك
باخيك** سنقويك به اذ اليد تشتد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة
تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور **ونجعل لكما سلطانا** غلبة وتسلطا
وهيبة في قلوب الاعدا **فلا يصلون اليكما باياتنا** الباء تتعلق بيصلون اي
لا يصلون اليكما بسبب اياتنا وتم الكلام او بنجعل لكما سلطانا اي
نسلطكما باياتنا او بمحذوف اي اذهبا باياتنا او هو بيان للغالبون لا
صلة او قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه **انتما ومن اتبعكما الغالبون
فلما جاءهم موسى باياتنا بينات** واضحات **قالوا ما هذا الا سحر مفترى**
اي سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كساير انواع
السحر وليس بمعجزة من عند الله **وما سمعنا بهذا في اباينا الاولين** حال

مفعوله عن هذا اي كاينا في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم **وقال موسى**
ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون
اي ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا
وبعثه بالهدى ووعده حسنى العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون
ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي
الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة
لقوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا
وعاقبتها ان تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى
والغفران قال موسى بغير واو مكي لان الموضع موضع سؤال وبحث
عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الايات العظام سحرا مفترى
ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر
بين القول والقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الاخر ربي اعلم حجازي
وابو عمرو ومن يكون حمزة وعلي **وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله**
غيري قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده اي ما لكم من اله غيري او هو على
ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده **فاوقد لي يا هامان على الطين** اي
اطبخ لي الاجر واتخذه وانما لم يقل مكان الطين هذا لانه اول من عمل الاجر
فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولانه افصح واشبه بكلام الجبابرة اذ امر
هامان وهو وزيره بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام
دليل التعظم والتجبر **فاجعل لي صرحا** قصرا عاليا **لعلي اطلع** اي اصعد
فالطلوع والاطلاع الصعود **الى اله موسى** حسب انه في مكان كما كان هو في
مكان **واني لاظنه من الكاذبين** في دعواه ان له الها وانه ارسله الينا رسولا
وقد تناقض المخذول فانه قال ما علمت لكم من اله غيري ثم اظهر
حاجته الى هامان واثبت لموسى الها واخبر انه غير متيقن بكذبه وكانه
تحصن من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلي اطلع الى اله موسى
روي ان هامان جمع خمسين الف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء احد من
الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت
قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل وقطعة في البحر وقطعة
في المغرب ولم يبق احد من عماله الا هلك **واستكبر هو وجنوده** تعظم
في الارض ارض مصر **بغير الحق** اي بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى
وهو المتكبر على الحقيقة اي المبالغ في كبرياء الشان كما حكى رسولنا
عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في
النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق **وظنوا انهم الينا لا يرجعون**
يرجعون نافع وحمزة وعلي وخلف ويعقوب **فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم**
من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شانه شبههم استقلالا لعددهم
وان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ بكفه فطرحهن في البحر

فانظر

فانظر يا محمد **كيف كان عاقبة الظالمين** وحذر قومك فانك منصور عليهم
وجعلناهم ائمة قادة **يدعون الى النار** اي عمل اهل النار قال ابن عطا نزع
عن اسرارهم التوفيق وانوار التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلون
على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق افعال العباد **ويوم القيامة لا ينصرون**
من العذاب **واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة** الزمناهم طردا وابعادا عن
الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس اياهم بعدهم **ويوم القيامة هم من**
المقبوحين المطرودين المبعدين او المهلكين المشوهين بسواد الوجوه
وزرقة العيون ويوم ظرف المقبوحين **ولقد اتينا موسى الكتاب** التوراة
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم
السلام **بصائر للناس** حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به
الرشد والسعادة كما ان البصر نور العين الذي يبصر به يريد اتيناه التوراة
انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل **وهدى**
وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال **ورحمة** لمن اتبعها لانهم اذا عملوا
بها وصلوا الى نيل الرحمة **لعلهم يتذكرون** يتعظون **وما كنت** يا محمد
بجانب الغربي الجبل الغربي وهو المكان الواقع في شق المغرب وهو الذي وقع فيه
ميقات موسى **اذ قضينا الى موسى الامر** اي كلمناه وقربناه نجيا **وما كنت من**
الشاهدين من جملة الشاهدين للوحي اليه حتى تقف من جهة المشاهدة
على ما جرى من امر موسى في ميقاته **ولكنا انشانا** بعد موسى **قرونا فتطاول عليهم**
العمر اي طالت اعمارهم وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست
العلوم ووقع التحريف في كثير منها فارسلناك مجددا لتلك الاخبار مبينا
ما وقع فيه التحريف واعطيناك العلم بقصص الانبيا وقصة موسى كانه
قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر
سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذن
هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده **وما كنت ثاويا** مقيما **في اهل**
مدين وهم شعيب والمؤمنون به **تتلوا عليهم اياتنا** تقراوها عليهم تعلما
منهم يريد الايات التي فيها قصة شعيب وقومه وتتلو في موضع النصب
خبر ثانيا او حال من الضمير في ثاويا **ولكنا كنا مرسلين** ولكنا ارسلناك
واخبرناك بها وعلمناكها **وما كنت بجانب الطور اذ نادينا** موسى ان خذ الكتاب
بقوة **ولكن** علمناك او ارسلناك **رحمة** للرحمة **من ربك لتنذر قوما ما اتاهم**
من نذير من قبلك في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون
سنة **لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة** عقوبة **بما قدمت ايديهم** من
الكفر والظلم ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي نسب الاعمال الى الايدي
وان كانت من اعمال القلوب تغليبا للاكثر على الاقل **فيقولوا** عند العذاب
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى
امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفا الاولى للعطف

والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفا تدخل في جواب الامر والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت هو المقصود بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال فادخلت عليها لولا وجي بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤل معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا **فلما جاءهم الحق من عندنا** اي القران او الرسول المصدق بالكتاب المعجز **قالوا** كفار مكة **لولا اوتي** هلا اعطي **مثل ما اوتي موسى** من الكتاب المنزل جملة واحدة **اولم يكفروا** يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمان موسى عليه السلام **بما اوتي موسى من قبل** من قبل القران **قالوا** في موسى وهارون **ساحران تظاهرا** تعاونا سحران كوفي اي ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر **وقالوا انا بكل** بكل واحد منهما **كافرون** وقيل ان اهل مكة لما كفروا بمحمد عليه السلام والقران فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا او في التوراة والقران سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤسا اليهود بالمدينة يسالونهم عن محمد فاخبروهم انه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا **قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما** مما انزل على موسى ومما انزل علي **اتبعه** جواب فاتوا **ان كنتم صادقين** في انهما ساحران **فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم** اهواهم فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى **ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** اي لا احد اضل ممن اتبع في الدين هواه وبغير هدى حال اي مخذولا مخلا بينه وبين هواه **ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون** التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعني ان القران اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا **الذين اتيناهم الكتاب من قبله** من قبل القران وخبر الذين **هم به** بالقران **يؤمنون** نزلت في مؤمني اهل الكتاب **واذا يتلى** القران **عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله** من قبل نزول القران **مسلمين** كائنين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه

حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله امنا لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم **اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا** بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقران او بصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب **ويدرءون بالحسنة السيئة** يدفعون بالطاعة المعصية او بالحلم الاذى **ومما رزقناهم ينفقون** يزكون **واذا سمعوا اللغو** الباطل او الشتم من المشركين **اعرضوا عنه وقالوا** للاغين **لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم** امان منا لكم بان نقابل لغوكم بمثله **لا نبتغي الجاهلين** لا نريد مخالطتهم وصحبتهم **انك لا تهدي من احببت** لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم **ولكن الله يهدي من يشاء** بخلق فعل الاهتدا فيمن يشا **وهو اعلم بالمهتدين** بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلايل والايات قال الزجاج اجمع المفسرون على انها نزلت في ابي طالب وذلك انه قال عند موته يا معشر بني هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال عليه السلام يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي انا قد علمت انك صادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة والاية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدي هو البيان وقد هدى الناس اجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطا التوفيق والقدرة **وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا** قالت قريش نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته والثمرات تجبى اليه من كل اوب وهم كفرة فاني يستقيم ان يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز **يجبى اليه** وبالتا مدني ويعقوب وسهل اي تجلب وتجمع **ثمرات كل شيء** معنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء **رزقا من لدنا** هو مصدر لان معنى يجبى اليه يرزق او مفعول له او حال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة **ولكن اكثرهم لا يعلمون** متعلق بمن لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عند الله ولما خافوا التخطف اذا امنوا به **وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها** هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل اي في معيشتها والبطر سوء

احتمال الغنى وهوان لا يحفظ حق الله فيه فتلك مساكنهم منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الاسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم لم تسكن حال والعامل فيها الاشارة من بعدهم الا قليلا من السكنى اي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي لا يملك التصرف فيها غيرنا وما كان ربك مهلك القرى في كل وقعة حتى يبعث في امها وبكسر الميم حمزة وعلي اي في القرية التي هي امها اي اصلها ومعظمها لالزام الحجة وقطع المعذرة او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا يعني محمدا عليه السلام يتلو عليهم آياتنا اي القرآن وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي وما اهلكناهم للانتقام الا واهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة ايا ما قلائل وهي مدة الحياة الفانية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لانه دائم افلا يعقلون ان الباقي خير من الفاني وخير ابو عمرو بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المومن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله افمن وعدناه وعدا حسنا اي الجنة فلا شيء احسن منها لانها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى فهو لاقيه اي رائيه ومدركه ومصيبه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه فكذبوه فانهم لمحضرون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل لعنه الله او في علي وحمزة وابي جهل او في المؤمن والكافر ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله افمن وعدناه اي ابعد هذا التفاوت الجلي تسوي بين ابناء الدنيا وابناء الآخرة والفاء الثانية للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كما قيل عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل ويوم يناديهم ينادي الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيامة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي بناء على زعمهم الذين كنتم تزعمون ومفعولا يزعمون محذوف وقال تقديره كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على احدهما قال الذين حق عليهم القول اي الشياطين او ائمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ربنا هؤلاء مبتدأ الذين اغوينا اي دعوناهم الى الشرك وسولناه لهم الغي صفة والراجع الى الموصول محذوف والخبر اغويناهم والكاف في كما غوينا صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا

مثل

مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا انفسكم تبرأنا اليك منهم مما اختاروه من الكفر ما كانوا ايانا يعبدون بل يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل للمشركين ادعوا شركاءكم اي الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم فلم يجيبوهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون وجواب لو محذوف اي لما رأوا العذاب ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين الذين ارسلوا اليكم حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ما يقوله الشياطين او ائمة الكفر عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء يومئذ خفيت عليهم الحجج او الاخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون اذ لم يكن عندهم جواب فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجة رجاء ان يكون عنده عذر وحجة لانهم يتساوون في العجز عن الجواب فاما من تاب من الشرك وآمن بربه وبما جاء من عنده فعسى ان يكون من المفلحين اي فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ترجي وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وترغيب الكافرين على الايمان ونزل جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه وابا مسعود وربك يخلق ما يشاء وفيه دلالة خلق الافعال ويوقف على ويختار اي وربك يخلق ما يشاء وربك يختار ما يشاء ما كان لهم الخيرة اي ليس لهم ان يختاروا على الله شيئا ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف في ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله ويختار اذ المعنى ان الخيرة لله وهو اعلم بوجوه الحكمة في افعاله فليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة فقد ابعد بل ما لنفي اختيار الخلق تقريرا لاختيار الحق ومن قال معناه ويختار للعباد ما هو خير لهم واصلح فهو مائل الى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه سبحان الله عما يشركون اي الله بريء من اشراكهم وهو منزه عن ان يكون لاحد عليه اختيار وربك يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها لا اله الا هو تقرير لذلك كقولك القبلة الكعبة

رسولا صح

لا قبلة الا هي **له الحمد في الاولى والاخرة** هو قولهم الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد
ثمة على وجه اللذة لا الكلفة **وله الحكم** القضاء بين عباده **واليه ترجعون** بالبعث
والنشور وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب **قل ارايتم** ارايتم محذوف المنعم علي
ان جعل الله عليكم الليل سرمدا هو مفعول ثان لجعل اي دائما من السرد وهو
المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة
ووزنه فعمل **الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون** والمعنى
اخبروني من يقدر على هذا **قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم**
القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ولم يقل بنهار
تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس
لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام
ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك
ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون
لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه **ومن رحمته**
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اي لتسكنوا بالليل
ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللف والنشر **ولعلكم تشكرون**
الله على نعمه وقال الزجاج يجوز ان يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا
من فضل الله فيهما ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله فيه **ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون**
كرر التوبيخ باتخاذ الشركاء ليوذن ان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك
به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده **ونزعنا** واخرجنا **من كل امة شهيدا**
يعني نبيهم لان الانبياء للامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه **فقلنا**
للامم **هاتوا برهانكم** فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول **فعلموا**
حينئذ **ان الحق لله** التوحيد **وضل عنهم** وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع
ما كانوا يفترون من الوهية غير الله والشفاعة لهم **ان قارون** لا
ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشيء لانصرف **كان من**
قوم موسى كان اسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون بن يصهر ابن قاهث
ابن لاوي بن يعقوب وموسى ابن عمران بن قاهث وكان يسمى المنور لحسن
صورته وكان اقرا بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري
فبغى عليهم من البغي الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم
او من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده او زاد عليهم في الثياب
شبرا **واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه** ما بمعنى الذي في موضع نصب باتينا
وان واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع
مفتح بالكسر وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح وهو الخزانة والاصوب انها
المقاليد **لتنوء بالعصبة** لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به

الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتح خزائنه
ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود
اولوا القوة الشدة **اذ قال له قومه** اي المؤمنون وقيل القائل موسى عليه
السلام ومحل اذ نصب بتنوء **لا تفرح** لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا
بما اتاكم ولا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن واما من قلبه الى الاخرة
ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها **ان الله لا يحب الفرحين** البطرين
بالمال **وابتغ فيما اتاك الله** من الغنى والثروة **الدار الاخرة** بان تتصدق
على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى ابواب الخير **ولا تنس نصيبك من الدنيا** وهو
ان تاخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك اخرتك فان
ذلك حظ المؤمن منها **واحسن** الى عباد الله **كما احسن الله اليك** او احسن
بشكرك وطاعتك لخالق الانام كما احسن الله اليك بالانعام **ولا تبغ الفساد**
في الارض بالظلم والبغي **ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته** اي المال **على علم**
عندي اي على استحقاق لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم
التوراة او علم الكيميا وكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا و
العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندي صفة لعلم قال سهل
ما نظر احد الى نفسه فافلح والسعيد من صرف بصره عن افعاله واقواله وفتح
له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه في جميع الافعال والاقوال والشقي من
زين في عينيه افعاله واقواله واحواله ولا فتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر
بها وادعاها لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه
فضلا **اولم يعلم** قارون **ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد**
منه قوة يعني هو اثبات لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو
اقوى منه واغنى لانه قد قراه في التوراة كانه قيل اولم يعلم من جملة ما عنده
من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته او نفي لعلمه بذلك لانه لما قال
اوتيته على علم عندي قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه وراى نفسه به
مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع
الهالكين **واكثر جمعا** للمال او اكثر جماعة وعددا **ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون**
لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب او يعترفون بها بغير سؤال
او يعرفون بسيماهم فلا يسألون او لا يسألون ليعلم من جهتهم بل يسألون
سؤال توبيخ او لا يسأل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الامة
فخرج على قومه في زينته في الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة
شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه
وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن
يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وفي زينته حال من
فاعل خرج اي متزينا **قال الذين يريدون الحياة الدنيا** قيل كانوا مسلمين
وانما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا

يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون قالوه غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل
نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه كهذه الاية والحاسد هو الذي يتمنى ان
تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا
الا كما يضر العضاة الخبط انه لذو حظ عظيم الحظ الجد وهو البخت والدولة
وقال الذين اوتوا العلم بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطي
قارون ويلكم اصل ويلك الدعا بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع
والبعث على ترك ما لا يرتضى وفي التبيان في اعراب القران هو مفعول فعل
محذوف اي الزمكم الله ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها
اي لا يلقى هذه الكلمة وهي ثواب الله خير الا الصابرون على الطاعات
وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير
فخسفنا به وبداره الارض كان قارون يوذي موسى عليه السلام كل وقت
وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف دينار
على دينار وعن كل الف درهم درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع
بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمر بما شئت
قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها
الف دينار او طستا من ذهب او حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال
يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن
جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا
قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها
بالذي فلق البحر وانزل التوراة ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا
على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك
فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال
يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه
فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال
يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط
ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى
ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال
خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك مرارا فلم ترحمه
فوعزتي لو استرحمني مرة لرحمته فقال بعض بني اسرائيل انما اهلكه ليرث
ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه وما كان له من فئة جماعة ينصرونه
من دون الله يمنعونه من عذاب الله وما كان من المنتصرين من
المنتصرين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه
فانتصر اي منعه منه فامتنع واصبح وصار الذين تمنوا مكانه منزلته
من الدنيا بالامس ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذي قبل يومك ولكن

الوقت

الوقت القريب استعارة يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من
عباده ويقدر وي منفصلة عن كان عند البصريين قال سيبويه وي
كلمة تنبيه على الخطا والتندم يستعملها النادم باظهار ندامته يعني ان
القوم قد تنبهوا على خطايهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
وتندموا لولا ان من الله علينا بصرف ما كنا نتمناه بالامس لخسف بنا
وبفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى ويكانه لا يفلح الكافرون
اي تندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون تلك الدار الاخرة تلك تعظيم
لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها نجعلها
خبر تلك والدار نعتها للذين لا يريدون علوا في الارض بغيا ابن جبير وظلما
الضحاك او كبرا ولا فسادا عملا بالمعاصي او قتل النفس او الدعاء لعبادة
غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل
القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون
وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من
شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت
الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال
بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله
ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض والعاقبة المحمودة
للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها قد مر في النمل ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا
السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين
لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون
الا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم الا يجزي السيئة الا بمثلها
ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة ان الذي فرض عليك القران اوجب
عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك بعد الموت الى معاد اي
معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا نكره او المراد به مكة والمراد
رده اليها يوم الفتح وانما نكره لانها كانت في ذلك اليوم معادا له شان
ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله وقهره لاهله ولظهور عز الاسلام
واهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الاية نزلت بالجحفة
لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق الى مولده ومولد ابائه ولما وعد رسوله الرد
الى معاده قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما له
من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين وما يستحقونه
من العذاب في معادهم من في محل نصب بفعل مضمر اي يعلم وما كنت ترجو
ان يلقى يوحى اليك الكتاب القران الا رحمة من ربك هو محمول على المعنى
اي وما القى عليك الكتاب الا رحمة من ربك او الا بمعنى لكن للاستدراك
اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك فلا تكونن ظهيرا للكافرين معينا

لهم على دينهم ولا يصدنك عن ايات الله هو على الجمع اي لا يمنعك هولاء عن العمل
بايات الله اي القران بعد اذ انزلت اليك الايات اي بعد وقت انزاله
واذ يضاف اليه اسما الزمان كقولك حينئذ ويومئذ وادع الى ربك
الى توحيده وعبادته ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر
قال ابن عباس رضي الله عنهما الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد اهل دينه ولان العصمة لا تمنع النهي والوقف على اخر لازم لانه
لو وصل لصار لا اله الا هو صفة لالها اخر وفيه من الفساد ما فيه
كل شيء هالك الا وجهه اي الا اياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال
مجاهد يعني علم العلما اذا اريد به وجه الله له الحكم القضا في خلقه واليه
ترجعون وبفتح التا وكسر الجيم يعقوب والله اعلم بالصواب

سورة العنكبوت تسع وستون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون الحسبان
قوة احد النقيضين على الاخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما
والعلم فهو القطع على احدهما ولا يصح تعليقهما بمعاني المفردات ولكن
بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيا حتى
تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم
والفرس جواد كلام دال على مضمون فاذا اردت الاخبار عن ذلك المضمون
ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين ادخلت على شطري الجملة فعل الحسبان
حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذي تقتضيه الحسبان
هنا ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم
غير مفتونين بقولهم امنا فالترك اول مفعولي حسب وبقولهم امنا هو الخبر
واما غير مفتونين فتتمة الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله عنترة فتركته
جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجي بالحسبان تقدر ان تقول تركهم
غير مفتونين لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام وهو استفهام
توبيخ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة
الاعدا وساير الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وانواع
المصايب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وروي
انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من
اذى المشركين او في عمار وكان يعذب في الله ولقد فتنا اختبرنا وهو
موصول باحسب او بلا يفتنون الذين من قبلهم بانواع الفتن فمنهم
من يوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ومنهم
من يمشط بامشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان
الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم
بذلك فيما لم يزل ان يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده انه يوجد
والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطا يتبين صدق

العبد من كذبه في اوقات الرخا والبلاء فمن شكر في ايام الرخا وصبر في
ايام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في ايام الرخا وجزع في ايام البلاء
فهو من الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيات اي الشرك والمعاصي
ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزا يلحقهم لا محالة واشتمال صلة
ان على مسند ومسند اليه سد مسد مفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب
فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن
لايمانه وهذا يظن انه لا يجازي بمساويه وقالوا الاول في المومنين
وهذا في الكافرين ساء ما يحكمون ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم
او نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص بالذم محذوف اي بيس حكما
يحكمونه حكمهم من كان يرجو لقا الله اي يامل ثوابه او يخاف حسابه فالرجا
يحتملهما فان اجل الله المضروب للثواب والعقاب لات لا محالة فليبادر
للعمل الصالح الذي يصدق رجاه ويحقق امله وهو السميع لما يقوله عباده
العليم بما يفعلونه فلا يفوته شي وقال الزجاج من للشرط ويرتفع بالابتدا
وجواب الشرط فان اجل الله لات كقولك ان كان زيد في الدار فقد صدق
الوعد ومن جاهد نفسه بالصبر على طاعة الله او الشيطان بدفع وساوسه
اليها فانما يجاهد لنفسه وعن طاعتهم ومجاهدتهم وانما امر ونهى
رحمة لعباده والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم اي الشرك
والمعاصي بالايمان والتوبة ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي
احسن جزا اعمالهم في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصى حكمه
حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته
بان يفعل ومنه قوله ووصى بها ابراهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد
وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو ومعناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته
ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتا
والديه حسنا او بايلا والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته
حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من
باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيا للضرب فتنصبه باضمار
اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال
قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير
ان وقف على بوالديه وابتدي حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول
لا بد من اضمار القول معناه وقلنا وان جاهداك ايها الانسان لتشرك بي
ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه
قال لتشرك بي شيا لا يصح ان يكون الها فلا تطعهما في ذلك فلا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق الي مرجعكم مرجع من امن منكم ومن اشرك
فانبيكم بما كنتم تعملون فاجازيكم حق جزايكم وفي ذكر المرجع والوعيد

تحذير من متابعتهما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين
روي ان سعد بن ابي وقاص لما اسلم نذرت امه ان لا تاكل ولا تشرب
حتى يرتد فشكى الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والتي
في لقمان والتي في الاحقاف **والذين امنوا وعملوا الصالحات** هو مبتدا والخبر
لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين
وهو متمنى الانبيا فقال سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين
او في مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت في المنافقين **ومن الناس من يقول**
امنا بالله فاذا اوذي في الله اي اذا مسه اذى من الكفار **جعل فتنة الناس**
كعذاب الله اي جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله تعالى **ولئن جاء**
نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اي واذا نصر الله المؤمنين
وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا معكم اي متابعين لكم في دينكم ثابتين
عليه بثباتكم فاعطونا نصيبنا من الغنم **اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين**
اي هو اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك
ما في صدور هؤلاء من النفاق وما في صدور المؤمنين من الاخلاص ثم وعد
المؤمنين واوعد المنافقين بقوله **وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن**
المنافقين اي حالهما ظاهرة عند من يملك الجزا عليها **وقال الذين كفروا للذين**
امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم امروهم باتباع سبيلهم
وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف
الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا
وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع اي ان تتبعوا سبيلنا حملنا
خطاياكم وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث
نحن ولا انتم فان كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم **وما هم بحاملين من خطاياهم**
من شيء انهم لكاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين
الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف **وليحملن اثقالهم** اي اثقال
انفسهم يعني اوزارهم بسبب كفرهم **واثقالا مع اثقالهم** اي اثقالا اخر غير
الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم
وهو كما قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم **وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون** يختلقون من الاكاذيب
والاباطيل **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما**
كان عمره الفا وخمسين بعث على راس اربعين ولبث في قومه تسعمائة
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا
واربعمائة سنة فقال له ملك الموت يا اطول الانبيا عمرا كيف
وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل تسعمائة
سنة لانه لو قيل كذلك لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره

وهذا

وهذا التوهم زايل هنا وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية
العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملا بالفايدة ولان القصة
سيقت لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول
المصابرة تسلية لنبينا عليه السلام فكان ذكر الالف افخم واوصل الى
الغرض وجيء بالمميز اولا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد في كلام
واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة **فاخذهم الطوفان** هو ما اطاف
واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما **وهم ظالمون** انفسهم
بالكفر **فانجيناه** اي نوحا **واصحاب السفينة** وكانوا ثمانية وسبعين
نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم
وجعلناها اي السفينة او الحادثة او القصة **اية** عبرة وعظة **للعالمين**
يتعظون بها **وابراهيم** نصب باضمار اذكر وابدل عنه **اذ قال** بدل
اشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او معطوف على نوحا اي وارسلنا
ابراهيم واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن او العلم
مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرا ابراهيم
النخعي وابو حنيفة رضي الله عنهما وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين
ابراهيم **لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم** من الكفر **ان كنتم**
تعلمون ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم **انما تعبدون من دون الله**
اوثانا اصناما **وتخلقون** وتكذبون او تصنعون وقرا ابو حنيفة
والسلمي رضي الله عنهما وتخلقون من تخلق منه من خلق بمعنى التكثير
في خلق **افكا** وقرئ افكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف
منه كالكذب واللعب من اصلهما واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان
الهة وشركا لله **ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا** لا يستطيعون
ان يرزقوكم شيئا من الرزق **فابتغوا عند الله الرزق** كله فانه هو الرازق
وحده لا يرزق غيره **واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون** فاستعدوا للقائه
بعبادته والشكر له على انعمه وبفتح التا وكسر الجيم يعقوب **وان تكذبوا**
فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي وان تكذبوني
فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما
ضروا انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم واما الرسول فقد تم
امره حيث بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بايات
الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في ساير الامم اسوة
حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب
وهذه الايات الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة
قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالامم قبله قوم شيث
وادريس ونوح وغيرهم وان تكون ايات وقعت معترضة في شان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان قريش بين اول قصة ابراهيم

وآخرها فان قلت فالجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت
معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم
وبيانه ان ايراد قصة ابراهيم عليه السلام ليس الا ارادة للتنفيس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون مسلاة له بان اباه ابراهيم
كان مبتلى بنحو ما ابتلي به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض
بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد
كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم
لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم سائر الايات
بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين
قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه
اولم يروا وبالتاء كوفي غير حفص كيف يبدئ الله الخلق اي قد راوا ذلك
وعلموه وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الروية
واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر
في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون
الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
ان ذلك اي الاعادة على الله يسير سهل قل يا محمد وان كان من كلام
ابراهيم فتقديره واوحينا اليه ان قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق
على كثرتهم واختلاف احوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة
ويبدأ وابدأ بمعنى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة اي البعث وبالمد
حيث كان مكي وابو عمرو وهذا دليل على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما
انشاء اي ابتداء واختراع من العدم الى الوجود غير ان الاخرة انشاء بعد انشاء
مثله والاولى ليست كذلك والقياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم
الله ينشئ النشأة الآخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة فلما قررهم في
الابداء بانه من الله احتج بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابدا
وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذلك الذي انشأ النشأة الاولى
هو الذي ينشئ النشأة الاخرة فللتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه
مبتدأ ان الله على كل شيء قدير قادر يعذب من يشاء بالخذلان ويرحم من يشاء بالهداية
او بالحرص والقناعة او بسوء الخلق وحسنه او بالاعراض عن الله وبالاقبال
عليه او بمتابعة البدع وملازمة السنة واليه تقلبون تردون وترجعون
وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض
الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها وما لكم من دون
الله من ولي يتولى اموركم ولا نصير ولا ناصر يمنعكم من عذابي والذين كفروا
بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقا الاخرة اولئك يئسوا
من رحمتي جنتي واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم
حين دعاهم الى الايمان الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه قال بعضهم لبعض او

قاله

قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين
فاتفقوا على تحريقه فانجاه الله من النار حين قذفوه فيها ان في ذلك فيما
فعلوه به وفعلنا لآيات لقوم يؤمنون روي انه لا ينتفع في ذلك
اليوم بالنار يعني يوم القي ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها وقال
ابراهيم لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا
حمزة وحفص مودة بينكم مدني وشامي وحماد ويحيى مودة بينكم مكي
وبصري وعلي مودة بينكم السموني والبرجمي والنصب على وجهين على
التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم
عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وان يكون
مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه وما كافة اي اتخذتم الاوثان
سبب المودة على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم
اي مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان وما موصولة وان يكون خبر مبتدا
محذوف اي هي مودة بينكم والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او
سبب مودة ومن اضاف المودة جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله شهادة بينكم
ومن نون مودة ونصب بينكم فعلى الظرف ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
تتبرأ الاصنام من عابديها ويلعن بعضكم بعضا اي يوم القيامة يقوم
بينكم التلاعن فيلعن الاتباع القادة ومأواكم النار اي مأوى العابد
والمعبود والتابع والمتبوع وما لكم من ناصرين ثمة فآمن له لابراهيم عليه
السلام لوط هو ابن اخت ابراهيم وهو اول من آمن له حين رأى النار لم
تحرقه وقال ابراهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران
ثم منها الى فلسطين وهي من برية الشام ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم
هجرتان وكان معه في هجرته لوطا وسارة وقد تزوجها ابراهيم الى ربي الى حيث
امرني ربي بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي
لا يأمرني الا بما هو خير ووهبنا له اسحق ولدا ويعقوب ولد ولد ولم يذكر اسمعيل
لشهرته وجعلنا في ذريته النبوة اي في ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء والكتاب
والمراد به الجنس يعني التوراة والانجيل والزبور والفرقان وآتيناه اي
ابراهيم اجره الثناء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة اهل الملل له
او هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره في الدنيا فيه دليل على انه
تعالى قد يعطي الاجر في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من اهل الجنة
عن الحسن ولوطا اي واذكر لوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة
البالغة في القبح وهي اللواطة ما سبقكم بها من احد من العالمين جملة
مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة
فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط ائنكم
لتأتون الرجال وتقطعون السبيل بالقتل واخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق

وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وتأتون في ناديكم مجلسكم ولا يقال
للمجلس نادٍ الا ما دام فيه اهله المنكر اي المضارطة والمجامعة والسباب
والفحش في المزاح والحذف بالحصى ومضغ العلك والفرقعة والسواك
بين الناس فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
فيما تعدنا من نزول العذاب انكم ائنكم شامي وحفص وهو الموجود في
الامام وكل واحدة بهمزتين كوفي غير حفص ائنكم اينكم بهمزة ممدودة
بعدها يا مكسورة ابو عمرو انكم اينكم بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة
مكي ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد قال رب انصرني بانزال
العذاب على القوم المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه
من المعاصي والفواحش ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة
لابراهيم بالولد والنافلة يعني اسحاق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل
هذه القرية اضافة مهلكوا لم تفد تعريفا لانها بمعنى الاستقبال والقرية
سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم وهذه القرية تشعر بانها
قريبة من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسيرة يوم وليلة
من موضع ابراهيم ان اهلها كانوا ظالمين اي الظلم قد استمر منهم في الايام
السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم قال
ابراهيم ان فيها لوطا اي اتهلكونهم وفيهم من هو بري من الظلم وهو لوط
قالوا اي الملائكة نحن اعلم منك بمن فيها لننجينه لننجينه يعقوب
وكوفي غير عاصم واهله الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب
ثم اخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم بقوله ولما ان
جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم وان صلة اكدت وجود
الفعلين مرتبا احدهما على الآخر كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه
قيل لما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه
ان يتناولوهم بالفجور سيء بهم مدني وشامي وعلي وضاق بهم ذرعا وضاق
بشأنهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع
والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا نال ما لا يناله
القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو نصب على التمييز
وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك بالتخفيف مكي وكوفي غير حفص واهلك
الكاف في محل الجر ونصب اهلك بفعل محذوف اي وننجي اهلك الا امرأتك كانت
من الغابرين انا منزلون منزلون شامي على اهل هذه القرية رجزا عذابا
من السماء بما كانوا يفسقون بفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله
ولقد تركنا منها اي من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة
وقيل الماء الاسود على وجه الارض يتعلق بتركنا او ببينة لقوم يعقلون
والى مدين وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده
وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به الثواب في العاقبة او خافوه

ولا تعثوا في الارض مفسدين قاصدين الفساد فكذبوه فاخذتهم الرجفة
الزلزلة الشديدة او صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت
بها فاصبحوا في دارهم في بلدهم وارضهم جاثمين باركين على الركب
ميتين وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل
عليه لانه في معنى الاهلاك وثمود حمزة وحفص وسهل ويعقوب
وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من مساكنهم من جهة
مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون
عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي
فصدهم عن السبيل السبيل الذي امروا بسلوكه هو الايمان بالله ورسله
وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم
لم يفعلوا وقارون وفرعون وهامان اي واهلكناهم ولقد جاءهم موسى بالبينات
فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه
فكلا اخذنا بذنبه فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط ومنهم من اخذته الرجفة
هي لمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون وما كان الله ليظلمهم يعني قوم
نوح وفرعون وما كان الله ليظلمهم ليعاقبهم بغير ذنب ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالكفر والطغيان مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني آلهة يعني مثل من
اشرك بالله الاوثان في الضعف وسوء الاختيار كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
اي كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت فان ذلك لا يدفع عنها الحر
والبرد ولا يقي ما تقي البيوت فكذلك الاوثان لا تنفعهم في الدنيا والآخرة
جعل حال اتخذت حالا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن من
بيتها عن علي رضي الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه
يورث الفقر لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية
من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن
الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر
وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا
بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة
الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جماعة تقدير الآية مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت ان الله يعلم ما يدعون
بالياء بصري وعاصم وبالتاء غيرهما غير الاعشى والبرجمي وما بمعنى الذي وهو مفعول
يعلم ومفعول يدعون مضمر اي يدعونه يعني يعبدونه من دونه من شيء من في
من شيء للتبيين وهو العزيز الغالب الذي لا شريك له الحكيم في ترك المعاجلة
بالعقوبة تجهيل لهم حيث عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر
القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل كل شيء الا بحكمة وتدبير وتلك الامثال
الامثال نعتت والخبر نضربها نبينها للناس كان سفهاء قريش وجهلتهم يقولون

ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك
قال وما يعقلها الا العالمون به وباسمايه وصفاته اي لا يعقل صحتها وحسنها
ولا يفهم فايدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات اغامي الطرق الى المعاني
المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق
بين حال المشرك وبين حال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا
هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه
ودلت الاية على فضل العلم عن العقل خلق الله السموات والارض بالحق اي
محقا يعني لم يخلقها باطلا بل لحكمة وهي ان تكون مساكن عباده وعبرة
للمعتبرين منهم ودلايل على عظم قدرته الاترى الى قوله ان في ذلك لاية للمومنين
وخصهم بالذكر لانتفاعهم بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله
بقراة كلامه ولتقف على ما امر به ونهى عنه واقم الصلاة اي دم على اقامة
الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشا الفعلة القبيحة كالزنا مثلا والمنكر هو ما
ينكره الشرع والعقل قيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى ان ينتهي
عن السيات يوما ما فقد روي انه قيل يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي
ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيا من الفواحش
الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وقال
ابن عوف ان الصلاة تنهى اذا كنت فيها فانت في معروف وطاعة وقد
حجزتك عن الفحشا والمنكر وعن الحسن من لم تنهه صلاته عن الفحشا
والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه ولذكر الله اكبر اي والصلاة
اكبر من غيرها من الطاعات وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال
والصلاة اكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر
من ذكركم اياه بطاعته وقال ابن عطا ذكر الله لكم اكبر من ذكره لكم لان
ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والاماني ولان ذكره لا يفنى وذكركم
لا يبقى وقال سلمان ذكر الله اكبر من كل شي وافضل فقد قال عليه السلام
الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم
وخير من اعطا الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم
ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسيل اي
الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله او ذكر
الله اكبر من ان تحويه افهامكم وعقولكم او ذكر الله اكبر من ان تلقى معه
معصية او ذكر الله اكبر في النهي عن الفحشا والمنكر من غيره والله يعلم
ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب ولا تجادلوا اهل
الكتاب الا بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن للثواب وهي مقابلة
الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين
ظلموا منهم فافرطوا في الاعتدا والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم

الرفق

الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين اذوا رسول الله او الا الذين
اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة او معناه ولا تجادلوا
الداخلين في الذمة المودين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا
فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلوهم بالسيف والاية تدل على جواز
المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي به تتحقق
المجادلة وقوله وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد
ونحن له مسلمون من جنس المجادلة وقال عليه السلام ما حدثكم اهل الكتاب
فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا
لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا
اليك الكتاب اي انزلناه مصدقا لساير الكتب السماوية او كما انزلنا
الكتب الى من قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يومنون
به هم عبد الله بن سلام ومن معه ومن هولا اي من اهل مكة من يومن به
واراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اهل الكتاب ومن هولا الذين كانوا في عهد النبي عليه السلام
وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبه عنها الا الكافرون الا المتوغلون
في الكفر المصممون عليه ككعب بن الاشرف واضرابه وما كنت تتلو من قبله
من قبل القران من كتاب ولا تخطه بيمينك خص اليمين لان الكتابة غالبا
تكون باليمين اي ما كنت قرات كتابا من الكتب ولا كنت كاتبا اذا اي لو كان
شي من ذلك اي من التلاوة ومن الخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب
وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرا وليس به او لارتاب مشركوا
مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده وسماهم مبطلين لانكارهم نبوته
وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرا
بل هو اي القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم اي في صدور
العلما وحفاظه وهما من خصايص القران كون اياته بينات الاعجاز
وكونه محفوظا في الصدور بخلاف ساير الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت
تقرا الا من المصاحف وما يجحد باياتنا الواضحة الا الظالمون المتوغلون
في الظلم وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه اية بغير الف مكي وكوفي غير حفص
ارادوا هلا انزل عليه ايات مثل الناقة والعصا ومايدة عيسى ونحو ذلك
قل انما الايات عند الله ينزل ايها شا ولست املك منها شيا وانما انا نذير
مبين كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الايات وليس لي ان اقول
انزل علي اية كذا دون اية كذا مع علمي ان المراد من الايات ثبوت الدلالة
والايات كلها في حكم اية واحدة في ذلك اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم اي اولم يكفهم اية مغنية عن ساير الايات ان كانوا طالبين للحق
غير متعنتين هذا القران الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان
فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول كما تزول كل اية بعد كونها وتكون في مكان

دون مكان ان في ذلك اي في مثل هذه الاية الموجودة في كل مكان وزمان
الى اخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون دون
المتعنتين قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اي شاهدا بصدق ما ادعيه
من الرسالة وانزال القران علي وبتكذيبكم يعلم ما في السموات والارض
فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين امنوا بالباطل منكم
وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله واياته اولئك هم الخاسرون
المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد
مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وروي
ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك انك رسول الله
فنزلت ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء الاية
ولولا اجل مسمى وهو القيمة او يوم بدر او وقت فنائهم باجالهم والمعنى
ولولا اجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم والحكمة تقتضي تاخيره
الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب في الاجل
المسمى بغتة فجاة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه يستعجلونك بالعذاب وان
جهنم لمحيطة بالكافرين اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن
تحت ارجلهم كقوله من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ولا وقف على
بالكافرين لان يوم ظرف احاطة النار بهم ونقول بالياء كوفي ونافع ذوقوا
ما كنتم تعملون اي جزاء اعمالكم يا عبادي وبسكون الياء بصري وكوفي غير
عاصم الذين امنوا ان ارضي واسعة وبفتح الياء شامي يعني ان المؤمن اذا لم
يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه فليهاجر عنه الى
بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة والبقاع تتفاوت
في ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم نجد اعون على قهر النفس واجمع للقلب
واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من الفتن واربط للامر
الديني من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل اذا ظهرت المعاصي والبدع في ارض
فاخرجوا منها الى ارض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة فاياي
فاعبدون وبالياء يعقوب وتقديره فاياي فاعبدوا فاعبدوني وجيء بالفاء
في فاعبدوني لانه جواب شرط محذوف كان المعنى ان ارضي واسعة فان لم
تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض
من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص
ثم شجع المهاجر بقوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد
الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها
ثم الينا ترجعون بعد الموت للثواب والعقاب يرجعون يحيى ترجعون
يعقوب والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا لننزلنهم
من الجنة علالي لنثوينهم كوفي غير عاصم من الثواء وهو النزول للاقامة

وثوي

وثوي غير متعد فاذا تعدي بزيادة الهمزة لم يجاوز مفعولا واحدا والوجه
في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم لنبوئنهم
او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين ويوقف على العاملين
على ان الذين صبروا خبر مبتدا محذوف اي هم الذين صبروا على مفارقة
الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات
وعن المعاصي والوصل اجود ليكون نعتا للعاملين وعلى ربهم يتوكلون ولم
يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اسلم من مكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فنزلت وكاين من دابة اي
وكم من دابة وكاين بالمد والهمز مكي والدابة كل نفس دبت على وجه الارض
عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها
واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها
الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم
ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن
لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وقيل لا يدخر شيء من الحيوان
قوتا الا ابن ادم والفارة والنملة وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والعيلة
العليم بما في ضمائركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس
والقمر اي ولئن سالت هؤلاء المشركين من خالق السموات والارض مع كبرهما
وسعتهما ومن الذي سخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون فكيف
يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له اي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء
مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله تقدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه
ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم في الحديث ان من
عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي
من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك ولئن سالتهم من نزل من
السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله اي هم مقرون بذلك قل الحمد
لله على انزال الماء لاحياء الارض او على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه
ذلك في توحيد الله ونفي الشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين
بل اكثرهم لا يعقلون لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما اريتهم من الايات ونصبت
عليهم من الدلالات او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله وما هذه الحياة الدنيا
الا لهو ولعب اي وما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب
الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لامرها وكيف
لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه
ساعة ثم ينقضي وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحياة اي ليس فيها الا حياة
مستمرة دائمة لا موت فيها فكانها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي

وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهي الحياة لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ويوقف على الحيوان لان التقدير لو كانوا يعلمون حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك فاذا ركبوا في الفلك هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها اخر فلما نجاهم الى البر وامنوا اذا هم يشركون عادوا الى حال الشرك ليكفروا بما اتيناهم من النعمة قيل هي لام كي وكذا في وليتمتعوا فيمن قراها بالكسر اي لكي يكفروا ولكي يتمتعوا والمعنى يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذ هم يشكرون نعمة الله اذا انجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التلذذ والتمتع وعلى هذا لا وقف على يشركون ومن جعله لام الامر متشبثا بقراءة ابن كثير وحمزة وعلي وليتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحقيقه في اصول الفقه يقف عليه فسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تدميرهم اولم يروا اي اهل مكة انا جعلنا بلدهم حرما ممنوعا مصونا امنا يامن داخله ويتخطف الناس من حولهم يستلبون قتلا وسبيا افبالباطل يؤمنون اي بالشيطان والاصنام وبنعمة الله يكفرون اي بمحمد عليه السلام والاسلام ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان جعل له شريكا او كذب بالحق بنبوة محمد عليه السلام والكتاب لما جاءه اي لم يتلعثموا في تكذيبه حين سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين هذا تقرير لثوائهم في جهنم لان همزة الانكار اذا دخلت على النفي صار ايجابا يعني الا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب او الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حين اجترؤا مثل هذه الجراة وذكر المثوى في مقابلة لنثوينهم يويد قراة الث والذين جاهدوا اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا سبلنا ابو عمرو اي لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا وعن الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وعن سهل والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا في رضانا لنهدينهم الوصول الى محل الرضوان وعن ابن عباس

جاهدوا

جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا في التوبة لنهدينهم سبل الاخلاص او جاهدوا في خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والانس بنا او جاهدوا في طلبنا تحريا لرضانا لنهدينهم سبل الوصول الينا وان الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة في الدنيا وبالثواب والمغفرة في العقبى والله اعلم

سورة الروم مكية وهي ستون او تسع وخمسون اية والاختلاف في بضع سنين

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم اي غلبت فارس الروم في ادنى الارض اي في اقرب ارض العرب عند الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم وهم اي الروم من بعد غلبهم اي غلبة فارس اياهم وقرئ بسكون اللام فالغلب والغلب مصدران وقد اضيف المصدر الى المفعول سيغلبون فارس ولا وقف عليه لتعلق في بضع سنين به وهو ما بين الثلاث الى العشرة قيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى ابرويز فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام زد في الخطر وابعد في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية او يوم بدر فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فقال عليه السلام تصدق به وهذه اية بينة على صحة نبوته وان القران من عند الله لانها انباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد رضي الله عنهما ان العقود الفاسدة كعقد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بهذه القصة لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء او حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين اولا وغالبين اخرا اي ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المومنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المومنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء يتصل بيفرح فيوقف على الله لا على المومنين ينصر من يشاء وهو العزيز الغالب على اعدائه الرحيم العاطف على اوليائه وعد الله مصدر

كذبت صح

موكد لان قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فقوله وعد
الله بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدًا **لا يخلف الله وعده** بنصر الروم على فارس
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك **يعلمون** بدل من لا يعلمون وفيه بيان انه لا فرق
بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا
وقوله **ظاهرا من الحياة الدنيا** يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفها
الجهال من التمتع بزخارفها وباطنها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالاعمال
الصالحة وتنكير الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظاهرها
وهم عن الاخرة هم غافلون هم الثانية مبتدا وغافلون خبره والجملة
خبر هم الاولى وفيه بيان انهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها **اولم يتفكروا في**
انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يثبتوا التفكر في انفسهم اي في
قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة
تصوير لحال المتفكرين كقوله اعتقده في قلبك وان تكون صلة للتفكر
نحو تفكر في الامر واجال فيه فكره ومعناه على هذا اولم يتفكروا في انفسهم
التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم باحوالها منهم باحوال
ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة
على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من الانتهاء الى وقت تجازى فيه على
الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان ساير الخلايق
كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير فانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت
ما خلق الله السموات والارض وما بينهما متعلق بالقول المحذوف معناه
اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا ان في الكلام دليلا عليه
الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى
خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى
لا بد لها من ان تنتهي اليه وهي قيام الساعة ووقت الحساب والثواب
والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا **وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم** بالبعث
والجزاء **لكافرون** لجاحدون وقال الزجاج اي لكافرون بلقاء ربهم
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هو تقرير
لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم
العاتية ثم وصف حالهم فقال **كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض** وحرثوها
وعمروها اي المدمرون **اكثر** صفة مصدر محذوف وما مصدرية **مما عمروها**
اي من عمارة اهل مكة **وجاءتهم رسلهم بالبينات** ونقف عليها لحق الحذف
اي فلم يؤمنوا فيهلكوا **فما كان الله ليظلمهم** فما كان تدميره اياهم ظلما لهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب
تدميرهم **ثم كان عاقبة** بالنصب شامي وكوفي **الذين اساؤا السوءى** تانيث
الاسوء وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن ومحلها رفع على انها

اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر ونصب عند من رفعها والمعنى
انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوءى الا انه وضع المظهر
وهو الذين اساؤا موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوء العقوبات في الاخرة
وهي النار التي اعدت للكافرين **ان كذبوا** لان كذبوا وبان وهو بدل على ان
معنى اساؤا اكفروا **بايات الله وكانوا بها يستهزؤن** يعني ثم كانت
عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بايات الله واستهزائهم **الله يبدؤا الخلق**
ينشئهم **ثم يعيده** يحييهم بعد الموت **ثم اليه ترجعون** وبالياء ابو عمرو
وسهل **ويوم تقوم الساعة يبلس** ييأس ويتحير يقال ناظرته فابلس اذا لم
ينبس وييئس من ان يحتج **المجرمون** المشركون **ولم يكن لهم من شركائهم** من
الذين عبدوهم من دون الله وكتب **شفعؤا** في المصحف بواو قبل الالف
كما كتب علمؤا بني اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالالف قبل الياء اثباتا
للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها **وكانوا بشركائهم كافرين** اي
يكفرون بالهتهم ويجحدونها او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم **ويوم تقوم**
الساعة يومئذ يتفرقون الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين
لدلالة ما بعده عليه حيث قال **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة**
اي بستان وهو الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه **يحبرون** يسرون
يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلف
فيه لاحتماله وجوه المسار فقيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع
في الجنة **واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة** اي البعث
فاولئك في العذاب محضرون مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم
كقوله وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى
الوعد وينجي من الوعيد فقال **فسبحان الله** والمراد بالتسبيح ظاهره
الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات
لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة او الصلاة فقيل لابن عباس هل تجد
الصلاة الخمس في القران فقال نعم وتلا الاية وهو نصب على المصدر
والمعنى نزهوه عما لا يليق به او صلوا لله **حين تمسون** صلاة المغرب
والعشاء **وحين تصبحون** صلاة الفجر **وله الحمد في السموات والارض**
اعتراض ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه
وفي السموات حال من الحمد **وعشيا** صلاة العصر وهو معطوف على
حين تمسون **وحين تظهرون** صلاة الظهر اظهر اي دخل في وقت الظهيرة
والقول الاكثر ان الصلوات الخمس فرضت بمكة **يخرج الحي من الميت**
الطاير من البيضة او الانسان من النطفة او المومن من الكافر **ويخرج الميت**
من الحي اي البيضة من الطاير والنطفة من الانسان او الكافر من المومن
والميت بالتخفيف فيهما مكي وشامي وابو عمرو وابو بكر وحماد وبالتشديد
غيرهم **ويحيي الارض** بالنبات **بعد موتها** ييبسها **وكذلك تخرجون** تخرجون

حمزة وعلي وخلف اي ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم والكاف
في محل النصب بتخرجون والمعنى ان الابداء والاعادة يتساويان في قدرة
من هو قادر على اخراج الحي من الميت وعكسه روي عن ابن عباس رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا فسبحان الله حين تمسون
الى الثلاث واخر سورة والصافات دبر كل صلاة كتبت له من الحسنات
عدد نجوم السما وقطر الامطار وورق الاشجار وتراب الارض فاذا مات
اجري له بكل حرف عشر حسنات في قبره وعنه عليه السلام من قال حين
يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته ومن
اياته ومن علامات ربوبيته وقدرته ان خلقكم اي اباكم من تراب
ثم اذا انتم بشر اي ادم وذريته تنتشرون تتصرفون فيما فيه معاشكم
واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجا تم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض
ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها اي حوى خلقت
من ضلع ادم عليه السلام والنسا بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من
شكل انفسكم وجنسها لا من جنس اخر وذلك لما بين الاثنين من جنس
واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر
يقال سكن اليه اذا مال اليه وجعل بينكم مودة ورحمة اي جعل
بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل ان المودة
والرحمة من الله والفرك من الشيطان اي بغض المراة زوجها وبغض الزوج
المراة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ان قوام الدنيا بوجود التناسل
ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم اي اللغات او اجناس
النطق واشكاله والوانكم كالسواد والبياض وغيرهما ولاختلاف ذلك
وقع التعارف والا فلو تشاكلت واتفقت لوقع التجاهل والالتباس
ولتعطلت المصالح وفي ذلك اية بينة حيث ولدوا من اب واحد وهم على
الكثرة التي لا يعلمها الا الله متفاوتون ان في ذلك لايات للعالمين جمع عالم
وبكسر اللام حفص جمع عالم ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون
ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله هذا من باب اللف
والنشر وتقديره ومن اياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل
بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين والمراد منامكم في الزمانين
وابتغاؤكم فيهما والمراد والجمهور على الاول لتكرره في القران واسد
المعاني ما دل عليه القران ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي يسمعون
سماع تدبر باذان واعية ومن اياته يريكم البرق في يريكم وجهان اضمار ان
كما في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما
فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع او سماعك خوفا

من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث او خوفا للمسافر وطمعا
للحاضر وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه اي ارادة خوف وارادة طمع او على الحال اي خائفين
وطامعين وينزل من السما وبالتخفيف مكي وبصري ماء مطرا فيحيي الارض
بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يتفكرون بعقولهم ومن اياته ان تقوم تثبت بلا عمد السما والارض بامره اي باقامته
او بتدبيره وحكمته ثم اذا دعاكم للبعث دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
من قبوركم هذا كقوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى
كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض واستمساكها بغير عمد
ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور
اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هذا على
قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره
على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين
والاخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفا
في جواب الشرط ومن الارض متعلق بالفعل لا بالمصدر وقولك دعوته
من مكان كذا يجوز ان يكون مكانك ويجوز ان يكون مكان صاحبك
وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون لوجود افعاله
فيهم لا يمتنعون عليه اي مقرون بالعبودية وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده
اي ينشيهم ثم يعيدهم للبعث وهو اي البعث اهون ايسر عليه
عندكم لان الاعادة عندكم اسهل من الانشا فلم انكرتم الاعادة واخرت
الصلة من قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين لقصد
الاختصاص هناك واما هنا فلا معنى للاختصاص وقال ابو عبيدة
والزجاج وغيرهما الاهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان
ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله اكبر كبير والاعادة في نفسها عظيمة
ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء او هو اهون على الخلق من الانشاء
لان قيامهم بصيحة واحدة اسهل من كونهم نطفا ثم علقا ثم مضغا الى تكميل
خلقهم وله المثل الاعلى في السموات والارض اي الوصف الاعلى الذي
ليس لغيره وقد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق
والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شي من انشا واعادة
وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز اي القاهر لكل
مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما المثل الاعلى ليس كمثله شي وهو السميع البصير وعن
مجاهد هو قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الارفع الذي هو
الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم فهذا

مثل ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه ومن للابتداء كأنه قال
أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم هل لكم معاشر الأحرار
مما ملكت أيمانكم عبيدكم ومن للتبعيض من شركاء من مزيدة لتأكيد
الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم
بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الأموال وغيرها
فأنتم معاشر الأحرار والعبيد فيه في ذلك الرزق سواء من غير تفضلة
بين حر وعبد حكم مماليككم في أموالكم كحكمكم تخافونهم حال من ضمير
الفاعل في سواء أي متساوون خائفا بعضكم بعضا مشاركته في المال والمعنى
تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تمضون فيها حكما دون إذنهم
خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم كخيفتكم أي خيفة كخيفتكم أنفسكم
يعني كما يخاف بعض الأحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم فإذا لم ترضوا بذلك
لأنفسكم فكيف ترضونه لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا
بعض عبيده له شركاء كذلك موضع الكاف نصب أي مثل ذلك التفصيل
نفصل الآيات أي نبينها لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم
يعقلون يتدبرون في ضرب الأمثال فلما لم ينزجروا أضرب عنهم فقال
بل اتبع الذين ظلموا أنفسهم بما أشركوا لأن الشرك لظلم عظيم أهواءهم بغير
علم أي اتبعوا أهواءهم جاهلين فمن يهدي من أضل الله أي أضله الله
وما لهم من ناصرين من العذاب فأقم وجهك للدين فقوم وجهك له
وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين
واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه
وسدد إليه نظره وقوم له وجهه حنيفا حال من المأمور أو من الدين
فطرة الله أي الزموا فطرة الله والفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله لا تبديل
لخلق الله فالمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين
عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما
اختاروا عليه دينا آخر ومن غوي منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن
ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين
عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة
حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقال الزجاج معناه
أن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به على ما جاء في الحديث أن الله عز وجل
أخرج من صلب آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم فقال وإذ
أخذ ربك إلى قوله قالوا بلى وكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت
بأن الله تعالى خالقها فمعنى فطرة الله دين الله التي فطر الناس عليها أي
خلق لا تبديل لخلق الله أي ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير
وقال الزجاج معناه لا تبديل لدين الله ويدل عليه ما بعده وهو قوله
ذلك الدين القيم أي المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون حقيقة

وذلك

ذلك منيبين إليه راجعين إليه وهو حال من الضمير في الزموا وقوله
واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر أو من قوله فأقم
وجهك لأن الأمر له عليه السلام أمر لأمته فكأنه قال فأقيموا
وجوهكم منيبين إليه أو التقدير كونوا منيبين دليله قوله واتقوه وأقيموا
الصلاة ممن يشرك به غيره أي أدوها في أوقاتها ولا تكونوا من المشركين
ممن يشرك به غيره في العبادة من الذين بدل من المشركين بإعادة
الجار فرقوا دينهم جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم فارقوا
حمزة وعلي وهو قراءة علي رضي الله عنه أي تركوا دين الإسلام وكانوا شيعا
فرقا كل واحدة تشايع إمامها الذي أضلها كل حزب منهم بما لديهم فرحون
فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا وإذا مس الناس ضر شدة من
هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم
منه رحمة خلاصا من الشدة إذا فريق منهم بربهم يشركون
في العبادة ليكفروا هذه لام كي وقيل لام الأمر للوعيد بما آتيناهم من
النعم فتمتعوا بكفركم قليلا أمر وعيد فسوف تعلمون وبال تمتعكم
أم أنزلنا عليهم سلطانا حجة فهو يتكلم وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق
بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كأنه قال فهو يشهد
بشركهم وبصحته بما كانوا به يشركون ما مصدرية أي بكونهم بالله
يشركون أو موصولة ويرجع الضمير إليها أي فهو يتكلم بالأمر الذي بسببه
يشركون أو معنى الآية أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أي ملكا معه برهان
فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون وإذا أذقنا الناس
رحمة أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة فرحوا بها بطروا بسببها
وإن تصبهم سيئة أي بلاء من جدب أو ضيق أو مرض بما قدمت أيديهم بسبب
شؤم معاصيهم إذا هم يقنطون من الرحمة وإذا للمفاجأة جواب
الشرط نائب عن الفاء لتآخيهما في التعقيب أولم يروا أن الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أنكر عليهم بأنهم قد علموا
أنه القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته ولما ذكر أن السيئة أصابتهم
بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يفعل وما يجب أن يترك فقال فآت ذا القربى
فأعط قريبك حقه من البر والصلة والمسكين وابن السبيل نصيبهما من
الصدقة المسماة لهما وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا
ذلك أي إيتاء حقوقهم خير للذين يريدون وجه الله أي ذاته أي يقصدون
بمعروفهم إياه خالصا وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس
ليزيد وما أعطيتم أكلة الربا من ربا ليربو في أموالهم وما آتيتم من زكاة
فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الربا الحلال أي وما تعطونه
من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يربو عند الله لأنكم لم تريدوا بذلك
وجه الله تريدون وجه الله صدقة فأولئك هم المضعفون يبتغون به وجهه

خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا ريا ولا سمعة **فاولئك هم المضعفون** ذووا
الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار
اتيتم من ربا بلا مد مكي اي وما غشيتموه من اعطا ربا لتربوا مدني اي لتزيدوا
في اموالكم وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن لانه لا يفيد التعميم
كانه قيل من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين والمعنى المضعفون به لانه
لا بد من ضمير يرجع الى ما الموصولة وقال الزجاج في قوله فاولئك هم
المضعفون اي فاهلها هم المضعفون اي هم الذين يضاعف لهم الثواب
يعطون بالحسنة عشر امثالها ثم اشار الى عجز الهتهم فقال **الله الذي خلقكم**
مبتدا وخبر **ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم** اي هو المختص بالخلق والرزق
والاماتة والاحيا **هل من شركائكم** اي اصنامكم التي زعمتم انهم شركاء لله
من يفعل من ذلكم اي من الخلق والرزق والاماتة والاحيا **من شيء** اي شيا
من تلك الافعال فلم يجيبوا عجزا فقال استبعادا **سبحانه وتعالى عما
يشركون** ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة
بتاكيد لتعجيز شركايهم وتجهيل عبدتهم **ظهر الفساد في البر والبحر** نحو القحط
وقلة الامطار والريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان
في الناس والدواب وكثرة الغرق ومحق البركات من كل شيء **بما كسبت
ايدي الناس** بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم **ليذيقهم بعض الذي عملوا** اي ليذيقهم وبال بعض
اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الاخرة وبالنون عن قنبل
لعلهم يرجعون عما هم عليه من المعاصي ثم اكد تسبب المعاصي
لغضب الله ونكاله بقوله **قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل كان اكثرهم مشركين** حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك
الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم **فاقم وجهك للدين القيم** البليغ
الاستقامة الذي لا يتاتى فيه عوج **من قبل ان ياتي يوم لا مرد له** هو مصدر
بمعنى الرد **من الله** يتعلق بياتي والمعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده
احد كقوله فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به
ولا رد له من جهته **يومئذ يصدعون** يتصدعون اي يتفرقون ثم اشار
الى غناه عنهم فقال **من كفر فعليه كفره** اي وبال كفره **ومن عمل صالحا فلانفسهم
يمهدون** اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطيه
لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغص عليه مرقده من نتوء وغيره والمعنى انه يمهد
لهم الجنة بسبب اعمالهم فاضيف اليهم وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة
على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع
الى المومن لا تجاوزه **ليجزي** متعلق بيمهدون تعليل له وتكرير **الذين امنوا
وعملوا الصالحات** وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المومن
من فضله يريد تجارة الجزاء اي عطائه وقوله **انه لا يحب الكافرين** تقرير بعد

تقرير على الطرد والعكس **ومن اياته** اي ومن ايات قدرته **ان يرسل الرياح**
هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب
ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد
الفوايد في ارسالها فقال **مبشرات** اي ارسالها للبشارة بالغيث
وليذيقكم من رحمته ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب
الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض وغير ذلك
وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم
ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها **بامره** اي بتدبيره او بتكوينه لقوله انما
امره اذا اراد شيا الاية **ولتبتغوا من فضله** يريد تجارة البحر **ولعلكم تشكرون**
ولتشكروا نعمة الله فيها **ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاوهم بالبينات**
اي فامن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله **فانتقمنا من
الذين اجرموا** اي كفروا بالاهلاك في الدنيا **وكان حقا علينا نصر المومنين**
اي وكان نصر المومنين حقا علينا بانجايهم مع الرسل وقد يوقف على
حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم تبتدا علينا نصر المومنين والاول
اصح **الله الذي يرسل الرياح** الريح مكي **فتثير سحابا فيبسطه** اي
السحاب **في السماء** اي في سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السما
كيف يشاء من ناحية الشمال او الجنوب او الدبور او الصبا **ويجعله
كسفا** قطعا جمع كسفة اي يجعله منبسطا باخذ وجه السماء مرة
ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة مرة كسفا يزيد وابن ذكوان **فترى
الودق** المطر **يخرج** في التارتين جميعا **من خلاله** وسطه **فاذا اصاب به**
الودق **من يشاء من عباده** يريد اصابة بلادهم واراضيهم **اذا هم يستبشرون**
يفرحون **وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم** المطر **من قبله** كرر للتاكيد
كقوله فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيها
الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم ياسهم فكان الاستبشار
على قدر اغتمامهم بذلك **لمبلسين** ايسين **فانظر الى اثار** شامي وكوفي
غير ابي بكر وغيرهم اثر **رحمة الله** اي المطر **كيف يحيي الارض** بالنبات
وانواع الثمار **بعد موتها ان ذلك** اي الله **لمحيي الموتى** يعني ان ذلك
القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم
وهذا استدلال باحيا الموات على احياء الاموات **وهو على كل شيء قدير**
اي وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات
بدليل الانشا **ولئن ارسلنا ريحا** اي الدبور **فراوه** اي اثر رحمة الله
لان رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير
الى معناه لان معنى اثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل
والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت **مصفرا** بعد اخضراره وقال
مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لان السحاب

الاصفرار لا يمطر واللام في لئن موطية للقسم دخلت على حرف الشرط وسد
مسد جوابي القسم والشرط **لظلوا** ومعناه ليظلن **من بعده يكفرون** اي
من بعد اصفراره او من بعد الاستبشار ذمهم الله تعالى بانه اذا احبس
عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا اذا قابهم على صدورهم مبلسين
فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فاذا ارسل ريحا فضرب
زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم على جميع هذه الاحوال
على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان
يشكروا نعمة الله ويحمدوه عليها ففرحوا وان يصبروا على بلائه فكفروا
فانك لا تسمع الموتى اي موتى القلوب او هولاء في حكم الموتى فلا تطمع
ان يقبلوا منك **ولا تسمع الصم الدعاء** ولا يسمع الصم مكي **اذا ولوا مدبرين**
فان قلت الاصم لا يسمع مقبلا او مدبرا فما فايدة هذا التخصيص
قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولى قلا
يسمع ولا يفهم بالاشارة **وما انت بهادي العمي** اي عمي القلوب وما
انت تهدي العمي حمزه **عن ضلالتهم** اي لا يمكنك ان تهدي الاعمى
الى طريق قد ضل عنه باشارة منك له اليه **ان تسمع** ما تسمع **الا من
يومن باياتنا فهم مسلمون** منقادون لاوامر الله تعالى **الله الذي خلقكم
من ضعف** من نطفة كقوله من ماء مهين **ثم جعل من بعد ضعف قوة**
يعني حال الشباب وهو بلوغ الاشد **ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة**
يعني حال الشيخوخة والهرم **يخلق ما يشاء** من ضعف وقوة
وشباب وشيبة **وهو العليم** باحوالهم **القدير** على تغييرهم وهذا
الترديد في الاحوال ابين دليل على الصانع العليم القدير وفتح الضاد
في الكل عاصم وحمزه وضم غيرهما وهوا ختيار حفص وهما لغتان
والضم اقوى في القراة لما روي ابن عمر قال قرات على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقراني من ضعف **ويوم تقوم الساعة**
اي القيامة سميت بذلك لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات
الدنيا او لانها تقع بغتة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت
علما لها كالنجم للثريا **يقسم المجرمون** يحلف الكافرون ولا وقف
عليه لان **ما لبثوا** في القبور او في الدنيا **غير ساعة** جواب
القسم استقلوا مدة لبثهم في القبور او في الدنيا لهول يوم القيامة
وطول مقامهم في شدايدها او ينسون او يكذبون **كذلك كانوا
يوفكون** اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق الى
الكذب في الدنيا ويقولون ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
وقال الذين اوتوا العلم والايمان هم الملائكة والانبيا والمومنون
لقد لبثتم في كتاب الله في علم الله المثبت في اللوح او في حكم الله
وقضايه **الى يوم البعث** ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على

الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم **فهذا يوم
البعث ولكنكم كنتم** في الدنيا **لا تعلمون** انه حق لتفريطكم في
طلب الحق واتباعه والفا لجواب شرط يدل عليه الكلام تقديره
ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذي انكرتموه **فيومئذ
لا ينفع** بالياء كوفي **الذين ظلموا** كفروا **معذرتهم** عذرهم **ولا هم
يستعتبون** اي لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة من قولك استعتبني
فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته **ولقد ضربنا للناس في هذا القران
من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون**
اي ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم
كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم
وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من
استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم اذا جيتهم باية من ايات القران
قالوا جيتنا بزور وباطل **كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**
اي مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب الجهلة الذين
علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسموا المحقين مبطلين وهم
اعرق خلق الله في تلك الصفة **فاصبر** على اذاهم وعداوتهم
ان وعد الله بنصرتك على اعدايك واظهار دين الاسلام على كل دين
حق لا بد من انجازه والوفا به **ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**
اي لا يحملنك هولاء الذين لا يوقنون بالاخرة على الخفة والعجلة في
الدعا عليهم بالعذاب او لا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون
ويفعلون فانهم ضلال شاكون لا يستغرب منهم ذلك ولا يستخفنك
بسكون النون عن يعقوب **سورة لقمان مكية وهي ثلاث وثلثون اية**
بسم الله الرحمن الرحيم **الم تلك ايات الكتاب الحكيم** ذي
الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي **هدى
ورحمة** حالان من الايات والعامل فيها معنى الاشارة في تلك حمزة بالرفع
على ان تلك مبتدا وايات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر او خبر
مبتدا محذوف اي هو او هي هدى ورحمة **للمحسنين** للذين يعملون
الحسنات المذكورة في قوله **الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة
وهم بالاخرة هم يوقنون** ونظيره قول اوس الالمعي الذي يظن بك
الظن كان قد راى وقد سمعا او للذين مبتدا وخبر **من ربهم** صفة لهدى
واوليك هم المفلحون عطف عليه **ومن الناس من يشتري لهو الحديث**
نزلت في النضر ابن الحارث وكان يشتري اخبار الاكاسرة من فارس
ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فانا احدثكم
باحاديث الاكاسرة فيميلون الى حديثه ويتركون استماع القران
واللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر

بالاساطير التي لا اصل لها والغنا وكان ابن مسعود وابن عباس رضي الله
عنهما يحلفان انه الغنا وقيل الغنا مفسدة للقلب منفدة للمال
مسخطة للرب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته
بالغنا الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر
على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت
والاشترا من الشرى كما ورد عن النضر او من قوله اشتروا الكفر بالايمان
اي استبدلوه منه واختاروه عليه اي اختاروا حديث الباطل على حديث
الحق واضافة اللهو الى الحديث للتبيين بمعنى من لان اللهو يكون
من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما
جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة
الحشيش او للتبعيض كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث
الذي هو اللهو منه **ليضل** اي ليصد الناس عن الدخول في
الاسلام واستماع القران ليضل مكي وابو عمرو اي ليثبت على
ضلاله الذي كان عليه ويزيد فيه **عن سبيل الله** دين الاسلام والقران
بغير علم اي جهلا منه بما عليه من الوزر به **ويتخذها** اي السبيل
بالنصب كوفي غير ابي بكر عطفا على ليضل ومن رفع عطف على يشتري
هزوا بسكون الزاي والهمزة حمزة وبضم الزاي بلا همز حفص وغيرهما
بضم الزاي والهمز **اولئك لهم عذاب مهين** اي يهينهم ومن لابهامه
يقع على الواحد والجمع اي للنضر وامثاله **واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا**
اعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن الاصغا الى القران **كان لم يسمعها**
يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والاصل
كانه والضمير ضمير الشان **كان في اذنيه وقرا** ثقلا وهو حال من لم يسمعها
واذنيه نافع **فبشره بعذاب اليم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم**
ولا وقف عليه لان **خالدين فيها** حال من الضمير في لهم **وعد الله حقا**
مصدران موكدان الاول موكد لنفسه والثاني موكد لغيره اذ لهم
جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد
بالوعد وحقا يدل على معنى الثبات فاكد به معنى الوعد وموكدهما
لهم جنات النعيم **وهو العزيز** الذي لا يغلبه شي فيهين اعداه بالعذاب
الاليم **الحكيم** بما يفعل فيثيب اولياه بالنعيم المقيم **خلق السموات**
بغير عمد جمع عماد **ترونها** الضمير للسموات وهو استشهاد برويتهم
لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا
رمح تراني ولا محل لها من الاعراب لانها مستانفة او في محل الجر صفة
لعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها
بقدرته **والقى في الارض رواسي** جبالا ثوابت **ان تميد بكم** لئلا تضطرب
بكم **وبث** ونشر **فيها من كل دابة وانزلنا من السما ما فانبتنا فيها من كل زوج**

صنف **كريم** حسن **هذا** اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته **خلق الله** اي مخلوقه
فاروني ماذا خلق الذين من دونه يعني بكتهم بان هذه الاشيا العظيمة
مما خلقه الله فاروني ما خلقته الهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة
بل الظالمون في ضلال مبين اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم
بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال **ولقد اتينا لقمان الحكمة** وهو لقمان
بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد ازر وعاش الف
سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث
داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي
اذا كفيت وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان قاضيا في
بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان نبيا والجمهور على انه كان حكيما
ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وهي الاصابة
في القول والعمل وقيل تلمذ لالف نبي وتلمذ له الف نبي **ان اشكر لله**
مفسرة والمعنى اي اشكر لله لان ايتا الحكمة في معنى القول وقد نبه
الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة
الله والشكر له حيث فسر ايتا الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون
الرجل حكيما حتى يكون حكيما في قوله وفعله ومعاشرته وصحبته وقال
السري الشكر ان لا يعصى الله بنعمه وقال الجنيد ان لا ترى معه شريكا
في نعمه وقيل هو الاقرار بالعجز عن الشكر والحاصل ان شكر القلب
المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الاركان الطاعة ورؤية العجز في الكل
القبول **ومن يشكر فانما يشكر لنفسه** لان منفعته تعود اليه فهو يريد المزيد
ومن كفر النعمة **فان الله غني** غير محتاج الى الشكر **حميد** حقيق بان يحمد
وان لم يحمده احد **واذ** اي واذكر اذ **قال لابنه** انعم او اشكم **وهو يعظه**
يا بني مكي يا بني حفص بفتحه في كل القران **لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم**
لانه تسوية بين من لا نعمة الا وهي منه وبين من لا نعمة منه اصلا **ووصينا**
الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن اي حملته تهن وهنا على وهن
اي تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتزايد ويتضاعف
لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا **وفصاله في عامين** اي
فطامه عن الرضاع لتمام عامين **ان اشكر لي ولوالديك** هو تفسير لوصينا
اي وصيناه بشكرنا وبشكر والديه وقوله حملته امه وهنا على وهن
وفصاله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لانه لما وصى بالوالدين
ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق في حمله وفصاله هذه المدة الطويلة
تذكيرا بحقها العظيم مفردا وعن ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس
فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد شكرهما
الي المصير اي مصيرك الي وحسابك علي **وان جاهداك على ان تشرك بي**
ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشي

يريد الاصنام **فلا تطعهما** في الشرك **وصاحبهما في الدنيا معروفا** صفة مصدر محذوف اي صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة **واتبع سبيل من اناب الي** اي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا وقال ابن عطا صاحب من ترى عليه انوار خدمتي **ثم الي مرجعكم** اي مرجعك ومرجعهما **فانبئكم بما كنتم تعملون** فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما وقد اعترض بهاتين الايتين على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك يعني انا وصيناه بوالديه وامرناه ان لا يطيعهما في الشرك وان جهدا كل الجهد لقبحه **يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل** بالرفع مدني والضمير للقصة وانث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وكان تامة والباقون بالنصب والضمير للهيئة من الاساءة والاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر كحبة خردل **فتكن في صخرة او في السموات او في الارض** اي فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة التي عليها الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وليست من الارض **يات بها الله** يوم القيامة فيحاسب بها عاملها **ان الله لطيف** يتوصل علمه الى كل خفي **خبير** عالم بكنهه او لطيف باستخراجها خبير بمستقرها **يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك** في ذات الله تعالى اذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وعلى ما اصابك من المحن فانها تورث المنح **ان ذلك** الذي وصيتك به **من عزم الامور** مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام اي امرهم به امرا حتما وهي من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي من مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا دليل ان هذه الطاعات كانت مامورا بها في سائر الامم **ولا تصعر خدك للناس** اي ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر ابو عمرو ونافع وحمزة وعلي وهو بمعنى تصعر والصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون **ولا تمش في الارض مرحا** اي تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال اي مرحا او لا تمش لاجل المرح والاشر **ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا** من يعدد مناقبه تطاولا **واقصد في مشيك** اي اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثوب الشطار قال عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وعن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه وانظر موضع قدميك متواضعا **واغضض من صوتك** وانقص منه اي اخفض صوتك

ان

ان انكر الاصوات اي اوحشها **لصوت الحمير** لان اوله زفير واخره شهيق كصوت اهل النار وعن الثوري صياح كل شيء تسبيح الا الحمار فانه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفي تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق تنبيه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة يؤيده ما روي انه عليه السلام كان يعجبه ان يكون الرجل خفيض الصوت ويكره ان يكون جهور الصوت وانما وحد صوت الحمير ولم يجمع لانه لم يرد ان يذكر صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده **الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات** يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك **وما في الارض** يعني البحار والانهار والمعادن والدواب وغير ذلك **واسبغ** واتم **عليكم نعمه** مدني وابو عمرو وسهل وحفص نعمة غيرهم والنعمة كل نفع قصد به الاحسان **ظاهرة** ما يعلم بالمشاهدة **وباطنة** ما لا يعلم الا بدليل ثم قيل الظاهر البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطن القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس وقيل تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق والخلق ونيل العطايا وصرف البلايا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس الظاهرة ما سوى من خلقك والباطنة ما ستر من عيوبك **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** نزلت في النضر بن الحارث وقد مر في الحج **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير** معناه اتتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب **ومن يسلم وجهه الى الله** عدي هنا بالى وفي بلى من اسلم وجهه لله باللام فمعناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه **وهو محسن** فيما يعمل **فقد استمسك** تمسك **بالعروة** هي ما يتعلق به الشيء **الوثقى** تانيث الاوثق مثل حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون انقطاعه **والى الله عاقبة الامور** اي هي صائرة اليه فيجازي عليها **ومن كفر** ولم يسلم وجهه لله **فلا يحزنك كفره** من حزن يحزن نافع من احزن اي لا يهمنك كفر من كفر **الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا** فنعاقبهم على اعمالهم **ان الله عليم بذات الصدور** ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه **نمتعهم** زمانا **قليلا** بدنياهم **ثم نضطرهم** نلجئهم **الى عذاب غليظ** شديد شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه

باضطرار المضطر الى الشى والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب **ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله** الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال **بل اكثرهم لا يعلمون** ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم يتنبهوا **لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني** عن حمد الحامدين **الحميد** المستحق للحمد وان لم يحمدوه قال المشركون ان هذا اي الوحي كلام سينفد فاعلم الله ان كلامه لا ينفد بقوله **ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله** والبحر ابو عمرو ويعقوب عطفا على اسم ان وهو ما والرفع على محل ان ومعمولها اي ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وقرئ يمده وكان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد لكن اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا حتى لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقولك جئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة وقد دريت اقلاما واوثرا الكلمات وهي جمع قلة على الكلم وهي جمع كثرة لان معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه **ان الله عزيز** لا يعجزه شيء **حكيم** لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا تنفد كلماته وحكمه **ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة** الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة فحذف للعلم به اي سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغله شان عن شان **ان الله سميع** لقول المشركين **بصير** باعمالهم فيجازيهم **الم تر ان الله يولج الليل في النهار** يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار اذا اقبل الليل **ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر** لمنافع العباد **كل** اي كل واحد من الشمس والقمر **يجري** في فلكه ويقطعه **الى اجل مسمى** الى يوم القيامة او الى وقت معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر **وان الله بما تعملون خبير** وبالياء

عياش ذلك ايضا بتفاوت الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته **ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون** بالياء عراقي غير ابي بكر **من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير** اي ذلك الذي وصف به من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الالهية وان من دونه باطل الالهية وانه هو العلي الشان الكبير السلطان **الم تر ان الفلك** وقرئ الفلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في فعل فعل **تجري في البحر بنعمة الله** باحسانه ورحمته او بالريح لان الريح من نعم الله **ليريكم من آياته** عجائب قدرته في البحر اذا ركبتموها **ان في ذلك لآيات لكل صبار** على بلائه **شكور** لنعمائه وهما صفتا المؤمن فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر فكانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن **واذا غشيهم** اي الكفار **موج كالظلل** الموج يرتفع فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما **دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد** اي باق على الايمان والاخلاص الذي كان منه ولم يعد الى الكفر او متوسط في الظلم والكفر انزجر بعض الانزجار ولا يغلو في الكفر او مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر **وما يجحد بآياتنا** اي بحقيقتها **الا كل ختار** غدار والختر اقبح الغدر **كفور** لربه **يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده** لا يقضي عنه شيئا والمعنى لا يجزي فيه فحذف **ولا مولود هو جاز عن والده شيئا** وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية اكد من الجملة الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين وغلبتهم قبض اباؤهم على الكفر فاريد حسم اطماعهم ان ينفعوا اباءهم بالشفاعة في الاخرة ومعنى التاكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لاجداده اذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك كذا في الكشاف **ان وعد الله** بالبعث والحساب والجزاء **حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا** بزينتها فان نعمتها دانية ولذتها فانية **ولا يغرنكم بالله الغرور** الشيطان او الدنيا او الامل **ان الله عنده علم الساعة** اي وقت قيامها **وينزل** بالتشديد شامي ومدني وعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره ان الله يثبت عنده علم الساعة وينزل **الغيث** في ابانه من غير تقديم ولا تاخير **ويعلم ما في الارحام** اذكر ام انثى ام تام ام ناقص **وما تدري نفس** برة او فاجرة **ماذا تكسب**

غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على
شر فعملت خيرا وما تدري نفس باي ارض تموت اي اين تموت وربما
اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها فترمي بها مرامي
القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها روي ان ملك الموت مر على
سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له
ملك الموت فقال كانه يريدني وسال سليمان عليه السلام ان يحمله
على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت كان دوام
نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك
وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة
وانها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يختص بها ولا شيء اخص بالانسان من
كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان معرفة ما عداهما
ابعد واما المنجم الذي يخبر بوقت الغيث والموت فانه يقول بالقياس
والنظر في الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا على انه مجرد الظن
والظن غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة
فقد كذب ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وساله عن مدة
عمره فاشار باصابعه الخمس فعبرها المعبرون بخمس سنوات وبخمسة
اشهر وبخمسة ايام فقال ابو حنيفة رضي الله عنه هو اشارة الى هذه
الاية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله ان الله عليم بالغيوب
خبير بما كان وبما يكون وعن الزهري اكثروا قراءة سورة لقمان فان فيها اعاجيب

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون اية مدني وكوفي وتسع وعشرون بصري

بسم الله الرحمن الرحيم الم على انها اسم السورة مبتدا
وخبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل بانه خبر
مبتدا محذوف او هو مبتدا خبره لا ريب فيه او يرتفع بالابتدا وخبره
من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى
مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين
لانه معجز للبشر ومثله ابعد شيء من الريب ثم اضرب عن ذلك الى قوله
ام يقولون افتراه اي اختلقه محمد لان ام هي المنقطعة الكائنة
بمعنى بل والهمزة معناه بل ايقولون افتراه انكارا لقولهم وتعجيبا منهم
لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث ايات منه بل هو الحق ثم
اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ولم يفتره محمد صلى
الله عليه وسلم كما قالوا تعنتا وجهلا لتنذر قوما اي العرب ما اتاهم من
نذير من قبلك ما للنفي والجملة صفة لقوما لعلهم يهتدون على الترجي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لعله يتذكر على الترجي من
موسى وهارون الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام

ثم استوى على العرش استولى عليه باحداثه ما لكم من دونه من دون الله
من ولي ولا شفيع اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا
ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم افلا تتذكرون فتتعظون بمواعظ الله يدبر
الامر اي امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه
ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو
يوم القيامة مما تعدون من ايام الدنيا ولا تمسك للمشبهة بقوله
اليه في اثبات الجهة لان معناه الى حيث يرضاه او امره كما لا تشبث
لهم بقوله اني ذاهب الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ذلك عالم
الغيب والشهادة اي الموصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه
العزيز الغالب امره وتدبيره الرحيم البالغ لطفه وتيسيره وقيل
لا وقف عليه لان الذي صفته احسن كل شيء اي حسنه لان كل شيء مرتب
على ما اقتضته الحكمة خلقه كوفي ونافع وسهل على الوصف اي كل شيء
خلقه فقد احسنه خلقه غيرهم على البدل اي احسن خلق كل شيء وبدا
خلق الانسان ادم من طين ثم جعل نسله ذريته من سلالة من نطفة
من ماء اي مني وهو بدل من سلالة مهين ضعيف حقير ثم سواه
قومه كقوله في احسن تقويم ونفخ ادخل فيه من روحه الاضافة
للاختصاص كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبعلمه
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما
تشكرون اي تشكرون قليلا وقالوا القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله
اسند اليهم ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا وذهبنا مختلطين
بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها
وقرا علي ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وانتصب الظرف في ائذا
ضللنا بما يدل عليه ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث بل هم بلقاء ربهم
كافرون جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث اضرب عنه الى ما هو ابلغ وهو
انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون اي يتوفى ملك الموت الذي وكل
بقبض ارواحكم ثم ترجعون الى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء
وهذا معنى لقاء الله والتوفي استيفاء النفس وهو الروح اي يقبض ارواحكم
اجمعين من قولك توفيت حقي من فلان اذا اخذته منه وافيا كملا من
غير نقصان وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست
يتناول منها حيث يشا وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر
اعوانه بقبضها والله تعالى هو الامر لذلك كله وهو الخالق لافعال المخلوقات
وهذا وجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى
الانفس حين موتها ولو ترى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ولو امتناعية والجواب محذوف اي لرايت امرا عظيما

اذ المجرمون هم الذين قالوا ابذا ضللنا في الارض ولو واذ للمضي وانما
جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لترى ما يتناوله
كانه قيل ولو يكون منك الرؤية واذ ظرف له ناكسوا رؤسهم من الذل
والحيا والندم عند ربهم عند حساب ربهم ويوقف لحق الحذف اذ التقدير
يقولون ربنا ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك
او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا الي الدنيا نعمل صالحا اي الايمان
والطاعة انا موقنون بالبعث والحساب الآن ولو شئنا لاتينا كل نفس
هداها في الدنيا اي لو شئنا اعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو
كان منهم اختاروا ذلك لاهتدوا لكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم
اختيار الكفر وايثاره وهو حجة على المعتزلة فان عندهم شاء الله ان يعطي
كل نفس ما به اهتدت وقد اعطاها لكنها لم تهتد وهم اولوا الاية بمشية
الجبر وهو نا وبل فاسد لما عرف في تبصرة الادلة ولكن حق القول مني
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ولكن وجب القول مني بما علمت
انه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم انهم يختارون
الرد والتكذيب وفي تخصيص الانس والجن اشارة الى انه عصم ملائكته
عن عمل يستوجبون به جهنم فذوقوا العذاب بما نسيتم لقا بما تركتم من
عمل لقا يومكم هذا وهو الايمان به انا نسيناكم تركناكم في العذاب كالمنسي
وذوقوا عذاب الخلد اي العذاب الدائم الذي لا انقطاع له بما كنتم تعملون
من الكفر والمعاصي انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا بها
خروا سجدا سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام
وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله عما لا يليق به واثنوا عليه حامدين له
وهم لا يستكبرون عن الايمان به والسجود له تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم
عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم قال سهل وهب لقوم هبة وهو ان
اذن لهم في مناجاته وجعلهم من اهل وسيلته ثم مدحهم عليه فقال
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون داعين ربهم عابدين له خوفا وطمعا
مفعول له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المجتهدون وعن
النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن عطا
ابت جنوبهم ان تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القربة يعني
صلاة الليل وعن انس كان اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشا الاخيرة فنزلت فيهم وقيل هم
الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها ومما رزقناهم ينفقون في طاعة
الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم ما بمعنى الذي اخفي على حكاية النفس
حمزة ويعقوب من قرة اعين اي لا يعلم احد ما اعد لهؤلاء من الكرامة جزاء
مصدر اي جوزوا جزاء بما كانوا يعملون عن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا
فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت وفيه دليل على ان المراد

الصلاة في جوف الليل ليكون الجزاء وفاقا ثم بين ان من كان في نور الطاعة
والايمان لا يستوي مع من هو في ظلمة الكفر والعصيان بقوله افمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا اي كافرا وهما محمولان على لفظ من وقوله لا يستوون
على المعنى بدليل قوله اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى
هي نوع من الجنان تاوي اليها ارواح الشهدا وقيل هي عن يمين العرش
نزلا بما كانوا يعملون عطايا بما لهم والنزل عطا النازل ثم صار عاما
واما الذين فسقوا فماواهم النار اي ملجاهم ومنزلهم كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم اي تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذ
التكذيب يقابل الايمان ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا
من الاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين دون العذاب الاكبر عذاب
الاخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الاخرة وعن الداراني العذاب
الادنى الخذلان والعذاب الاكبر الخلود في النيران وقيل العذاب الادنى عذاب
القبر لعلهم لعل المعذبين بالعذاب الادنى يرجعون يتوبون عن الكفر ومن
اظلم ممن ذكر وعظ بايات ربه اي القران ثم اعرض عنها اي فتولى
عنها ولم يتدبر فيها وثم للاستبعاد اي ان الاعراض عن مثل هذه الايات
في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة
العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل كما تقول لصاحبك وجدت مثل
تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز انا من المجرمين
منتقمون ولم يقل منه لانه اذا جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة
بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام
ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة ولقد اتينا موسى الكتاب التوراة
فلا تكن في مرية في شك من لقائه من لقاء موسى الكتاب او من لقائك
موسى ليلة المعراج او يوم القيامة او من لقاء موسى ربه في الاخرة كذا عن
النبي صلى الله عليه وسلم وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا الكتاب
المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ائمة بهمزتين كوفي وشامي
يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرائعه بامرنا
اياهم بذلك لما صبروا حين صبروا على الحق بطاعة الله او عن المعاصي
لما صبروا حمزة وعلي اي لصبرهم عن الدنيا وفيه دليل على ان الصبر ثمرته
امامة الناس وكانوا باياتنا التوراة يوقنون يعلمون علما لا يخالجه
شك ان ربك هو يفصل يقضي بينهم يوم القيامة بين الانبيا وامهم
او بين المؤمنين والمشركين فيما كانوا فيه يختلفون فيظهر المحق من المبطل
اولم الواو للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف اي اولم
يدع ولم يهد يبين والفاعل الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب نهد لهم لاهل
مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون كعاد وثمود وقوم لوط يمشون

في مساكنهم اي اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ان في ذلك
لايات افلا يسمعون المواعظ فيتعظون اولم يروا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز اي الارض التي جرز نباتها اي قطع
اما لعدم الماء او لانه رعي ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز بدليل قوله
فنخرج به بالماء زرعا تاكل منه من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم
من حبه افلا يبصرون باعينهم فيستدلوا به على قدرته على احياء الموتى
ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح
بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح
بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت
يكون ان كنتم صادقين في انه كائن قل يوم الفتح اي يوم القيامة وهو
يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم او يوم نصرهم عليهم او يوم بدر او
يوم فتح مكة لا ينفع الذين ظلموا ايمانهم ولا هم ينظرون وهذا الكلام
لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن
وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا
على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا
تستهزئوا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وامنتم فلم ينفعكم
الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح
او بيوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فانهم لا ينفعهم ايمانهم في حال
القتل كما لا ينفع فرعون ايمانه عند الغرق فاعرض عنهم وانتظر النصرة
وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم وكان عليه السلام
لا ينام حتى يقرا الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وقال من قرا
الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام وعن ابن مسعود
رضي الله عنه قال سورة الم تنزيل هي المانعة تمنع عذاب القبر

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابي بن كعب رضي الله عنه لزر كم تعدون سورة الاحزاب قال
ثلاثا وسبعين اية قال فوالذي يحلف به ابي ان كانت لتعدل سورة
البقرة او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي ان ذلك من
جملة ما نسخ من القران واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت
عائشة رضي الله عنها فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض
يا ايها النبي وبالهمز نافع اي يا ايها المخبر عنا المامون على اسرارنا المبلغ
خطابنا الى احبابنا وانما لم يقل يا محمد كما قال يا ادم يا موسى تشريفا له
وتنويها بفضله وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه
لتعليم الناس بانه رسول الله اتق الله اثبت على تقوى الله ودم عليه
وازدد منه فهو باب لا يدرك مداه ولا تطع الكافرين والمنافقين

ولا تساعدهم على شيء واحترس منهم فانهم اعداء الله والمؤمنين وروي ان
ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال
احد فنزلوا على عبد الله بن ابي واعطاهم الامان على ان يكلموه فقالوا
ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع ووازرهم المنافقون على ذلك
فهم المسلمون بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين
من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا ان الله كان عليما
بخبث اعمالهم حكيما في تاخير الامر بقتالهم واتبع ما يوحى اليك من
ربك في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين
ان الله الذي يوحي اليك كان بما تعملون خبيرا اي لم يزل عالما باعمالهم
واعمالكم وقيل انما جمع لان المراد بقوله اتبع هو واصحابه وبالياء ابو عمرو
اي بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل
على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا
موكولا اليه كل امر وقال الزجاج لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى
اكتف بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم
اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم اي ما جمع الله
قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امراة ولا بنوة ودعوة في رجل
والمعنى انه تعالى كما لم يجعل لانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما
ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليه واما ان
يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه
مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم يحكم ايضا ان
تكون المراة الواحدة ام الرجل زوجا له لان الام مخدومة والمراة خادمة
وبينهما منافاة وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة
اصالة في النسب والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع
في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى
في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم ابن
حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهبته له فطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبي صلى الله
عليه وسلم زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امراة
ابنه وهو ينهى عنه فانزل الله هذه الاية وقيل كان المنافقون يقولون
لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع اصحابه وقيل كان ابو معمر احفظ العرب
فقيل له ذو القلبين فاكذب الله قولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني
والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين وذكر الجوف
للتاكيد اللائي بياء بعد الهمز حيث كان كوفي وشامي اللاء نافع وسهل
ويعقوب وهي جمع التي تظاهرون عاصم من ظاهر اي قال لامراته

انت علي كظهر امي وعدي بمن لتضمنه معنى البعد لانه كان طلاقا في الجاهلية
ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدي بمن والا فآلى في
اصله الذي هو معنى حلف واقسم ليس هذا بحكمه والدعي فعيل بمعنى
مفعول وهو الذي يدعى ولدا وجمع على افعلاء شاذ لان بابه ما كان
منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا تكون ذلك في نحو رمي
وسمي للتشبيه اللفظي ذلكم قولكم بافواهكم اي ان قولكم للزوجة هي
ام وللدعي هو ابن قول تقولونه بالسنتكم لا حقيقة له اذ الابن يكون
بالولادة وكذا الام والله يقول الحق اي ما هو حق ظاهره وباطنه
وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو
سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم هو اقسط اعدل عند الله
وبين ان دعاهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وقيل
كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه ولد الرجل ضمه الى نفسه وجعل له
مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان
بن فلان ثم انظر الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجملة
الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينها ثم فصل الاسمية عنها
ووصل بينها ثم فصل بالطلبية فان لم تعلموا آباءهم فان لم تعلموا لهم آباء
تنسبونهم اليهم فاخوانكم في الدين ومواليكم اي فهم اخوانكم في الدين
واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي
يريد الاخوة في الدين والولاية فيه وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به
اي لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي
ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الاثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم
عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا
قلتموه متعمدين وما في موضع الجر عطف على ما الاولى ويجوز ان يراد
العفو عن الخطأ دون العمد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التبني
وعمده واذا وجد التبني فان كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا منه
ثبت نسبه منه وعتق ان كان عبدا له وان كان اكبر سنا منه لم يثبت
النسب وعتق عند ابي حنيفة رضي الله عنه واما المعروف النسب
فلا يثبت نسبه بالتبني وعتق ان كان عبدا وكان الله غفورا رحيما
لا يؤاخذكم بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمد النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم اي احق بهم في كل شيء من امور الدين والدنيا وحكمه انفذ عليهم
من حكمها فعليهم ان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه او هو اولى بهم اي
ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وفي قراءة
ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد
كل نبي ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم
ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم في تحريم نكاحهن ووجوب

تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالارث وغيره كالاجنبيات ولهذا لم يتعد
التحريم الى بناتهن واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض
في التوارث وكان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين
وبالهجرة لا بالقرابة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة في
كتاب الله في حكمه وقضائه او في اللوح المحفوظ او فيما فرض الله
من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء
من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب وان يكون لابتداء
الغاية اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين
اي الانصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان
تفعلوا الى اوليائكم معروفا الاستثناء من خلاف الجنس اي لكن فعلكم
الى اوليائكم معروفا جائز وهو ان توصوا لمن احببتم من هؤلاء بشيء فيكون
له ذلك بالوصية لا بالميراث وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا
والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين كان ذلك
في الكتاب مسطورا اي التوارث بالارحام كان مسطورا في اللوح
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذكر حين اخذنا من النبيين
ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا وقدم
رسول الله على نوح ومن بعده لان هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء
لانهم اولوا العزم واصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم
افضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وثيقا واعاد
ذكر الميثاق لانضمام الوصف اليه وانما فعلنا ذلك ليسأل الله الصادقين
اي الانبياء عن صدقهم عما قالوه لقومهم او ليسأل المصدقين للانبياء
عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسأل
الانبياء ما الذي اجابتهم اممهم وهو كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم واعد للكافرين بالرسل عذابا اليما وهو عطف على اخذنا
لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين
واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال
فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اي ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق بعد حرب
احد بسنة اذ جاءتكم جنود اي الاحزاب وهم قريش وغطفان
وقريظة والنضير فارسلنا عليهم ريحا اي الصبا قال عليه السلام
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة
وكانوا الفا فبعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت
التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب
واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض

وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فانهزموا
من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم
ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان ثم خرج في ثلاثة الاف من
المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري
والنسوان فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وكانت قريش قد اقبلت
في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان
وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن
وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير
ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل
والحجارة حتى انزل الله النصر **وكان الله بما تعملون** اي بعملكم ايها
المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبي صلى الله
عليه وسلم **بصيرا** وبالياء ابو عمرو اي بما يعمل الكفار من البغي والسعي في
اطفاء نور الله **اذ جاؤكم** بدل من اذ جاءتكم **من فوقكم** من اعلى الوادي
من قبل المشرق بنو غطفان **ومن اسفل منكم** من اسفل الوادي من قبل
المغرب قريش **واذ زاغت الابصار** مالت عن سننها ومستوى نظرها
حيرة او عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع
وبلغت القلوب الحناجر الحنجرة راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم
والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة
الفزع او الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة
وقيل هو مثل من اضطراب القلوب وان لم تبلغ الحناجر حقيقة روي
ان المسلمين قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء نقوله
فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وامن
روعاتنا **وتظنون بالله الظنونا** خطاب للذين امنوا ومنهم الثبت
القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون
فظن الاولون بالله انه يبتليهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما
الاخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم قرا ابو عمرو وحمزة الظنون بغير
الف في الوصل والوقف وهو القياس وبالالف فيهما مدني وشامي
وابو بكر اجراء للوصل مجرى الوقف وبالالف في الوقف مكي وعلي وحفص
ومثله الرسولا والسبيلا زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية
من قال * اقلي اللوم عاذل والعتابا * وهن كلهن في الامام بالالف
هنالك ابتلي المؤمنون امتحنوا بالصبر على الايمان **وزلزلوا زلزالا
شديدا** وحركوا بالخوف تحريكا بليغا **واذ يقول المنافقون** عطف
على الاول **والذين في قلوبهم مرض** قيل هو وصف المنافقين بالواو
كقوله * الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم *
وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم

بادخال الشبه عليهم **ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا** روي ان معتب
بن قشير حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا
لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور **واذ قالت طائفة منهم**
من المنافقين وهم عبد الله بن ابي واصحابه **يا اهل يثرب** هم اهل
المدينة **لا مقام لكم** وبضم الميم حفص اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون
فيه او تقيمون **فارجعوا** الى الكفر او من عسكر رسول الله الى المدينة
ويستاذن فريق منهم النبي اي بنو حارثة **يقولون ان بيوتنا عورة**
ذات عورة **وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا** العورة الخلل
والعورة ذات العورة وهي قراءة ابن عباس يقال عور المكان عورا
اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان تكون عورة
تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم عرضة للعدو والسارق لانها
غير محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم
لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال **ولو دخلت عليهم**
المدينة او بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره **من اقطارها** من
جوانبها اي ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها
مدينتهم او بيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم
ناهبين سابين **ثم سئلوا** عند ذلك الفزع **الفتنة** اي الردة
والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين **لاتوها** لاعطوها لاتوها
بلا مد حجازي اي لجاؤها وفعلوها **وما تلبثوا بها** باجابتها **الا يسيرا**
ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او ما لبثوا بالمدينة بعد
ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم
ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة
الاحزاب الذين ملؤوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا
عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين
لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذلك الا لمقتهم الاسلام وحبهم الكفر
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي بنو حارثة من قبل الخندق او من
قبل نظرهم الى الاحزاب **لا يولون الادبار** منهزمين **وكان عهد الله
مسؤلا** مطلوبا مقتضى حتى يوفى به **قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا** اي ان حضر اجلكم
لم ينفعكم الفرار وان لم يحضر وفررتم لم تمتعوا في الدنيا الا قليلا وهو
مدة اعماركم وذلك قليل وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل
فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب **قل من
ذا الذي يعصمكم من الله** اي مما اراد الله انزاله بكم **ان اراد بكم سوءا**
في انفسكم من قتل او غيره **او اراد بكم رحمة** اي اطالة عمر في عافية
وسلامة او من يمنع الله من ان يرحمكم ان اراد بكم رحمة لما في

العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
ناصرا قد يعلم الله المعوقين منكم اي من يعوق عن نصرة رسول الله
اي يمنع وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم في الظاهر من المسلمين
هلم الينا اي قربوا انفسكم الينا ودعوا محمدا وهي لغة اهل الحجاز
فانهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجال
وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب ولا ياتون البأس
الحرب الا قليلا الا اتيانا قليلا اي يحضرون ساعة رياء ويقفون
قليلا مقدار ما يرى شهودهم اشحة جمع شحيح وهو البخيل نصب
على الحال من الضمير في ياتون اي ياتون الحرب بخلا عليكم بالظفر
والغنيمة فاذا جاء الخوف من قبل العدو او منه عليه السلام رايتهم
ينظرون اليك في تلك الحالة تدور اعينهم يمينا وشمالا كالذي
يغشى عليه من الموت كما ينظر المغشي عليه من سكرات الموت حذرا
وخوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف زال ذلك الخوف وامنوا
وحيزت الغنائم سلقوكم بالسنة حداد خاطبوكم مخاطبة شديدة
واذوكم بالكلام خطيب مسلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ في الكلام
اي يقولون وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا
غلبتم عدوكم اشحة على الخير اي خاطبوكم اشحة على المال والغنيمة
واشحة حال من فاعل سلقوكم اولئك لم يؤمنوا في الحقيقة بل بالالسنة
فاحبط الله اعمالهم ابطل باضمارهم الكفر ما اظهروه من الاعمال وكان
ذلك احباط اعمالهم على الله يسيرا هينا يحسبون الاحزاب لم
يذهبوا اي لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع انهم
قد انصرفوا وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون
في الاعراب البادون جمع البادي اي يتمنى المنافقون لجبنهم انهم
خارجون من المدينة الى البادية حاصلون بين الاعراب ليامنوا
على انفسهم ويعتزلون مما فيه الخوف من القتال يسألون كل قادم
منهم من جانب المدينة عن انبائكم عن اخباركم وعما جرى عليكم
ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا
رياء وسمعة لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة بالضم حيث
كان عاصم قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة
عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد او فيه
خصلة من حقها ان يؤتسى بها حيث قاتل بنفسه لمن كان يرجو الله
واليوم الاخر اي يخاف الله ويخاف اليوم الاخر ويامل ثواب الله
ونعيم اليوم الاخر قالوا لمن بدل من لكم وفيه ضعف لانه لا يجوز
البدل من ضمير المخاطب وقيل لمن يتعلق بحسنة اي اسوة حسنة
كائنة لمن كان وذكر الله كثيرا اي في الخوف والرجا والشدة والرخا

ولما راى المؤمنون الاحزاب وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه
ويستنصروه بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل
الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب فلما جاء الاحزاب واضطربوا
ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق
الله ورسوله وعلموا ان الغلبة والنصرة قد وجبت لهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ان الاحزاب
سائرون اليكم في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد
قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء وما زادهم ما راوا من
اجتماع الاحزاب عليهم ومجيئهم الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه
واقداره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي فيما
عاهدوه عليه فحذف الجار كما في المثل صدقني سن بكره اي صدقني في سن
بكره بطرح الجار وايصال الفعل نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا
حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا
وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب وغيرهم
فمنهم من قضى نحبه اي مات شهيدا كحمزة ومصعب وقضاء النحب صار عبارة
عن الموت لان كل حي من المحدثات لا بد له ان يموت فكانه نذر لازم
في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره ومنهم من ينتظر الموت اي على
الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد تبديلا ولا غيروه لا المستشهد
ولا من ينتظر الشهادة وفيه تعريض لمن بدلوا من اهل النفاق ومرضى
القلوب كما مر في قوله تعالى ولقد عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار
ليجزي الله الصادقين بصدقهم بوفائهم بالعهد ويعذب المنافقين ان
شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم ان تابوا ان الله كان غفورا بقبول التوبة
رحيما بعفو الحوبة جعل المنافقين كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها
بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق
الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها
ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم حال اي مغيظين كقوله تنبت بالدهن
لم ينالوا خيرا ظفرا اي لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا بزعمهم وهو حال اي غير
ظافرين وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا عزيزا
قادرا غالبا وانزل الذين ظاهروهم عاونوا الاحزاب من اهل الكتاب
يعني بني قريظة من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به روي
ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة
التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم
على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا
يا جبريل قال من متابعة قريش فقال يا رسول الله ان الله يامرك
بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا

واطعمكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في
بني قريظة فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا
به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم
فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة
ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب
اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة
اسير وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وبضم العين شامي وعلي ونصب
فريقا بقوله تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا وهم النساء
والذراري واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم اي المواشي والنقود
والامتعة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين
دون الانصار وقال لهم انكم في منازلكم وارضا لم تطؤها بقصد القتال
وهي مكة او فارس والروم او خيبر او كل ارض تفتح الى يوم القيامة
وكان الله على كل شيء قديرا قادرا يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحياة الدنيا وزينتها اي السعة في الدنيا وكثرة الاموال فتعالين
اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر
حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن
واختياركن لاحد الامرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كقولك قام
يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق وتستحب المتعة لكل مطلقة
الا المفوضة قبل الوطي واسرحكن واطلقكن سراحا جميلا لا ضرار فيه
اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعائشة رضي الله عنها وكانت
احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار
الاخرة فرءي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت
جميعهن اختيارها وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك
ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا عليها القران فقالت افي
هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وحكم التخيير
في الطلاق انه اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي ان تقع تطليقة
بائنة واذا اختارت زوجها لم يقع شيء وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت
زوجها فواحدة رجعية واذا اختارت نفسها فواحدة بائنة وان كنتن
تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن للبيان
لا للتبعيض اجرا عظيما يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة سيئة بليغة
في القبح مبينة ظاهرة فحشها من بين بمعنى تبين وبفتح اليا مكي
وابو بكر قيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن
وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك يضاعف لها العذاب ضعفين

ضعفين

ضعفي عذاب غيرهن من النساء لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن
فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لاحد من النساء مثل فضل
نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الذم للعاصي العالم اشد منه
للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذا فضل حد الاحرار على
العبيد ولا يرجم الكافر وكان ذلك اي تضعيف العذاب عليهن على الله
يسيرا هينا ومن يقنت منكن لله ورسوله القنوت الطاعة وتعمل
صالحا نؤتها وبالياء فيهما حمزة وعلي اجرها مرتين مثلي ثواب غيرها
واعتدنا لها رزقا كريما جليل القدر وهو الجنة يا نساء النبي لستن كاحد
من النساء اي لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصيت امة
النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل
واحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا
فيه المذكر والمونث والواحد وما وراءه ان اتقيتن ان اردتن التقوى
وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول اي اذا كلمتن الرجال من
وراء الحجاب فلا تجئن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات
فيطمع بالنصب على جواب النهي الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقلن
قولا معروفا حسنا مع كونه خشنا وقرن مدني وعاصم غير هبيرة
واصله اقررن فحذفت الرا تخفيفا والقيت فتحتها على ما قبلها او من
قار يقار اذا اجتمع والباقون قرن من وقر يقر وقارا او من قر يقر
حذفت الاولى من راءي اقررن فرارا من التكرار ونقلت كسرتها الى
القاف في بيوتكن بضم البا بصري ومدني وحفص ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى اي القديمة والتبرج التبختر في المشي او اظهار الزينة والتقدير
ولا تبرجن تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية الاولى وهي الزمان
الذي ولد فيه ابراهيم او ما بين ادم ونوح عليهما السلام او زمن داود
وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام
او الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى
جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام واقمن الصلاة واتين الزكاة
واطعن الله ورسوله خص الصلاة والزكاة بالامر ثم عم بجميع الطاعات
تفضيلا لهما لان من واظب عليهما جرتاه الى ما وراءهما انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت نصب على النداء او على المدح وفيه دليل على
ان نساءه من اهل بيته وقال عنكم لانه اريد الرجال والنساء من اله
بدلالة ويطهركم تطهيرا من نجاسة الاثام ثم بين انه انما نهاهن وامرهن
ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله الماثم وليتصونوا عنها
بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف
للمقبحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات
فالعرض معها نقي كالثوب الطاهر وفيه تنفير لاولي الالباب عن

وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية **في الذين خلوا من قبل** في الانبيا الذين مضوا من قبل **وكان امر الله قدرا مقدورا** قضا مقضيا وحكما مبتوتا ولا وقف عليه ان جعلت **الذين يبلغون رسالات الله** بدلا من الذين الاول وقف ان جعلته في محل الرفع والنصب على المدح اي هم الذين يبلغون او اعني الذين يبلغون **ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله** وصف للانبيا بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه **وكفى بالله حسيبا** كافيا للمخاوف ومحاسبا على الصغيرة والكبيرة فكان جديرا بان تخشى منه **ما كان محمد ابا احد من رجالكم** اي لم يكن ابا رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وابراهيم توفوا صبيانا **ولكن** كان **رسول الله** وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الابا والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا اولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير **وخاتم النبيين** بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع اي اخرهم يعني لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كانه بعض امته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين **وكان الله بكل شيء عليما** **يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا** اثنوا عليه بضروب الثنا واكثروا ذلك **وسبحوه بكرة** اول النهار **واصيلا** اخر النهار وخصهما بالذكر لان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والفعلان اي اذكروا الله وسبحوه موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختص من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ابانة لفضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات وجاز ان يراد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والعبادات فانها من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهي صلاة الفجر واصيلا وهي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء او صلاة الفجر والعشائين **هو الذي يصلي عليكم وملائكته** لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمراة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف والمراد بصلاة الملائكة

قولهم

قولهم اللهم صل على المومنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرافة والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة **ليخرجكم من الظلمات الى النور** من ظلمات المعصية الى نور الطاعة **وكان بالمؤمنين رحيما** هو دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة وروي انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فنزلت **تحيتهم** من اضافة المصدر الى المفعول اي تحية الله لهم **يوم يلقونه** يرونه **سلام** يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم **واعد لهم اجرا كريما** يعني الجنة **يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا** على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال مقدرة كما تقول مررت برجل معه صقر صائدا به اي مقدرا به الصيد غدا **ومبشرا** للمومنين بالجنة **ونذيرا** للكافرين بالنار **وداعيا الى الله باذنه** بامره او بتيسيره والكل منصوبات على الحال **وسراجا منيرا** جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجمهور على انه القران فيكون التقدير وذا سراج منيرا او وتاليا سراجا منيرا ووصف بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته او شاهدا بوحدانيتنا ومبشرا برحمتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا الى عبادتنا وسراجا وحجة ظاهرة لحضرتنا **وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا** ثوابا عظيما **ولا تطع الكافرين والمنافقين** المراد به التهييج او الدوام والثبات على ما كان عليه **ودع اذاهم** هو بمعنى الايذا فيحتمل ان يكون مضافا الى الفاعل اي اجعل ايذاهم اياك في جانب ولا تبال بهم ولا تخف من ايذائهم او الى المفعول اي دع ايذائك اياهم مكافاة لهم **وتوكل على الله** فانه يكفيكهم **وكفى بالله وكيلا** وكفى به مفوضا اليه وقيل ان الله تعالى وصفه بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المومنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهدا على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المومنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او اجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه

يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات اي تزوجتم والنكاح هو الوطي
في الاصل وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه
كتسمية الخمر اثما لانها سببه وكقول الراجز اسنمة الابال في سحابة
سمى الماء باسنمة الابال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته
ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى الا في معنى العقد لانه في معنى
الوطي من باب التصريح به ومن اداب القران الكناية عنه بلفظ الملامسة
والمماسة والقربان والتغشي والاتيان وفي تخصيص المؤمنات
مع ان الكتابيات تساوي المومنات في هذا الحكم اشارة الى ان الاولى
بالمومن ان ينكح مومنة **ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن** والخلوة
الصحيحة كالمس **فما لكم عليهن من عدة تعتدونها** فيه دليل على ان العدة
تجب على النسا للرجال ومعنى تعتدونها تستوفون عددها تفتعلون
من العد **فمتعوهن** والمتعة تجب للتي طلقها قبل الدخول بها ولم يسم
لها مهرا دون غيرها **وسرحوهن سراحا جميلا** اي لا تمسكوهن ضرارا
واخرجوهن من منازلكم اذ لا عدة لكم عليهن **يا ايها النبي انا احللنا لك**
ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن اذ المهر اجر على البضع ولهذا
قال الكرخي ان النكاح بلفظ الاجارة جايز وقلنا التابيد من شرط
النكاح والتاقيت من شرط الاجارة وبينهما منافات وايتاؤها
اعطاؤها عاجلا او فرضها وتسميتها في العقد **وما ملكت يمينك مما**
افاء الله عليك وهي صفية وجويرية فاعتقهما وتزوجهما **وبنات**
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن
معك ومع ليس للقران بل لوجودهما فحسب كقوله واسلمت مع سليمان
وعن ام هاني بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتذرت اليه فعذرني فانزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر
معه **وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي** واحللنا لك من وقع
لك ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك
ولذا نكرها قال ابن عباس هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده
احد منهن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحارث او زينب
بنت خزيمة او ام شريك بنت جابر او خولة بنت حكيم وقرا الحسن
ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرا ابن مسعود رضي الله عنه
بغير ان **اذ اراد النبي ان يستنكحها** استنكاحها طلب نكاحها والرغبة
فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثاني تقييد للشرط الاول
شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله
كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان
تستنكحها وارادته هي قبول الهبة وما به تتم وفيه دليل جواز
النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته سواء

في

في الاحكام الا فيما خصه الدليل **خالصة** بلا مهر حال من الضمير في وهبت
او مصدر مؤكد اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا
والفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة **لك من دون**
المؤمنين بل يجب المهر لغيرك وان لم يسمه او نفاه وعدل عن الخطاب
الى الغيبة في قوله ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب ليوذن ان
الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له **قد علمنا**
ما فرضنا عليهم في ازواجهم اي ما اوجبنا من المهور على امتك
في زوجاتهم او ما اوجبنا عليهم في ازواجهم من الحقوق **وما ملكت**
ايمانهم بالشرا وغيره من وجوه الملك وقوله **لكيلا يكون عليك حرج**
ضيق متصل بخالصة لك من دون المومنين وقوله قد علمنا ما
فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم جملة اعتراضية **وكان**
الله غفورا رحيما بالتوسعة على عباده **ترجي** بلا همز مدني وحمزة
وعلي وخلف وحفص وبهمز غيرهم تؤخر **من تشاء منهن وتؤوي اليك**
من تشاء تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من
تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت
وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج
من شئت وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق
واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا
طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي
انه ارجى منهن جويرية وسودة وصفية وميمونة وام حبيبة
وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه عايشة
وحفصة وام سلمة وزينب ارجا خمسا واوى اربعا وروي
انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت
ليلتها لعايشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسايك
ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك اي ومن دعوت
الى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجا فلا
ضيق عليك في ذلك اي ليس اذا عزلتها لم يجز لك ردها الى نفسك
ومن وقع بالابتدا وخبره فلا جناح **ذلك** التفويض الى مشيتك
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن اي
اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا علمن
ان هذا التفويض من عند الله اطمانت نفوسهن وذهب التغاير
وحصل الرضا وقرت العيون كلهن بالرفع تاكيد لنون يرضين
وقري ويرضين كلهن بما اتيتهن على التقديم وقري شاذا
كلهن بالنصب تاكيدا لهن في اتيتهن **والله يعلم ما في قلوبكم**
فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيته

رسوله **وكان الله عليما** بذات الصدور **حليما** لا يعاجل بالعقوبة فهو
حقيق بان يتقى ويحذر **لا يحل لك النساء** بالتاء ابو عمرو ويعقوب
وغيرهما بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل
فمع الفصل اجوز **من بعد** من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله
من الازواج كما ان الاربع نصاب امته **ولا ان تبدل بهن من ازواج**
بالطلاق والمعنى ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن او
ببعضهن كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين نفقة رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التي مات عنهن عائشة • حفصة •
ام حبيبة • سودة • ام سلمة • صفية • ميمونة • زينب بنت جحش •
جويرية • ومن في من ازواج لتاكيد النفي وفائدته استغراق جنس
الازواج بالتحريم **ولو اعجبك حسنهن** في موضع الحال من الفاعل
وهو الضمير في تبدل اي تتبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج
لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسما
بنت عميس امراة جعفر بن ابي طالب فانها ممن اعجبه حسنهن
وعن عائشة وام سلمة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
احل الله له ان يتزوج من النساء ما شاء يعني ان الاية نسخت ونسخها
اما بالسنة او بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس
على ترتيب المصحف **الا ما ملكت يمينك** استثنى ممن حرم عليه الاماء
ومحلها رفع بدل من النساء **وكان الله على كل شيء رقيبا** حافظا وهو
تحذير عن مجاوزة حدوده **يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي**
الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ان يؤذن لكم في موضع الحال
اي لا تدخلوا الا ماذونا لكم او في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم
وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال
معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها
الا غير ناظرين اي غير منتظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين
لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان
يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه واني الطعام ادراكه يقال انى
الطعام انى كقولك قلاه قلى وقيل اناه وقته اي غير ناظرين
وقت الطعام وساعة اكله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس
فترادفوا افواجا ياكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول
الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم
وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فطاف رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم بالحجرات وسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحيا فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع
ونزلت **ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا** فتفرقوا **ولا مستانسين**
لحديث هو مجرور معطوف على ناظرين او منصوب اي ولا تدخلوها مستانسين
نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدث به
ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم من اخراجكم **والله لا يستحيي من الحق**
يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيى منه ولما كان الحيا مما يمنع الحي من
بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق اي لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي
منكم هذا ادب ادب الله به الثقلا وعن عائشة رضي الله عنها حسبك
في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا **واذا سالتموهن**
الضمير لنساء النبي صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لان فيها نساءه
متاعا عارية او حاجة **فاسالوهن** المتاع **من وراء حجاب ذلكم اطهر**
لقلوبكم وقلوبهن من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل
نزول هذه الاية يبرزن للرجال وكان عمر رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب
عليهن ويود ان ينزل فيه وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو
امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وذكر ان بعضهم قال انُنهى ان نكلم
بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة فنزلت **وما**
كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي
وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح ازواجه من بعده
من بعد موته **ان ذلكم كان عند الله عظيما** اي ذنبا عظيما **ان تبدوا شيئا** من
اذى النبي صلى الله عليه وسلم او من نكاحهن **او تخفوه** في انفسكم من ذلكم
فان الله كان بكل شيء عليما فيعاقبكم به ولما نزلت اية الحجاب قال الاباء
والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب
فنزل **لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن**
ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن اي نساء المؤمنات **ولا ما ملكت ايمانهن**
اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان
مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله ابائك
ابراهيم واسمعيل واسحاق واسمعيل عم يعقوب وعبيدهن عند الجمهور
كالاجانب ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل فضل
تشديد كانه قيل **واتقين الله** فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه
الوحي من الاستتار واحتطن فيه **ان الله كان على كل شيء شهيدا** عالما
قال ابن عطا الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح
ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي قولوا
اللهم صل على محمد او صلى الله على محمد **وسلموا تسليما** اي قولوا اللهم سلم
على محمد او انقادوا لامره وحكمه انقيادا وسئل عليه السلام عن هذه الاية

فقال ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك
الملكان غفر الله لك وقال الله وملايكته جوابا لذينك الملكين امين ولا
اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك
وقال الله وملايكته جوابا لذينك الملكين امين ثم هي واجبة مرة عند
الطحاوي وكلما ذكر اسمه عند الكرخي وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان
صلي علي غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي واله فلا كلام فيه
واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة فمكروه وهو من شعاير الروافض
ان الذين يوذون الله ورسوله اي يوذون رسول الله وذكر اسم الله
للتشريف او عبر بايذا الله ورسوله عن فعل ما لا يرضى به الله ورسوله
كالكفر وانكار النبوة مجازا وانما جعل مجازا فيهما وحقيقة الايذا يتصور
في رسول الله ليلا يجتمع المجاز والحقيقة في لفظ واحد لعنهم الله في الدنيا
والاخرة طردهم الله عن رحمته في الدارين واعد لهم عذابا مهينا في الاخرة
والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا اطلق ايذا الله ورسوله
عن فعل ما لا يرضى به الله ورسوله وقيد ايذا المومنين والمومنات لان ذا
يكون عن حق ابدا واما هذا فمنه حق كالحد والتعزير ومنه باطل قيل
نزلت في ناس من المنافقين يوذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه
وقيل في زناة كانوا يتبعون النسا وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك
ان توذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف بالمومنين فقد احتملوا تحملوا
بهتانا كذبا عظيما واثما مبينا ظاهرا يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونسا
المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ما يستر الكل مثل الملحفة
عن المبرد ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها
وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة ادني ثوبك
على وجهك ومن للتبعيض اي ترخي بعض جلبابها وفضله على وجهها متقنع
حتى تتميز من الامة او المراد ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب
وان لا تكون المراة متبذلة في درع وخمار كالامة ولها جلبابان فصاعدا
في بيتها وذلك ان النسا في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات
تبرز المراة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان يتعرضون
اذا خرجن بالليل لقضا حوايجهن في النخيل والغيطان للاما وربما تعرضوا
للحرة لحسبان الامة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاما بلبس
الملاحف وستر الروس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله
ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين اي ادنى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض
لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بتعليمهن اداب
المكارم لين لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض فجور وهم الزناة
من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون في المدينة هم اناس كانوا
يرجفون باخبار السوء من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون

اي صحايف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس او اللوح المحفوظ وجي
بالنبيين ليسالهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما اجابهم قومهم والشهدا
الحفظة وقيل هم الابرار في كل زمان يشهدون على اهل ذلك الزمان
وقضي بينهم بين العباد بالحق بالعدل وهم لا يظلمون ختم الاية
بنفي الظلم كما افتتحها باثبات العدل ووفيت كل نفس ما عملت
اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون من غير كتاب ولا شاهد وقيل
هذه الاية تفسير قوله وهم لا يظلمون اي ووفيت كل نفس ما عملت
من خير وشر ولا يزاد في شر ولا ينقص من خير وسيق الذين كفروا
الى جهنم سوقا عنيفا كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان
اذا سيقوا الى حبس او قتل زمرا حال اي افواجا متفرقة بعضها في
اثر بعض حتى اذا جاوها فتحت بالتخفيف فيهما كوفي ابوابها وهي سبعة
وقال لهم خزنتها اي حفظة جهنم وهم الملايكة الموكلون بتعذيب
اهلها الم ياتكم رسل منكم من بني ادم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقا يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة
قالوا بلى اتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
اي ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملان جهنم بسوء اعمالنا كما قالوا
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب
لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال قيل ادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها حال مقدرة اي مقدرين الخلود فبيس مثوى المتكبرين
اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بيس وبيس فاعلها اسم
معرف بلام الجنس او مضاف اليه مثله والمخصوص بالذم محذوف
تقديره فبيس مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى
الجنة زمرا المراد سوق مراكبهم لانه لا يساق بهم الا راكبين الى دار
الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض
الملوك حتى اذا جاوها هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية
بعدها هي الشرطية الا ان جزاها محذوف وانما حذف لانه في صفة
ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شي لا يحيط به الوصف وقال
الزجاج تقديره حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لان في
الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها فعندهم
جاوها محذوف والمعنى حتى اذا جاوها وقع مجيهم مع فتح ابوابها
وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب
الجنة فمتقدم فتحها كقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب
فلذلك جي بالواو كانه قال حتى اذا جاوها وقد فتحت ابوابها
طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج اي

نكم

كنتم طيبين في الدنيا ولم تكونوا خبيثين اي لم تكونوا اصحاب خبائث
وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب
والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من
كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده انجزنا ما وعدنا في الدنيا من
نعيم العقبى واورثنا الارض ارض الجنة وقد اورثوها اي ملكوها
وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث
وتصرفه بما يرثه واتساعه فيها نتبوا حال من الجنة حيث نشاء
اي يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوا
اي فيتخذ منزلا ومتبوا من جنته حيث يشاء فنعم اجر العاملين في
الدنيا الجنة وترى الملائكة حافين حال من الملائكة من حول العرش
اي محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية اي ابتداء حفوفهم من حول
العرش الى حيث شاء الله يسبحون حال من الضمير في حافين بحمد ربهم
اي يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر او سبوح قدوس
رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكليف
وقضي بينهم بين الانبياء والامم او بين اهل الجنة والنار بالحق بالعدل
وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقول اهل الجنة شكرا حين دخولها
وتم وعد الله لهم كما قال واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر
الحواميم كلها مكية عن ابن عباس رضي الله عنهما والله الموفق للصواب

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم
حم وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح
والكسر مدني وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم
تنزيل الكتاب اي هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز اي المنيع
بسلطانه عن ان يتقول عليه متقول العليم بمن صدق به وكذب
فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين غافر الذنب ساتر ذنب
المؤمنين وقابل التوب قابل توبة الراجعين شديد العقاب على
المخالفين ذي الطول اي الفضل على العارفين او ذي الغنا عن الكل
وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد
العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب
اخوات في معنى الرجوع والطول الغنا والفضل فان قلت
كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة قلت
اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث
الفعلين حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير
حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه واما شديد العقاب

فهو

فهو في تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه
النكرة بين هذه المعارف اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف وادخال
الواو في وقابل التوب لنكتة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين
بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وبين ان يجعلها محاءة
للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروي ان عمر
رضي الله عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع
في هذا الشراب فقال لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا
احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه
المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا
ثم امر من عنده بالدعاء بالتوبة له فلما اتته الصحيفة جعل يقراها
ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها
حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره
قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه وادعوا
له الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه لا اله الا هو
صفة ايضا لذي الطول ويجوز ان يكون مستانفا اليه المصير
المرجع ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا ما يخاصم فيها بالتكذيب
بها والانكار لها وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها
واستنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها فاعظم جهاد في سبيل الله
فلا يغررك تقلبهم في البلاد بالتجارات النافعة والمكاسب
المربحة سالمين غانمين فان عاقبة امرهم الى العذاب ثم بين
كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم اهلكت فقال كذبت
قبلهم قوم نوح نوحا والاحزاب اي الذين تحزبوا على الرسل
وناصبوهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم من بعدهم من بعد
قوم نوح وهمت كل امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب
برسولهم ليأخذوه ليتمكنوا منه فيقتلوه والاخيذ الاسير وجادلوا
بالباطل بالكفر ليدحضوا به الحق ليبطلوا به الايمان فاخذتهم
مظهر مكي وحفص يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة
اخذ الرسل ان اخذتهم فعاقبتهم فكيف كان عقاب وبالياء يعقوب
اي فانكم تمرون على بلادهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه
معنى التعجيب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا كلمات
مدني وشامي انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك
اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار
ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب
اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل

وابطال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هولاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار **الذين يحملون العرش ومن حوله** يعني حاملي العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا بالسلام ويروحوا على حملة العرش تفضيلا لهم على ساير الملائكة وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورايهم سبعون الف صف من الملائكة قيام يهللون ويكبرون ومن ورايهم ماية الف صف قد وضعوا الايمان على الشمايل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر **يسبحون** خبر المبتدا وهو الذين **بحمد ربهم** اي مع حمده اوالبا تدل على ان تسبيحهم بالحمد له **ويؤمنون به** وفايدته مع علمنا بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبيا في غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين امنوا فابان بذلك فضل الايمان وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به **ويستغفرون للذين امنوا** كانه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم وفيه دليل على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شي الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاماكن **ربنا** اي يقولون ربنا وهذا دليل المحذوف حال **وسعت كل شي رحمة وعلما** والرحمة والعلم هما اللذان وسعا في كل في المعنى اذ الاصل وسع كل شي رحمتك وعلمك ولكن ادبل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز مبالغة في وصفه بالرحمة والعلم **فاغفر للذين تابوا** اي للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم **واتبعوا سبيلك** اي طريق الهدى التي دعوت اليها **وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابايهم** من في موضع نصب عطف على هم في وادخلهم او في وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من ابايهم **وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم** اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيا خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك **وقهم السيئات** اي جزاء السيئات وهو عذاب النار **ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك** اي رفع العذاب **هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون** اي يوم القيمة اذا دخلوا النار ومقتوا انفسهم فيناديهم خزنة النار **لمقت الله اكبر من مقتكم**

انفسكم

انفسكم اي لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم فاستغني بذكرها مرة والمقت اشد البغض وانتصاب **اذ تدعون الى الايمان** بالمقت الاول عند الزمخشري والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان يدعوكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذا وقعتكم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله اي يمقتكم الله حين دعيتم الى الايمان فكفرتم ولا ينتصب بالمقت الاول لان قوله لمقت الله مبتدا وهو مصدر وخبره اكبر من مقتكم انفسكم فلا يعمل في اذ تدعون لان المصدر اذا اخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شي يكون في صلته لان الاخبار عنه يوذن بتمامه وما يتعلق به يوذن بنقصانه ولا بالثاني لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا انفسهم في النار وقد دعوا الى الايمان في الدنيا **فيكفرون** يصرون على الكفر **قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين** اي اماتتين واحياتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضا اجالهم وصح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة كما صح ان يقال سبحان من صغر البعوض وكبر جسم الفيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب فيه ان الصغر والكبر جايزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع احد الجايزين فقد صرف المصنوع عن الجايز الاخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالاحياتين الاحياة الاولى واحياة البعث ويدل عليه قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى في الدنيا والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحيا الاول احياؤه في القبر بعد موته للسؤال والثاني للبعث **فاعترفنا بذنوبنا** لما راوا الاماتة والاحيا قد تكررا عليهم علموا ان الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشا فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم **فهل الى خروج** من النار اي الى نوع من الخروج سريع او بطي لنتخلص **من سبيل** قط ام الياس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه الياس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جا الجواب على حسب ذلك وهو قوله **ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا** اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به **فالحكم لله** حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد **العلي** شانه فلا يرد قضاؤه **الكبير** العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج اهل حروراء

قال علي رضي الله عنه من هؤلاء فقيل المحكمون اي يقولون لا حكم الا لله
فقال علي رضي الله عنه كلمة حق اريد بها باطل هو الذي يريكم اياته
من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها وينزل لكم من
السماء وبالتخفيف مكي وبصري رزقا مطرا لانه سبب الرزق وما يتذكر
الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بايات الله الا من يتوب من الشرك
ويرجع الى الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين فادعوا
الله فاعبدوه مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون وان غاظ
ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح
ثلاثة اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم او اخبار مبتدا محذوف
ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض او رافع درجات
عباده في الدنيا بالمنزلة او رافع منازلهم في الجنة وذو العرش مالك
عرشه الذي فوق السموات خلقه مطافا للملائكة اظهارا للعظمة مع
استغنائه في مملكته والروح جبريل عليه السلام او الوحي الذي يحيي
به القلوب من امره من اجل امره او بامره على من يشاء من عباده لينذر
اي الله او الملقى عليه وهو النبي عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب
لتنذر يوم التلاق يوم القيمة لانه يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض
والاولون والاخرون التلاقي مكي ويعقوب يوم هم بارزون ظاهرون
لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لا يخفى على الله منهم شيء من اعمالهم
واحوالهم لمن الملك اليوم اي يقول الله تعالى ذلك حين لا احد يجيبه
ثم يجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار اي الذي قهر الخلق بالموت
وينتصب اليوم بدلول لمن اي لمن ثبت الملك في هذا اليوم وقيل
ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد
القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب
لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل
نفس تجزى بما كسبت عملت في الدنيا من خير وشر وان الظلم مأمون
لانه ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لانه لا يشغله حساب
عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين
وانذرهم يوم الازفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي لقربها
ويبدل من يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر اي التراقي يعني ترفع
قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع
الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا كاظمين ممسكين بحناجرهم من
كظم القربة شد راسها وهو حال من القلوب محمول على اصحابها
وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال
العقلاء ما للظالمين الكافرين من حميم محب مشفق ولا شفيع يطاع
اي يشفع وهو مجاز لان الطاعة حقيقة لا تكون الا لمن فوقك والمراد

نفي

نفي الشفاعة والطاعة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر يريد به
نفي الضب وانجحاره وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة
فعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة يعلم خائنة الاعين مصدر
بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل
وما تخفي الصدور وما تسره من امانة وخيانة وقيل هو ان ينظر الى
اجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه في جمالها ولا يعلم بنظرته
وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين خبر من
اخبار هو في قوله هو الذي يريكم اياته مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح
قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق
الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد ذلك عن اخواته والله يقضي بالحق اي
والذي هذه صفاته لا يحكم الا بالعدل والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء
والهتهم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال
فيه يقضي او لا يقضي تدعون نافع ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله
يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون
ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله
وانها لا تسمع ولا تبصر اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
كانوا من قبلهم اي اخر امر الذين كذبوا الرسل من قبلهم كانوا هم اشد منهم
قوة هم فصل وحقه ان يقع بين معرفتين الا ان اشد منهم ضارع المعرفة
في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه منكم شامي واثارا في الارض
اي حصونا وقصورا فاخذهم الله بذنوبهم عاقبهم بسبب ذنوبهم
وما كان لهم من الله من واق ولم يكن لهم شيء يقيهم من عذاب الله ذلك
بانهم اي الاخذ بسبب انهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا
فاخذهم الله انه قوي قادر على كل شيء شديد العقاب اذا عاقب
ولقد ارسلنا موسى باياتنا التسع وسلطان مبين وحجة ظاهرة
الى فرعون وهامان وقارون فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان
المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة من عندنا قالوا اقتلوا ابناء
الذين امنوا معه اي اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا واستحيوا نساءهم
للخدمة وما كيد الكافرين الا في ضلال ضياع يعني انهم باشروا قتلهم
اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا
القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن القتل فلما بعث موسى عليه السلام
واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وظنا منه انه يصدهم بذلك
عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا
وقال فرعون لملائه ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم
ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته
ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته

بالحجة والظاهر ان فرعون قد استيقن انه نبي وان ما جا به آيات وما هو
بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدما في اهون شي فكيف
لا يقتل من احس بانه هو الذي يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله
ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه
ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما
انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع اني
اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه
ويعبدون الاصنام او ان يظهر موسى في الارض الفساد بضم اليا
ونصب الدال مدني وبصري وحفص وغيرهم بفتح اليا ورفع الدال
والاول اولى لموافقة يبدل والفساد في الارض التقاتل والتهارج
الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك
الناس قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم
الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي غير اهل
الكوفة وان ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقال موسى
لما سمع بما اجراه فرعون من حديث قتله لقومه اني عذت بربي وربكم
من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وفي قوله وربكم بعث لهم على ان
يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال
من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون
على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان
للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال
لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزا
وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراة على
الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان
وعذت بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وقال رجل مؤمن من آل
فرعون يكتم ايمانه قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا
ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صلة
ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب او خربيل
او حزبيل والظاهر الاول اتقتلون رجلا ان يقول لان يقول وهذا
انكار منه عظيم كانه قيل اترتكبون الفعلة الشنعا التي هي قتل نفس
محرمة وما لكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق وهي قوله ربي الله
وهو ربكم ايضا لا ربه وحده وقد جاءكم الجملة حال بالبينات من
ربكم يعني انه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند
من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وان
يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا

فان يك

فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض
ما يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذي يعدكم مع انه وعد من نبي صادق
القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء بما هو اقرب
الى تسليمهم له وليس فيه نفي اصابة الكل فكانه قال لهم اقل ما يكون
في ان يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفي ذلك هلاككم
وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق
من هذا القبيل ايضا وتفسير البعض بالكل مزيف ان الله لا يهدي
من هو مسرف مجاوز للحد كذاب في ادعائه وهذا ايضا من باب
المجاملة والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه فتتخلصون
منه او لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات
وقيل اوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون يا قوم لكم
الملك اليوم ظاهرين غالبين وهو حال من كم في لكم في الارض في ارض مصر
فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس
وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله اي عذابه
فانه لا طاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا
لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه
قال فرعون ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم براي الا بما ارى من
قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب
وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد طريق الصواب والصلاح
او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيا ولا اسر عنكم
خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطيان على ما يقول وقد
كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام
ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على
الاشارة وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
اي مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسره بقوله مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ولم يلتبس ان كل حزب منهم
كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤوبهم في
عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما
منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف اي مثل جزاء دأبهم وانتصاب
مثل الثاني بانه عطف بيان لمثل الاول وما الله يريد ظلما للعباد
اي وما يريد الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب او يزيد على قدر
ما يستحقون من العذاب يعني ان تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه
باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي
ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم ابعد
وابعد وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم ان يظلموا بعيد لان اهل اللغة

قالوا اذا قال الرجل لآخر لا اريد ظلما لك معناه لا اريد ان اظلمك وهذا
تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله ويا قوم اني
اخاف عليكم يوم التناد اي يوم القيامة التنادي مكي ويعقوب في
الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء
وآخر هذه الآي على الدال وهو ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
ونادى اصحاب الاعراف وقيل ينادي مناد الا ان فلانا سعد سعادة
لا يشقى بعدها ابدا الا ان فلانا شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا يوم
تولون مدبرين منصرفين عن موقف الحساب الى النار ما لكم من الله
من عذاب الله من عاصم مانع ودافع ومن يضلل الله فما له من هاد مرشد
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات هو يوسف بن يعقوب وقيل
يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة
وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو
فرعون آخر وبخهم الله بان يوسف اتاكم من قبل موسى بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين حتى اذا هلك
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسهم من غير برهان
اي اقمتم على كفركم وظننتم انه لا يجدد عليكم ايجاب الحجة كذلك
يضل الله من هو مسرف مرتاب اي مثل هذا الاضلال يضل الله كل
مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه الذين يجادلون بدل من
من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا
بل كل مسرف في آيات الله في دفعها وابطالها بغير سلطان حجة
اتاهم كبر مقتا اي عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع
معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على اللفظ
ويجوز ان يرفع الذين على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف
مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر
مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار قلب بالتنوين ابو عمرو وانما وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه
منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان
الآثم هو الجملة وقال فرعون تمويها على قومه او جهلا منه يا هامان
ابن لي صرحا اي قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر
وان بعد ومنه يقال صرح الشيء اذا ظهر لعلي وبفتح الياء حجازي
وشامي وابو عمرو ابلغ الاسباب ثم ابدل منها تفخيما لشانها وابانة
انه يقصد امرا عظيما اسباب السموات اي طرقها وابوابها وما يؤدي
اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه فاطلع بالنصب
حفص على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وغيره بالرفع عطفا

على ابلغ الى اله موسى والمعنى فانظر اليه واني لاظنه اي موسى كاذبا
في قوله له اله غيري وكذلك ومثل ذلك التزيين وذلك الصد
زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل المستقيم وبفتح الصاد كوفي
ويعقوب اي غيره صدا او هو بنفسه صدودا والمزين الشيطان
بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل او
الله تعالى ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وما كيد فرعون الا في
تباب خسران وهلاك وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اتبعوني
في الحالين مكي ويعقوب وسهل اهدكم سبيل الرشاد وهو نقيض الغي
وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي اجمل
اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها بقوله يا قوم انما هذه
الحياة الدنيا متاع تمتع يسير فالاخلاد اليها اصل الشر ومنبع الفتن
وثنى بتعظيم الآخرة وبين انها هي الوطن والمستقر بقوله وان
الآخرة هي دار القرار ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل
منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله من عمل سيئة فلا يجزى الا
مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب يدخلون مكي وبصري ويزيد وابو بكر
ثم وازن بين الدعوتين الى دين الله الذي ثمرته الجنات ودعوتهم
الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار بقوله ويا قوم ما لي وبفتح اليا
حجازي وابو عمرو ادعوكم الى النجاة اي الجنة وتدعونني الى النار
تدعونني لاكفر بالله هو بدل من تدعونني الاول يقال دعاه الى كذا
ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له واشرك به ما ليس لي
به علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك
به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها وانا ادعوكم الى
العزيز الغفار وهو الله سبحانه وتعالى وتكرير النداء لزيادة التنبيه
لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانهم من آل فرعون
وجيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني لان الثاني داخل على
كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث لا جرم عند البصريين
لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه
فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته انما تدعونني اليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الآخرة معناه انما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه
قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته وما تدعون
اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية او معناه
ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة او دعوة مستجابة
جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت
الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه بالجزاء في قوله

وأن مردنا الى الله وان رجوعنا اليه وان المسرفين المشركين كالذين تزان هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم اي من النصيحة عند نزول العذاب وافوض واسلم امري وبفتح الياء مدني وابو عمرو الى الله لانهم توعدوه ان الله بصير بالعباد باعمالهم ومالهم فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من الف في طلبه فمنهم من اكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون وحاق ونزل بآل فرعون سوء العذاب النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون عليها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به غدوا وعشيا اي في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس اخر او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا في الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال لخزنة جهنم ادخلوا آل فرعون من الادخال مدني وحمزة وعلي وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر واذ يتحاجون واذكر وقت تخاصمهم في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا يعني الرؤساء انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في جمع خادم فهل انتم مغنون دافعون عنا نصيبا جزاء من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها التنوين عوض من المضاف اليه اي انا كلنا فيها لا يغني احد عن احد ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها وانما لم يقل لخزنتها لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من الدنيا من العذاب قالوا اي الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة اولم تك اي اولم تك قصة وقوله تأتيكم رسلكم تفسير للقصة بالبينات بالمعجزات قالوا اي الكفار بلى قالوا اي الخزنة تهكما بهم فادعوا انتم ولا استجابة لدعائكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال بطلان وهو من قول الله تعالى عز وجل ويحتمل ان يكون من كلام الخزنة انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض

الاحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من ينتقم من اعدائهم ولو بعد حين ويوم منصوب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك في امس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الانبياء والحفظة فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بني ادم بما عملوا من الاعمال تقوم الرازي عن هشام يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم هذا بدل من يوم يقوم اي لا يقبل عذرهم لا ينفع كوفي ونافع ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الاخرة وهو عذابها ولقد آتينا موسى الهدى يريد به جميع ما اوتي به في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب اي التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال لاولي الالباب لذوي العقول فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص ان وعد الله حق يعني ان ما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واستغفر لذنبك اي لذنب امتك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا الفجر والعصر وقيل قل سبحان الله وبحمده ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم لا وقف عليه لان خبر ان ان في صدورهم الا كبر تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم فلذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه ببالغي موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس لما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء لا زائدة قليلا ما يتذكرون يتعظون بتاء كوفي وبياء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف اي تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة زائدة ان الساعة لآتية لا ريب فيها

لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق
للفناء خاصة **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** لا يصدقون بها **وقال ربكم**
ادعوني اعبدوني **استجب لكم** اثبكم فالدعا بمعنى العبادة كثير في القران
ويدل عليه قوله **ان الذين يستكبرون عن عبادتي** وقال عليه السلام
الدعا هو العبادة وقرا الاية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله
عنهما وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعا بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد
وقيل سلوني اعطكم **سيدخلون جهنم** سيدخلون مكي وابو عمرو وقوله
داخرين صاغرين **الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار**
مبصرا هو من الاسناد المجازي اي مبصرا فيه لان الابصار في الحقيقة لاهل
النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين او مفعولا
لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان معنى لان كل واحد منهما يؤدي
مؤدى الاخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد
المجازي ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف
بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج اي ساكن لا ريح فيه
ان الله لذو فضل على الناس ولم يقل لمفضل او لمتفضل لان المراد تنكير
الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة
ولكن اكثر الناس لا يشكرون ولم يقل ولكن اكثرهم حتى يتكرر ذكر
الناس لان في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين
يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان
الانسان لظلوم كفار **ذلكم** الذي خلق لكم الليل والنهار **الله ربكم خالق**
كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من
الربوبية والالهية وخلق كل شيء والوحدانية **فانى تؤفكون** فكيف
ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان **كذلك يؤفك**
الذين كانوا بايات الله يجحدون اي كل من جحد بايات الله ولم يتاملها
ولم يطلب الحق افك كما افكوا **الله الذي جعل لكم الارض قرارا** مستقرا
والسماء بناء سقفا فوقكم **وصوركم فاحسن صوركم** قيل لم يخلق
حيوانا احسن صورة من الانسان ولم يخلقهم منكوسين كالبهائم
ورزقكم من الطيبات اللذيذات **ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب**
العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه فاعبدوه **مخلصين له الدين**
اي الطاعة من الشرك والريا قائلين **الحمد لله رب العالمين** وعن
ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله
رب العالمين ولما طلب الكفار منه عبادة الاوثان نزل **قل اني**
نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات
من ربي هي القران وقيل العقل والوحي **وامرت ان اسلم** استقيم
وانقاد **لرب العالمين هو الذي خلقكم** اي اصلكم **من تراب ثم من**

نطفة

نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اقتصر على الواحد لان المراد بيان
الجنس **ثم لتبلغوا اشدكم** متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا
وكذلك **ثم لتكونوا شيوخا** بكسر الشين مكي وحمزة وعلي وحماد
ويحيى والاعشى **ومنكم من يتوفى من قبل** اي من قبل بلوغ الاشد
او من قبل الشيخوخة **ولتبلغوا اجلا مسمى** ومعناه ويفعل ذلك
لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت او يوم القيمة **ولعلكم تشكرون**
ما في ذلك من العبر والحجج **هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما**
يقول له كن فيكون اي فانما يكونه سريعا من غير كلفة **الم تر الى الذين**
يجادلون في ايات الله انى يصرفون ذكر الجدال في هذه السورة ثلاث
مرات في ثلاثة مواضع فجاز ان يكون في ثلاثة اقوام او ثلاثة اصناف
او للتاكيد **الذين كذبوا بالكتاب** بالقران **وبما ارسلنا به رسلنا**
من الكتب **فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم** اذ ظرف زمان
ماض والمراد به الاستقبال هنا لقوله فسوف يعلمون وهذا لان
الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر بلفظ
ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال **والسلاسل** عطف على الاغلال
والخبر في اعناقهم والمعنى اذ الاغلال والسلاسل في اعناقهم **يسحبون**
في الحميم يجرون في الماء الحار **ثم في النار يسجرون** من سجر التنور اذا
ملاه بالوقود ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون
بالنار مملوءة بها اجوافهم **ثم قيل لهم** اي تقول لهم الخزنة **اين ما كنتم**
تشركون من دون الله يعني الاصنام التي تعبدونها **قالوا ضلوا عنا**
غابوا عن عيوننا ولا نراهم ولا ننتفع بهم **بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا**
اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول
حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا
كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال الهتهم يضلهم عن الهتهم حتى
لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا او كما اضل هؤلاء المجادلين
يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين **ذلكم**
العذاب الذي نزل بكم **بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم**
تمرحون بسبب ما كان لكم من الفرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان
فيقال لهم **ادخلوا ابواب جهنم** السبعة المقسومة لكم قال الله
تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم **خالدين فيها** اي
مقدرين الخلود **فبئس مثوى المتكبرين** عن الحق جهنم **فاصبر** يا محمد
ان وعد الله بهلاك الكفار **حق** كائن **فاما نرينك** اصله فان نرينك
وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك
لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك **بعض الذي نعدهم**
او نتوفينك فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام

ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الى اممهم منهم من قصصنا عليك ومنهم من
لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني
اسرايل واربعة الاف من ساير الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى
بعث نبيا اسود فهو ممن لم تذكر قصته في القران وما كان لرسول ان
ياتي باية الا باذن الله وهذا جواب اقتراحهم الايات عنادا يعني
انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان ياتي باية الا باذن
الله فمن لي بان اتي باية مما تقترحونه الا ان يشا الله وياذن في الاتيان
بها فاذا جا امر الله اي يوم القيمة وهو وعيد ورد عقيب اقتراح
الايات قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون المعاندون الذين قد
اقترحوا الايات عنادا الله الذي جعل خلق لكم الانعام اي الابل
لتركبوا منها ومنها تاكلون اي لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها ولكم فيها
منافع من الالبان والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم اي
لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور وعليها وعلى الانعام وعلى
الفلك تحملون اي على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك
في البر والبحر ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون انها ليست من عند
الله واي نصب بتنكرون وقد جات على اللغة المستفيضة وقولك
فاية ايات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسما
غير الصفات نحو حمار وحماره غريب وهي في اي اغرب لابهامه
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اكثر منهم عددا واشد قوة بدنا واثارا في الارض قصورا
ومصانع فما اغنى عنهم ما نافية ما كانوا يكسبون فلما جاتهم رسلهم
بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم يريد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم
بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة عن
الاخرة هم غافلون فلما جاتهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شي
من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات
لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزاوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع
واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به او علم الفلاسفة والدهريين
فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبيا الى علمهم
وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه
فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا او المراد فرحوا
بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزاوا
بالبينات وبما جاوا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون او الفرح للرسل اي الرسل لما راوا
جهلهم واستهزاهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة
على جهلهم واستهزايهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه

هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المومنين
يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت
من الرجفة وهي الزلزلة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم او لنسلطنك عليهم
ثم لا يجاورونك فيها في المدينة وهو عطف على لنغرينك لانه لا يجوز ان
يجاب به القسم لصحة قولك لين لم ينتهوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء
عن الوطن اعظم من جميع ما اصيبوا به عطف بثم لبعد حاله عن حال
المعطوف عليه الا قليلا زمانا قليلا والمعنى لين لم ينته المنافقون عن
عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يولفون من
اخبار السوء لنامرنك بان تفعل بهم الافعال التي تسوهم ثم بان نضطرهم
الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمانا قليلا
ريثما يرتحلون فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين
نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين فالاستثنا
دخل على الظرف والحال معا كما مر ولا ينتصب عن اخذوا لان ما بعد
حروف الشرط لا تعمل فيما قبلها اينما ثقفوا وجدوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
والتشديد يدل على التكثير سنة الله في موضع مصدر موكد اي سن
الله في الذين ينافقون الانبيا ان يقتلوا اينما وجدوا في الذين خلوا
مضوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا اي لا يبدل الله سنته بل
يجريها مجرى واحدا في الامم يسالك الناس عن الساعة كان المشركون
يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا
على سبيل الهزء واليهود يسالونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في
التوراة وفي كل كتاب فامر رسوله ان يجيبهم بانه علم قد استاثر الله به
ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين بقوله
قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيا قريبا او
لان الساعة في معنى الزمان ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا
شديدة الاتقاد خالدين فيها ابدا هذا يرد مذهب الجهمية لانهم يزعمون
ان الجنة والنار تفنيان ولا تقف على سعيرا لان قوله خالدين فيها حال
عن الضمير في لهم لا يجدون وليا ولا نصيرا ناصرا يمنعهم اذكر يوم تقلب
وجوههم في النار تصرف في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت
وخصت الوجوه لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده او يكون
الوجه عبارة عن الجملة يقولون حال يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
فنتخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفعهم التمني وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا جمع سيد ساداتنا شامي وسهل ويعقوب جمع الجمع والمراد
رؤسا الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم وكبرانا ذوي الاسنان
منا او علمانا فاضلونا السبيلا يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة
الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الاي كقوافي الشعر وفايدتها

الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف ربنا آتهم
ضعفين من العذاب للضلال والاضلال والعنهم لعنا كبيرا بالباء عاصم
ليدل على اشد اللعن واعظمه وغيره بالثاء تكثيرا لاعداد اللاعنين ونزل
في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا ما مصدرية او موصولة
وايهما كان فالمراد البراة من مضمون القول ومؤداه وهو الامر المعيب
واذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي ارادها قارون على
قذفه بنفسها او اتهامهم اياه بقتل هارون فاحياه الله تعالى فاخبرهم
ببراة موسى عليه السلام كما برا نبينا عليه السلام بقوله ما كان محمد
ابا احد من رجالكم وكان عند الله وجيها ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة
وقرا ابن مسعود والاعمش وكان عبدا لله وجيها يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا صدقا وصوابا او قاصدا الى الحق والسداد
القصد الى الحق والقول بالعدل والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب
من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب حفظ
اللسان وسداد القول راس كل خير ولا تقف على سديدا لان جواب الامر
يصلح لكم اعمالكم يتقبل طاعتكم او يوفقكم لصالح العمل ويغفر لكم ذنوبكم
اي يمحها والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم
ذلك اعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومحو
مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على
النهي عما يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله
في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن
الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى
الصارف عن الاذى والداعي الى تركه ولما علق الطاعة الفوز العظيم
بقوله ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اتبعه قوله انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال وهو يريد بالامانة الطاعة بتة
ويحمل الامانة الخيانة يقال فلان حامل للامانة ومحتمل لها اي لا يوديها
الى صاحبها حتى تزول عن ذمته اذ الامانة كانها راكبة للموتمن عليها
وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق
راكبة له ولا هو حاملها يعني ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض
والجبال قد انقادت لامر الله انقياد مثلها وهو ما يتاتى من الجمادات
واطاعت له الطاعة التي تليق بها حيث لم تمتنع على مشيته وارادته ايجادا
وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال ثم
استوى الى السما وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين واخبر ان الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
يسجدون لله وان من الحجارة لما يهبط من خشية الله واما الانسان

فلم

فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله
ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح
منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله فابين ان
يحملنها اي ابين الخيانة فيها وان لا يودينها واشفقن منها وخفن من
الخيانة فيها وحملها الانسان اي خان فيها وابى ان لا يوديها انه كان ظلوما
لكونه تاركا لاداء الامانة جهولا لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو
اداؤها قال الزجاج الكافر والمنافق حملا الامانة اي خانا ولم يطيعا
ومن اطاع من الانبيا والمومنين فلا يقال كان ظلوما جهولا وقيل معنى
الآية ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه انه عرض على اعظم ما خلق الله
من الاجرام واقواه فابى حمله واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه
انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خان بضمانه
فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القران الا على
اساليبهم من ذلك قولهم لو قال للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج
واللام في ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
للتعليل لان التعذيب هنا نظير التاديب في قولك ضربته للتاديب فلا
تقف على جهولا ويتوب الله على المومنين والمومنات وقرا الاعمش
ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدا ويتوب الله ومعنى
المشهورة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه
اذا تيب على الوافي كان نوعا من عذاب الغادر او للعاقبة اي حملها الانسان
فآل الامر الى تعذيب الاشقيا وقبول توبة السعدا وكان الله غفورا
للتائبين رحيما بعباده المومنين سورة سبا اربع وخمسون آية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد ان اجري على المعهود فهو
بما حمد به نفسه محمود وان اجري على الاستغراق فله لكل المحامد
الاستحقاق لله بلام التمليك لانه خالق ناطق الحمد اصلا فكان بملكه مالك
الحمد للتحميد اهلا الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وقهرا
فكان حقيقا بان يحمد سرا وجهرا وله الحمد في الآخرة كما هو له في الدنيا
اذ النعم في الدارين من المولى غير ان الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليفه
وثم لا لعدم التكليف وانما يحمد اهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا
من الاجر العظيم بقولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن وهو الحكيم بتدبيرها في السما والارض الخبير بضمير من يحمده
ليوم الجزاء والعرض يعلم مستانف ما يلج ما يدخل في الارض من الاموات
والدفاين وما يخرج منها من النبات وجواهر المعادن وما ينزل من السما
من الامطار وانواع البركات وما يعرج فيها فيصعد اليها من الملائكة
والدعوات وهو الرحيم بانزال ما يحتاجون اليه الغفور لما يجترون
عليه وقال الذين كفروا اي منكروا البعث لا تاتينا الساعة

نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة **قل بلى** اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى
ان ليس الامر الا اتيانها **وربي لتاتينكم** ثم اعيد ايجابه موكدا بما هو
الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم
امد التوكيد القسمي بما اتبع المقسم به من الوصف بقوله **عالم الغيب**
لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته
واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد
به ارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد عليه اثبت
وارسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية
كان الوصف بما يرجع الى علم الغيب اولى واحق عالم الغيب مدني وشامي
اي هو عالم الغيب علام الغيب حمزة وعلي على المبالغة **لا يعزب عنه**
وبكسر الزاي علي يقال عزب يعزب ويعزب اذا غاب وبعد **مثقال**
ذرة مقدار اصغر نملة **في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك**
من مثقال ذرة **ولا اكبر** من مثقال ذرة **الا في كتاب مبين** الا في اللوح
المحفوظ ولا اصغر ولا اكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون الا
بمعنى لكن او رفعا بالابتدا والخبر في كتاب واللام في **ليجزي الذين امنوا**
وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة لما قصروا فيه من مدارج الايمان
ورزق كريم لما صبروا عليه من مناهج الاحسان متعلق بلتاتينكم
تعليلا له **والذين سعوا في اياتنا** جاهدوا في رد القران **معاجزين**
مسابقين ظانين انهم يفوتوننا معجزين مكي وابو عمرو اي مثبطين
الناس عن اتباعها وتاملها او ناسبين الله الى العجز **اولئك لهم**
عذاب من رجز اليم برفع اليم مكي وحفص ويعقوب صفة لعذاب
اي عذاب اليم من سيء العذاب فالرجز سوء العذاب وغيرهم
بالجر صفة لرجز **ويرى** في موضع الرفع بالاستيناف اي ويعلم **الذين**
اوتوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطا
اعقابهم من امته او علما اهل الكتاب الذين اسلموا كعبد الله بن سلام
وكعب الاحبار والمفعول الاول ليرى **الذي انزل اليك من ربك**
يعني القران **هو الحق** اي الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان او في
موضع النصب معطوف على ليجزي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة
انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان **ويهدي** الله او الذي انزل اليك
الى صراط العزيز الحميد وهو دين الله **وقال الذين كفروا** قال قريش بعضهم
لبعض **هل ندلكم على رجل** يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نكروه
مع انه كان مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شايعا عندهم
تجاهلا به وبامره وباب التجاهل في البلاغة والى سحرها **ينبئكم اذا مزقتم**
كل ممزق انكم لفي خلق جديد اي يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون
وتنشؤون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلا

كل ممزق

كل ممزق اي يفرقكم كل تفريق فالممزق مصدر بمعنى التمزيق والعامل في اذا
ما دل عليه انكم لفي خلق جديد اي تبعثون والجديد فعيل بمعنى فاعل عند
البصريين تقول جد فهو جديد كقل فهو قليل ولا يجوز انكم بالفتح للام في خبره
افترى على الله كذبا اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك
والهمزة للاستفهام وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها **ام به جنة** جنون
يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه **بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب**
والضلال البعيد ثم قال سبحانه وتعالى ليس لمحمد من الافترا والجنون
في شيء وهو مبرا منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون
في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون
عن ذلك وذلك اجن الجنون جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم
في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العقاب من
لوازمه جعلا كانهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد
المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة **افلم يروا الى ما بين**
ايديهم من السما والارض ان نشا نخسف بهم وبالادغام على للتقارب
بين الفا والبا وضعفه البعض لزيادة صوت الفا على البا **الارض او نسقط**
الثلاثة بالياء كوفي غير عاصم لقوله افترى على الله كذبا **عليهم كسفا**
كسفا حفص **من السما** اي اعموا فلم ينظروا الى السما والارض وانهما حيث
ما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان
ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان
يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الايات وكفرهم بالرسول
وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة **ان في ذلك** النظر الى السما
والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله تعالى **لاية** لدلالة
لكل عبد منيب راجع بقلبه الى ربه مطيع له اذ المنيب لا يخلو من النظر في ايات
الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكذبه **ولقد اتينا**
داود منا فضلا يا جبال بدل من فضلا او من اتينا بتقدير قولنا يا جبال
او قلنا يا جبال **اوبي معه** من التاويب رجعي معه التسبيح ومعنى
تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح
معجزة لداود عليه السلام **والطير** عطف على محل الجبال والطير عطف
على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفخامة التي لا تخفى حيث جعلت
الجبال بمنزلة العقلا الذين اذا امرهم بالطاعة اطاعوا واذا دعاهم
اجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد الا وهو منقاد لمشية الله تعالى
ولو قال اتينا داود منا فضلا تاويب الجبال معه والطير لم يكن
فيه هذه الفخامة **والنا له الحديد** وجعلناه له لينا كالطين المعجون
يصرفه بيده كيف يشا من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد
في يده لما اوتي من شدة القوة **ان اعمل** ان بمعنى اي امرناه ان اعمل

سابغات دروعا واسعة تامة من السبوغ وهو اول من اتخذها وكان
يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقرا
وقيل كان يخرج متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون
في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة ادمي فساله عن عادته
فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو انه يطعم عياله من بيت المال فسال
عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة
الدروع وقدر في السرد لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم
الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود واهله صالحا خالصا
يصلح للقبول اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي
وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا ورفع الريح ابوبكر وحماد والمفضل اي
ولسليمان الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة
شهر وجريها بالعشي كذلك وكان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر فارس
وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر
للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند واسلنا له
عين القطر اي معدن النحاس فالقطر النحاس وهو الصفر ولكنه اساله وكان
يسيل في الشهر ثلاثة ايام كما يسيل الما وكان قبل سليمان لا يذوب وسماه
عين القطر باسم ما ال اليه ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه بامر
ربه ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرنا به من طاعة سليمان
نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة وقيل كان معه ملك بيده سوط
من نار فمن زاغ عن امر سليمان عليه السلام ضربه ضربة احرقته يعملون
له ما يشا من محاريب اي مساجد او مساكن وتماثيل اي صور السباع
والطيور وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا
اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما وكان التصوير مباحا حينئذ وجفان جمع جفنة كالجواب جمع
جابية وهي الحياض الكبار قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل كالجوابي في
الوصل والوقف مكي ويعقوب وسهل وافق ابو عمرو في الوصل الباقون
بغير يا اكتفا بالكسرة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها
لعظمها وقيل انها باقية باليمن وقلنا لهم اعملوا ال داود شكرا اي ارحموا
اهل البلا وسلوا ربكم العافية عن الفضيل وشكرا مفعول له او حال اي
شاكرين او اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان
العمل للمنعم شكر له او مفعول به يعني انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم
ما شئتم فاعملوا انتم شكرا وسيل الجنيد عن الشكر فقال بذل المجهود
بين يدي المعبود وقليل من عبادي بسكون اليا حمزة وغيره بفتحها
الشكور المتوفر على ادا الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه
ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وعن ابن عباس من

يشكر على احواله كلها وقيل من يشكر على الشكر ومن يرى عجزه عن الشكر
وحكي عن داود عليه السلام انه جزا ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن
تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من ال داود قايم يصلي فلما قضينا
عليه الموت اي على سليمان ما دلهم اي الجن وال داود على موته الا دابة
الارض اي الارضة وهي دويبة يقال لها سرفة والارض فعلها فاضيفت
اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة تاكل منساته والمنساة
العصا لانه ينسا بها اي يطرد ومنساته بغير همز مدني وابو عمرو فلما خر
سقط سليمان تبينت الجن علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على
عامتهم وضعفتهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا بعد موت سليمان
في العذاب المهين وروي ان داود عليه السلام اسس بنا بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان
فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سال ان يعمي عليهم موته
حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين
سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدا
بنا بيت المقدس لاربع مضين من ملكه وروي ان افريدون جا ليصعد
كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان
يدنوا منه لقد كان لسبا بالصرف بتاويل الحي وبعدمه ابو عمرو بتاويل
القبيلة في مسكنهم حمزة وحفص مسكنهم علي وخلف وهو موضع سكناهم
وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها باليمن او مسكن كل واحد منهم
غيرهم مساكنهم اية اسم كان جنتان بدل من اية او خبر مبتدا محذوف
تقديره الاية جنتان ومعنى كونهما اية ان اهلهما لما اعرضوا عن شكر الله
سلبهم الله النعمة ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر
وغمط النعم او جعلهما اية اي علامة دالة على قدرة الله واحسانه ووجوب
شكره عن يمين وشمال اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين
بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها
كانها جنة واحدة كما يكون بساتين البلاد العامرة او اراد بستاني كل
رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له
حكاية لما قال لهم انبيا الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال
او هم احقا بان يقال لهم ذلك ولما امرهم بذلك اتبعه قوله بلدة طيبة
ورب غفور اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي
رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره قال ابن عباس كانت سبا
على ثلاث فراسخ من صنعا وكانت اخصب البلاد تخرج المراة وعلى راسها
المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلي المكتل مما يتساقط فيه
من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية
ومن يمر بها من الغربا يموت قمله لطيب هوايها فاعرضوا عن دعوة

ابنيابهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة **فارسلنا عليهم سيل العرم** اي
المطر الشديد او العرم اسم الوادي او هو الجرذ الذي نقب عليهم السكر قالوا لما
طغوا سلطه الله عليهم فنقبه من اسفله فغرقهم **وبدلناهم بجنتيهم** المذكورتين
جنتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله جزاء سيئة
سيئة مثلها **ذواتي اكل خمط** الاكل الثمر يثقل ويخفف وهو نافع ومكي
والخمط شجر الاراك وقيل كل شجرة ذي شوك **واثل وشيء من سدر قليل**
الاثل شيء يشبه الطرفا اعظم منه واجود عودا ووجه من نون الاكل وهو
غير ابي عمرو ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي اكل بشع ووجه ابي عمرو
ان اكل الخمط في معنى البرير فكانه قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان
على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وعن الحسن قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا
لانه يكون في الجنان **ذلك جزيناهم بما كفروا** اي جزيناهم ذلك بكفرهم
فهو مفعول ثان مقدم **وهل نجازي الا الكفور** كوفي غير ابي بكر وهل يجازى
الا الكفور غيرهم يعني وهل نجازي مثل هذا الجزاء الا من كفر النعمة ولم يشكرها
او كفر بالله او هل يعاقب لان الجزاء وان كان عاما يستعمل في معنى المعاقبة
وفي معنى الاثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا في
الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام **وجعلنا بينهم** بين سبا **وبين القرى**
التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها بالنعم والمياه وهي قرى الشام **قرى ظاهرة**
متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او
ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وهي اربعة الاف
وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام **وقدرنا فيها السير** اي جعلنا
هذه القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر في قرية ويروح في اخرى الى ان
يبلغ الشام **سيروا فيها** وقلنا لهم سيروا ولا قول ثمة ولكنهم لما مكنوا
من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك **ليالي واياما امنين** اي
سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف
الاوقات او سيروا فيها امنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وان
تطاولت مدة سفركم وامتدت اياما وليالي **فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا**
قالوا يا ليتها كانت بعيدة فنسير على نجائبنا ونربح في التجارات ونفاخر
في الدواب والاسباب بطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب
بعّد مكي وابو عمرو **وظلموا** بما قالوا **انفسهم فجعلناهم احاديث** يتحدث
الناس بهم ويتعجبون من احوالهم **ومزقناهم كل ممزق** وفرقناهم تفريقا
اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا
فلحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان **ان في ذلك**
لايات لكل صبار عن المعاصي **شكور** للنعم او لكل مؤمن لان الايمان نصفان
نصفه شكر ونصفه صبر **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه** بالتشديد كوفي

اي حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وبالتخفيف غيرهم اي صدق في ظنه
فاتبعوه الضمير في عليهم واتبعوه لاهل سبا او لبني ادم وقلل المؤمنين بقوله
الا فريقا من المؤمنين لقلتهم بالاضافة الى الكفار ولا تجد اكثرهم شاكرين
وما كان له عليهم لابليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا **من سلطان** من تسلط
واستيلاء بالوسوسة **الا لنعلم** موجودا ما علمناه معدوما والتغير على المعلوم
لا على العلم **من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ**
محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان **قل** لمشركي قومك **ادعوا الذين زعمتم**
من دون الله اي زعمتموهم الهة من دون الله فالمفعول الاول الضمير الراجع
الى الموصول وحذف كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول
الموصول بصلته والمفعول الثاني الهة وحذف لانه موصوف صفته من دون
الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن
مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من
دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه والتجئوا اليهم فيما
يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته
ثم اجاب عنهم بقوله **لا يملكون مثقال ذرة** من خير او شر او نفع او ضر
في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما لهم في هذين الجنسين
من شركة في الخلق ولا في الملك **وما له** تعالى **منهم** من الهتهم **من ظهير** من
عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح ان
يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى **ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له** اي اذن
له الله يعني الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهي اللام الثانية في قولك اذن
لزيد لعمرو اي لاجله وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله اذن له كوفي
غير عاصم الا الاعشى **حتى اذا فزع عن قلوبهم** اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين
والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن وفزع شامي اي الله
تعالى والتفزيع ازالة الفزع وحتى غاية لما فهم من ان ثم انتظارا للاذن
وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن لهم
كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم **قالوا** سال
بعضهم بعضا **ماذا قال ربكم قالوا** قال **الحق** اي القول الحق وهو الاذن
بالشفاعة لمن ارتضى **وهو العلي الكبير** ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا
نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى **قل من يرزقكم من**
السموات والارض قل الله امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان
يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون
به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم
لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر
على الرزق وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم
بالسنتهم لم يتقاصر عنه **وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين** ومعناه

وان احد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى احد الامرين من الهدى
والضلال وهذا من كلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف
قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمه ما قدم من
التقرير دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في
الضلال المبين ولكن التعريض اوصل بالمجادل الى الغرض ونحوه كقولك
للكاذب ان احدنا لكاذب وخولف بين حرفي الجر الداخلين على الهدى
والضلال لان صاحب الهدى كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء
والضلال كانه ينغمس في ظلام لا يدري اين يتوجه قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل
عما تعملون هذا ادخل في الانصاف من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين
وهو مزجور عنه محظور والعمل الى المخاطبين وهو مأمور به مشكور قل يجمع
بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح يحكم بيننا بالحق بلا جور ولا ميل وهو الفتاح
الحاكم العليم بالحكم قل اروني الذين الحقتم اي الحقتموهم به بالله شركا
في العبادة معه ومعنى قوله اروني وكان يراهم ان يريهم الخطا العظيم في الحاق
الشركا بالله وان يطلعهم على حالة الاشراك به كلا ردع وتنبيه اي ارتدعوا
عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم بل هو الله العزيز الغالب فلا يشاركه
احد وهو ضمير الشان الحكيم في تدبيره وما ارسلناك الا كافة للناس
الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها
احد وقال الزجاج معنى الكافة في اللغة الاحاطة والمعنى ارسلناك
جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف والتاء على هذا
للمبالغة كتاء الراوية والعلامة بشيرا بالفضل لمن اقر ونذيرا بالعدل لمن
اصر ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون متى
هذا الوعد اي القيامة المشار اليها في قوله قل يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين
قل لكم ميعاد يوم الميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو هنا الزمان
ويدل عليه قراءة من قرا ميعاد يوم فابدل منه اليوم واما الاضافة فاضافة
تبيين كما تقول بعير سانية لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
اي لا يمكنكم التاخر عنه بالاستمهال ولا التقدم اليه بالاستعجال ووجه
انطباق هذا الجواب على طريق التهديد مطابقا للسوال على الانكار والتعنت
وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه
وقال الذين كفروا ابو جهل وذووه لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين
يديه اي ما نزل قبل القران من كتب الله او القيامة والجنة والنار حتى
انهم جحدوا ان يكون القران من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة
للجزاء حقيقة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون اي محبوسون عند ربهم
يرجع يرد بعضهم الى بعض القول في الجدال اخبر عن عاقبة امرهم وما لهم
في الاخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم او للمخاطب ولو ترى
في الاخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها

بينهم

بينهم لرايت العجب فحذف الجواب يقول الذين استضعفوا اي الاتباع
للذين استكبروا اي للرؤوس والمقدمين لولا انتم لكنا مؤمنين لولا دعاؤكم
ايانا الى الكفر لكنا مؤمنين بالله ورسوله قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى اولي الاسم اي نحن حذف حرف
الانكار لان المراد انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات
انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم بعد
اذ جاءكم انما وقعت اذ مضافا اليها وان كانت اذ واذا من الظروف
اللازمة للظرفية لانه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف
اليها الزمان بل كنتم مجرمين كافرين لاختياركم وايثاركم الضلال
على الهدى لا بقولنا وتسويلنا وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
لم يات بالعاطفة في قال الذين استكبروا واتى بها في وقال الذين
استضعفوا لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب
محذوف العاطف على طريق الاستيناف ثم جيء بكلام اخر للمستضعفين
فعطف على كلامهم الاول بل مكر الليل والنهار بل مكركم بنا بالليل
والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه
او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي اي الليل والنهار مكرا
بطول السلامة فيهما حتى ظننا انكم على الحق اذ تامروننا ان نكفر بالله
ونجعل له اندادا اشباها والمعنى ان المستكبرين لما انكروا بقولهم
انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم
بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون
بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا
ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا
وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد واسروا الندامة اضمروا او
اظهروا وهو من الاضداد وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون
يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم
واتباعهم المضلين لما راوا العذاب الجحيم وجعلنا الاغلال في اعناق
الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للدلالة على ما استحقوا به
الاغلال هل يجزون الا ما كانوا يعملون في الدنيا وما ارسلنا في قرية من
نذير نبي الا قال مترفوها متنعموها ورؤساؤها انا بما ارسلتم به
كافرون هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه
من التكذيب والكفر بما جاء به وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير
الا قالوا له مثل ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة
وافتخروا بكثرة الاموال والاولاد كما قال وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم
في الدنيا وظنوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين

هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله ظنهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشا
فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما
وضيق عليهما فلا ينقاس عليهما امر الثواب بقوله قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر يقدر الرزق فيضيقه فذاك الله تعالى ومن قدر عليه رزقه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى اي وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي وذلك ان الجمع
المكسر عقلاوه وغير عقلايه سواء في حكم التانيث والزلفى والزلفة
كالقربى والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربى كقوله انبتكم من الارض
نباتا الا من تاب وامن وعمل صالحا الاستثنا من كم في تقربكم يعني
ان الاموال لا تقرب احدا الا المومن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله
والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير ونفقهم في الدين ورشحهم
للصلاح والطاعة وعن ابن عيسى الاعمى لكن ومن الشرط جوابه فاولئك
لهم جزاء الضعف وهو من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك
لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف
لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرا يعقوب جزاء الضعف على فاولئك لهم
الضعف جزاء بما عملوا باعمالهم وهم في الغرفات اي غرف منازل الجنة
في الغرفة حمزة امنون من هايل وشاغل والذين يسعون في اياتنا اي
في ابطالها معجزين اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشا يوسع من عباده ويقدر له وما انفقتم ما شرطية في موضع النصب
من شي بيانه فهو يخلفه يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او اجلا
بالثواب جواب الشرط وهو خير الرازقين المطعمين لان كلما رزق غيره من
سلطان او سيد او غيرهما فهو من رزق الله اجراه على ايدي هولاء وهو
خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن
بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشتهٍ لا يجد وواجد
لا يشتهي ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون
وبالياء فيهما حفص ويعقوب هذا خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد
على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله انت قلت للناس
اتخذوني الاية قالوا اي الملائكة سبحانك تنزيها لك ان يعبد معك غيرك
انت ولينا الموالاة خلاف المعاداة وهي مفاعلة من الولي وهو القرب
والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم
اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار
براءتهم من الرضى بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حالة
منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم
في عبادة غير الله او كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون
بعبادتها او صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور

الملائكة

الملائكة فاعبدوها اكثرهم اكثر الانس او الكفار بهم بالجن مومنون فاليوم
لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا لان الامر في ذلك اليوم لله وحده
لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب
والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار
تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد انه لا ضار
ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا
بوضع العبادة في غير موضعها معطوفا على لا يملك ذوقوا عذاب النار التي
كنتم بها تكذبون في الدنيا واذا تتلى عليهم اياتنا اي اذا قرئ عليهم القران
بينات واضحات قالوا اي المشركون ما هذا اي محمد الا رجل يريد ان
يصدكم عما كان يعبد اباوكم وقالوا ما هذا اي القران الا افك مفترى
وقال الذين كفروا اي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب
شديد للحق للقران او لامر النبوة كله لما جاءهم وعجزوا عن الاتيان بمثله
ان هذا اي الحق الا سحر مبين بتوه على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر
كل عاقل تامله سماه سحرا وما اتيناهم من كتب يدرسونها اي ما اعطينا
مشركي مكة كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير ولا ارسلنا اليهم رسولا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا ثم توعدهم
على تكذيبهم بقوله وكذب الذين من قبلهم اي وكذب الذين تقدموهم
من الامم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذبوا وما بلغوا معشار ما
اتيناهم اي وما بلغ اهل مكة عشر ما اوتي الاولون من طول الاعمار
وقوة الاجرام وكثرة الاموال والاولاد فكذبوا رسلي فكيف كان نكير
للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله وبالياء في الوصل والوقف يعقوب
اي فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال ولم يغن
عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون فما بال هولاء وانما قال فكذبوا
وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معنى قوله
وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه
جعل تكذيب الرسل مسببا عنه وهو كقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم قل انما اعظكم بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها
بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين
هو في محل الجر وقيل هو في محل الرفع على تقدير وهي ان تقوموا او النصب
على تقدير اعني واراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده او قيام القصد الى الشي دون النهوض
والانتصاب والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم
وهي ان تقوموا لله اي لوجه الله خالصا لا لحمية ولا عصبية بل لطلب
الحق مثنى اثنين اثنين وفرادى فردا فردا ثم تتفكروا في امر محمد
صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما

بحصوله نكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والانصاف حتى يؤديهما
النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة ويعرض
فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر
ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويقل فيه الانصاف ويكثر الاعتساف
ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب وتتفكروا معطوف على تقوموا
ما بصاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة جنون والمعنى ثم
تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد
قدام عذاب شديد وهو عذاب الاخرة وهو كقوله عليه السلام بعثت بين
يدي الساعة ثم بين انه لا يطلب اجرا على الانذار بقوله قل ما سألتكم من اجر
على انذاري وتبليغ الرسالة فهو لكم جزاء الشرط تقديره اي شيء سألتكم
من اجر فهو لكم كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه نفي مسألة الاجر رأسا
نحو ما لي في هذا فهو لك اي ليس لي فيه شيء ان اجري مدني وشامي وابو بكر
وحفص وبسكون الياء غيرهم الا على الله وهو على كل شيء شهيد فيعلم اني
لا اطلب الاجر على نصحكم ودعائكم اليه الا منه قل ان ربي يقذف بالحق
بالوحي والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعار لمعنى الالقاء
ومنه وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف
بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه
علام الغيوب مرفوع على البدل من الضمير في يقذف او على انه خبر مبتدأ
محذوف قل جاء الحق الاسلام او القرآن وما يبدئ الباطل وما يعيد اي
زال الباطل وهلك لان الابداء والاعادة من صفات الحي فعدمهما عبارة
عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل
وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول
الكعبة اصنام فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان
الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وقيل الباطل
الاصنام وقيل ابليس لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان
من شاط اذا هلك اي لا يخلق الشيطان ولا الصنم احدا ولا يبعثه فالمنشئ
والباعث هو الله ولما قالوا لو انك ضللت بترك دين ابائك قال الله تعالى
قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي اي ان ضللت فمني وعلي وان اهتديت
فبما يوحي الي ربي اي فبتيسيره بالوحي الي وكان القياس المقابل
ان يقال وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله فمن اهتدى فلنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها ولكن هما متقابلان معنى لان النفس كل ما عليها ومما
لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها
وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه
لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره
اولى به انه سميع لما اقوله لهم قريب مني ومنكم يجازيني ويجازيكم

ولو ترى

ولو ترى جوابه محذوف اي لرأيت امرا عظيما وحالا هائلة اذ فزعوا عند
البعث او عند الموت او يوم بدر فلا فوت فلا بهرب او فلا يفوتون الله
ولا يسبقونه واخذوا عطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم
او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا من مكان قريب من
الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من
صحراء بدر الى القليب وقالوا حين عاينوا العذاب امنا به بمحمد عليه السلام
لمروره ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة او بالله وانى لهم التناوش من مكان
بعيد التناوش التناول اي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت
عنهم يريد ان التوبة كانت تقبل عنهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت
عن الاخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم
في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال
من يريد ان يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الاخر من قيس ذراع
والتناؤش بالهمز ابو عمرو وكوفي غير حفص همزت الواو لان كل واو
مضمومة ضمتها لازمة ان شئت ابدلتها همزة وان شئت لم تبدل نحو
قولك ادؤر وتقاؤم وان شئت قلت ادور وتقاوم وعن ثعلب التناؤش
بالهمز التناول من بعد وبغير همز التناول من قرب وقد كفروا به من قبل من
قبل العذاب او في الدنيا ويقذفون بالغيب معطوف على قد كفروا على
حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب اي بالشيء الغائب
يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار من مكان بعيد عن الصدق
او من الحق والصواب او هو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم
شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا
منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله
لان ابعد شيء مما جاء به السحر والشعر وابعد شيء من عادته التي عرفت
بينهم وجربت الكذب ويقذفون بالغيب عن ابي عمرو على البناء للمفعول
اي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا
امنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم
امنا في الاخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد
لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا
ويجوز ان يكون الضمير في امنا به للعذاب الشديد في قوله بين يدي
عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون
من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا
قايسين امر الاخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب
مقذوف من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف
وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة
به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم بقوله ارجعنا

نحو صالحا والاعمال التي هي نزعوا واخذوا وحيل كلها للمضي والمراد
بها الاستقبال لتحقق وقوعه كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من
الكفرة انهم كانوا في شك من امر الرسل والبعث مريب موقع للريبة
من ارابه اذا اوقعه في الريبة هذا رد على من زعم ان الله لا يعذب على الشك
سورة الملايكة خمس واربعون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حمد ذاته تعليما ونفيا فاطر السموات والارض مبتديها ومبدعها
قال بن عباس رضي الله عنهما ما كنت ادري معنى فاطر السموات والارض
حتى احتكم الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدايتها
جاعل الملايكة رسلا الى عباده اولي ذوي اسم جمع لذو وهو بدل
من رسلا او نعت له اجنحة جمع جناح مثنى وثلاث ورباع صفات
لاجنحة وانما لم ينصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن
الفاظ الاعداد عن صيغ الي صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير الي
غير تكرير وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى ان الملايكة
طايفة اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وطايفة
اجنحتهم ثلاث ثلاث ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين
يمدهما بقوة وطايفة اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في الخلق اي يزيد
في خلق الاجنحة ما يشاء وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن
والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في العينين والاية مطلقة
تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام
في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الراي
وذلاقة في اللسان ومحبة في قلوب المومنين وما اشبه ذلك
ان الله على كل شيء قدير قادر ما يفتح الله للناس من رحمة نكرت
الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة درزق او مطر
او صحة او غير ذلك فلا ممسك لها فلا احد يقدر على امساكها وحبسها
واستعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله وما يمسك
يمنع ويحبس فلا مرسل له مطلق له من بعده من بعد امساكه وانث
الضمير الراجع الى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة ثم ذكره
حملا على لفظ المرجوع اليه اذ لا تانيث فيه لان الاول فسر بالرحمة
فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير
وعن معاذ مرفوعا لا تزال يد الله مبسوطة على هذه الامة
ما لم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجرهم وتعن قراوهم
امراهم على معصية الله فاذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم
وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي
يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه يا ايها الناس اذكروا
باللسان والقلب نعمة الله عليكم وهي التي تقدمت من بسط الارض

كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وارسال الرسل لبيان السبل دعوة اليه وزلفة
لديه والزيادة في الخلق وفتح ابواب الرزق ثم نبه على راس النعم
وهو اتحاد المنعم بقوله هل من خالق غير الله برفع غير على الوصف حملا لان
خالق مبتدا خبره محذوف اي لكم وبالجر علي وحمزه على الوصف لفظا
يرزقكم يجوز ان يكون مستانفا ويجوز ان يكون صفة لخالق من السما
بالمطر والارض بانواع النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها
فاني تؤفكون فباي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وان
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك نعى به على قريش سوء تلقيهم لايات
الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في الانبياء قبله اسوة ولهذا نكر
رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو ايات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب
صبر وعزم لانه اسلى له وتقدير الكلام وان يكذبوك فتاس بتكذيب
الرسل من قبلك لان الجزا يتعقب الشرط ولو اجري على الظاهر يكون
سابقا عليه ووضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتاس استغنا
بالسبب عن المسبب اي بالتكذيب عن التاسي والى الله ترجع الامور كلام
يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب
والمكذب بما يستحقانه ترجع بفتح التا شامي وحمزه وعلي ويعقوب
وخلف وسهل يا ايها الناس ان وعد الله بالبعث والجزا حق كاين فلا تغرنكم
الحياة الدنيا فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ
بمنافعها عن العمل للاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور اي
الشيطان فانه يمنيكم الاماني الكاذبة ويقول ان الله غني عن عبادتكم
وعن تكذيبكم ان الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة فعل بابيكم ما فعل
وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له باحواله فاتخذوه عدوا في عقايدكم
وافعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته في سركم وجهركم
ثم لخص سر امره وخطا من اتبعه بان غرضه الذي يومه في دعوة
شيعته هو ان يوردهم مورد الهلاك بقوله انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب
السعير ثم كشف الغطا وبنى الامر كله على الايمان وتركه فقال الذين
كفروا لهم عذاب شديد اي فمن اجابه حين دعاه فله عذاب شديد
لانه صار من حزبه اي اتباعه والذين امنوا وعملوا الصالحات ولم يجيبوه
ولم يصيروا من حزبه بل عادوه لهم مغفرة واجر كبير لكبر جهادهم
ولما ذكر الفريقين قال لنبيه عليه السلام افمن زين له سوء عمله فراه حسنا
بتزيين الشيطان كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا فقال فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة
فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم او افمن زين له سوء عمله
هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا عليه فلا تذهب

نفسك بزيد اي لا تهلكها حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات
وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا يجوز
ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ان الله عليم بما يصنعون
وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي ارسل الرياح الريح علي وحمزه
فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت بالتشديد مدني وعلي وحفص وغيرهم
بالتخفيف فاحيينا به بالمطر لتقدم ذكره ضمنا الارض بعد موتها يبسها وانما
قيل فتثير لتحكي الحال التي تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر
تلك الصورة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه
نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب وكذلك سوق السحاب الى البلد
الميت واحيا الارض بالمطر بعد موتها لما كان من الدليل على القدرة الباهرة
قيل فسقناه واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في
الاختصاص وادل عليه كذلك النشور الكاف في محل الرفع اي مثل
احيا الاموات نشور الاموات قيل يحيي الله الخلق بما يرسله من تحت
العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اي
العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الاخرة وكان الكافرون يتعززون
بالاصنام كما قال واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا
بالسنتهم من غير مواطات قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال
الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة
فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا بالله والمعنى فليطلبها عند الله
فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغنا به عنه لدلالته عليه
لان الشي لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد
النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما
يدل عليه مقامه وفي الحديث ان ربكم يقول كل يوم انا العزيز
فمن اراد عز الدارين فليطع العزيز ثم عرف ان ما يطلب به العزة
هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
ومعنى قوله اليه الى محل القبول والرضى وكل ما اتصف بالقبول وصف
بالرفعة والصعود او الى حيث لا ينفذ فيه الا حكمه والكلم الطيب كلمات
التوحيد اي لا اله الا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه
وبين واحده الا التا يذكر ويؤنث والعمل الصالح العبادة الخالصة
يعني والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل
لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل اي
العمل الصالح يرفعه الله وفيه اشارة على ان العمل يتوقف على الرفع
والكلم الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه
اي من اراد العزة فليعمل عملا صالحا فانه هو الذي يرفع العبد والذين
يمكرون السيئات هي صفة لمصدر محذوف اي المكرات السيئات

لان مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله والمراد مكر قريش به عليه السلام
حين اجتمعوا في دار الندوة كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك الاية لهم عذاب شديد في الاخرة ومكر اولئك مبتدا هو فصل
يبور خبر اي ومكر اولئك الذين مكروا هو خاصة يبور اي يفسد
ويبطل دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في
قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله
والله خلقكم اي اباكم من تراب ثم انشاكم من نطفة ثم جعلكم ازواجا اي
اصنافا او ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه هو في موضع
الحال اي الا معلومة له وما يعمر من معمر اي وما يعمر من احد وانما سماه
معمرا بما هو صائر اليه ولا ينقص من عمره الا في كتاب يعني اللوح او صحيفة
الانسان ولا ينقص زيد فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص
العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح
قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح
فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه
بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه
كلام الناس يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق او تاويل
الاية انه يكتب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك
ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على اخره فذلك نقصان عمره وعن
قتادة المعمر من يبلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل
ستين سنة ان ذلك اي احصاه او زيادة العمر ونقصانه على الله يسير
سهل وما يستوي البحران هذا اي احدهما عذب فرات شديد العذوبة
وقيل هو الذي يكسر العطش سائغ شرابه مري سهل الانحدار لعذوبته
وبه ينتفع شرابه وهذا ملح اجاج شديد الملوحة وقيل هو الذي يحرق
بملوحته ومن كل ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك
وتستخرجون حلية تلبسونها وهي اللولو والمرجان وترى الفلك فيه في
كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء اي
شقته وهي جمع ماخرة لتبتغوا من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر
في الاية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه ولعلكم
تشكرون الله على ما اتاكم من فضله ضرب البحرين العذب والملح
مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين
وما علق بهما من نعمته وعطايه ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو
ان يشبه الجنسين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب
في منافع من السمك واللولو وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع
فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة

او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج
منه الما وان منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
يدخل من ساعات احدهما في الاخر حتى يصير الزايد خمسة عشر ساعة
والناقص تسعا وسخر الشمس والقمر اي ذلل اضوا صورة الاستوا سيرة
كل يجري لاجل مسمى اي يوم القيامة ينقطع جريها ذلكم مبتدا الله ربكم
له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداة
واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه يعني الاصنام التي تعبدونهم
من دون الله يدعون تنبيه لا يملكون من قطمير وهي القشرة الرقيقة
الملتفة على النواة ان تدعوهم اي الاصنام لا يسمعوا دعاكم لانهم جماد
ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم
من الالهية ويتبراون منها ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم
وعبادتكم اياهم ويقولوا ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبيك مثل خبير ولا ينبيك
ايها المفتون باسباب الغرور كما ينبيك الله الخبير بخبايا الامور وتحقيقه
ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو
الذي يخبرك بالحقيقة دون ساير المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم
به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به يا ايها الناس انتم الفقرا
الى الله قال ذو النون الخلق محتاجون اليه في كل نفس وخطرة ولحظة
وكيف لا ووجودهم به وبقاؤهم به والله هو الغني عن الاشيا اجمع الحميد
المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقرا للتحقير بل للتعريض على الاستغنا ولهذا
وصف نفسه بالغنى الذي هو مطمع الاغنيا وذكر الحميد ليدل به على انه الغني
النافع بغناه خلقه والجواد المنعم عليهم اذ ليس كل غني نافعا بغناه
الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم قال سهل
لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى
حجب عن الله ومن اظهر فقره اوصله فقره اليه فينبغي للعبد ان يكون
مفتقرا بالسر اليه ومنقطعا عن الغير اليه حتى تكون عبوديته محضة
فالعبودية هي الذل والخضوع وعلامته ان لا يسال عن احد وقال
الواسطي من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين
على مقدار افتقار العبد الى الله يكون غناه بالله وكلما ازداد افتقارا
ازداد غناء وقال يحيى الفقر خير للعبد من الغنا لان المذلة في الفقر والكبر
في الغنا والرجوع الى الله بالتواضع والذلة اليه في كل شي والرجوع
اليه من كل شي وقال الشبلي الفقر بحر البلا وبلاوه كله عز ان يشا يذهبكم
كلكم الى العدم فان غناه بذاته لا بكم في القدم ويات بخلق جديد وهو
بدون حمدكم حميد وما ذلك الاتيان والافنا على الله بعزيز بممتنع وعن
ابن عباس رضي الله عنهما يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيا ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى والوزر والوقر اخوان

ووزر الشي اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا
تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تواخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة
الدنيا الولي بالولي والجار بالجار وانما قيل وازرة ولم يقل ولا تزر نفس
وزر اخرى لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة
وزرها لا وزر غيرها وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وارد
في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال
ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شي من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم
الله تعالى في قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من
خطاياهم من شي وان تدع مثقلة اي نفس مثقلة بالذنوب احدا الى حملها
ثقلها اي ذنوبها ليتحمل عنها بعض ذلك لا يحمل منه شي ولو كان اي المدعو وهو
مفهوم من قوله وان تدع ذا قربى ذا قرابة قريبة كاب او ولد او اخ والفرق
بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها
لا يحمل منه شي ان الاول دال على عدل الله في حكمه وانه لا يواخذ نفسا
بغير ذنبها والثاني في بيان انه لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد
اثقلتها الاوزار لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث
وان كان المدعو بعض قرابتها انما تنذر الذين يخشون ربهم اي انما ينتفع
بانذارك هولا بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم
غايبين عن عذابه او يخشون عذابه غايبا عنهم وقيل بالغيب في السر حيث
لا اطلاع للغير عليه واقاموا الصلاة في مواقيتها ومن تزكى تطهر بفعل الطاعات
وترك المعاصي فانما يتزكى لنفسه وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم
الصلاة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير المرجع وهو وعد للمتزكين
بالثواب وما يستوي الاعمى والبصير مثل للكافر والمومن او للجاهل والعالم
ولا الظلمات مثل للكفر ولا النور للايمان ولا الظل ولا الحرور الحق والباطل
او الجنة والنار والحرور الريح الحارة كالسموم الا ان السموم تكون بالنهار
والحرور بالليل والنهار عن الفرا وما يستوي الاحيا ولا الاموات مثل للذين
دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وزيادة لا لتاكيد معنى النفي
والفرق بين هذه الواوات ان بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها ضم
وترا الى وتر ان الله يسمع من يشا وما انت بمسمع من في القبور يعني انه قد علم من
يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي من يشا هدايته واما انت
فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص على اسلام قوم مخذولين شبه الكفار
بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ
وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين على فلا
عليك انا ارسلناك بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين
او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق بشيرا بالوعد ونذيرا بالوعيد
وان من امة وما من امة قبل امتك والامة الجماعة الكثيرة وحد عليه امة
من الناس وتقال لكل اهل عصر امة والمراد هنا اهل العصر وقد كانت

اثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم تخل تلك الامم
من نذير وحين اندرست اثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام
الا خلا مضى فيها نذير يخوفهم وخامة الطغيان وسوء عاقبة الكفران
واكتفى بالنذير عن البشير في اخر الاية بعد ذكرهما لان النذارة مشفوعة
بالبشارة فدل ذكر النذارة على ذكر البشارة وان يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم رسلهم جاءتهم رسلهم حال وقد مضمرة بالبينات
بالمعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير اي التوراة والانجيل والزبور
ولما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان
كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب
وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت الذين كفروا
بانواع العقوبة فكيف كان نكير انكاري عليهم وتعذيبي لهم الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به بالماء ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها
من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها
من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد طرق مختلفة
اللون جمع جدة كمدة ومدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود جمع
غربيب وهو الذي ابعد في السواد واغرب ومنه الغراب وكان من حق
التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع الا انه اضمر المؤكد قبله
والذي بعده تفسير للمضمر وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على
المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف
المضاف في قوله ومن الجبال جدد اي ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر
وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات
مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم
بعض مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال
الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد ايات الله واعلام
قدرته واثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل
به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به
الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن
كان علمه به اقل كان امن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية
وتقديم اسم الله تعالى وتاخير العلماء يؤذن ان معناه ان الذين يخشون
الله من بين عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى انهم لا يخشون
الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وبينهما تغاير ففي الاول بيان
ان الخاشين هم العلماء وفي الثاني بيان ان المخشي منه هو الله تعالى
وقرا ابو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضي الله عنهم انما يخشى الله
من عباده العلماء والخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يعظم
الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته

على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب
والمثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله يداومون على تلاوة
القران واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اي مسرين النفل
ومعلنين الفرض لا يقنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به يرجون خبر ان
تجارة هي طلب الثواب بالطاعة لن تبور لن تكسد يعني تجارة ينتفي
عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم متعلق بلن تبور اي ليوفيهم
بنفاقها عنده اجورهم ثواب اعمالهم ويزيدهم من فضله بتفسيح القبور
او بتشفيعهم فيمن احسن اليهم او بتضعيف حسناتهم او بتحقيق وعد
لقائه او يرجون في موضع الحال اي راجين واللام تتعلق بيتلون
وما بعده اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق
لهذا الغرض وخبر ان انه غفور لفرطاتهم شكور اي غفور لهم شكور لاعمالهم
اي يعطي الجزيل على العمل القليل والذي اوحينا اليك من الكتاب اي القران
ومن للتبيين هو الحق مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا
التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير
فعلمك وابصر احوالك ورآك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب
المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ثم اورثنا الكتاب اي اوحينا اليك
القران ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه الذين اصطفينا من
عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم
القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا
شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله ثم رتبهم
على مراتب فقال فمنهم ظالم لنفسه وهو المرجو لامر الله ومنهم مقتصد هو
الذي خلط عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهذا التاويل
يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين الاية
وقال بعده واخرون اعترفوا الاية وقال بعده واخرون مرجون لامر
الله الاية والحديث فقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر
بعد قراءة هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعنه عليه السلام السابق يدخل الجنة
بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم
لنفسه فيحبس حتى يظن انه لم ينج ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة
رواه ابو الدرداء والاثر فعن ابن عباس رضي الله عنهما السابق المخلص
والمقتصد المرائي والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة
بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن انس الظالم صاحب
الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب منهما وقال الحسن
البصري الظالم من رجحت سيئاته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد
من استوت حسناته وسيئاته وسئل ابو يوسف رحمه الله عن هذه الاية

يقال كلهم مؤمنون واما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم
نار جهنم واما الطبقات الثلاث فهم من الذين اصطفى من عباده فانه
قال فمنهم ومنهم ومنهم والكل راجع الى قوله اصطفينا من عبادنا وهم
اهل الايمان وعليه الجمهور وانما قدم الظالم للايذان بكثرتهم وان المقتصدين
قليل بالاضافة اليهم والسابقين اقل من القليل وقال ابن عطا انما قدم
الظالم لئلا ييأس من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من
ربه وقيل ان اول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل
السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال ايضا السابق
الذي اشتغل بمعاده والمقتصد الذي اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذي اشتغل
بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد
الذي يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة والاستحقاق
وقيل الظالم من اخذ الدنيا حلالا كان او حراما والمقتصد من يجتهد ان لا ياخذها
الا من حلال والسابق من اعرض عنها جملة وقيل الظالم طالب الدنيا
والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى باذن الله بامره او بعلمه
او بتوفيقه ذلك اي ايراث الكتاب هو الفضل الكبير جنات عدن خبر ثان
لذلك او خبر مبتدا محذوف او مبتدا والخبر يدخلونها اي الفرق الثلاث
يُدخَلونها ابو عمرو يحلون فيها من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب
ولؤلؤ اي من ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا بالنصب والهمزة نافع وحفص
عطفا على محل من اساور اي يحلون اساور ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير لما فيه
من اللذة والزينة وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن خوف النار
او خوف الموت او هموم الدنيا ان ربنا لغفور يغفر الجنايات وان كثرت
شكور يقبل الطاعات وان قلت الذي احلنا دار المقامة اي الاقامة
لا نبرح منها ولا نفارقها يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله
من عطائه وافضاله لا باستحقاقنا لا يمسنا فيها نصب تعب ومشقة
ولا يمسنا فيها لغوب اعياء من التعب وفترة وقرا ابو عبد الرحمن
السلمي لغوب بفتح اللام وهو شيء يلغب منه اي لا نتكلف عملا يلغبنا
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا جواب النفي ونصبه
باضمار ان اي لا يقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها
من عذاب نار جهنم كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور يُجزى كل كفورٌ
ابو عمرو وهم يصطرخون فيها يستغيثون فهو يفتعلون من الصراخ وهو
الصياح بجهد ومشقة واستعمل في الاستغاثة لجهر صوت المستغيث
صوته ربنا يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي
اخرجنا من النار وردنا الى الدنيا نؤمن بدل الكفر ونطيع بعد الايمان
المعصية فيجابون بعد قدر عمر الدنيا اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
يجوز ان يكون ما نكرة موصوفة اي تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو

متناول

متناول لكل عمر تمكن منه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ
في المتطاول اعظم وقيل هو ثماني عشر سنة وقيل اربعون وقيل ستون
وجاءكم النذير الرسول عليه السلام او الشيب وهو عطف على معنى
اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه اخبار كانه قيل قد عمرناكم
وجاءكم النذير فذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير ناصر يدفع عنهم
ان الله عالم غيب السموات والارض ما غاب فيهما عنكم انه عليم بذات الصدور
كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب
في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر
رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية اي ما في بطنها من الحبل لان الحبل
يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذو موضوع لمعنى
الصحبة هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة ويجمع
خلائف والمعنى انه جعلكم خلفاء في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف
فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد
والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فعليه كفره
فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الاخرة كما قال
ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا لانه اشد البغض ولا يزيد
الكافرين كفرهم الا خسارا هلاك الاخرة قل ارايتم شركاءكم الهتكم التي
اشركتموهم في العبادة الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض
اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قيل اخبروني
عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشركة اروني اي جزء من اجزاء
الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم شرك في السموات ام لهم مع
الله شركة في خلق السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه ام
معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان
من ذلك الكتاب بينات على وابن عامر ونافع وابو بكر بل ان يعد ما
يعد الظالمون بعضهم بدل من الظالمين وهم الرؤساء بعضا اي الاتباع
الا غرورا هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا كراهة ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا على سبيل الفرض
ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه ومن الاولى مزيدة
لتاكيد النفي والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة
حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم
نصب على المصدر او على الحال اي جاهدين في ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود
والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن

اهدي من احدي الامم اي من الامة التي يقال فيها هي احدي الامم
تفضيلا لها على غيرها في الهدي والاستقامة كما يقال للداهية العظيمة
هي احدي الدواهي فلما جاءهم نذير فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما زادهم الا نفورا اي ما زادهم مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم الا
تباعدا عن الحق وهو اسناد مجازي استكبارا في الارض مفعول له وكذا
ومكر السيء والمعنى وما زادهم الا نفورا للاستكبار ومكر السيء وحال
بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
واصل قوله ومكر السيء ولا يحيق يحيط وينزل المكر السيء الا باهله ولقد حاق
بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فهل ينظرون
الا سنة الاولين وهو انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم
قبلهم والمعنى فهل ينتظرون بعد تكذيبك الا ان ينزل بهم العذاب
مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل وجعل استقبالهم لذلك
انتظارا له منهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا بين ان
سنته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدلها في ذاتها
ولا يحولها عن اوقاتها وان ذلك مفعول له لا محالة اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه
في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الماضين وعلامات
هلاكهم ودمارهم وكانوا اشد منهم من اهل مكة قوة اقتدارا فلم يتمكنوا
من الفرار وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته من شيء اي شيء في السموات
ولا في الارض انه كان عليما بهم قديرا قادرا عليهم ولو يؤاخذ الله الناس بما
بما اقترفوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض لانه جري ذكر
الارض في قوله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض من دابة من
نسمة تدب عليها ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اي يوم القيمة فاذا جاء اجلهم
فان الله كان بعباده بصيرا اي لا يخفى عليه حقيقة امرهم وحكمة حكمهم

سورة يس مكية وهي ثلاث او اربع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

يس عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طي وعن ابن الحنفية
يا محمد وفي الحديث ان الله تعالى سماني في القران سبعة اسما محمد
واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقيل يا سيد يس بالامالة
علي وحمزه وخلف وحماد ويحيى والقران قسم الحكيم ذي الحكمة او لانه
دليل ناطق بالحكمة او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به انك
لمن المرسلين جواب القسم وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا
على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين اي الذين ارسلوا على
صراط مستقيم اي طريقة مستقيمة وهو الاسلام تنزيل بنصب اللام
شامي وكوفي غير ابي بكر على اقرأ تنزيلا وعلى انه مصدر اي نزل تنزيل
وغيرهم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل والمصدر بمعنى

المفعول

المفعول العزيز الغالب بفصاحة نظم كتابه اوهام ذوي العناد الرحيم
الجاذب بلطافة معنى خطابه افهام اولي الرشاد واللام في لتنذر قوما
متصل بمعنى المرسلين اي ارسلت لتنذر ما انذر اباؤهم ما نافية عند
الجمهور اي قوما غير منذر اباؤهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير او موصولة منصوبة
على المفعول الثاني اي العذاب الذي انذره اباؤهم كقوله انا انذرناكم
عذابا قريبا او مصدرية اي لتنذر قوما انذارا ابائهم اي مثل انذار ابائهم
فهم غافلون ان جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم
غافلون والا فهو متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك
الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون
يعني قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي تعلق بهم هذا
القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل
تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين
المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم
في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في ايات الله بقوله
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان معناه فالاغلال واصلة
الى الاذقان ملزوزة اليها فهم مقمحون مرفوعة رؤوسهم يقال قمح
البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه وهذا لان طوق الغل الذي في عنق
المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود
خارجا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه فلا يزال مقمحا
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا بفتح السين حمزة وعلي وحفص
وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم
فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة فهم لا
يبصرون الحق والرشاد وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل
حلف لئن راي محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه
فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع
الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب
فاعمى الله بصره وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اي سواء
عليهم الانذار وتركه والمعنى من اضله الله هذا الاضلال لم ينفعه
الانذار وروي ان عمر ابن عبد العزيز قرأ الاية على غيلان القدري
فقال كاني لم اقراها اشهدك اني تائب عن قولي في القدر فقال
عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فاخذه
هشام بن عبد الملك من غدوه فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب
دمشق انما تنذر من اتبع الذكر اي انما ينتفع بانذارك من اتبع القران

طيون

وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقاب الله ولم يره **فبشره بمغفرة** وهو العفو
عن ذنوبه **واجر كريم** اي الجنة **انا نحن نحيي الموتى** نبعثهم بعد مماتهم او
نخرجهم من الشرك الى الايمان **ونكتب ما قدموا** ما اسلفوا من الاعمال
الصالحات وغيرها **وآثارهم** وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه
او كتاب صنفوه او حبيس احبسوه او رباط او مسجد صنعوه او سيئ
كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن
بها ونحوه قوله تعالى ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر قدم من
عمله واخر من آثاره وقيل هي خطاهم الى الجمعة او الى الجماعة **وكل شيء**
احصيناه عددناه وبيناه **في امام مبين** يعني اللوح المحفوظ لانه اصل الكتب
ومقتداها **واضرب لهم مثلا اصحاب القرية** ومثل لهم من قولهم عندي من هذا
الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد والمعنى
واضرب لهم مثل اصحاب القرية اي انطاكية اي اذكر لهم قصة عجيبة
قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب **اذ**
بانه بدل من اصحاب القرية **جاءها المرسلون** رسل عيسى عليه السلام
بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان **اذ** بدل من اذ الاولى **ارسلنا**
اليهم اي ارسل عيسى بامرنا **اثنين** صادقا وصدوقا فلما قربا الى المدينة
رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما فقالا
نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال
امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن مريض
منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما
خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم
من اوجدك والهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما
وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك
حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم
بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال
شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء ورزق كل حي وليس له
شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما
آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام اكمه فدعوا الله فابصر الغلام
فقال له شمعون ارايت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون
لك وله الشرف قال الملك ليس لي عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا
يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام
مات منذ سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار
لما مت عليه من الشرك وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت
ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك
ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان قوله

قد اثر فيه نصحه وآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا **فكذبوهما**
فكذب اصحاب القرية الرسولين **فعززنا** فقويناهما فعززنا ابو بكر من
عزه يعزه اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا **بثالث** وهو شمعون وترك ذكر
المفعول به لان المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف من التدبير
حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض
جعل سياقه له وتوجه اليه كانما سواه مرفوض **فقالوا انا اليكم مرسلون**
اي قال الثلاثة لاهل القرية **قالوا** اي اصحاب القرية **ما انتم الا بشر مثلنا**
رفع بشر هنا ونصب في ما هذا بشرا لانتقاض النفي بالا فلم يبق لما شبه
بليس وهو الموجب لعمله **وما انزل الرحمن من شيء** اي وحيا **ان انتم الا تكذبون**
ما انتم الا كذبة **قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون** اكد الثاني باللام دون
الاول لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار فيحتاج الى
زيادة تاكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد
الله وعلم الله **وما علينا الا البلاغ المبين** اي التبليغ الظاهر المكشوف
بالآيات الشاهدة بصحته **قالوا انا تطيرنا بكم** تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا
دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه
وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم بلاء او نعمة
قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك **لئن لم**
تنتهوا عن مقالتكم هذه **لنرجمنكم** لنقتلنكم او لنطردنكم او لنشتمنكم
وليمسنكم منا عذاب اليم وليصيبنكم عذاب الحريق وهو اشد عذاب
قالوا طائركم اي سبب شؤمكم **معكم** وهو الكفر **ائن** بهمزة الاستفهام
وحرف الشرط كوفي وشامي **ذكرتم** وعظتم ودعيتم الى الاسلام وجواب
الشرط مضمر وتقديره تطيرتم ائن بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة ابو عمرو
واين بهمزة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مكي ونافع ذكرتم بالتخفيف
يزيد **بل انتم قوم مسرفون** مجاوزون الحد في العصيان فمن ثم اتاكم
الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم مسرفون في ضلالكم
وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله **وجاء من اقصى المدينة**
رجل يسعى وهو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه
خبر الرسل اتاهم واظهر دينه فقال اتسألون على ما جئتم به اجرا
قالوا لا **قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا** على تبليغ
الرسالة **وهم مهتدون** اي الرسل فقالوا وانت على دين هؤلاء فقال
وما لي لا اعبد الذي فطرني خلقني **واليه ترجعون** واليه مرجعكم وما لي حمزة
أأتخذ بهمزتين كوفي **من دونه آلهة** يعني الاصنام **ان يردن الرحمن بضر** شرط
جوابه **لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون** من مكروه ولا ينقذوني
[illegible] في الحالين يعقوب **اني اذا** اي اذا اتخذت **لفي ضلال مبين** ظاهر
بين ولما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم

إني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني لتشهدوا لي به ولما قتل **قيل له ادخل**
الجنة وقبره في سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق لبيان القول
لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة ان الجنة مخلوقة وقال
الحسن لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله اليه وهو في الجنة ولا يموت
الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة وراي نعيمها **قال يا ليت قومي**
يعلمون بما غفر لي ربي اي بمغفرة ربي لي او بالذي غفر لي **وجعلني من المكرمين**
بالجنة **وما انزلنا** ما نافية **على قومه** قوم حبيب **من بعده** من بعد قتله
او رفعه **من جند من السما** لتعذيبهم **وما كنا منزلين** وما كان يصح في حكمتنا
ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السما وذلك لان الله تعالى اجرى
على هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك **ان**
كانت الاخذة او العقوبة **الا صيحة واحدة** صاح جبريل عليه السلام
صيحة واحدة **فاذا هم خامدون** ميتون كما تخمد النار والمعنى ان الله كفى
امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السما كما فعل يوم بدر
والخندق **يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون** الحسرة
شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه
من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل
والمعنى انهم احقا بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم
المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمومنين من الثقلين
الم يروا الم يعلموا **كم اهلكنا قبلهم من القرون** كم نصب باهلكنا اي كثيرا اهلكنا
عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان
اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة وقوله **انهم اليهم لا يرجعون**
بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا
القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم **وان كل لما جميع لدينا محضرون**
لما بالتشديد شامي وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم بالتخفيف
على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة
والتنوين في كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون
محضرون للحساب او معذبون وانما اخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد معنى
الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعني ان المحشر يجمعهم
وآية لهم مبتدا وخبر اي وعلامة تدل على ان الله يبعث الموتى احيا
الارض الميتة ويجوز ان يرتفع آية بالابتدا ولهم صفتها وخبرها **الارض**
الميتة اليابسة وبالتشديد مدني **احييناها** بالمطر وهو استيناف
بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان توصف الارض
والليل بالفعل لانه اريد بهما جنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما
فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم
يسبني **واخرجنا منها حبا** اريد به الجنس **فمنه ياكلون** قدم الظرف

ليدل على ان الحب هو الشي الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق
منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك
ونزل البلا **وجعلنا فيها** في الارض **جنات** بساتين **من نخيل واعناب وفجرنا**
فيها من العيون من زائدة لان الاخفش عنده زائدة وعند غيره المفعول محذوف
تقديره ما ينتفعون به **لياكلوا من ثمره** والضمير لله تعالى اي لياكلوا مما خلقه
الله من الثمر من ثمره حمزة وعلي **وما عملته ايديهم** اي ومما عملته ايديهم
من الغرس والسقي والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه
يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله
من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة
الالتفات ويجوز ان يرجع الضمير الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع
اليها لانه علم انها في حكم النخيل مما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من
ثمر المذكور وهو الجنات كما قال • دوبية فيها خطوط من بياض وبلق •
كانه في الجلد توليع البهق • فقيل له فقال اردت كان ذاك وما عملت
كوفي غير حفص وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين
والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله
ايدي الناس ولا يقدرون عليه **افلا يشكرون** استبطا وحث على شكر النعمة
سبحان الذي خلق الازواج الاصناف **كلها مما تنبت الارض** من النخيل
والشجر والزرع والثمر **ومن انفسهم** الاولاد ذكورا واناثا **ومما لا يعلمون** ومن
ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها فهي الاودية والبحار
اشياء لا يعلمها الناس **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار** نخرج منه النهار
اخراجا لا يبقى معه شي من ضوء النهار او ننزع عنه الضوء نزع القميص الابيض
فيعري نفس الزمان كشخص زنجي اسود لان اصل ما بين السما والارض
من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم اسرج فيه
فاذا غاب السراج اظلم **فاذا هم مظلمون** داخلون في الظلام **والشمس**
تجري وآية لهم الشمس تجري **لمستقر لها** لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه
من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لحد
لها في مسيرها كل يوم في مرائي عيوننا وهو المغرب او لانتهاء امرها
عند انقضاء الدنيا **ذلك** الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق
تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور **العليم** بكل معلوم **والقمر** نصب
بفعل يفسره **قدرناه** وبالرفع مكي ونافع وابو عمرو وسهل على الابتدا
والخبر قدرناه او على وآية لهم القمر **منازل** وهي ثمانية وعشرون
منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على
تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين
ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ولا بد في قدرناه منازل
من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل اي قدرنا نوره

فيزيد وينقص او قدرنا سيره منازل فيكون ظرفا فاذا كان في اخر منازله
دق واستقوس حتى عاد كالعرجون هو عود الشماراخ اذا يبس واعوج
ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف القديم العتيق المحول
واذا قدم دق وانحني واصفر فشبه العرجون من ثلاثة اوجه لا الشمس
ينبغي لها اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم ان تدرك القمر فتجتمع معه
في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من
النيرين سلطانا على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر
بالليل ولا الليل سابق النهار ولا يسبق الليل النهار اي اية الليل اية النهار
وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الي ان تقوم القيامة
فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها وكل التنوين
فيه عوض من المضاف اليه اي وكلهم والضمير للشموس والاقمار في فلك
يسبحون يسيرون واية لهم انا حملنا ذريتهم ذرياتهم مدني وشامي في الفلك
المشحون المملو والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم
الي التجارات في بر او بحر او الاباء لانها من الاضداد والفلك على هذا
سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل اباهم
الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه
ابلغ في الامتنان عليهم وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون
من الابل وهي سفائن البر وان نشا نغرقهم في البحر فلا صريخ لهم فلا مغيث
او فلا اغاثة ولا هم ينقذون لا ينجون الا رحمة منا ومتاعا الى حين اي ولا
ينقذون الا لرحمة منا وللتمتيع بالحياة الي انقضا الاجل فهما منصوبان
على المفعول له واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم اي ما تقدم من
ذنوبكم وما تاخر مما انتم تعملونه من بعد او من مثل الوقائع التي ابتليت
بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفهم من امر الساعة اي فتنة الدنيا
وعقوبة الاخرة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجا رحمة الله وجواب
اذا مضمر اي اعرضوا وجاز حذفه لان قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم
الا كانوا عنها معرضين يدل عليه ومن الاولى لتاكيد النفي والثانية
للتبعيض اي ودابهم الاعراض عن كل اية وموعظة واذا قيل لهم لمشركي مكة
انفقوا مما رزقكم الله اي تصدقوا على الفقراء قال الذين كفروا للذين امنوا
انطعم من لو يشا الله اطعمه عن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة
فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه
نحن ان انتم الا في ضلال مبين قول الله لهم او حكاية قول المومنين لهم
او هو من جملة جوابهم للمومنين ويقولون متى هذا الوعد اي وعد
البعث والقيامة ان كنتم صادقين فيما تقولون خطاب للنبي واصحابه
ما ينظرون ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تاخذهم وهم
يخصمون حمزة بسكون الخا وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه في

الخصومة وبتشديد الصاد اي يختصمون بادغام التا في الصاد
لكنه مع فتح الخا مكي بنقل حركة التا المدغمة اليها وبسكون الخا مدني
وبكسر اليا وكسر الخا يحيى باتباع اليا الخا في الكسر وبفتح اليا وكسر الخا غيرهم
والمعنى تاخذهم وبعضهم يخصم بعضا في معاملاتهم فلا يستطيعون توصية فلا
يستطيعون ان يوصوا في شي من امورهم توصية ولا الي اهلهم يرجعون ولا
يقدرون على الرجوع الي منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة ونفخ
في الصور هي النفخة الثانية والصور القرن او جمع صورة فاذا هم من
الاجداث القبور الي ربهم ينسلون يعدون بكسر السين وضمها قالوا يا ويلنا
من بعثنا من انشرنا من مرقدنا مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد
للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من
بعثنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون كلام الملائكة او المتقين او الكافرين
يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وما
مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود
والمصدوق فيه بالوعد والصدق او موصولة وتقديره هذا الذي وعد
الرحمن والذي صدقه المرسلون اي والذي صدق فيه المرسلون
ان كانت النفخة الاخيرة الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون
للحساب ثم ذكر ما يقال لهم في ذلك اليوم فاليوم لا تظلم نفس شيا
ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل بضمتين
كوفي وبضمة وسكون مكي ونافع وابو عمرو والمعنى في اي شغل في شغل
لا يوصف وهو افتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار
او ضرب الاوتار او ضيافة الجبار فاكهون خبر ثان فكهون يزيد
وهي المفاكهة والمتفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذ
به وكذا الفكاهة هم مبتدا وازواجهم عطف عليه في ظلال حال
جمع ظل وهو الموضع الذي لا تقع فيه الشمس كذيب وذياب او جمع ظلة
كبرمة وبرام دليله قراة حمزة وعلي ظلل جمع ظلة وهي ما سترك عن
الشمس على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة او الفراش فيها
متكئون خبر او في ظلال خبر وعلى الارائك مستانف لهم فيها فاكهة
ولهم ما يدعون يتفعلون من الدعا اي كل ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم
او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت اي تمنه علي الفرا هو من الدعوى
ولا يدعون ما لا يستحقون سلام بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام
يقال لهم قولا من رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك
لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب
العالمين وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المومنين وكونوا على
حدة وذلك حين يحشر المومنون ويسار بهم الي الجنة وعن الضحاك

لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يُرى ابدا ويقول لهم يوم القيامة
الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين العهد
الوصية وعهد اليه اذا اوصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل
وانزل عليهم من دلايل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس
به اليهم ويزينه لهم وان اعبدوني وحدوني واطيعوني هذا اشارة
الى ما عهد اليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن صراط مستقيم
اي صراط بليغ في استقامته لا صراط اقوم منه ولقد اضل منكم جبلا بكسر
الجيم والبا والتشديد مدني وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والبا والتشد
يعقوب جبلا مخففا شامي وابو عمرو وجبلا بضم الجيم والبا وتخفيف
اللام غيرهم وهذه لغات في معنى الخلق كثيرا افلم تكونوا تعقلون
استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل هذه جهنم التي كنتم توعدون بها
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ادخلوها بكفركم وانكاركم لها
اليوم نختم على افواههم اي نمنعهم من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم
جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم
على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم
القيمة اني لا اجيز علي الا شاهدا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه
انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن
وسحقا فعنكن كنت اناضل ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لاعميناهم
واذهبنا ابصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة
فاستبقوا الصراط فانى يبصرون فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا اعينهم
ولو نشاء لمسخناهم قردة او خنازير او حجارة على مكانتهم على مكاناتهم
ابو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي لمسخناهم
في منازلهم حيث يجترون المآثم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم
يقدروا على ذهاب ولا مجيء او مضيا امامهم ولا يرجعون خلفهم ومن
نعمره ننكسه في الخلق اي نقلبه فيه بمعنى من اطلنا عمره
نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك
انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد
الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى
نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال
الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس
السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل
العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا افلا يعقلون ان من قدر على ان
ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل
الى الخرف وقلة التمييز قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم

ويبعثهم بعد الموت وبالتا مدني ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل وما علمناه الشعر اي وما علمنا النبي
عليه السلام قول الشعر او وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى
ان القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن
واين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت وما ينبغي له وما يليق
بحاله ولا ينطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له
ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي الى الخط لتكون الحجة اثبت والشبهة
ادحض واما قوله • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • وقوله
• هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • فما هو الا من
جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا
تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء
موزونا كما يتفق في خطب الناس ورسايلهم ومحاوراتهم اشيا موزونة
ولا يسميها احد شعرا لان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه
السلام قال لقيت بالسكون وفتح البا في كذب وخفض البا في المطلب
ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو اي المعلم الا ذكر وقرآن مبين
اي ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوي
يقرا في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز
الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر اي
القرآن او الرسول لتنذر مدني وشامي وسهل ويعقوب من كان حيا
عاقلا متاملا لان الغافل كالميت او حيا بالقلب ويحق القول ويجب كلمة
العذاب على الكافرين الذين لا يتاملون وهم في حكم الاموات اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما اي مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر
على توليه غيرنا فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم
فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها او فهم لها ضابطون
قاهرون وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم والا فمن كان يقدر عليها
لولا تذليله وتسخيره لها ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة
ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمنها ركوبهم وهو
ما يركب ومنها يا كلون اي سخرناها لهم ليركبوا ظهرها وياكلوا لحمها
ولهم فيها منافع من الجلود والاوبار وغير ذلك ومشارب من اللبن
وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشراب افلا يشكرون الله
على انعام الانعام واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون اي لعل
اصنامهم تنصرهم اذا حزبهم امر لا يستطيعون اي الهتهم نصرهم نصر عابديهم
وهم لهم اي الكفار للاصنام جند اعوان وشيعة محضرون يخدمونهم
ويذبون عنهم او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على
خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم

لانهم يجعلون وقود النار **ولا يحزنك قولهم** وبضم اليا وكسر الزاي نافع من حزنه واحزنه يعني فلا يهمك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم **انا نعلم ما يسرون**
من عداوتهم **وما يعلنون** وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا
الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الاخرة حتى ينقشع
عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان من قرا انا نعلم بالفتح فسدت
صلاته وان اعتقد معناه كفر فقد اخطا لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل
وهو كثير في القران والشعر وفي كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسرا ابو حنيفة وفتح الشافعي رحمة
الله عليهما وكلاهما تعليل فان قلت اذ كان المفتوح بدلا من قولهم كانه
قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت
هذا المعنى قايم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان
تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدور ان على كسر ان وفتحها
وانما يدور ان على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل
ولا تقدر معنى البدل كما انك تتفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا
تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب
ذلك القايل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن
على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهي عن حزنه ليس الا لتحريمه بذلك
كما في قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله
الها اخر ونزل في ابي بن خلف حين اخذ عظما باليا وجعل يفته بيده
ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم **اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة**
مذرة خارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة **فاذا هو خصيم مبين** بين
الخصومة اي فهو على مهانة اصله ودناءة اوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر
قدرته على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف
له والصقه به وهو كونه منشا من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو
غاية المكابرة **وضرب لنا مثلا** بفته العظم **ونسي خلقه** من المني فهو
اغرب من احيا العظم المصدر مضاف الى المفعول اي خلقنا اياه **قال من
يحيي العظام وهي رميم** هو اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
فلهذا لم يونث وقد وقع خبرا لمونث ومن يثبت الحياة في العظام ويقول
ان عظام الميتة نجسة لان الموت يوثر فيها من قبل ان الحياة تحلها يتشبث
بهذه الاية وهي عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها
فلا يوثر فيها الموت والمراد باحيا العظام في الاية ردها الى ما كانت عليه
غضة رطبة في بدن حي حساس **قل يحييها الذي انشاها** خلقها **اول مرة** اي
ابتداء **وهو بكل خلق** مخلوق **عليم** لا يخفى عليه اجزاوه وان تفرقت في البر
والبحر فيجمعه ويعيده كما كان **الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه**

توقدون تقدحون ثم ذكر من بدايع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر
مع مضادة النار الما وانطفايها به وهي الزناد التي تورى به الاعراب
واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ
لان المرخ شجر سريع الوري والعفار شجر يقدح منه النار والعفار
يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضر واذ كان يقطر منهما
الما فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فينقدح النار باذن
الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجر الا وفيها نار الا العناب
لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع النار والما في الشجر قدر على
المعاقبة بين الموت والحياة في البشر واجرا احد الضدين على الاخر
بالتعقيب اسهل في العقل من الجمع معا بلا ترتيب والاحتز على اللفظ
وقرئ الخضرا على المعنى ثم بين ان من قدر على خلق السموات والارض
مع عظم شانهما فهو على خلق الاناسي اقدر بقوله **اوليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم** في الصغر بالاضافة الى
السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به **بلى**
اي قل بلى هو قادر على ذلك **وهو الخلاق** الكثير المخلوقات **العليم**
الكثير المعلومات **انما امره** شانه **اذا اراد شيا ان يقول له كن** اي يكونه
فيكون فيحدث اي فهو كاين موجود لا محالة فالحاصل ان المكونات
تخليقه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير ان كان منه كاف
ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كانه يقول كما لا يثقل قول كن
عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامي وعلي
عطف على يقول واما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها
فهو يكون معطوف على مثلها وهي امره ان يقول له كن **فسبحان**
تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا
الذي بيده ملكوت كل شي اي ملك كل شي وزيادة الواو والتا
للمبالغة يعني هو مالك كل شي **واليه ترجعون** تعادون بعد الموت
بلا فوت ترجعون يعقوب قال عليه السلام ان لكل شي قلبا
وان قلب القران يس من قرا يس يريد بها وجه الله غفر الله له
واعطي من الاجر كانما قرا القران اثنتي عشرة مرة وقال عليه السلام
من قرا يس امام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قراها ان
كان جايعا اشبعه الله وان كان ظمانا ارواه الله وان كان عريانا
البسه الله وان كان خايفا امنه الله وان كان مستوحشا انسه الله
وان كان فقيرا اغناه الله وان كان في السجن اخرجه الله وان كان
اسيرا خلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله
دينه من خزاينه وتدعى الرافعة والقاضية تدفع كل سوء وتقضي كل حاجة

سورة الصافات مكية وهي ماية واحدى او اثنان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات**
ذكرا اقسم سبحانه بطوايف الملايكة اوبنفوسهم الصافات اقدامها
في الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا اوعن المعاصي بالالهام فالتاليا
لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود
ومجاهد اوبنفوس العلما العمال الصافات اقدامها في التهجد وساير
الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصايح فالتاليات ايات الله
والدارسات شرايعه اوبنفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف
وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفا مصدر موكد وكذلك
زجرا والفا لدل على ترتيب الصفات في التفاضل فتفيد الفضل للوصف
ثم للزجر ثم للتلاوة او للعكس وجواب القسم **ان الهكم لواحد**
قيل هو جواب قولهم اجعل الالهة الها واحدا **رب السموات والارض**
خبر بعد خبر اوخبر مبتدا محذوف اي هو رب **وما بينهما ورب المشارق**
اي مطالع الشمس وهي ثلثماية وستون مشرقا وكذلك المغرب
تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا
تغرب في واحد يومين واما رب المشرقين ورب المغربين فانه
اراد مشرقي الصيف والشتا ومغربيهما واما رب المشرق والمغرب
فانه اراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة **انا زينا السما الدنيا**
القربى منكم تانيث الادنى **بزينة الكواكب** حفص وحمزة على البدل من
الزينة والمعنى انا زينا السما الدنيا بالكواكب بزينة الكواكب ابوبكر
على البدل من محل بزينة اوعلى اضمار اعني اوعلى اعمال المصدر منونا
في المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل اي بان
زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب اوعلى اضافته الى المفعول
اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السما لحسنها
في انفسها واصله بزينة الكواكب كقراة ابوبكر **وحفظا** محمول على
المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسما وحفظا من الشياطين
كما قال ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
او الفعل المعلل مقدر كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب
اومعناه حفظناها حفظا **من كل شيطان مارد** خارج من الطاعة
والضمير في **لا يسمعون** لكل شيطان لانه في معنى الشياطين يسمعون
كوفي غير ابي بكر واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال
تسمع فسمع اوفلم يسمع وينبغي ان يكون كلاما منقطعا مبتدا
اقتصاصا لما دل عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون
ان يسمعوا الى كلام الملايكة اويتسمعوا وقيل اصله لئلا يسمعوا
فحذفت اللام كما حذفت في جيتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا
فحذفت ان واهدر عملها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا

وفيه

وفيه تعسف يجب صون القران عن مثله فان كل واحد من الحذفين غير مردود
على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث
وسمعت حديثه والى حديثه ان المعدي بنفسه يفيد الادراك والمعدى
بالى يفيد الاصغاء مع الادراك **الى الملا الاعلى** اي الملايكة لانهم
يسكنون السموات والانس والجن هم الملا الاسفل لانهم سكان
الارض **ويقذفون** يرمون بالشهب **من كل جانب** من جميع جوانب السما
من اي جهة صعدوا للاستراق **دحورا** مفعول له اي ويقذفون للدحور
وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان
في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا **ولهم عذاب واصب** دايم من
الوصوب اي انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة
نوع من العذاب دايم غير منقطع ومن في **الا من** في محل الرفع بدل من
الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي **خطف**
الخطفة اي سلب السلبة يعني اخذ شيا من كلامهم بسرعة **فاتبعه** لحقه
شهاب اي نجم رجم **ثاقب** مضي **فاستفتهم** فاستخبر كفار مكة **اهم اشد**
خلقا اي اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة او اصعب
خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق
هذه الخلايق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه
اهون **ام من خلقنا** يريد ما ذكر من خلايقه من الملايكة والسموات
والارض وما بينهما وجي بمن تغليبا للعقلا على غيرهم ويدل عليه قراة من
قرا ام من عددنا بالتشديد والتخفيف **انا خلقناهم من طين لازب**
لاصق او لازم وقري به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين
غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي
خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا
ايذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث
بل عجبت من تكذيبهم اياك **ويسخرون** هم منك ومن تعجبك او عجبت
من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث بل عجبت حمزة وعلي
اي استعظمت والعجب روعة تعتري الانسان عند استعظام الشي
فجرد لمعنى الاستعظام في حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة او معناه
قل يا محمد بل عجبت **واذا ذكروا لا يذكرون** ودابهم انهم اذا وعظوا بشي
لا يتعظون به **واذا راوا اية** معجزة كانشقاق القمر ونحوه **يستسخرون**
يستدعي بعضهم بعضا ان يسخر منها او يبالغون في السخرية **وقالوا ان هذا**
ما هذا **الا سحر مبين** ظاهر **ايذا** استفهام انكار **متنا وكنا ترابا وعظاما**
اينا لمبعوثون اي انبعث اذا كنا ترابا وعظاما **او اباونا** معطوف على محل
ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والمعنى ايبعث ايضا اباونا على
زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل او اباونا بسكون

الواو همزة وسكون ساكنة اي ايبعث واحد منا على المبالغة في الانكار **الاولون** الاقدمون **قل نعم** تبعثون نعم على ما مر في الفتحات **وانتم داخرون** صاغرون **فانما هي** جواب شرط مقدر وتقديره اذا كان كذلك فانما هي **الزجرة واحدة** وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها **فاذا هم** احيا بصراء **ينظرون** الى سوء اعمالهم او ينتظرون ما يحل بهم **وقالوا يا ويلنا** الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة **هذا يوم الدين** اي اليوم الذي ندان فيه اي نجازى باعمالنا **هذا يوم الفصل** يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال **الذي كنتم به تكذبون** ثم يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم **احشروا** خطاب الله للملائكة **الذين ظلموا** كفروا **وازواجهم** اي واشباههم ونظراؤهم من الشيء طير او نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير في ظلموا **وما كانوا يعبدون من دون الله** اي الاصنام **فاهدوهم** دلوهم عن الاصمعي هديته في الدين هدى وفي الطريق هداية **الى صراط الجحيم** طريق النار **وقفوهم** احبسوهم **انهم مسئولون** عن اقوالهم وافعالهم **ما لكم لا تناصرون** لا ينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين في الدنيا وقيل هو جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو في موضع النصب على الحال اي ما لكم غير متناصرين **بل هم اليوم مستسلمون** اي منقادون او قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر **واقبل بعضهم على بعض** اي التابع على المتبوع **يتساءلون** يتخاصمون **قالوا** اي الاتباع للمتبوعين **انكم كنتم تاتوننا عن اليمين** عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش اي انكم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه **قالوا** اي الرؤسا **بل لم تكونوا مؤمنين** بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين **وما كان لنا عليكم من سلطان** تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم **بل كنتم قوما طاغين** بل كنتم قوما مختارين الطغيان **فحق علينا** فلزمنا جميعا **قول ربنا انا لذائقون** يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قوله لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك **فاغويناكم** فدعوناكم الى الغي **انا كنا غاوين** فاردنا اغواكم لتكونوا امثالنا **فانهم** فان الاتباع والمتبوعين جميعا **يومئذ** يوم القيمة **في العذاب مشتركون** كما كانوا هم

مشتركين في الغواية **انا كذلك نفعل بالمجرمين** اي بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم **انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون** انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا عنها وابوا الا الشرك **ويقولون ائنا** بهمزتين شامي وكوفي **لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون** يعنون محمدا عليه السلام **بل جاء بالحق** رد على المشركين **وصدق المرسلين** لقوله مصدقا لما بين يديه **انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون** بلا زيادة **الا عباد الله المخلصين** بفتح اللام كوفي ومدني وكذا ما بعده اي لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع **اولئك لهم رزق معلوم فواكه** فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسامهم محكمة مخلوقة للابد فما ياكلونه ياكلونه للتلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه اسكن **وهم مكرمون** معظمون **في جنات النعيم** يجوز ان يكون ظرفا وان يكون حالا وان يكون خبرا بعد خبر وكذا **على سرر متقابلين** التقابل اتم للسرور وانس **يطاف عليهم بكاس** بغير همز ابو عمرو وحمزة في الوقف وغيرهما بالهمزة يقال للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا وعن الاخفش كل كاس في القران فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما **من معين** من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر **بيضاء** صفة للكاس **لذة** وصفت باللذة كانها نفس اللذة وعينها او ذات لذة **للشاربين لا فيها غول** اي لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده **ولا هم عنها ينزفون** يسكرون من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون على وحمزة اي لا يسكرون او لا ينفد شرابهم من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه **وعندهم قاصرات الطرف** قصرن ابصارهن على ازواجهن اي لا يمددن طرفا الى غيرهم **عين** جمع عيناء اي نجلاء واسعة العين **كانهن بيض مكنون** مصون شبههن ببيض النعام المكنون في الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف **فاقبل بعضهم** يعني اهل الجنة **على بعض يتساءلون** على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى عليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة عرف في اخباره **قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك** بهمزتين

شامتي وكونها لمن المصدقين بيوم الدين ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا
لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء قال ذلك القايل هل انتم مطلعون
الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل
النار او قال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون الى النار فتعلموا
اين منزلتكم من منزلة اهل النار فاطلع المسلم فراه اي قرينه في سواء الجحيم
في وسطها قال تالله ان كدت لتردين ان مخففة من الثقيلة وهي
تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
والارداء الاهلاك وبالياء في الحالين يعقوب ولولا نعمة ربي وهي
العصمة في التوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام لكنت من المحضرين
من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك افما نحن بميتين
الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين الفا للعطف على محذوف تقديره انحن
مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى ان هذه حال المومنين
وهو ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه
الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت
وهذا قول يقوله المومن تحدثا بنعمة الله المسمع من قرينه ليكون
توبيخا له وزيادة تعذيبه وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل
تقديره ولا نموت الا مرة او منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت
في الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له ان هذا اي الامر الذي نحن فيه لهو
الفوز العظيم ثم قال الله عز وجل لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل هو
ايضا من كلامه اذلك خير نزلا تمييز ام شجرة الزقوم اي نعيم الجنة وما
فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا ام شجرة الزقوم خير نزلا
ام شجرة الزقوم خير نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق
والزقوم شجر مر يكون بتهامة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة
وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون
في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها كانه رؤس
الشياطين الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها
وشبه برؤس الشياطين للدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان
الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض وقيل
الشيطان حية عرفا قبيحة المنظر هايلة جدا فانهم لاكلون منها من
الشجرة اي من طلعها فمالئون منها البطون فمالئون بطونهم لما يغلبهم
من الجوع الشديد ثم ان لهم عليها على اكلها لشوبا لخلطا ولمزاجا من
حميم ماء حار يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب
اهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم انهم يملاون البطون من
شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي

تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم
في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فيا كلون
الى ان يمتلوا ويسقون من ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي
في ذلك ظاهر انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون علل
استحقاقهم للوقوع في تلك الشدايد بتقليد الاباء في الدين واتباعهم
اباهم على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم
يحثون حثا ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش اكثر الاولين يعني الامم
الخالية بالتقليد وترك النظر والتامل ولقد ارسلنا فيهم منذرين
الذين انذروا وحذروا اي انبياء حذروهم العواقب فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين الذين انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا الا عباد الله المخلصين
اي الا الذين امنوا واخلصوا لله دينهم واخلصهم الله لدينه على القرائتين
ولما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين
اتبع ذلك ذكر نوح ودعايه اياهم حين ايس من قومه بقوله ولقد
نادانا نوح دعانا لننجيه من الغرق وقيل اريد به قوله اني مغلوب
فانتصر فلنعم المجيبون اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون
نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة
ونصرناه على اعدايه وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون ونجيناه واهله ومن
امن به واولاده من الكرب العظيم غم الغرق وجعلنا ذريته هم الباقين
وقد فني غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه
السلام ثلاثة اولاد سام وحام ويافث سام وهو ابو العرب وفارس
والروم وحام وهو ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث وهو
ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الاخرين من الامم هذه
الكلمة وهي سلام على نوح يعنون يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو
من الكلام المحكي كقوله سورة انزلناها في العالمين اي ثبت
هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله
التسليم على نوح وادامه في الملايكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم
انا كذلك نجزي المحسنين علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بانه
كان محسنا انه من عبادنا المومنين ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا
مومنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم
ثم اغرقنا الاخرين اي الكافرين وان من شيعته لابراهيم اي من شيعة
نوح اي من شايعه على اصول الدين او شايعه على التصلب في دين الله
ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون
سنة وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح اذ جاء ربه اذ تعلق بما

الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين
جاء ربه بقلب سليم من الشرك او من آفات القلوب لابراهيم او
بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجي بقلبه ربه انه اخلص لله قلبه وعلم الله
ذلك منه فضرب المجي مثلا لذلك اذ بدل من الاولى قال لابيه وقومه
ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون ايفكا مفعول له تقديره
اتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول به على الفعل
للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان
يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا
به اي اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على انها افك
في نفسها او حالا اي اتريدون آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم اي شيء
ظنكم برب العالمين وانتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر
ظنكم اي فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره
وعلمتم انه المنفرد على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة فنظر نظرة في
النجوم اي نظر في النجوم راميا ببصره الى السما متفكرا في نفسه كيف
يحتال او اراهم انه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجم فاوهمهم انه
استدل بامارة على انه سقيم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو
الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا
عنه فهربوا عنه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد
فيفعل بالاصنام ما فعل وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال
بمعرفته والكذب حرام الا اذا عرض والذي قاله ابراهيم عليه السلام
معاريض من الكلام اي سأسقم او من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل
كفى بالسلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال
اعرابي اصحيح من الموت في عنقه او اراد اني سقيم النفس لكفركم كما
يقال انا مريض القلب من كذا فتولوا فاعرضوا عنه مدبرين مولين
الادبار فراغ الى آلهتهم فذهب اليهم سرا فقال استهزاء الا تاكلون
وكان عندهم طعام ما لكم لا تنطقون والجمع بالواو والنون لما انه
خاطبها خطاب من يعقل فراغ عليهم ضربا فاقبل عليهم مستخفيا كانه
قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم
ضربا او فراغ عليهم ضربا اي ضاربا باليمين اي ضربا شديدا بالقوة لان
اليمين اقوى الجارحتين واشدهما او بالقوة والمتانة او بسبب
الحلف الذي سبق منه وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه
الى ابراهيم يزفون يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة
من ازف اذا دخل في الزفيف ازفافا وكانه قد راه بعضهم يكسرها
وبعضهم لم يره فاقبل من راه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال
لمن راه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فاجابوه على سبيل التعريض

بقولهم

بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا باجمعهم نحن نعبدها
وانت تكسرها فاجابهم بقوله قال اتعبدون ما تنحتون بايديكم
والله خلقكم وما تعملون اي وخلق ما تعملونه من الاصنام او ما
مصدرية اي وخلق اعمالكم وهو دليلنا في خلق الافعال اي الله
خالقكم وخالق اعمالكم فلم تعبدون غيره قالوا ابنوا له لاجله بنيانا
من الحجر ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا فالقوه في الجحيم في النار
الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم فارادوا به كيدا
بالقائه في النار فجعلناهم الاسفلين المقهورين عند الالقاء فخرج من
النار وقال اني ذاهب الى ربي الى موضع امرني بالذهاب اليه سيهدين
سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني او يعصمني ويوفقني سيهدين فيها
يعقوب رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ
الهبة غالب في الولد فبشرناه بغلام حليم انطوت البشارة على ثلاث
على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم لان الصبي لا يوصف بالحلم
وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك فلما بلغ معه
السعي بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ
لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم
عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر
فيه على السعي قيل مع من قال مع ابيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث
عشرة سنة قال يا بني حفص الباقون بكسر الياء اني ارى في المنام
اني اذبحك وتفتح الياء فيهما حجازي وابو عمرو وقيل له في المنام اذبح ابنك
ورؤيا الانبيا وحي كالوحي في اليقظة وانما لم يقل رايت لانه راى
مرة بعد مرة فقد قيل ليلة التروية كان قايلا يقول له ان الله يامرك
بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله
هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل
ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة فلما راى مثل ذلك
في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر فانظر ماذا ترى
من الراي على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى
رايه ومشورته ولكن ليعلم ايجزع ام يصبر ترى حمزة وعلي اي ماذا
تبصر من رايك وتبديه قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به وقرئ به
ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح روي ان الذبيح قال لابيه
يا ابت خذ بناصيتي واجلس بين كتفي حتى لا اوذيك اذا اصابتني
الشفرة ولا تذبحني وانت تنظر في وجهي عسى ان ترحمني واجعل
وجهي الى الارض ويروى اذبحني وانا ساجد واقرا على امي السلام
وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها

فلما اسلما انقادا لامر الله وخضعا وعن قتادة اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم تعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اي حققت ما امرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله او الجواب فبلنا منه وناديناه معطوف عليه انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة وفديناه بذبح هو ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وروي انه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وقد استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه بهذه الاية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة والاظهر ان الذبيح اسمعيل وهو قول ابي بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضي الله عنهم لقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح اخر ولده تقربا وكان عبد الله اخرا ففداه بماية من الابل ولان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير وعن الاصمعي انه قال سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وعن علي وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضي الله عنهم انه اسحاق ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وانما قال وفديناه وان كان الفادي ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدي منه لانه الامر بالذبح لانه تعالى وهب الكبش ليفتدي به وههنا اشكال وهو انه لا يخلو اما ان يكون ما اتى به ابراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه في حكم الذبح ام لا فان كان في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وان لم يكن فما معنى

قوله

١٤٧

قوله قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح اصلا او بدلا ولم يصح والجواب انه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس اسماعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا الا ان المحل الذي اضيف اليه الحكم لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء استقر حكم الامر عند المخاطب في اخر الحال على ان المبتغي منه في حق الولد ان يصير قربانا بنسبة الحكم اليه مكرما بالفداء الحاصل لمعرة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استقرار المراد بالامر لا قبله وقد سمي فداء في الكتاب لا نسخا وتركنا عليه في الاخرين ولا وقف عليه لان سلام على ابراهيم مفعول وتركنا كذلك نجزي المحسنين ولم يقل انا كذلك هنا كما في غيره لانه قد سبق في هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانيا انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبيا حال مقدرة من اسحاق ولا بد من تقدير مضاف محذوف اي وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة من الصالحين حال ثانية وورودها على الثناء لان كل نبي لا بد وان يكون من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه الف نبي اولهم يعقوب واخرهم عيسى عليه السلام ومن ذريتهما محسن مؤمن وظالم لنفسه مبين ظاهر او محسن الى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله وفرعه ولقد مننا انعمنا على موسى وهارون بالنبوة ونجيناهما وقومهما بني اسرائيل من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم اي موسى وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة وهديناهما الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من ولد هارون اخي موسى وقيل هو ادريس النبي عليه السلام وقرا ابن مسعود رضي الله عنه وان ادريس موضع الياس اذ قال لقومه الا

تتقون الا تخافون الله اتدعون اتعبدون بعلا هو علم الصنم كان من ذهب
وكان طوله عشرين ذراعا وكان له اربعة اوجه ففتنوا به وعظموه حتى
اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه وكان موضعهم يقال له
بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشام وقيل الياس والخضر انهما
حيان وقيل الياس وكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول
قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان وتذرون
احسن الخالقين وتتركون عبادة الله الذي هو احسن المقدرين الله
ربكم ورب ابائكم الاولين بنصب الكل عراقي غير ابي بكر وابي عمرو وعلى البدل
من احسن وغيرهم بالرفع على الابتدا فكذبوه فانهم لمحضرون في النار
الا عباد الله المخلصين من قومه وتركنا عليه في الاخرين سلام على
ال ياسين اي الياس وقومه المومنين كقولهم الخبيبون يعني ابا خبيب
عبد الله بن الزبير وقومه ال ياسين شامي ونافع لان ياسين اسم ابي
الياس فاضيف اليه الال انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين
وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين
في الباقين ثم دمرنا اهلكنا الاخرين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم
مصبحين داخلين في الصباح وبالليل والوقف عليه مطلق افلا تعقلون
يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول
تعتبرون بها واعلم انه ختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من
قبلهما لان الله تعالى سلم على جميع المرسلين في اخر السورة فاكتفى
بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام وان يونس لمن المرسلين اذ ابق
الاباق الهرب الى حيث لا يهتدي اليه الطلب فسمي هربه من قومه بغير
اذن ربه اباقا مجازا الى الفلك المشحون المملو وكان عليه السلام وعد قومه
العذاب فلما تاخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب
السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون
ان السفينة اذا كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس
فقال انا الابق وزج بنفسه في الماء فذلك قوله فساهم فقارعهم مرة
او ثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة فكان من
المدحضين المغلوبين بالقرعة فالتقمه الحوت فابتلعه وهو مليم داخل
في الملامة فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح
او من القائلين لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين او من
المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القران فهو
صلاة ويقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر للبث في بطنه الى
يوم يبعثون الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن
الحوت له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث في بطنه ثلاثة ايام او سبعة او اربعين
يوما وعن الشعبي التقمه ضحوة ولفظه عشية فنبذناه بالعراء بالفضاء

بالمكان

بالمكان الخالي الذي لا شجر فيه وهو سقيم عليل مما ناله من التقام الحوت
وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين ولد وانبتنا عليه شجرة اي
انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان من يقطين
الجمهور على انه القرع وفائدته ان الذباب لا يجتمع عنده وانه اسرع الاشجار
نباتا وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وارسلناه الى مائة
الف المراد به القوم الذي بعث اليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة
او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا راها الرائي قال هي مائة الف
او اكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قاله الفراء
وابو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك فامنوا به وبما ارسل به
فمتعناهم الى حين الى منتهى اجالهم فاستفتهم الربك البنات ولهم
البنون معطوف على مثله في اول السورة اي على فاستفتهم ام اشد
خلقا وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن
وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امر
باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث
ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة
لهن ووادهم واستنكافهم من ذكرهن ام خلقنا الملائكة اناثا وهم
شاهدون حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم
لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم
ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ومعناه انهم يقولون ذلك
عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كانهم شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم
ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون في قولهم اصطفى البنات على البنين
بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء
عنها بهمزة الاستفهام ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد افلا تذكرون
بالتخفيف حمزة وعلي وحفص ام لكم سلطان مبين حجة نزلت عليكم من
السماء بان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان
كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه بين الله وبين الجنة الملائكة
لاستتارهم نسبا وهو زعمهم انهم بناته او قالوا ان الله تزوج من الجن
فولدت له الملائكة ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ولقد علمت
الملائكة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون في النار سبحان الله عما
يصفون نزه نفسه عن الولد والصاحبة الا عباد الله المخلصين استثناء
منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله
اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء
من واو يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون براء من ان
يصفوه به فانكم يا اهل مكة وما تعبدون ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا

عليه على الله بفاتنين بمضلين الا من هو صال الجحيم بكسر اللام اي لستم
تضلون احدا الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم
يستوجبون ان يصلوها يقال فتن فلان على فلان امراته كما تقول
افسدها عليه وقال الحسن فانكم ايها القائلون بهذا القول والذي
تعبدونه من الاصنام ما انتم على عبادة الاوثان بمضلين احدا الا من
قدر عليه ان يصلى الجحيم ان يدخل النار وقيل ما انتم بمضلين الا من اوجبت
عليه الضلال في السابقة وما في ما انتم نافية ومن في موضع النصب
بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه ان يكون جمعا
فحذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هي واللام
في الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على
معناه وما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة لا يتجاوزه فحذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون نصف اقدامنا
في الصلاة او نصف حول العرش داعين للمؤمنين وانا لنحن المسبحون
المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله
عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة
كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في
مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا
عباد الله المخلصين وبرأوهم منه وقالوا للكفرة واذا صح ذلك فانكم
والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان
من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد اذلاء
بين يديه لكل منا مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين
يصطفون في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه وان كانوا
ليقولون اي مشركوا قريش قبل مبعثه عليه السلام لو ان عندنا ذكرا من
الاولين اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل
لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا
كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من
بين الكتب فكفروا به فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من
الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم
كانوا يقولون مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امره وآخره
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الكلمة قوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات لانها لما انتظمت
في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم
في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة
وعن الحسن ما غلب نبي في حرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم

ينصروا في الدنيا نصروا في العقبى والحاصل ان قاعدة امرهم واساسه والغالب
منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء
والمحنة والعبرة للغالب فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين الى مدة
يسيرة وهي المدة التي امهلوا فيها او الى يوم بدر او الى فتح مكة وابصرهم
اي ابصر ما ينالهم يومئذ فسوف يبصرون ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد
او انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما انكروا او اعلمهم فسوف
يعلمون افبعذابنا يستعجلون قبل حينه فاذا نزل العذاب بساحتهم
بفنائهم فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس
من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله
عليه السلام يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه
فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره
حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم
ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت
آخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون وانما ثنى ليكون
تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة
زائدة وهو اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه
يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة
وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة سبحان ربك
رب العزة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل
ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد
انه ما من عزة لاحد الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء
عما يصفون من الولد والصاحبة والشريك وسلام على المرسلين
عمم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض في السورة لان في تخصيص
كل بالذكر تطويلا والحمد لله رب العالمين على هلاك الاعداء
ونصر الانبياء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله
ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم
وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من
تنزيهه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد
لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم
المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه مضمنات
كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب
ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه
اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله الموفق للصواب

سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصري وست مدني
بسم الله الرحمن الرحيم ص ذكر هذا الحرف من حروف
المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز ثم اتبعه القسم محذوف الجواب
لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر اي ذي الشرف انه
لكلام معجز ويجوز ان يكون ص خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة
كانه قال هذه ص اي هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن
ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء
والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بص والقرآن ذي الذكر
انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة تكبر عن الاذعان لذلك
والاعتراف بالحق وشقاق خلاف لله ولرسوله والتنكير في عزة
وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب
عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق
من قبلهم من قبل قومك من قرن من امة فنادوا فدعوا واستغاثوا
حين راوا العذاب ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث
كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا
على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضييها اما الاسم او الخبر وامتنع
بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا
النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وقوله
حين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما
ان النصب على ولات الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص
وعجبوا ان جاءهم منذر منهم من ان جاءهم رسول من انفسهم يعني
استبعدوا ان يكون النبي من البشر وقال الكافرون هذا ساحر
كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ولم يقل وقالوا
اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون
المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي اذ لا كفر ابلغ من ان يسموا من
صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا
يتعجبون من الشرك وهو باطل لجلج روي ان عمر رضي الله عنه لما
اسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا
من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت كبيرنا وقد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك
لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل
كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا تسالونني قالوا ارفضنا
وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام اتعطونني

كلمة

كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي
نعطيكها وعشر كلمات فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل
الالهة الها واحدا اي اصيّر ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب
وقيل العجيب ما له مثل والعجاب ما لا مثل له وانطلق الملأ منهم ان امشوا
وانطلق اشراف قريش عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا وان بمعنى
اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا
فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول واصبروا على عبادة
آلهتكم ان هذا الامر لشيء يراد اي يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا
مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا
فلا انفكاك لنا منه ما سمعنا بهذا بالتوحيد في الملة الآخرة في ملة عيسى
التي هي آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة او في ملة قريش التي
ادركنا عليها آباءنا ان هذا ما هذا الا اختلاق كذب اختلقه محمد من
تلقاء نفسه أأنزل عليه الذكر القرآن من بيننا انكروا ان يختص
بالشرف من بين اشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا بل هم
في شك من ذكري من القرآن بل لما يذوقوا عذاب اي لم يذوقوا عذابي
بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ اي انهم
لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ ام عندهم خزائن
رحمة ربك العزيز الوهاب يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها
من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
ويترفعوا بها عن محمد وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر
على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على
ما تقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض
وما بينهما حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها
رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون
لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة فليرتقوا في الاسباب اي
فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى السماء حتى يدبروا امر
العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ثم وعد نبيه
عليه السلام النصرة عليهم بقوله جند ما مبتدا ما صلة مقوية للنكرة المبتدا
هنالك اشارة الى بدر ومصارعهم او الى حيث وضعوا انفسهم من الانتداب
لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست
هنالك خبر المبتدا مهزوم مكسور من الاحزاب متعلق بجند او بمهزوم
يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم عما قريب
فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما به يهذون كذبت قبلهم قبل اهل مكة
قوم نوح نوحا وعاد هودا وفرعون موسى ذو الاوتاد قيل كانت

له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب باربعة اوتاد
في يديه ورجليه **وثمود** وهم قوم صالح صالحا **وقوم لوط** لوطا **واصحاب**
الايكة الغيضة شعيبا **اولئك الاحزاب** اراد بهذه الاشارة الاعلام بان
الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب
ان كل الا كذب الرسل ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه
الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه
فيها وبين المكذب وهو الرسل وذكر ان كل واحد من الاحزاب كذب جميع
الرسل لان في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعواهم ودعوتهم
وفيه تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة
الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه
التوكيد انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب
وابلغه ثم قال **فحق عقاب** اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم
عذابي وعقابي في الحالين يعقوب **وما ينظر هؤلاء** وما ينتظر اهل مكة
الا صيحة واحدة اي النفخة الاولى وهي الفزع الاكبر **ما لها من فواق**
وبالضم حمزة وعلي اي ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي
الحالب اي اذا جاء وقتها لم تستاخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى
الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة
فحسب لا تثنى ولا تردد **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا** حظنا من الجنة لانه
عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل
لنا نصيبنا منها او نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله ويستعجلونك
بالعذاب واصل القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا
قطعه ويقال للصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس **قبل يوم**
الحساب اصبر على ما يقولون فيك وصن نفسك ان تزل فيما كلفت
من مصابرتهم وتحمل اذاهم **واذكر عبدنا داود** وكرامته على الله كيف زل
تلك الزلة اليسيرة فلقي من عتاب الله ما لقي **ذا الايد** ذا القوة في الدين
وما يدل على ان الايد القوة في الدين قوله **انه اواب** اي رجاع الى مرضات
الله تعالى وهو تعليل لذي الايد روي انه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو
اشد الصوم ويقوم نصف الليل **انا سخرنا** ذللنا **الجبال معه** قيل كان
تسخيرها انها تسير معه اذا اراد سيرها الى حيث يريد **يسبحن** في معنى
مسبحات على الحال واختيار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث
التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال **بالعشي والاشراق** اي في
طرفي النهار والعشي وقت العصر الى الليل والاشراق وقت الاشراق
وهو حين تشرق الشمس اي تضيء وهو وقت الضحى واما شروقها
فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما

ما عرفت

ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية **والطير محشورة** وسخرنا الطير مجموعة
من كل ناحية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال
بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها **كل له اواب**
كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت
تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو التواب
الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله
ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال
والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه** قويناه
قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون الف رجل يحرسونه
وآتيناه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق
فهو حكمة **وفصل الخطاب** علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق
والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل
بمعنى المفصول كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص
الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز ان يكون الفصل بمعنى
الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب
الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وعن الشعبي
هو قوله اما بعد وهو اول من قال اما بعد فان من تكلم في الامر
الذي له شان يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض
المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد **وهل اتاك نبأ**
الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة
والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر في الاصل تقول
خصمه خصما وانتصاب **اذ** بمحذوف تقديره وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم
او بالخصم لما فيه من معنى الفعل **تسوروا المحراب** تصعدوا سوره ونزلوا
اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة او المسجد او صدر المسجد
اذ بدل من الاولى **دخلوا على داود ففزع منهم** روي ان الله تعالى
بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه
في عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين
يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب في غير يوم القضاء
ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله
لا يتركون من يدخل عليه **قالوا لا تخف خصمان** خبر مبتدأ محذوف اي
نحن خصمان **بغى بعضنا على بعض** تعدى وظلم **فاحكم بيننا بالحق ولا**
تشطط ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق **واهدنا الى**
سواء الصراط وارشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق
ومحضه روي ان اهل زمان داود عليه السلام كان يسال بعضهم بعضا
ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وكان لهم عادة في المواساة

بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود
عليه السلام وقعت على امراة اوريا فاحبها فسأله النزول له عنها
فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انك مع عظم
منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس له الا امراة
واحدة النزول بل كان الواجب عليك مخالفة هواك وقهر نفسك والصبر
على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكانت
زلته ان خطب على خطبة اخيه المومن مع كثرة نسائه وما يحكى انه بعث
مرة بعد مرة اوريا الى غزاة البلقاء واحب ان يقتل ليتزوجها فلا يليق
من المتسمين بالصلاح من افناء الناس فضلا عن بعض اعلام الانبياء وقال
علي رضي الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك
عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال
ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم
بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا
على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب
الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله
لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها
فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها
ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به
كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه مع مراعاة
حسن الادب بترك المجاهرة ان هذا اخي هو بدل من هذا او خبر ان
والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة
لقوله وان كثيرا من الخلطاء له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة
وَلِيَ حفص والنعجة كناية عن المراة ولما كان هذا تصويرا للمسألة وفرضا
لها لا تمتنع ان يفرض الملائكة في انفسهم كما تقول لي اربعون شاة
ولك اربعون فخلطناها وما لكل من الاربعين اربعة ولا ربعها فقال
اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني وغلبني يقال
عزه يعزه في الخطاب في المخاصمة اي كان اقدر على الاحتجاج مني واراد
بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبة المراة وخطبها هو
فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني ووجه
التمثيل ان مثلت قصة اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة
ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه
واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ
مراده وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله

قال

قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا
جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر
مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه
قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب وانما ظلم
الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم
ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال
داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف
والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت
فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه وان كثيرا
من الخلطاء الشركاء والاصحاب ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم
وقليل ما هم ما للابهام وهم مبتدأ وقليل خبره وظن داود اي علم وايقن
وانما استعير له لان الظن الغالب يداني العلم انما فتناه اي ابتليناه
فاستغفر ربه لزلته وخر راكعا اي ساقطا على وجهه ساجدا لله وفيه
دليل على ان الركوع يقوم مقام السجود في الصلاة اذا نوي به لان
المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة والركوع في الصلاة
يعمل هذا العمل بخلاف الركوع في غير الصلاة واناب ورجع الى الله
بالتوبة وقيل انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا
لصلاة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من
دمعه ولا يشرب ماء الا وثلثاه دمع فغفرنا له ذلك اي زلته وان له
عندنا لزلفى لقربة وحسن مآب مرجع وهو الجنة يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض اي استخلفناك على الملك في الارض او جعلناك
خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله
بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق
اي بحكم الله اذ كنت خليفته او بالعدل ولا تتبع الهوى اي هوى
النفس في قضائك فيضلك الهوى عن سبيل الله ان الذين يضلون عن
سبيل الله دينه لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي بنسيانهم
يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما من الخلق باطلا
خلقا باطلا لا لحكمة او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع
باطلا موضعه اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق
المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل ومنحناها التمكين
وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها
عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم ذلك اشارة الى خلقها باطلا ظن الذين
كفروا الظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون

الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم
بانه خالق السموات والارض وما بينهما بقوله ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب
والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم
يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت له الحكمة في خلق
العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة في خلق العالم فويل للذين كفروا من
النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام نجعل المتقين كالفجار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار
والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت احوال من اصلح
وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما كتاب
اي هذا كتاب انزلناه يعني القران مبارك صفة اخرى ليدبروا اياته
واصله ليتدبروا وقرئ بها ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه
ويعملوا به عن الحسن قد قرأ هذا القران عبيد وصبيان لا علم لهم
بتاويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف
احدى التائين وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ بالقران اولوا العقول
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي سليمان وقيل داود وليس بالوجه
فالمخصوص بالمدح محذوف انه اواب وعلل كونه ممدوحا بكونه
اوابا اي كثير الرجوع الى الله تعالى اذ عرض عليه على سليمان بالعشي
بعد الظهر الصافنات الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد اقامت
الاخرى على طرف الحافر الجياد السراع جمع جواد لانه يجود بالركض
وصفها بالصفون لانه لا يكون في الهجن وانما هو في العراب وقيل
وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة
وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا
جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق
من الجيد وروي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين
فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة
وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه
واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر
وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله وبقي
مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله
خيرا منها وهي الريح تجري بامره فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي
اي اثرت حب الخيل عن ذكر ربي كذا عن الزجاج فاحببت بمعنى اثرت
كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيرا
كانها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها
الخير الى يوم القيامة وقال ابو علي احببت بمعنى جلست من احباب

البعير وهو بروكه حب الخير اي المال مفعول له مضاف الى المفعول
حتى توارت الشمس بالحجاب والذي دل على ان الضمير للشمس مرور
ذكر العشي ولا بد للضمير من جري ذكر او دليل ذكر او الضمير للصافنات
اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ردوها علي اي قال
للملائكة ردوا الشمس علي لاصلي العصر فردت الشمس له وصلى العصر
او ردوا الصافنات فطفق مسحا بالسوق والاعناق فجعل يمسح مسحا
اي يمسح السيف بسوقها وهي جمع ساق كدار ودور واعناقها يعني
يقطعها لانها منعته عن الصلاة تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه
ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك
كفارة لها او شكرا لرد الشمس وكانت الخيل ماكولة في شريعته فلم
يكن اتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها ولقد فتنا
سليمان ابتليناه والقينا على كرسيه سرير ملكه جسدا ثم اناب
رجع الى الله قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك
بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت
الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله
فعلم ذلك سليمان عليه السلام وكان يغذوه في السحابة خوفا من
معرة الشياطين فالقي ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته في ان لم
يتوكل فيه على ربه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان
لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في
سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة
جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع في حجره فوالذي نفس
محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون
واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان
عليه السلام فمن اباطيل اليهود قال رب اغفر لي وهب لي ملكا قدم
الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء عليهم السلام
والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون
لاحد من بعدي اي دوني وبفتح الياء مدني وابو عمرو وانما سال بهذه
الصفة ليكون معجزة له لا حسدا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح
والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولن يكون
معجزة حتى يخرق العادات انك انت الوهاب فسخرنا له الريح الرياح
ابو جعفر تجري حال من الريح بامره بامر سليمان رخاء لينة طيبة
لا تزعزع وهو حال من ضمير تجري حيث ظرف تجري اصاب قصد
واراد والعرب تقول اصاب الصواب واخطا الجواب والشياطين
عطف على الريح اي سخرنا له الشياطين كل بناء بدل من الشياطين
كانوا يبنون له ما شاء من الابنية وغواص ويغوصون له في البحر لاخراج

اللولو وهو اول من استخرج اللولو من البحر والمعنى وسخرنا له كل بنا
وغواص من الشياطين واخرين عطف على كل بنا داخل في حكم البدل
مقرنين في الاصفاد وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض
في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد والصفد القيد
وسمي به العطا لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه
من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك هذا هذا الذي اعطيناك
من الملك والمال والبسطة عطاؤنا فامنن فاعط منه ما شئت من المنة
وهي العطا او امسك عن العطا وكان اذا اعطى اجر وان منع لم ياثم بخلاف
غيره بغير حساب متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال اي عطاؤنا جما كثيرا
لا يكاد يقدر على حصره او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من
الشياطين بالاطلاق او امسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب
اي لا حساب عليك في ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب لزلفى اسم
ان والخبر له والعامل في عند الخبر واذكر عبدنا ايوب هو بدل من عبدنا
او عطف بيان اذ بدل اشتمال منه نادى ربه دعاه اني مسني باني
مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه
غايب الشيطان بنصب قراءة العامة بنصب بضم فتسكين نصب بنصب
كرشد ورشد يعقوب بنصب على اصل المصدر هبيرة والمعنى واحد وهو
التعب والمشقة وعذاب الم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع
الوصب وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به
من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله في ان يكفيه ذلك
بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان
يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم فسال عنه فقيل القى اليه
الشيطان ان الله لا يبتلي الانبيا والصالحين وذكر في سبب بلائه انه ذبح
شاة فاكلها وجاره جايع او راى منكرا فسكت عنه او ابتلاه الله لرفع
الدرجات بلا زلة سبقت منه اركض برجلك حكاية ما اجيب به ايوب
عليه السلام فقال له اركض برجلك اي اضرب برجلك الارض وهي ارض
الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا
ما تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان
فاغتسل من احدهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه
باذن الله تعالى ووهبنا له اهله ومثلهم معهم قيل احياهم الله تعالى
باعيانهم وزادهم مثلهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب مفعول لهما
اي الهبة كانت للرحمة له وليتذكر اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا
به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلا وخذ معطوف على اركض بيدك
ضغثا حزمة صغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قبضة من الشجر فاضرب به ولا تحنث وكان حلف في مرضه

ليضربن امراته مائة اذا برى فحلل الله يمينه باهون شي عليه وعليها لحسن
خدمتها اياه وهذه الرخصة باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحدة
من المائة والسبب في يمينه انها ابطات عليه ذاهبة في حاجة فحرج
صدره وقيل باعت ذوابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب عليه السلام
اذا قام انا وجدناه علمناه صابرا على البلا نعم نشكى اليه ما به
واسترحمه لكن الشكوى الى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه
السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله على انه عليه السلام كان يطلب
الشفا خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم
انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد
بلغ امره الى ان لا يبقى منه الا القلب واللسان نعم العبد ايوب انه
اواب واذكر عبادنا عبدنا مكي ابراهيم واسحاق ويعقوب فمن جمع
فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده
عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت اكثر الاعمال تباشر
بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتاتى
فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى هذا ورد
قوله اولي الايدي والابصار اي اولي الاعمال والفكر كان الذين
لا يعملون اعمال الاخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون افكار
ذوي الديانات في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم
والمسلوبي العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم
يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم
المجاهدة والتامل مع كونهم متمكنين منهما انا اخلصناهم جعلناهم
لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ذكرى الدار
ذكرى في محل النصب او الرفع باضمار اعني او هي او الجر على البدل من
خالصة والمعنى انا اخلصناهم بذكر الدار والدار هنا الدار الاخرة
يعني جعلناهم لنا خالصين بان جعلناهم يذكرون الناس الدار
الاخرة ويزهدونهم في الدنيا كما هو ديدن الانبيا عليهم السلام
او معناه انهم يكثرون ذكر الاخرة والرجوع الى الله وينسون
ذكر الدنيا بخالصة ذكرى على الاضافة مدني وهي من اضافة الشي
الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى وذكرى مصدر
مضاف الى المفعول اي باخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى
خلوص فهي مضافة الى الفاعل اي بان خلصت لهم ذكرى الدار على
انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم اخر انما همهم ذكرى الدار لا غير وقيل
ذكرى الدار الثنا الجميل في الدنيا وهذا شي قد اخلصهم الله به
فليس يذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم
لسان صدق عليا وانهم عندنا لمن المصطفين المختارين من بين

ابناجنسهم الاخيار جمع خير او خير على التخفيف كاموات في جمع ميت
او ميت واذكر اسمعيل واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع
وذا الكفل وكل التنوين عوض عن المضاف اليه اي وكلهم من الاخيار
هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب اي هذا شرف وذكر جميل
يذكرون به ابدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعني يذكرون في الدنيا
بالجميل ويرجعون في الاخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية
حسن ذلك المرجع فقال جنات عدن بدل من حسن مآب
مفتحة حال من جنات لانها معرفة لاضافتها الى عدن وهو علم
والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل لهم الابواب ارتفاع
الابواب بانها فاعل مفتحة والعائد محذوف اي مفتحة لهم الابواب
منها فحذف كما حذف في قوله فان الجحيم هي المأوى اي لهم اي ابوابها
الا ان الاول اجود او هي بدل من الضمير في مفتحة وهي ضمير
الجنات تقديره مفتحة هي الابواب وهو من بدل الاشتمال متكئين
حال من المجرور في لهم والعامل مفتحة فيها يدعون فيها بفاكهة
كثيرة وشراب اي وشراب كثير فحذف اكتفاء بالاول وعندهم
قاصرات الطرف اي قصرن طرفهن على ازواجهن اتراب لدات
اسنانهن كاسنانهم لان التحاب بين الاقران اثبت وكان اللدات
سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد هذا ما توعدون وبالياء
مكي وابو عمرو ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت ان هذا
لرزقنا ما له من نفاد من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل
الاشارة هذا خبر والمبتدا محذوف اي الامر هذا او هذا ذكر وان
للطاغين لشر مآب مرجع جهنم بدل منه يصلونها يدخلونها
فبئس المهاد شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم هذا
فليذوقوه حميم وغساق اي هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا
مبتدا وحميم خبره وغساق عطف على الخبر وفليذوقوه اعتراض او العذاب
هذا فليذوقوه ثم ابتدا فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلي
وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد اهل النار
يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق
يحرق ببرده واخر اي وعذاب اخر او مذوق اخر من شكله من شكل
العذاب المذكور واخر بصري اي ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق
في الشدة والفظاعة ازواج صفة لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا
هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل
النار في صحبتكم والاقتحام الدخول في الشيء بشدة والقحمة الشدة
وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد
بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم

العذاب

العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اي
اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا
في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار اي داخلوها
وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة
لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء
وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم اي
الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقوله انتم قدمتموه
لنا والضمير للعذاب او لصليهم اي انكم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم
فبئس القرار اي النار قالوا اي الاتباع ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا
ضعفا اي مضاعفا في النار ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء اضلونا
فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله وقالوا الضمير لرؤساء
الكفرة ما لنا لا نرى رجالا يعنون فقراء المسلمين كنا نعدهم في الدنيا
من الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى اتخذناهم سخريا
بلفظ الاخبار عراقي غير عاصم على انه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من
الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على انفسهم في الاستسخار
منهم سخريا مدني وحمزة وعلي وخلف والمفضل ام زاغت مالت عنهم
الابصار هو متصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا
فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان
يكونوا من اهل النار وبين ان يكونوا من اهل الجنة الا انه خفي عليهم
مكانهم ان ذلك اي الذي حكينا عنهم لحق لصدق كائن لا محالة
لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل النار ولما شبه
تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين
سماه تخاصما لاشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة انما انا منذر
ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله واقول
لكم ان دين الحق توحيد الله وان يعتقد ان لا اله الا الله الواحد بلا ند
ولا شريك القهار لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما له الملك
والربوبية في العالم كله العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار لذنوب
من التجأ اليه قل هو اي هذا الذي انبأتكم به من كوني رسولا منذرا
وان الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد
الغفلة ثم انتم عنه معرضون غافلون ما كان لي حفص من علم بالملا
الاعلى اذ يختصمون احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملا الاعلى
واختصامهم امر ما كان لهم به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق
الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة
الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله تعالى ان يوحى الي الا
انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير مبين ومعناه ما يوحى الي الا للانذار

بحذف اللام وانتصبه بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما
يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا
بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية
اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا
اخر وقيل النبأ العظيم قصص ادم والانباء به من غير سماع من احد وعن
ابن عباس رضي الله عنهما القران وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملا
الاعلى اصحاب القصة الملائكة وادم وابليس لانهم كانوا في السما
وكان التقاول بينهم واذ يختصمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان
لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم اذ قال ربك بدل
من اذ يختصمون في شان ادم حين قال تعالى على لسان ملك اني خالق
بشرا من طين وقال اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها فاذا سويته فاذا اتممت خلقته وعدلته ونفخت فيه من روحي
الذي خلقته واضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى
احييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا امر من وقع يقع يعني
اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا له ساجدين قيل كان انحناء يدل
على التواضع وقيل كان سجدة لله او كان سجدة التحية فسجد الملائكة
كلهم اجمعون كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا انهم سجدوا
عن اخرهم جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات الا ابليس
استكبر تعظم عن السجود وكان من الكافرين وصار من الكافرين باباء
الامر قال يا ابليس ما منعك ان تسجد ما منعك عن السجود لما
خلقت بيدي اي بلا واسطة امتثالا لامري واعظاما لخطابي
وقد مر ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيده فغلب العمل باليدين
على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هذا
مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى
لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك
ومنه قوله مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي استكبرت استفهام انكار
ام كنت من العالين ممن علوت وفقت وقيل استكبرت الان ام لم تزل
منذ كنت من المستكبرين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من
طين يعني لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف
اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد
جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف
عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح قال فاخرج
منها من الجنة او من السموات او من الخلقة التي انت فيها لانه كان
يفتخر بخلقته فغير خلقته واسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان
حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا فانك رجيم مرجوم اي مطرود

تكبر

تكبر ابليس ان يسجد لمن خلق من طين وزل عنه ان الله امر به ملائكته
واتبعوا امره اجلالا لخطابه وتعظيما لامره فصار مرجوما ملعونا
بترك امره وان عليك لعنتي بفتح الياء مدني اي ابعادي من كل الخير
الى يوم الدين اي يوم الجزاء ولا يظن ان لعنته غايتها يوم الدين ثم ينقطع
لان معناه ان عليه اللعنة في الدنيا وحدها فاذا كان يوم القيمة اقترن
بها العذاب فينقطع الانفراد ولما كان عليه اللعنة في اوان الرحمة
فاولى ان تكون عليه في غير اوانها وكيف ينقطع وقد قال الله تعالى
فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين قال رب فانظرني فامهلني
الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
الوقت المعلوم الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم
الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند
الله معين لا يتقدم ولا يتاخر قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين اقسم
بعزة الله وهي سلطانه وقهره الا عبادك منهم المخلصين وبكسر
اللام مكي وبصري وشامي قال فالحق بالرفع كوفي غير علي على الابتداء
اي الحق مني او على الخبر اي انا الحق وبالنصب غيرهم على انه مقسم به
كقوله الله لافعلن يعني حذف عنه الباء وانتصب وجوابه لاملان
والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب
باقول ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل
الذي في قوله ان الله هو الحق او الحق الذي هو نقيض الباطل
عظمه الله باقسامه به لاملان جهنم منك من جنسك وهم الشياطين
وممن تبعك منهم من ذرية ادم اجمعين اي لاملان جهنم من
المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا قل لا اسالكم عليه
من اجر الضمير للقران او للوحي وما انا من المتكلفين من الذين
يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا
مدعيا بما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القران ان هو الا القران
الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه
ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه نبا القران
وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور بعد حين بعد الموت
او يوم بدر او يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر
سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون اية كوفي واثنان بصري ومدني
بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب اي القران مبتدا خبره
من الله اي نزل من عند الله او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل
الكتاب من الله العزيز في سلطانه الحكيم في تدبيره انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثاني لبيان

بما في الكتاب فاعبد الله مخلصا حال له الدين اي ممحضا له الدين من الشرك
والريا بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرى الدين
بالرفع وحق من رفعه ان يقرا مخلصا الا لله الدين الخالص اي
هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر
لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة
ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا من دونه اوليا
اي الهة وهو مبتدا محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى مصدر اي تقريبا ان الله يحكم بينهم
بين المسلمين والمشركين فيما هم فيه يختلفون قيل كان المسلمون
اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم
فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين
ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار اي لا يهدي من هو في علمه انه يختار
الكفر يعني لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه
يخذله وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اوليا بنات الله
ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق
ما يشاء اي لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشا
لا ما تختارون انتم وتشاؤون سبحانه نزه ذاته عن ان يكون له احد
ما نسبوا اليه من الاوليا والاولاد ودل على ذلك بقوله هو الواحد
القهار يعني انه واحد متبري عن انضمام الاعداد متعال عن التجزي
والولد قهار غلاب لكل شي ومن الاشيا الهتهم فانى يكون له اوليا
وشركا ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين
على الاخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة
عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار
لا يغالب بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار
ويكور النهار على الليل والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة
على راسه وكورها والمعنى ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه
فشبه في تغيبه اياه بشي ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار
او ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار
العمامة بعضها على اثر بعض وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
اي يوم القيامة الا هو العزيز الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر
بتسخير الشمس والقمر فلم يومن بمسخرهما الغفار لمن فكر واعتبر فامن
بمدبرهما خلقكم من نفس واحدة اي ادم ثم جعل منها زوجها اي حوى
من قصيراه قيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك
حوى وانزل لكم من الانعام اي جعل عن الحسن او خلقها في الجنة

مع ادم عليه السلام ثم انزلها او لانها لا تعيش الا بالنبات والنبات لا
يقوم الا بالما وقد انزل الما فكانه انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى
من الابل والبقر والضان والمعز كما بين في سورة الانعام والزوج اسم
لواحد معه اخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر يخلقكم في بطون امهاتكم
خلقا من بعد خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم الى تمام الخلق في ظلمات
ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم
ذلكم الذي هذه مفعولاته هو الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون
فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين انه غني عنهم بقوله
ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم وانتم محتاجون اليه لتضرركم
بالكفر وانتفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر لان الكفر ليس برضى
الله وان كان بارادته وان تشكروا فتومنوا يرضه لكم اي يرضى الشكر
لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الها والاشباع
مكي وعلي يرضه بضم الها بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم
غير يحيى وحماد وعنهم يرضه ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا يواخذ
احد بذنب اخر ثم الى ربكم مرجعكم الى جزا ربكم رجوعكم فينبئكم بما كنتم
تعملون فيخبركم باعمالكم ويجازيكم عليها انه عليم بذات الصدور بخفيات
القلوب واذا مس الانسان هو ابو جهل او كل كافر ضر بلا وشدة والمس
في الاعراض مجاز دعا ربه منيبا اليه راجعا الى الله بالدعا لا يدعو
غيره ثم اذا خوله اعطاه نعمة منه من الله عز وجل نسي ما كان يدعو اليه
من قبل اي نسي ربه الذي كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق
الذكر والانثى او نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله اندادا
امثالا ليضل ليضل مكي وابو عمرو ويعقوب عن سبيله اي الاسلام
قل يا محمد تمتع امر تهديد بكفرك قليلا اي في الدنيا انك من
اصحاب النار من اهلها امن قرا بالتخفيف مكي ونافع وحمزة على
ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على ادخال ام
عليه ومن مبتدا خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره اي امن
هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة
الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون اناء الليل ساعاته ساجدا وقائما
حالان من الضمير في قانت يحذر الاخرة اي عذاب الاخرة ويرجوا
رحمة ربه اي الجنة ودلت الاية على ان المومن يجب ان يكون بين
الخوف والرجا يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره في عمله
ثم الرجا اذا جاوز حده يكون امنا والخوف اذا جاوز حده يكون
اياسا وقد قال الله تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون فيجب ان لا يجاوز

احدهما احده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اي يعلمون
ويعملون به كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين
يقتنون العلوم ثم لا يقتنعون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا
فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء او اريد به
التشبيه اي كما لا يستوي العالم والجاهل كذلك لا يستوي المطيع
والعاصي انما يتذكر اولوا الالباب جمع لب اي انما يتعظ بوعظ الله
اولوا العقول قل يا عبادي الذين امنوا بلا ياء عند الاكثر اتقوا ربكم بامتثال
اوامره واجتناب نواهيه للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي
اطاعوا الله في الدنيا وفي يتعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين
احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الاخرة وهي دخول الجنة
اي حسنة لا توصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة
والعافية ومعنى وارض الله واسعة اي لا عذر للمفرطين في الاحسان
البتة حتى ان اعتلوا بانهم لا يتمكنون في اوطانهم من التوفر على الاحسان
قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا الى بلاد اخر
واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا
احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم انما يوفى الصابرون على
مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال
البلايا في طاعة الله وازدياد الخير اجرهم بغير حساب عن ابن عباس
رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال
من الاجر اي موفرا قل اني امرت ان اعبد الله باني اعبد الله مخلصا له الدين
اي امرت باخلاص الدين وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت
بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا
والاخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص
كان سابقا فالاول امر بالعبادة مع الاخلاص والثاني بالسبق
فلاختلاف جهتيهما نزلا منزلة المختلفين فصح عطف احدهما على الاخر
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم لمن دعاك الى الرجوع الى
دين ابائك وذلك ان كفار قريش قالوا له عليه السلام الا تنظر
الى ابيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى
فنزلت ردا عليهم قل الله اعبد مخلصا له ديني فهذه الاية اخبار
بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والاولى
اخبار بانه مامور بالعبادة والاخلاص فالكلام اولا واقع في نفس
الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه
قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه وهذا امر تهديد وقيل له ان
خالفت دين ابائك فقد خسرت فنزلت قل ان الخاسرين اي
الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه والاسباب الذين خسروا

انفسهم

انفسهم باهلاكها في النار واهليهم اي وخسروا اهليهم يوم القيمة لانهم
اضلوهم فصاروا الى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في
قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث صدر الجملة بحرف التنبيه
ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين
وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات دركات لهم من فوقهم
ظلل اطباق من النار ومن تحتهم ظلل اطباق من النار وهي ظلل
لاخرين اي النار محيطة بهم ذلك اي وصف من العذاب او ذلك
الظلل يخوف الله به عباده ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه يا عباد فاتقون
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه والذين
اجتنبوا الطاغوت الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت
الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان او الشياطين
لكون الطاغوت مصدرا وفيها من المبالغات وهي التسمية بالمصدر كان
عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة
والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على
غير الشيطان والمراد بها هاهنا الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها
بدل الاشتمال من الطاغوت اي عبادتها وانابوا رجعوا الى الله لهم
البشرى هي البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت
مبشرين وحين يحشرون فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه هم الذين اجتنبوا وانابوا وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب
والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا
نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل
فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح
والندب حرصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا او يستمعون
القران وغيره فيتبعون القران او يستمعون اوامر الله فيتبعون
احسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك او يستمعون الحديث مع
القوم فيه محاسن ومساوي فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب اي المنتفعون
بعقولهم افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار اصل
الكلام امن حق عليه كلمة العذاب اي وجب افانت تنقذه جملة شرطية
دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها
للعطف على محذوف تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة
العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد
معنى الانكار ووضع من في النار موضع الضمير اي تنقذه فالاية على هذا
جملة واحدة او معناه افمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه افانت
تنقذه اي لا يقدر احد ان ينقذ من اضله الله وسبق في علمه انه من اهل

النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف اي لهم منازل في الجنة
رفيعة وفوقها منازل ارفع منها يعني للكفار ظلل من النار وللمتقين
غرف مبنية تجري من تحتها الانهار اي من تحت منازلها وعد الله
لا يخلف الله الميعاد وعد الله مصدر موكد لان قوله لهم غرف في معنى
وعدهم الله ذلك الم تر ان الله انزل من السماء ماء يعني المطر وقيل
كل ماء في الارض فهو من السما ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله
فسلكه فادخله ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق
في الاجساد وينابيع نصب على الحال او على الظرف وفي الارض صفة
لينابيع ثم يخرج به بالماء زرعا مختلفا الوانه هيأته من خضرة وحمرة
وصفرة وبياض او اصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك ثم يهيج
يجف فتراه مصفرا بعد نضارته وحسنه ثم يجعله حطاما فتاتا
متكسرا فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره ان في ذلك في انزال
الماء واخراج الزرع لذكرى لاولي الالباب لتذكيرا وتنبيها على انه
لا بد من صانع حكيم وان ذلك كاين عن تقدير وتدبير لا عن اهمال
وتعطيل افمن شرح الله صدره اي وسع صدره للاسلام فاهتدى
وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل القلب
النور انشرح وانفسح فقيل هل لذلك من علامة قال نعم الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول
الموت فهو على نور من ربه بيان وبصيرة والمعنى افمن شرح الله صدره
فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لان قوله فويل للقاسية
قلوبهم يدل عليه من ذكر الله اي من تركه ذكر الله او من اجل ذكر الله
اي اذا ذكر الله عندهم او اياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم اولئك في ضلال مبين غواية ظاهرة الله نزل
احسن الحديث في ايقاع اسم الله مبتدا وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن
الحديث كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه متشابها يشبه
بعضه بعضا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك
مثاني نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه
وانبايه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه
فهو بيان لكونه متشابها لان القصص المكررة وغيرها لا تكون الا
متشابهة وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل وانما جاز وصف الواحد
بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشي هي جملته الا ترى انك
تقول للقران اسباع واخماس وسور وايات فكذلك تقول اقاصيص
واحكام ومواعظ مكررات او منصوب على التمييز من متشابها
كما تقول رايت رجلا حسنا شمايل والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر
تضطرب وتتحرك منه جلود الذين يخشون ربهم وتاويله تقشعر

الجلد

الجلد اذا انقبض تقبضا شديدا والمعنى انهم اذا سمعوا بالقران وبايات
وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفي الحديث اذا اقشعر
جلد المومن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة
اليابسة ورقها ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي اذا ذكرت
ايات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية
والقشعريرة وعدي بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كانه قيل اطمانت
الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة
لان رحمته سبقت غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال
الا كونه رؤوفا رحيما وذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب
ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب
ذلك اشارة الى الكتاب فهو هدى الله يهدي به من يشاء من
عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتدا ومن يضلل الله يخلق الضلالة
فيه فما له من هاد الى الحق افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظايره وسوء العذاب شدته
ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده
وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضايه عليه والذي يلقى في النار
يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه الذي
كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل للظالمين
اي تقول لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون اي كسبكم
كذب الذين من قبلهم من قبل قريش فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها بيناهم
امنون اذا فوجيوا من مامنهم فاذاقهم الله الخزي الذل والصغار
كالمسخ والخسف والقتل والجلا ونحو ذلك من عذاب الله في الحياة
الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون لامنوا
ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون ليتعظوا
قرانا عربيا حال موكدة كما تقول جاني زيد رجلا صالحا وانسانا
عاقلا فتذكر رجلا وانسانا توكيدا او نصب على المدح غير ذي عوج
مستقيما بريا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما للاشعار
بان لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون
الكفر ضرب الله مثلا رجلا بدل فيه شركا متشاكسون متنازعون
ومختلفون ورجلا سلما مصدر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي
ذا خلوص له من الشركة سالما مكي وابو عمرو اي خالصا له هل
يستويان مثلا صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما
وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقريه
مثلين الحمد لله الذي لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون

به غيره مثل الكافر ومعبوديه يعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف
كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن
شتى وهو متحير لا يدري ايهم يرضيه بخدمته وعلى ايهم يعتمد
في حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع
وقلبه اوزاع والمؤمن يعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع
انك ميّت اي ستموت وانهم ميّتون وبالتخفيف من حل به الموت
قال الخليل انشد ابو عمرو

• تسائلني تفسير ميْت وميّت • فدونك قد فسرت ان كنت تعقل •
• فمن كان ذا روح فذلك ميّت • وما الميْت الا من الى القبر يحمل •

كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت
يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى
الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم اي انك واياهم في عداد الموتى
لان ما هو كائن فكان قد كان ثم انكم اي انك واياهم فغلب ضمير
المخاطب على ضمير الغيب يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج انت
عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد
ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبرائنا
وتقول السادات اغوتنا الشياطين واباؤنا الاقدمون قال
الصحابة رضي الله عنهم ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان
قالوا هذه خصومتنا وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة وذلك
في الدماء والمظالم التي بينهم والوجه هو الاول الا ترى الى قوله
فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به
وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة كذب على الله
افترا عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق بالامر الذي
هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه
فاجاءه بالتكذيب كما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام
بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون اليس في
جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق
واللام في الكافرين اشارة اليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به واراد به اياه
ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون فلذا قال اولئك هم المتقون وقال الزجاج
روي عن علي رضي الله عنه انه قال والذي جاء بالصدق محمد صلى
الله عليه وسلم والذي صدق به ابو بكر الصديق رضي الله عنه وروي
ان الذي جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به
المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه في العربية ان يكون جاء

وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعي اضمار الذي وذا غير جائز او اضمار
الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء
المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن
الذي كانوا يعملون اضافة اسوأ واحسن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه
من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان اليس الله بكاف ادخلت
همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية وتقديرها عبده
اي محمدا صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلي اي الانبياء والمؤمنين
وهو مثل انا كفيناك المستهزئين ويخوفونك بالذين من دونه اي
بالاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قريشا قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك
معرتها لعيبك اياها ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما
له من مضل اليس الله بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه
وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم
ثم اعلم بانهم مع عبادتهم الاوثان معترفون بان الله خلق السموات
والارض بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بفتح الياء سوى حمزة
بضر مرض او فقر او غير ذلك هل هن كاشفات ضره دافعات شدته عني
او ارادني برحمة صحة او غنى او نحوهما هل هن ممسكات رحمته
كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين على الاصل بصري وفرض المسالة
في نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم
اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان
ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر او برحمة هل تقدرون على خلاف
ذلك فلما افحمهم قال الله تعالى قل حسبي الله كافيا لمعرة اوثانهم
عليه يتوكل المتوكلون يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم فسكتوا
فنزل قل حسبي الله وانما قال كاشفات وممسكات على التانيث بعد
قوله ويخوفونك بالذين من دونه لانهن اوثان وهن اللات والعزى
ومناة وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على
حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة
بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان
وهما للمكان اني عامل اي على مكانتي وحذف للاختصار ولما فيه من
زيادة الوعيد والايذان بان حالته تزداد كل يوم قوة لان الله ناصره
ومعينه الا ترى الى قوله فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا
عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك
عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه

وبذله ذليل من اعدائه وخزيه صفة للعذاب كمقيم اي عذاب مخز
له وهو يوم بدر وعذاب دايم وهو عذاب النار ومكاناتكم ابوبكر
وحماد انا انزلنا عليك الكتاب القرآن للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم
اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية
بالحق فمن اهتدى فلنفسه فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن ضل فانما
يضل عليها ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما انت عليهم بوكيل بحفيظ
ثم اخبر بانه الحفيظ القدير عليهم بقوله الله يتوفى الانفس حين موتها
الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو ان يسلب ما به حية حساسة
دراكة والتي لم تمت في منامها ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها
اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا
يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم
بالليل فيمسك الانفس التي قضى قضي حمزة وعلي عليها الموت الحقيقي
اي لا يردها في وقتها حية ويرسل الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت
ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس اي يستوفيها ويقبضها وهي الانفس
التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها
وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في المنام هي نفس التمييز لا نفس
الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس
ولكل انسان نفسان احدهما نفس الحياة وهي التي تفارق عند الموت
والاخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه اذا نام وروي عن ابن عباس رضي
الله عنهما في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي
بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام
العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن علي رضي الله تعالى عنه
قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى
الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة
وعنه ما رات نفس النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة وما رات
بعد الارسال فيلقنها الشيطان فهي كاذبة وعن سعيد بن جبير
ان ارواح الاحياء وارواح الاموات تلتقي في المنام فيتعارف منها
ما شاء الله ان يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى
الى اجسادها الى انقضاء مدة حياتها وروي ان ارواح المؤمنين
تعرج عند النوم في السماء فمن كان منهم طاهرا اذن له في السجود ومن لم
يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه ان في ذلك ان في توفي الانفس مائتة
ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله وعلمه
لقوم يتفكرون يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون ام اتخذوا بل اتخذوا
قريش والهمزة للانكار من دون الله من دون اذنه شفعاء حين
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه قل اولو

كانوا

كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون
شيئا قط ولا عقل لهم قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا
يستطيع احد شفاعة الا باذنه وانتصب جميعا على الحال له ملك
السموات والارض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا
كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها ثم اليه ترجعون
متصل بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون
يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا
والاخرة واذا ذكر الله وحده مدار المعنى على قوله وحده اي اذا
افرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم اشمأزت نفرت وانقبضت
قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه يعني
آلهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر اذا هم يستبشرون لافتتانهم بها
او اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم
ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه
فالاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه
ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في
اديم وجهه والعامل في اذا ذكر هو العامل في اذا المفاجاة تقديره
وقت ذكر الذين من دونه فاجاؤا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر
السموات والارض اي يا فاطر السموات وليس بوصف كما يقوله
المبرد والفراء عالم الغيب والشهادة السر والعلانية انت تحكم
تقضي بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من الهدى والضلالة وقيل
هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله وعن الربيع بن المسيب لا اعرف
اية قرئت فدعي عندها الا اجيب سواها وعن الربيع بن خثيم وكان
قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الان يتكلم
فما زاد على ان قال آه وقد فعلوا وقرا هذه الاية وروي انه قال
على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه
على فيه ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه الها نفود
الى ما لافتدوا به من سوء العذاب شدته يوم القيامة وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم
يكن قط في حسابهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها
حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال
ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له
فقال اخشى اية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من
الله ما لم احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم التي
كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم
او عقاب ذلك وحاق بهم ونزل بهم واحاط ما كانوا به يستهزءون

جزاء هزوئهم فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه اعطيناه
تفضلا فانه لا يقال خولني اذا اعطاك على عوض جزاء نعمة منا ولا تقف عليه لان
جواب اذا قال انما اوتيته على علم مني اي ساعطاه لما في من فضل
واستحقاق او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم
عندي وانما ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان
قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها وقيل ما في انما موصولة
لا كافة فيرجع الضمير اليها اي ان الذي اوتيته على علم بل هي فتنة
انكار له كانه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء
وامتحان لك اتشكر ام تكفر ولما كان الخبر مؤنثا اعني فتنة ساغ
تانيث المبتدأ لاجله وقري بل هو فتنة على وفق انما اوتيته ولكن
اكثرهم لا يعلمون انها فتنة والسبب في عطف هذه الاية بالفاء
وعطف مثلها في اول السورة بالواو ان هذه وقعت مسببة عن قوله
واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشمازون عن ذكر الله
ويستبشرون بذكر الالهة واذا مس احدهم ضر دعا من اشماز بذكره
دون من استبشر بذكره وما بينهما من الاي اعتراض فان قلت
حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض
من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بامر من الله وقوله انت
تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيدا لانكار اشمئزازهم
واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون الهتهم كانه قيل
قل يا رب لا يحكم بيني وبين هولاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراة
الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل
عاما او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهولاء الظالمين
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب
واما الاية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها
فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة
انك تقول زيد يؤمن بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فجي بالفاء مجيئك
بها ثمة كان الكافر حين التجا الى الله التجاء المومن اليه مقيم كفره
مقام الايمان في جعله سببا في الالتجاء قد قالها هذه المقالة وهي قوله
انما اوتيته على علم الذين من قبلهم اي قارون وقومه حيث قال انما
اوتيته على علم عندي وقومه راضون فكانهم قالوها ويجوز ان يكون
في الامم الخالية اخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من متاع الدنيا وما يجمعون منها فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاء
سيئات كسبهم او سمي جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها والذين ظلموا كفروا من هولاء من مشركي قومك سيصيبهم
سيئات ما كسبوا اي سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم

ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين وما هم بمعجزين بفائتين من
عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا ان
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بانه لا قابض ولا باسط الا الله عز
وجل قل يا عبادي الذين وبسكون الياء بصري وحمزة وعلي اسرفوا على
انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا
لا تياسوا وبكسر النون علي وبصري من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا بالعفو عنها الا الشرك وفي قراءة النبي عليه السلام يغفر الذنوب
جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها
قيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الاية انه هو الغفور
بستر عظائم الذنوب الرحيم بكشف فظائع الكروب وانيبوا الى ربكم
وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل من قبل ان ياتيكم العذاب
ثم لا تنصرون ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب واتبعوا احسن ما
انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي تفجاكم وانتم
غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم ان تقول لئلا تقول نفس
انما نكرت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان
يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب
عظيم ويجوز ان يراد التكثير يا حسرتا الالف بدل من ياء المتكلم وقري
يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه
على ما فرطت قصرت وما مصدرية مثلها في بما رحبت في جنب الله
في امر الله او في طاعة الله اي ذاته وفي حرف عبد الله في ذكر الله
والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان
لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون
في حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان
الرجل وحيزه فقد اثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفي
ان يصلي الرجل لمكان الرجل اي لاجله وقال الزجاج معناه
فرط في طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وان كنت لمن الساخرين المستهزئين قال قتادة لم يكفه
ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على
الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي
او تقول لو ان الله هداني اي اعطاني الهداية لكنت من المتقين
من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام ابو منصور رحمه الله
تعالى هذا الكافر اعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا اولئك

الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله
للهداية واعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة
والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم واعطاهم
التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل ان عند الله لطفا من اعطى ذلك
اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استيجابه
العذاب وتضييعه الحق بعدما مكن من تحصيله لذلك او تقول حين
ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين من الموحدين
بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين بلى رد
من الله عليه كانه يقول بلى قد جاءتك اياتي وبينت لك الهداية من
الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية
واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت
عن قبوله واثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما امرت به
فانما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى جواب لنفي تقديري لان المعنى
لو ان الله هداني ما هديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لا بد من حكاية
اقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة
الشريك والولد اليه ونفي الصفات عنه وجوههم مبتدا مسودة خبر
والجملة في محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان
من رؤية القلب فمفعول ثان اليس في جهنم مثوى منزل للمتكبرين
هو اشارة الى قوله واستكبرت وينجي الله وينجي روح الذين اتقوا
عن الشرك بمفازتهم بفلاحهم بفلان فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده
منه وتفسير المفازة لا يمسهم السوء النار ولا هم يحزنون كانه قيل
وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم
اي لا يمس ابدانهم اذى ولا قلوبهم حزن او بسبب منجاتهم من قوله
تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من
اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس
رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم
لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح
في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للا يمسهم على التفسير الاول لانه كلام
مستانف ومحله النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم كوفي غير حفص
الله خالق كل شيء رد على المعتزلة والثنوية وهو على كل شيء وكيل حافظ
له مقاليد السموات والارض اي هو مالك امرها وحافظها وهو من
باب الكناية لان حافظ الخزاين ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها
ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها
مقليد وقيل لا واحد لها من لفظها والكلمة اصلها فارسية والذين

كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون هو متصل بقوله وينجي الله الذين
اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون
واعترض بينهما بانه خالق كل شيء فهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شيء من
اعمال المكلفين منها وما يجزون عليها او بما يليه على ان كل شيء في السموات
والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون
الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض
فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير
وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح
السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بكلمات
الله واياته وتمجيده اولئك هم الخاسرون قل لمن دعاك الى دين
ابائك افغير الله تامروني اعبد تامروني مكي تامرونني على الاصل
شامي تامروني مدني وانتصب افغير الله باعبد وتامروني اعتراض
ومعناه افغير الله اعبد بامركم بعد هذا البيان ايها الجاهلون
بتوحيد الله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك من الانبياء عليهم
السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وانما
قال لئن اشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه اوحي
اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله
واللام الاولى موطية للقسم المحذوف والثانية لام الجواب
وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط
وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان رسله لا يشركون لان
الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل
الفرض والمحالات يصح فرضها وقيل لئن طالعت غيري في
السر ليحبطن ما بيني وبينك من السر بل الله فاعبد رد لما
امروه به من عبادة الهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته
بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول
عوضا عنه وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك
سيد ولد ادم وما قدروا الله حق قدره وما عظموه حق عظمته
اذ دعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه
الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه
حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره ثم نبههم على
عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه والمراد

بهذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف
على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة
او جهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله
جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تفخيم فهو مقتض للمبالغة
والارض مبتدا وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال اي والارض
اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيمة والقبضة المرة من القبض والقبضة
المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة
تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته
اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن
وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة
بكف واحد كما تقول الجزور اكلة لقمان اي لا يفي الا باكلة فذة من اكلاته
واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما
يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال يوم
نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل
قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات
بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها سبحانه وتعالى عما يشركون
ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عن ان يضاف اليه من الشركا
ونفخ في الصور فصعق مات من في السموات ومن في الارض الا من
شاء الله اي جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم حملة
العرش او الرضوان والحور العين ومالك والزبانية ثم نفخ فيه اخرى
هي في محل الرفع لان المعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة
اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها
في غير مكان فاذا هم قيام ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات
نظر المبهوت اذا فاجاه خطب او ينتظرون امر الله فيهم ودلت الاية
على ان النفخة ثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على
انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ في الصور ففزع والثانية
للموت والثالثة للاعادة واشرقت الارض اضاءت بنور ربها
اي بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل اشرقت الافاق
بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقال اظلمت البلاد بجور
فلان وقال عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيمة واضافته
اسمه الى الارض لانه يزينها حين ينشر فيها عدله وينصب فيها
موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع
من العدل ولا اعمر لها منه وقال الامام ابو منصور رحمه الله
يجوز ان يخلق الله نورا فينور به ارض الموقف واضافته
اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله ووضع الكتاب

اي صحايف

وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا
قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
اي فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم سنة الله بمنزلة وعد الله ونحوه
من المصادر المؤكدة التي قد خلت في عباده ان الايمان عند نزول العذاب
نازل بمكذبي الرسل وخسر هنالك الكافرون هنالك مكان مستعار للزمان
والكافرون خاسرون في كل اوان ولكن يتبين خسرانهم اذا عاينوا العذاب
وفايدة ترادف الفاءات في هذه الايات ان فما اغنى عنهم نتيجة قوله كانوا
اكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم
كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وفلما راوا
باسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا امنوا وكذلك
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باس الله والله اعلم بالصواب

سورة حم السجدة مكية وهي اثنتان او ثلث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلت اسما للسورة كان
مبتدا تنزيل خبر وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا المحذوف
وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف او تنزيل مبتدا
من الرحمن الرحيم صفته كتاب خبره فصلت اياته ميزت اياته وجعلت
تفاصيل في معان مختلفة من احكام ونهي وامثال ومواعظ ووعد ووعيد
وغير ذلك قرانا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب
المفصل قرانا من صفته كيت وكيت او على الحال اي فصلت اياته في حال
كونه قرانا عربيا لقوم يعلمون اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم
من الايات المفصلة المبينة بلسانهم العربي ولقوم يتعلق بتنزيل او بفصلت
اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت اياته لهم والاظهران يكون صفة مثل
ما قبله وما بعده اي قرانا عربيا كائنا لقوم عرب بشيرا ونذيرا صفتان
لقرانا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون اي لا يقبلون من قولك تشفعت الى
فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم
يسمعه وقالوا قلوبنا في اكنة اغطية جمع كنان وهو الغطاء مما تدعونا اليه
من التوحيد وفي اذاننا وقر ثقل يمنع من استماع قولك ومن بيننا وبينك حجاب
ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كانها في غلف
واغطية تمنع من نفوذه فيها ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد
المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا
ترائي فاعمل على دينك اننا عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا
اننا عاملون في ابطال امرك وفايدة زيادة من ان الحجاب ابتدا منا
وابتدا منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب
لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط

الجهنين قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله واحد هذا جواب لقولهم
قلوبنا في اكنة ووجهه انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد
اوحي الي دونكم فصحت بنوتي بالوحي الي وانا بشر واذا صحت نبوتي وجب عليكم
اتباعي وفيما يوحي الي ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد
واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الي ما يسول لكم
الشيطان من اتخاذ الاوليا والشفعا واستغفروه من الشرك وويل للمشركين
الذين لا يوتون الزكاة لا يومنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها ولا يفعلون
ما يكونون به ازكيا وهو الايمان وهم بالاخرة بالبعث والثواب والعقاب هم كافرون
وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالاخرة لان احب الشي الي الانسان ماله
وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوي دليل على استقامته وصدق
نيته ونصوح طويته وما خدع المولفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت
عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة الا بمنع الزكاة وفيه بعث
للمومنين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون مقطوع وقيل نزلت في المرضي والزمني اذا عجزوا عن الطاعة
كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
الاحد والاثنين تعليما للاناة ولو اراد ان يخلقها في لحظة لفعل وتجعلون له
اندادا شركا واشباها ذلك الذي خلق ما سبق رب العالمين خالق
جميع الموجودات وسيدها ومربيها وجعل فيها في الارض رواسي جبالا ثوابت
من فوقها انما اختار ارساها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها
وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الي ممسك وهو الله
عز وجل وبارك بالماء والزرع والشجر والثمر فيها في الارض وقيل وبارك فيها
والثمر خيرها وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقرا ابن مسعود
رضي الله عنه وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد
بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الي بغداد في عشرة والي الكوفة في خمسة
عشر ولا بد من هذا التقدير لانه لو اجري على الظاهر لكانت ثمانية ايام
لانه قال خلق الارض في يومين ثم قال وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام
ثم قال فقضاهن سبع سموات في يومين فيكون خلاف قوله في ستة ايام في موضع
اخر وفي الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال
يوم الثلاثا وخلق يوم الاربعا الشجر والماء والعمران والخراب فتلك اربعة
ايام وخلق يوم الخميس السما وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر
والملايكة وخلق ادم عليه السلام في اخر ساعة من يوم الجمعة قبل بين الساعة
التي تقوم فيها القيامة سواء يعقوب صفة لا يام اي في اربعة ايام مستويات
تامات سواء بالرفع يزيد اي هي سواء غيرهما سواء على المصدر اي استوت سواء
اي استواء او على الحال للسايلين متعلق بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل
الطالبين لها والمحتاجين اليها لان كلا يطلب القوت ويساله او بمحذوف

كانه قيل

السما وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين صح

كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها ثم استوي الي
هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السما على ما اراد تقول العرب فعل فلان كذا ثم
استوي الي عمل كذا يريدون انه اكمل الاول وابتدا الثاني ويفهم منه ان خلق السما
بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما وعنه انه قال اول ما خلق
الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة في مسيرة عشرة الاف سنة
فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان فتسلط الريح عليها
نار تفع واجتمع زبد فقام فوق الما فجعل الزبد ارضا والدخان سماء ومعني
امر السما والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد ان يكونهما فلم يمتنعا عليه
ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر
المطاع وانما ذكر الارض مع السماء في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السما
بيومين لانه قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السما
كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعني ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من
الشكل والوصف ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وايتي يا سما مقببة
سقفا لهم ومعني الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتي عمله مرضيا وقوله
طوعا او كرها لبيان تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته
محال كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا
او كرها وانتصابهما على الحال بمعني طايعتين او مكرهتين وانما لم يقل طايعتين
على اللفظ او طايعتان على المعني لانهما سموات وارضون لانهن لما جعلن مخاطبات
ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طايعين في موضع طايعات كقوله
ساجدين فقضاهن فاحكم خلقهن قال وعليهما مسرودتان قضاهما
والضمير يرجع الي السما لان السماء للجنس ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا
بقوله سبع سموات والفرق بين النصبين في سبع سموات ان الاول
على الحال والثاني على التمييز في يومين في الخميس والجمعة واوحي في كل سما امرها
ما امر به فيها ودبره من خلق الملايكة والنيرات وغير ذلك وزينا السما الدنيا
من الارض بمصابيح بكواكب وحفظا وحفظناها من المسترقة بالكواكب
حفظا ذلك تقدير العزيز الغالب غير المغلوب العليم بمواقع الامور فان اعرضوا
عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة خوفتكم عذابا شديد الوقع
كانه صاعقة واصلها رعد معه نار مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من
بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم
الا الاعراض وعن الحسن انذروهم من وقايع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب
الاخرة ان بمعني اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا الا الله قالوا اي
القوم لو شاء ربنا ارسال الرسل فمفعول شا محذوف لانزل ملايكة فانا بما
ارسلتم به كافرون معناه فاذا انتم بشر ولستم بملايكة فانا لا نومن بكم وبما
جيتم به وقوله ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل
وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقولهم

فانا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم روي ان قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان احسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر ما يريد فاتاه وهو في الحطيم فلم يسأل شيئا الا اجابه ثم قرا عليه السلام السورة الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وامسك على فيه ووثب مخافة ان يصب عليهم العذاب فاخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صبات اما فهمت منه كلمة فقال لا ولم اهتد الى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال **فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق** اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة وعظم الاجرام او استولوا على الارض بغير استحقاق للولاية **وقالوا من اشد منا قوة** كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده **اولم يروا** اولم يعلموا علما يقوم مقام العيان **ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة** اوسع منهم قدرة لانه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره **وكانوا باياتنا يجحدون** معطوف على فاستكبروا اي كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة **فارسلنا عليهم ريحا صرصرا** عاصفة تصرصر اي تصوت في هبوبها من الصرير او باردة تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل انها الدبور **في ايام نحسات** مشؤومات عليهم نحسات مكي وبصري ونافع ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وكانت من الاربعاء في اخر شوال الى الاربعاء وما عذب قوم الا في الاربعاء **لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا** اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء ويدل عليه قوله **ولعذاب الاخرة اخزى** وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر **وهم لا ينصرون** من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم **واما ثمود** بالرفع على الابتداء هو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره **فهديناهم** اي بينا لهم الرشد **فاستحبوا العمى على الهدى** فاختاروا الكفر على الايمان **فاخذتهم صاعقة العذاب** داهية العذاب **الهون** الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه **بما كانوا يكسبون** بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ ابو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت اليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى الدليل

عليه فقولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم فازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها وانما تمحل بهذا لانه لا يتمكن من ان يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد **ونجينا الذين امنوا** اي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة **وكانوا يتقون** اختيار العمى على الهدى **ويوم يحشر اعداء الله الى النار** اي الكفار من الاولين والاخرين نحشر اعداء نافع ويعقوب **فهم يوزعون** يحبس اولهم على اخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار واصله من وزعته اي كففته **حتى اذا ما جاؤها** صاروا بحضرتها وما مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها **شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هي كناية عن الفروج **وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا** لما تعاظمهم من شهادتها عليهم **قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء** من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان **وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون** وهو قادر على انشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه **وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم** اي انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالجزاء والبعث اصلا **ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون** ولكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم** وذلك الظن هو الذي اهلككم وذلكم مبتدا وظنكم خبر والذي ظننتم بربكم صفته وارداكم خبر ثان او ظنكم بدل من ذلكم وارداكم الخبر **فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم** اي فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار **وان يستعتبوا فما هم من المعتبين** وان يطلبوا الرضى فما هم من المرضيين او ان يسالوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها **وقيضنا لهم** اي قدرنا لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اي مثلان والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم **قرناء** اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين **فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم** اي ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب **وحق عليهم القول** كلمة العذاب **في امم** ومحله النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم **قد خلت من قبلهم** من قبل اهل مكة **من الجن**

والانس انهم كانوا خاسرين هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم
والامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرئ والغوا فيه لعلكم تغلبون
وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو
الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا يجوز
ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر
الذين كفروا عامة تحت ذكرهم ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي اعظم
عقوبة على اسوأ اعمالهم وهو الكفر ذلك جزاء اعداء الله ذلك اشارة الى
الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه
الاشارة النار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف لهم فيها دار الخلد
اي النار في نفسها دار الخلد كما تقول لك في هذه الدار دار السرور وانت
تعني الدار بعينها جزاء اي جوزوا بذلك جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال
الذين كفروا ربنا ارنا وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ مكي
وشامي وابو بكر وبالاختلاس ابو عمرو اللذين اضلانا اي الشيطانين اللذين
اضلانا من الجن والانس لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله
تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن نجعلهما تحت اقدامنا
ليكونا من الاسفلين في النار جزاء اضلالهم ايانا ان الذين قالوا ربنا الله اي
نطقوا بالتوحيد ثم استقاموا ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن
الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها
ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما
تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه لم يروغوا
روغان الثعالب اي لم ينافقوا وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل
وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا في الفانية ورغبوا
في الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار
تتنزل عليهم الملائكة عند الموت ان بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله
بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن اي لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتم فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق
لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من
كل غم فلن تذوقوه وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا وقال محمد
بن علي الترمذي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الارواح الابدان
ان لا تخافوا سلب الايمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وابشروا
بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الزمان نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا
وفي الآخرة كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء
المتقين واحباؤهم في الدارين ولكم فيها ما تشتهي انفسكم من النعيم ولكم فيها
ما تدعون تتمنون نزلا هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال
من الهاء المحذوفة او من ما من غفور رحيم نعت له ومن احسن قولا ممن دعي

الى الله هو رسول الله دعا الى التوحيد وعمل صالحا خالصا وقال انني من المسلمين
تفاخرا بالاسلام ومعتقدا له او اصحابه عليه السلام او المؤذنون او جميع
الهداة والدعاة الى الله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن يعني
ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي
هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد
عليك من بعض اعدائك كما لو اساء اليك رجل اساءة فالحسنة ان تعفو
عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك
فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي حميم فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل
الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقاها اي وما يلقى هذه الخصلة التي
هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا الا اهل الصبر وما يلقاها الا
ذو حظ عظيم الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل فادفع بالتي هي
احسن لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن
وقيل لا مزيدة للتأكيد والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة وكان القياس
على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة ولكن وضع التي هي احسن
موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان
عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي احسن الصبر
عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب
وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب
وكان عدوا مؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك
من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه
ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد
واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان
صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله
من شره وامض على حلمك ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم
بنزغ الشيطان ومن آياته الدالة على وحدانيته الليل والنهار في تعاقبهما
على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم والشمس والقمر في اختلافهما
بسير مقدر ونور مقدر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر فانهما مخلوقان وان
كثرت منافعهما واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون الضمير في
خلقهن للآيات او الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا
يعقل حكم الانثى او الاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا
منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون
انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وامروا
ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين
غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله فان استكبروا فالذين عند ربك

اي الملايكه يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون لا يملون والمعنى
فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم
فان الله تعالي لا يعدم عابدا او ساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون
الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وعند ربك عبارة عن الزلفى
والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا عند لا يسئمون وعند الشافعي
رحمه الله تعالي عند تعبدون والاول احوط ومن اياته انك ترى الارض
خاشعة يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت
قحطة لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الماء المطر اهتزت تحركت بالنبات
وربت انتفخت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شي قدير فيكون
قادرا على البعث ضرورة ان الذين يلحدون في اياتنا يميلون عن الحق
في ادلتنا يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق
فاستعير للانحراف في تاويل ايات القران عن جهة الصحة والاستقامة
يلحدون حمزة لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف افمن يلقى في النار
خير امن ياتي امنا يوم القيمة هذا تمثيل للكافر والمؤمن اعملوا ما شئتم هذا
نهاية في التهديد ومبالغة في الوعيد انه بما تعملون بصير فيجازيكم
عليه ان الذين كفروا بالذكر بالقران لانهم لكفرهم به طعنوا فيه
وحرفوا تاويله لما جاءهم حين جاءهم وخبر ان محذوف ان يعذبون
او هالكون او اولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض وانه لكتاب
عزيز منيع محمي بحماية الله لا ياتيه الباطل التبديل او التناقض
من بين يديه ولا من خلفه اي بوجه من الوجوه تنزيل من حكيم حميد مستحق
للحمد ما يقال لك ما يقول لك الكفار وقومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب
المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم ويجوز
ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه اي الذكر قرانا اعجميا اي
بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا انزل القران بلغة العجم فقيل لو كان
كما يقترحون لقالوا لولا فصلت اياته اي بينت بلسان العرب حتى نفهمها
تعنتا ااعجمي وعربي بهمزتين كوفي غير حفص الهمزة للانكار يعني لانكروا
وقالوا اقران اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي الباقون بهمزة واحدة
ممدودة مستفهمة والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من
العجم او العرب والعجمي منسوب الي امة العجم فصيحا او غير فصيح والمعنى
ان ايات الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين
للحق وانما يتبعون اهواءهم وفيه اشارة على انه لو انزل بلسان العجم
لكان قرانا فيكون دليلا لابي حنيفة رضي الله عنه في جواز الصلاة اذا قرا
بالفارسية قل هو اي القران للذين امنوا هدى ارشاد الى الحق وشفاء لما في

الصدور من الشك اذ الشك مرض والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر في موضع الجر
لكونه معطوفا على للذين امنوا اي هو للذين امنوا هدى وشفا وهو للذين لا يؤمنون
في اذانهم وقر اي صمم الا ان فيه عطفا على عاملين وهو جايز عند الاخفش او
الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو في اذانهم وقر على حذف المبتدا او في
اذانهم منه وقر وهو اي القران عليهم عمى ظلمة وشبهة اولئك ينادون من
مكان بعيد يعني انهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كانهم ينادون الى الايمان
بالقران من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون في القيمة من مكان
بعيد باقبح الاسما ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق
وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك ولولا كلمة سبقت من
ربك بتاخير العذاب لقضي بينهم لاهلكهم اهلاك استيصال وقيل
الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك
اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا وانهم وان الكفار لفي شك منه مريب
موقع للريبة من عمل صالحا فلنفسه فلنفسه نفع ومن اساء فعليها فنفسه ضر
وما ربك بظلام للعبيد فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة اي علم قيامها
يرد اليه اي يجب على المسؤل ان يقول الله يعلم ذلك وما تخرج من ثمرات
مدني وشامي وحفص وغيرهم بغير الف من اكمامها اوعيتها قبل ان تنشق جمع
كم وما تحمل من انثى حملها ولا تضع الا بعلمه اي ما يحدث شي من خروج ثمره
ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته
واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك
ويوم يناديهم اين شركاءي اضافهم اليه تعالى على زعمهم وبيانه في قوله اين
شركاءي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع قالوا اذناك اعلمناك وقيل
اخبرناك وهو الاظهر اذ الله تعالي كان عالما بذلك واعلام العالم محال
انما الاخبار للعالم بالشي يتحقق بما علم به الا ان يكون المعنى انك علمت
من قلوبنا الان انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من
نفوسهم فكانهم اعلموه ما منا من شهيد اي ما منا احد اليوم يشهد
بان لك شريكا وما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم
لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم التي لا يبصرونها في ساعة التوبيخ
وقيل هو كلام الشركا اي ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من
الشركة وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل في الدنيا وظنوا
وايقنوا ما لهم من محيص مهرب لا يسام لا يمل الانسان الكافر بدليل
قوله وما اظن الساعة قايمة من دعا الخير من طلب السعة في المال
والنعمة والتقدير من دعايه الخير فحذف الفاعل واضيف الى المفعول
وان مسه الشر الفقر فيؤس من الخير قنوط من الرحمة بولغ فيه من
طريقين من طريق بنا فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه
اثر الياس فيتضائل وينكسر اي يقطع الرجا من فضل الله وروحه

وهذا صفة الكافر بدليل قوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي واذا فرجنا
عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني
استوجبته بما عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا لي لا يزول عني وما اظن
الساعة قائمة اي ما اظنها تكون قائمة ولئن رجعت الى ربي كما يقول المسلمون
ان لي عنده عند الله للحسنى اي الجنة او الحالة الحسنى من الكرامة
والنعمة قايسا امر الدنيا على امر الاخرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا فلنخبرنهم
بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنذيقنهم من عذاب غليظ
شديد لا يفتر عنهم واذا انعمنا على الانسان اعرض هذا ضرب اخر من طغيان
الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة فنسي المنعم واعرض عن
شكره ونأى بجانبه وتباعد عن ذكر الله ودعائه او ذهب بنفسه وتكبر
وتعظم وتحقيقه ان يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشيء وجهته
ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز
يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه واذا مسه الشر الضر او الفقر
فذو دعاء عريض كثير اي اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع
وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما استعير
الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس قنوط وبين قوله فذو
دعاء عريض لان الاول في قوم والثاني في قوم او قنوط في البر وذو دعاء
عريض في البحر او قنوط بالقلب ذو دعاء باللسان او قنوط من الصنم
ذو دعاء لله تعالى قل ارأيتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله ثم
كفرتم به ثم جحدتم انه من عند الله من اضل منكم الا انه وضع قوله ممن هو
في شقاق بعيد موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم اياتنا في الافاق
من فتح البلاد شرقا وغربا وفي انفسهم فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق
اي القرآن او الاسلام اولم يكف بربك موضع بربك الرفع على انه فاعل
والمفعول محذوف وقوله انه على كل شيء شهيد بدل عنه تقديره اولم
يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد اي اولم يكفهم شهادة ربك على كل شيء
ومعناه ان هذا الموعود من اظهار ايات الله في الافاق وفي انفسهم
سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم
الغيب الذي هو على كل شيء شهيد الا انهم في مرية شك من لقاء ربهم الا
انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا
يخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم
سورة شورى ثلاث وخمسون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم
فصل حم من عسق كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخواتها ولانه
ايتان وكهيعص اية واحدة كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي او
مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الذين من قبلك والى الرسل من قبلك

الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك مثله
في غيرها من السور واوحاه الى من قبلك يعني الى رسله والمعنى ان الله
كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ
واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من نبي صاحب
كتاب الا اوحي اليه بحم عسق يوحي بفتح الحاء مكي ورافع اسم الله على هذه
القراءة ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحي فقيل الله العزيز الغالب
بقهره الحكيم المصيب في فعله وقوله له ما في السموات وما في الارض ملكا
وملكا وهو العلي شانه العظيم برهانه تكاد السموات وبالياء نافع وعلي
يتفطرن من فوقهن يتشققن ينفطرن بصري وابو بكر ومعناه يكدن
ينفطرن من علو شان الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلي العظيم
وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من
فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس ان يقال يتفطرن
من تحتهن من الجهة التي جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت
السموات ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل
يكدن ينفطرن من الجهة التي تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية
راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات
من الملائكة وقال عليه السلام اطت السماء اطا وحق لها ان تئط ما فيها
موضع قدم الا وعليه ملك قائم او راكع او ساجد والملائكة يسبحون بحمد
ربهم خضوعا لما يرون من عظمته ويستغفرون لمن في الارض اي للمؤمنين
منهم كقوله ويستغفرون للذين امنوا خوفا عليهم من سطواته او يوحدون الله
وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما اولاهم من الطافه
متعجبين مما راوا من تعرض لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمني اهل
اهل الارض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة او يطلبون الى ربهم ان يحلم عن
اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب الا ان الله هو الغفور الرحيم لهم والذين
اتخذوا من دونه اولياء اي جعلوا له شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب
على اقوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء فيجازيهم عليها وما انت يا محمد عليهم
بوكيل بحفيظ عليهم فلا يفوض اليك امرهم انما انت منذر فحسب وكذلك
ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى الاية التي قبلها من ان الله رقيب
عليهم لا انت بل انت منذر لان هذا المعنى كرره الله في كتبه او مفعول به
لاوحينا قرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قران عربي
مبين لتنذر ام القرى اي مكة لان الارض دحيت من تحتها او لانها اشرف
البقاع والمراد اهل ام القرى ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة
لان الخلائق تجمع فيه لا ريب فيه اعتراض لا محل له يقال انذرته كذا
وانذرته بكذا وقد عدي لتنذر ام القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم
الجمع الى المفعول الثاني فريق في الجنة وفريق في السعير اي منهم فريق ومنهم

توبق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم يجمع الخلائق ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة
اي مؤمنين كلهم ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي يكرم من يشاء بالاسلام
والظالمون والكافرون ما لهم من ولي شافع ولا نصير دافع ام اتخذوا من دونه
اولياء فالله هو الولي الفاء جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه
ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو الذي يجب ان يتولى وحده
لا ولي سواه وهو على كل شي شهيد فهو الحقيق بان يتخذ وليا
دون من لا يقدر على شي وما اختلفتم فيه حكاية قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين
فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكمه اي حكم ذلك المختلف
فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة
المبطلين ذلكم الحاكم بينكم الله ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين
واليه انيب ارجع في كفاية شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من
العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة
الروح وغيره فاطر السموات والارض ارتفاعه على انه احد اخبار
ذلكم او خبر مبتدا محذوف جعل لكم من انفسكم خلق لكم من جنسكم من الناس
ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا
يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم فيه في هذا
التدبير وهو ان جعل الناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم
التوالد والتناسل واختير فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن
للبث والتكثير والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا
فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل ليس كمثله شي قيل ان كلمة
التشبيه كررت لتاكيد نفي التماثل وتقديره ليس مثله شي وقيل المثل
زيادة وتقديره ليس كهو شي كقوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به
وهذا لان المراد نفي المثلية واذا لم تجعل الكاف او المثل زيادة كان اثبات المثل
وقيل المراد ليس كذاته شي لانهم يقولون مثلك لا يبخل يريدون به نفي البخل عن
ذاته ويقصدون المبالغة في ذلك بسلوك طريق الكناية لانهم اذا نفوه عن
من يسد مسده فقد نفوه عنه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله
ليس كالله شي وبين قوله ليس كمثله شي الا ما تعطيه الكناية من فائدتها
وكانهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه بل
يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسطها لانها وقعت
عبارة عن الجود حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له
مثل ومن لا مثل له وهو السميع لجميع المسموعات بلا اذن البصير لجميع المرئيات
بلا حدقة وكانه ذكرهما لئلا يتوهم انه لا صفة له كما لا مثل له له مقاليد السموات والارض
مر في الزمر يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق انه بكل شي عليم شرع بين واظهر
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى

اي شرع

اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد وما بينهما من الانبياء عليهم السلام
ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله ان اقيموا
الدين والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان
برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء به مسلما ولم يرد به
الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ومحل ان اقيموا النصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او رفع
على الاستئناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ولا تتفرقوا
فيه ولا تختلفوا في الدين قال علي رضي الله عنه لا تتفرقوا فالجماعة رحمة
والفرقة عذاب كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من
اقامة دين الله والتوحيد الله يجتبي اليه يجتلب ويجمع اليه الى الدين بالتوفيق
والتسديد من يشاء ويهدي اليه من ينيب يقبل على طاعته وما تفرقوا اي اهل
الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ما جاءهم العلم الا من بعد ان علموا ان الفرقة
ضلال وامر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم السلام بغيا بينهم حسدا
وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى وهي
بل الساعة موعدهم لقضي بينهم لاهلكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا
وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب لفي شك منه
من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان مريب مدخل في الريبة وقيل ما تفرق
اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان
الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القران من بعد
ما اورث اهل الكتاب التوراة والانجيل فلذلك فلاجل ذلك التفرق
ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف
على الملة الحنيفية القويمة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرت كما
امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب
باي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان
المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا وامرت لاعدل بينكم في الحكم
اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي الله ربنا وربكم اي كلنا عبيده لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
هو كقوله لكم دينكم ولي دين ويجوز ان يكون معناه انا لا نؤاخذ باعمالكم
وانتم لا تؤاخذون باعمالنا لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر
وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان
المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيامة واليه المصير
المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم والذين يحاجون في الله
يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس

ودخلوا في الاسلام ليردوهم الي دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كانوا اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين
كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم نحن خير منكم واولى بالحق وقيل
من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاه على المشركين يوم بدر حجتهم داحضة
باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة عند ربهم وعليهم غضب
بكفرهم ولهم عذاب شديد في الاخرة الله الذي انزل الكتاب اي جنس
الكتاب بالحق بالصدق اي ملتبسا به والميزان والعدل والتسوية ومعنى
انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان انزله في زمن نوح
عليه السلام وما يدريك لعل الساعة قريب اي لعل الساعة قريب منك
وانت لا تدريه والمراد مجيء الساعة في تاويل البعث ووجه اقتراب
الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع
الموازين بالقسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرايع
فاعملوا بالكتاب والعدل قبل ان يفاجيكم يوم حسابكم ووزن اعمالكم
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون خايفون
منها وجلون لهولها ويعلمون انها الحق الكاين لا محالة الا ان الذين يمارون
في الساعة المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال
بعيد عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد
دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لا بد من دار الجزا
الله لطيف بعباده في ايصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه
او هو بر بليغ البر بهم قد توصل بره الي جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض
علمه وعظم عن الجرايم حلمه او من ينشر المناقب ويستر المثالب او من يعفو
عمن يهفو او من يعطي العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة
وعن الجنيد لطف باوليايه فعرفوه ولو لطف باعدايه ما جحدوه يرزق من
يشاء اي يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه في الحديث ان من عبادي
المومنين من لا يصلح ايمانه الا الغنا لو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي
المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر لو اغنيته لافسده ذلك وهو القوي الباهر
القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة
سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفايدة حرثا مجازا نزد له في حرثه بالتوفيق
في عمله او التضعيف في حسناته او بان ينال به الدنيا والاخرة ومن كان
يريد حرث الدنيا اي من كان عمله للدنيا ولم يومن بالاخرة نؤته منها اي شيا
منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذي قسم له لا ما يريده ويبتغيه وما له
في الاخرة من نصيب وما له نصيب قط في الاخرة ولم يذكر في عاجل الاخرة
ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الي جنب ما هو بصدده
من زكاء عمله وفوزه في الماب ام لهم شركا وقيل هي ام المنقطعة
وتقديره بل الهم شركا وقيل هي المعادلة لالف الاستفهام وفي الكلام

اضمار

اضمار تقديره ايقبلون ما شرع الله من الدين ام لهم الهة شرعوا لهم من الدين
ما لم ياذن به الله اي لم يامر به ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزا
اي ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم بين الكافرين
والمؤمنين او لعجلت لهم العقوبة وان الظالمين لهم عذاب اليم وان المشركين
لهم عذاب اليم في الاخرة وان اخر عنهم في دار الدنيا ترى الظالمين المشركين
في الاخرة مشفقين خايفين مما كسبوا من جزاء كفرهم وهو واقع بهم
نازل بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات كان روضة جنة المؤمن اطيب بقعة فيها وانزهها لهم ما يشاؤن عند
ربهم عند نصب بالظرف لا بيشاؤن ذلك هو الفضل الكبير على العمل القليل
ذلك اي الفضل الكبير الذي يبشر الله يبشر مكي وابو عمرو وحمزة وعلي
عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات اي به عباده فحذف الجار كقوله واختار
موسى قومه ثم حذف الراجع الي الموصول كقوله اهذا الذي بعث الله
رسولا ولما قال المشركون ايبتغي محمد على تبليغ الرسالة اجرا نزل قل لا
اسالكم عليه على التبليغ اجرا الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا
اي لا اسالكم عليه اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي الذين هم قرابتكم
ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى او المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا
للمودة ومقرا لها كقولك لي في ال فلان مودة ولي فيهم حب شديد تريد احبهم
وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة
للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس
وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى
والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروي انه لما نزلت قيل
يا رسول الله من قرابتك هولاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي
وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا ان تودوني لقرابتي فيكم ولا تؤذوني
ولا تهيجوا علي اذ لم يكن بطن من بطون قريش الا بين رسول الله وبينهم
قرابة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى اي الا ان تحبوا الله ورسوله
في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح ومن يقترف حسنة يكتسب
طاعة عن السدي انها المودة في ال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزلت في ابي بكر رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة
كانت الا انها تتناول المودة تناولا اوليا لذكرها عقيب ذكر المودة
في القربى نزد له فيها حسنى اي نضاعفها كقوله من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهي مصدر
كالبشرى والضمير يعود الي الحسنة او الي الجنة ان الله غفور لمن اذنب
بطوله شكور لمن اطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل
الشكور في صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها
والتفضل على المثاب ام يقولون افترى على الله كذبا ام منقطعة

ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل اتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافترا
ثم الى الافترا على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشا الله يختم على قلبك
قال مجاهد اي يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى على الله
كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم ويمح الله الباطل اي الشرك وهو كلام
مبتدا غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق
دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو في الخط كما سقطت
في ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة في مصحف
نافع ويحق الحق ويظهر الاسلام ويثبته بكلماته بما انزل من كتابه على لسان
نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فمحى باطلهم واظهر الاسلام انه عليم بذات
الصدور اي عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده يقال قبلت منه الشيء اذا اخذته منه
وجعلته مبدا قبولي ويقال قبلته عنه اي عزلته عنه وابنته عنه
والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على
ان لا يعود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وقال
علي رضي الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب
الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة
كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية
والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدي هو صدق العزيمة والانابة
بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لا تجد حلاوة الذنب في القلب
عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة
وعن الجنيد هو الاعراض عما دون الله ويعفو عن السيئات وهي ما دون الشرك
يعفو لمن يشا بلا توبة ويعلم ما يفعلون بالتاء كوفي غير ابي بكر اي من التوبة
والمعصية ولا وقف عليه للعطف واتصال المعنى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله اي اذا دعوه استجاب دعاهم واعطاهم ما طلبوا
وزادهم على مطلوبهم واستجاب واجاب بمعنى والسين في مثله لتوكيد
الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويجيب الله الذين امنوا وقيل
معناه ويستجيب للذين فحذف اللام من عليهم بان يقبل توبتهم اذا تابوا
ويعفوا عن سيئاتهم ويستجيب لهم اذا دعوه ويزيدهم على ما سالوه وعن
ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعوا فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم
تجيبوه والكافرون لهم عذاب شديد في الاخرة ولو بسط الله الرزق لعباده اي
لاغناهم جميعا لبغوا في الارض من البغي الظلم اي لبغى هذا على ذلك وذاك
على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة او من
البغي الكبر اي لتكبروا في الارض ولكن ينزل وبالتخفيف مكي وابو عمرو
بقدر ما يشاء بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا انه بعباده خبير بصير
يعلم احوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي

ويقبض

ويقبض ويبسط ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وما ترى من البسط
على من يبغي ومن البغي بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغي من الفقرا اقل
ومع البسط اكثر واغلب وهو الذي ينزل الغيث بالتشديد مدني وشامي وعاصم
من بعد ما قنطوا وقرئ قنطوا وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما
يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضي الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال
مطروا اذا اراد هذه الاية او اراد رحمته في كل شيء وهو الولي الذي يتولى عباده
باحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته ومن اياته اي علامات
قدرته خلق السموات والارض مع عظمهما وما بث فرق وما يجوز ان يكون مرفوعا
ومجرورا حملا على المضاف او المضاف اليه فيهما في السموات والارض
من دابة الدواب تكون في الارض وحدها لكن يجوز ان ينسب الشيء الى جميع
المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو
في فخذ من افخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج
من الملح ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على
الارض او يكون للملائكة مشي مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به
الاناسي وهو على جمعهم يوم القيامة اذا يشاء قدير اذا تدخل على المضارع كما
تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى وما اصابكم من مصيبة غم
والم ومكروه فبما كسبت ايديكم اي بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما
كسبت مدني وشامي على ان ما مبتدا وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى
الشرط وتعلق بهذه الاية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للاطفال حالة
كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تالموا وقلنا الاية مخصوصة بالمكلفين بالسياق
والسباق وهو ويعفو عن كثير اي من الذنوب فلا يعاقب عليه او عن كثير من
الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطا من لم يعلم ان ما وصل اليه من
الفتن والمصايب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان
ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات في كل اوان وجناياته
في طاعته اكثر من جناياته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية
الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصايب ليخفف
عنه اثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في كل خطرة وعن علي رضي الله
عنه هذه ارجى اية للمؤمنين في القران لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب
ثانيا واذا عفا لا يعود وما انتم بمعجزين في الارض بفايتين ما قضى عليكم
من المصايب وما لكم من دون الله من ولي متولي بالرحمة ولا نصير ناصر يدفع عنكم
العذاب اذا حل بكم ومن اياته الجواري جمع جارية وهي السفينة الجواري في
الحالين مكي وسهل ويعقوب ووافق مدني وابو عمرو في الوصل في البحر كالاعلام
كالجبال ان يشا يسكن الريح الرياح مدني فيظللن رواكد ثوابت لا تجري على ظهره
على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار على بلايه شكور لنعمايه اي لكل مؤمن
مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر او صبار على طاعته شكور

لنعمته او يوبقهن يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن
او يعصفها فيغرقن بعصفها بما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير منها فلا يجازي
عليها وانما ادخل العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى او ان يشا يهلك
ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم ويعلم بالنصب عطف على تعليل محذوف
تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون في اياتنا اي في ابطالها ودفعها ويعلم
مدني وشامي على الاستيناف ما لهم من محيص مهرب من عذابه فما اوتيتم من
شي فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله من الثواب خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفا في جوابها بخلاف الثانية نزلت
في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس والذين
يجتنبون عطف على الذين امنوا وكذا ما بعده كبائر الاثم اي الكبائر من
هذا الجنس كبير الاثم علي وحمزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك والفواحش
قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا واذا ما غضبوا من امور دنياهم هم
يغفرون اي هم الاخصا بالغفران في حال الغضب والمجي بهم وايقاعه
مبتدا واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا
لربهم نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا
له بان امنوا به واطاعوه واقاموا الصلاة واتموا الصلوات الخمس وامرهم شورى
بينهم اي ذو شورى لا ينفردون براي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور
قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما
رزقناهم ينفقون يتصدقون والذين اذا اصابهم البغي الظلم هم ينتصرون
ينتقمون ممن ظلمهم اي يقتصرون في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا
يعتدون وكانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا
على الانتصار لان من انتصر واخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حد الله فلم يسرف
في القتل ان كان ولي دم فهو مطيع لله وكل مطيع فهو محمود ثم بين حد الانتصار
فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما سميت
سيئة لانها مجازاة السوء او لانها تسوء من تنزل به ولانه لو لم تكن الاولى لكانت
الاولى سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها او في تسمية الثانية سيئة
اشارة الى العفو مندوب اليه والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل
بمثلها من غير زيادة فمن عفا واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء فاجره
على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها في العظم انه لا يحب الظالمين الذين يبدؤون
بالظلم او الذين يجاوزون حد الانتصار في الحديث ينادي مناد يوم القيامة من
كان له اجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا ولمن انتصر بعد ظلمه اي اخذ حقه بعدما
ظلم على اضافة المصدر الى المفعول فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه
ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب انما السبيل على الذين يظلمون
الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون
بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم وفسر السبيل بالتبعة والحجة ولمن صبر على الظلم

والاذى

والاذى وغفر ولم ينتصر فان ذلك اي الصبر والغفران منه لمن عزم الامور اي من
الامور التي ندب اليها او مما ينبغي ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في
تركه وحذف الراجع اي منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم
وقال ابو سعيد القرشي الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على
مكروه يصيبه ولم يجزع اورثه الله تعالى الرضى وهو اجل الاحوال ومن جزع
من المصيبات وشكى وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه ومن يضلل الله
فما له من ولي من بعده فما له من احد يتولى هدايته من بعد اضلال الله اياه
ويمنعه من عذابه وترى الظالمين يوم القيامة لما راوا العذاب حين يرون
العذاب واختير لفظ الماضي للتحقيق يقولون هل الى مرد من سبيل يسالون
ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به وتراهم يعرضون عليها على النار لان العذاب
يدل عليها خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون الى
النار من طرف خفي ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وقال الذين امنوا
ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة يوم متعلق بخسروا
وقول المؤمنين واقع في الدنيا او بقال اي يقولون يوم القيامة اذا راوهم
على تلك الصفة الا ان الظالمين في عذاب مقيم دائم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
من دون الله من دون عذابه ومن يضلل الله فما له من سبيل الى النجاة استجيبوا
لربكم اجيبوا الى ما دعاكم اليه من قبل ان ياتي يوم اي يوم القيمة لا مرد له من الله
من يتصل بلا مرد اي لا يرده الله بعدما حكم به او يتصل بياتي اي من قبل ان ياتي من
الله يوم لا يقدر احد على رده ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير اي ليس لكم مخلص
من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف
اعمالكم والنكير الانكار فان اعرضوا عن الايمان فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا
ان عليك الا البلاغ ما عليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان
المراد الجمع لا الواحد منا رحمة نعمة وسعة وامنا وصحة فرح بها بطر لاجلها
وان تصبهم سيئة بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع
في وان تصبهم باعتبار المعنى بما قدمت ايديهم بسبب معاصيهم فان الانسان كفور
ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان
الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى انه يذكر البلاء وينسى
النعم ويغمطها قيل اريد به كفران النعمة وقيل اريد به الكفر بالله تعالى
لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم
اي يقرنهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة
واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف
اراد يهب لعباده من الاولاد ما يشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور
وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التي لا تلد وكذلك
رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الاناث اولا على الذكور لان سياق الكلام
انه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من

جملة ما يشاء الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت
العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما اخر الذكور وهم احقا بالتقديم تدارك تاخيرهم
بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير ثم اعطي بعد ذلك كلا الجنسين حقه
من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض اخر
فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت في الانبيا عليهم السلام حيث وهب للوط
وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكرانا واناثا
وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين انه عليم بكل شي قدير قادر على كل
شي وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا وحيا اي الهاما كما
روي نفث في روعي او رؤيا في المنام لقوله عليه السلام رويا الانبيا وحي
وهو كامر ابراهيم عليه السلام بذبح الولد او من وراء حجاب اي يسمع كلاما
من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وليس المراد
به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب
ولكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا او يرسل رسولا اي
يرسل ملكا فيوحي اي الملك اليه وقيل وحيا كما اوحي الى الرسل بواسطة
الملايكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبيا على السنتهم ووحيا
وان يرسل مصدرات واقعات موقع الحال لان ان يرسل في موضع ارسالا
ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير
وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز
ان يكون المعنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او ان يسمع من وراء
حجاب او ان يرسل رسولا فيوحي بالرفع نافع على تقدير او هو يرسل باذنه
باذن الله ما يشاء من الوحي انه علي قاهر فلا يمانع حكيم مصيب في اقواله
وافعاله فلا يعارض وكذلك اي كما اوحينا الى الرسل قبلك او كما وصفنا لك
اوحينا اليك ايحاء كذلك روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق
يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح ما كنت تدري الجملة حال من الكاف
في اليك ما الكتاب القران ولا الايمان اي شرايعه او ولا الايمان بالكتاب
لانه اذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل
الايمان يتناول اشيا بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع
نعني به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى
كسبه بالوحي ولكن جعلناه اي الكتاب نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
وانك لتهدي لتدعوا وترشد به الى صراط مستقيم الاسلام صراط الله بدل
الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا الا الى الله تصير الامور هو وعيد
بالجحيم ووعد بالنعيم سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب
المبين وهو القران وجعل قوله انا جعلناه صيرناه قرانا عربيا جوابا للقسم
وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين

البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم او الواضح للمتدبرين او الذي ابان
طرق الهدى من طرق الضلالة وابان كل ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة
لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه في ام الكتاب لدينا وان القران
مثبت عند الله في اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قران مجيد في لوح محفوظ
وسمي ام الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ
ام الكتاب بكسر الالف علي وحمزة لعلي خبر ان اي في اعلا طبقات
البلاغة او رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة
بالغة افنضرب عنكم الذكر افننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز
من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض والفا للعطف على محذوف تقديره
انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكار الان يكون الامر على خلاف ما قدم من
انزاله الكتاب وجعله قرانا عربيا ليعقلوه وليعملوا بمواجبه صفحا مصدر
من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم
انزال القران والزام الحجة به اعراضا عنكم ويجوز ان يكون مصدرا على
خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه اي اعرضت عنه كذا قاله ان كنتم لان
كنتم ان كنتم علي وحمزة وعلي وهو من الشرط الذي يصدر عن المدل بصحة
الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم
بذلك قوما مسرفين مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة وكم
ارسلنا من نبي في الاولين اي كثيرا من الرسل ارسلنا الى من تقدمك وما
ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون هي حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على
ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه
فاهلكنا اشد منهم بطشا تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب
عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي
سلف في القران في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها
ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم
ولئن سالتهم اي المشركين من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم الذي جعل لكم الارض مهدا كوفي وغيرهم مهادا اي موضع قرار وجعل
لكم فيها سبلا طرقا لعلكم تهتدون لكي تهتدوا في اسفاركم والذي نزل من
السما ما بقدر بمقدار يسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد فانشرنا فاحيينا
به بلدة ميتا يزيد ميتا عدول من المغايبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد
كذلك تخرجون من قبوركم احيا تخرجون حمزة وعلي ولا وقف على العليم
لان الذي صفته وقد وقف عليه ابو حاتم على تقدير هو الذي لان هذه الاوصاف
ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون
كذلك تخرجون بل الاية حجة عليهم في انكار البعث والذي خلق الازواج الاصناف
كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اي تركبونه يقال ركبوا
في الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي

بواسطة نقيل تركبونه لتستووا على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك
والانعام ثم تذكروا بقلوبكم نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا بالسنتكم
سبحان الذي سخر لنا هذا ذلل لنا هذا المركوب وما كنا له مقرنين مطيقين
يقال اقرن الشي اذا اطاقه وحقيقة اقرنه وجده قرينته لان الصعب
لا يكون قرينة للضعيف وانا الى ربنا لمنقلبون لراجعون قيل يذكرون
عند ركوبهم مراكب الدنيا اخر مركبهم منها وهو الجنازة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على
الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون
وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها
ومرسىها ان ربي لغفور رحيم وحكي ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذي
سخر لنا هذا الاية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال اني مقرن
لهذه فسقط منها لوثبتها واندقت عنقه وينبغي ان لا يكون ركوب
العاقل للنزهة والتلذذ بل للاعتبار ويتامل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب
الى الله غير منفلت من قضائه وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله
ولئن سالتهم اي ولئن سالتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به
وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا اي قالوا الملائكة بنات
الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد لوالده جزءا جزءا ابو بكر
وحماد ان الانسان لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه
كفر والكفر اصل الكفران كله ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين
بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث ادعوا انه
اختار لنفسه المنزلة الادنى ولهم الاعلى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا
منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد
ظل وجهه مسودا وهو كظيم يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان
احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو
مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة اومن ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين
اي او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشا
في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم
ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا ياتي ببرهان وذلك
لضعف عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المراة الا وتاتي بالحجة عليها وفيه
انه جعل النشء في الزينة من المعايب فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويتزين
بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى او جعلوا من ينشا في الحلية
يعني البنات لله عز وجل ينشا حمزة وعلي وحفص اي يربى قد جمعوا في
كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس
النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم وجعلوا الملائكة

الذين

الذين هم عباد الرحمن اناثا اي سموا وقالوا انهم اناث عند الرحمن مكي
ومدني وشامي اي عنديه منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا والعباد جمع عبد
وهو الزم في الحجاج مع اهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد اشهدوا
خلقهم وهذا تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير ان يستند
قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال
ولا احاطوا به من خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن
المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم
ويسالون عنها وهذا وعيد وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي الملائكة
تعلقت المعتزلة بظاهر الاية في ان الله تعالى لم يشا الكفر من الكافر وانما شاء
الايمان فان الكفار ادعوا ان الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام
حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء منا ان نترك عبادة الاصنام لمنعنا
عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم
بقوله ما لهم بذلك المقول من علم ان هم الا يخرصون اي يكذبون ومعنى
الاية عندنا انهم ارادوا بالمشيئة الرضى وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا
او لمنعنا عن عبادتها منع قهر واضطرار واذا لم يفعل ذلك فقد رضي بذلك
فرد الله تعالى عليهم بقوله ما لهم بذلك من علم الاية او قالوا هذا القول استهزاء
لا جدا واعتقادا فاكذبهم الله فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال
خبرا عنهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه وهذا حق في الاصل ولكن لما قالوا ذلك
استهزاء اكذبهم الله بقوله ان انتم الا في ضلال وكذلك قال الله تعالى
قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
لانهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم
وظنوا ان الله لا يعاقبهم على شي فعلوه بمشيئته وجعلوا انفسهم معذورين
في ذلك فرد الله عليهم ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او من قبل قولهم
هذا فهم به مستمسكون اخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره اشهدوا
خلقهم ام اتيناهم كتابا فيه ان الملائكة اناث بل قالوا بل لا حجة لهم يتمسكون
بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم
انا وجدنا اباءنا على امة على دين فقلدناهم وهي من الام وهو القصد
والامة الطريقة التي تؤم اي تقصد وانا على اثارهم مهتدون الظرف صلة
لمهتدون او هما خبران وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال
مترفوها اي متنعموها وهم الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون
الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه انا وجدنا اباءنا على
امة وانا على اثارهم مقتدون وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وبيان ان تقليد الاباء داء قديم قال شامي وحفص اي النذير قل غيرهما
اي قيل للنذير قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتتبعون اباءكم
ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون انا ثابتون

على دين ابائنا وان جئتنا بما هو اهدى واهدى فانتقمنا منهم نعاقبنا هم بما استحقوه على اصرارهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اي واذكر اذ قال انني براء اي بريء وهو مصدر يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامراة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل مما تعبدون الا الذي فطرني استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين يثبتني على الهداية وجعلها وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجي لابراهيم بل متعت هولاء واباءهم يعني اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق اي القران ورسول محمد عليه السلام مبين واضح الرسالة بما معه من الايات البينة فلما جاءهم الحق القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا متحكمين بالباطل لولا نزل هذا القران فيه استهانة به على رجل من القريتين عظيم اي رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان اي من احدهما والقريتان مكة والطايف وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطايف عمرو بن مسعود الثقفي واراد وا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمة ربك اي النبوة والهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم ما يعيشون به وهو ارزاقهم في الحياة الدنيا اي لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة او كما فضلنا البعض على البعض في الرزق فكذا الخص بالنبوة من نشاء ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اي جعلنا البعض اقويا واغنيا وموالي والبعض ضعفا وفقرا وخدما ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدمونهم في مهنتهم ويسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا الى منافعهم هذا بماله وهذا باعماله ورحمة ربك اي النبوة او دين الله وما يتبعه من الفوز في الماب خير مما يجمعون مما يجمع هولاء من حطام الدنيا ولما قلل امر الدنيا وصغرها اردفه بما يقرر قلة الدنيا عنده فقال ولولا ان يكون الناس امة واحدة ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة الدنيا عندنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا اي جعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف اي بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة

لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكي وابو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح اي يعلونها وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ان نافية ولما بمعنى الا اي وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقد قرئ به وقرا لما غير عاصم وحمزة على ان اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وما صلة اي وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا والاخرة اي ثواب الاخرة عند ربك للمتقين لمن يتقي الشرك ومن يعش وقرئ ومن يعشو والفرق بينهما انه اذا حصلت الافة في بصره قيل عشي يعشى واذا نظر نظر العشي ولا افة به قيل عشا يعشو ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القران لقوله صم بكم عمي ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا فهو له قرين قال ابن عباس رضي الله عنهما نسلط عليه فهو معه في الدنيا والاخرة يحمله على المعاصي وفيه اشارة الى ان من داوم عليه لم يقرنه الشيطان وانهم اي الشياطين ليصدونهم ليمنعون العاشين عن السبيل عن سبيل الهدى ويحسبون اي العاشون انهم مهتدون وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فجاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا على الواحد عراقي غير ابي بكر اي العاشي جاءانا غيرهم اي العاشي وقرينه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اذ صح ظلمكم اي كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين واذ ابدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون انكم في محل الرفع على الفاعلية اي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب او كونكم مشتركين في العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب في الدنيا كقول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي • على اخوانهم لقتلت نفسي •

ولا يبكون مثل اخي ولكن • اعزي النفس عنه بالتاسي •

اما هولاء فلا يوسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه وقيل الفاعل مضمر اي ولن ينفعكم هذا التمني او الاعتذار لانكم في العذاب مشتركون لاشتراككم في سببه وهو الكفر ويويده قراءة من قرا انكم بالكسر افانت تسمع الصم اي من فقد سمع القبول او تهدي العمي اي من فقد البصر ومن كان في ضلال مبين ومن كان في علم الله انه يموت على الضلال فاما دخلت ما على ان توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة في نذهبن بك اي نتوفينك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون اشد الانتقام في الاخرة او نرينك الذي وعدناهم قبل ان نتوفينك يعني يوم بدر فانا عليهم مقتدرون قادرون وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال بقوله افانت تسمع الصم

الاية ثم اوعدهم بعذاب الدنيا والاخرة بقوله فاما نذهبن بك الاية فاستمسك
فتمسك بالذي اوحي اليك وهو القران واعمل به انك على صراط مستقيم على الدين
الذي لا عوج له وانه وان الذي اوحي اليك لذكر لك لشرف لك ولقومك ولامتك
وسوف تسئلون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن
شكركم هذه النعمة واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز
عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة
من ملل الانبيا وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما
بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
وهذه الاية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع
له الانبيا ليلة الاسراء فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسئل وقيل
معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين اي التوراة والانجيل وانما
يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سالهم فكانه سال الانبيا ومعنى هذا السؤال
التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلا همزة مكي وعلي رسلنا
ابو عمرو ثم سلى رسوله بقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال
اني رسول رب العالمين ما اجابوه به عند قوله اني رسول رب العالمين
محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم باياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة
على دعواه وابراز الاية اذا هم منها يضحكون يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها
سحرا واذا للمفاجاة وهو جواب فلما لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل
النصب في محل اذا كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاؤا وقت ضحكهم وما
نريهم من اية الا هي اكبر من اختها قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها في نقض
العادة وظاهر النظم يدل على ان اللاحقة اعظم من السابقة وليس كذلك
بل المراد بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه
كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما اكرم من الاخر واخذناهم بالعذاب
وهو ما قال تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
وارسلنا عليهم الطوفان الاية لعلهم يرجعون عن الكفر الى الايمان وقالوا
يا ايه الساحر كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر يا ايه
الساحر بضم الهاء بلا الف شامي ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل
الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها
ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده
عندك وهو النبوة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى
اننا لمهتدون مؤمنون به فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ينقضون
العهد بالايمان ولا يفون به ونادى فرعون نادى بنفسه عظماء القبط او
امر مناديا فنادى كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه في قومه
جعلهم محلا لندائه وموقعا له قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار

النيل ومعظمها اربعة تجري من تحتي من تحت قصري وقيل بين يدي في جناني
والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها او الواو
للحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا
وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب
وكان خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما
شارفها قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك
مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه افلا تبصرون قوتي
وضعف موسى وغناي وفقره ام انا خير ام منقطعة بمعنى بل والهمزة
كانه قال اثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين
ضعيف حقير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فلولا فهلا القي عليه اسورة
حفص ويعقوب وسهل جمع سوار غيرهم اساورة جمع اسورة واساور
جمع سوار وهو السوار حذفت الياء من اساوير وعوض منها التاء من ذهب
اراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد
الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين
يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا اعضاده وانصاره فاستخف قومه
استفزهم بالقول واستنزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة في
الطاعة وهي الاسراع اليها فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن
دين الله فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين اسف منقول من اسف
اسفا اذا اشتد غضبه ومعناه انهم افرطوا في المعاصي فاستوجبوا ان
نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم فجعلناهم سلفا جمع سالف كخادم
وخدم سلفا حمزة وعلي جمع سليف اي فريق قد سلف ومثلا وحديث
عجيب الشان سائرا مسير المثل يضرب بهم الامثال ويقال مثلكم مثل قوم
فرعون للاخرين لمن يجيء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للاخرين من الكفار
يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم ومثلا
يحدثون به ولما ضرب ابن مريم مثلا لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعري
يا محمد اخاصة لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولالهتكم
ولجميع الامم فقال الست تزعم ان عيسى نبي وتثني عليه وعلى امه خيرا وقد علمت
ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار
فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
ونزلت هذه الاية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعري عيسى ابن مريم مثلا لالهتهم
وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش
منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا
منه من اسكات النبي صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدني وشامي وعلي

والاعشى من الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وهما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا ءالهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فان كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا ما ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل لك الا جدلا الا لاجل الجدال والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دابهم اللجاج وذلك ان قوله انكم وما تعبدون لم يرد به الا الاصنام لان ما لغير العقلاء الا ان ابن الزبعري بخداعه لما راى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجابه عنه ربه ان هو ما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض اي بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل يخلفون يخلفونكم في الارض او يخلف الملائكة بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام والقديم متعال عن ذلك وانه لعلم للساعة وان عيسى مما يعلم به مجيء الساعة وقرا ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة اي وان نزوله لعلم للساعة فلا تمترن بها فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك واتبعون وبالياء فيهما سهل ويعقوب اي واتبعوا هداي وشرعي او رسولي او هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوكم اليه ولا يصدنكم الشيطان عن الايمان بالساعة او عن الاتباع انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة اذ اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل والشرائع ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو امر الدين لا امر الدنيا فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم هذا تمام كلام عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية من بينهم من بين النصارى فويل للذين ظلموا حيث قالوا في عيسى ما كفروا به من عذاب يوم اليم وهو يوم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقوم عيسى او للكفار ان تاتيهم بدل من الساعة اي هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة وهم لا يشعرون اي وهم غافلون لاشتغالهم بامر دنياهم كقوله تاخذهم وهم يخصمون الاخلاء جمع خليل يومئذ يوم القيمة بعضهم لبعض عدو الا المتقين اي المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو اي ينقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين

في الله فانها الخلة الباقية يا عبادي بالياء في الوصل والوقف مدني وشامي وابو عمرو وبفتح الياء ابو بكر والباقون بحذف الياء لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون هو حكاية لما ينادي المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف آمنوا بآياتنا صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين لله منقادين له ادخلوا الجنة انتم وازواجكم المؤمنات في الدنيا تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم يطاف عليهم بصحاف جمع صحفة من ذهب واكواب اي من ذهب ايضا والكوب الكوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهيه الانفس مدني وشامي وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول وتلذ الاعين وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات في القلوب او مستلذة في العيون وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدا والجنة خبر والتي اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدا الذي هو اسم الاشارة والتي اورثتموها خبر المبتدا او التي اورثتموها صفة المبتدا وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف اي حاصلة او كائنة كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه الاول تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون من للتبعيض اي لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا وفي الحديث لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون خبر بعد خبر لا يفتر عنهم خبر آخر اي لا يخفف ولا ينقص وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من الفرج متحيرون وما ظلمناهم بالعذاب ولكن كانوا هم الظالمين هم فصل ونادوا يا مالك لما ايسوا من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم ليقض علينا ربك ليمتنا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضي علينا قال انكم ماكثون لابثون في العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور لقد جئناكم بالحق كلام الله تعالى ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سالوا مالكا ان يسال الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم ولكن اكثركم للحق كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا امرا ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث انفسهم ونجواهم ما يتحدثون به فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم بلى نسمعها ونطلع عليها ورسلنا اي الحفظة لديهم يكتبون عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وابداها لمن لا يخفى عليه خافية فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من امارات النفاق قل ان كان

للرحمن ولد وصح ذلك ببرهان فانا اول العابدين فانا اول من يعظم ذلك الولد
واسبقكم الى طاعته والانقياد اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا
كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة
الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن
جبير للحجاج حين قال له والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك
اليك ما عبدت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين
اي الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد
في زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه
فهو عبد وعابد وقرئ عبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا
اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي ان النضر قال ان الملائكة بنات الله
فنزلت فقال النضر الا ترون انه صدقني فقال له الوليد ما صدقك ولكن قال
ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وُلْد حمزة وعلي
ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما
يصفون اي هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسما اذ لو كان
جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسما لا يكون له ولد لان التوالد من صفة
الاجسام فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون اي القيامة وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض
واللعب وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك
علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي وحاتم في تغلب
على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب
وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله وهو الله في
السموات وفي الارض فكانه ضمن معنى المعبود والراجع الى الموصول محذوف
لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قايل لك شيئا والتقدير وهو الذي هو في السماء
اله واله يرتفع على انه خبر مبتدا مضمر ولا يرتفع اله بالابتدا وخبره في السماء لخلو
الصلة حينئذ من عايد يعود الى الموصول وهو الحكيم في اقواله وافعاله العليم بما
كان ويكون وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة
اي علم قيامها واليه ترجعون يرجعون مكي وحمزه وعلي ولا يملك الذين
يدعون اي يدعونهم من دونه من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم
عند الله الا من شهد بالحق اي ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد وهم يعلمون
ان الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء
منقطع او متصل لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة ولئن سالتهم
اي المشركين من خلقهم ليقولن الله لا الاصنام والملائكة فانى يؤفكون فكيف او
من اين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار وقيله بالجر عاصم وحمزه اي وعنده
علم الساعة وعلم قيله يا رب والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم
ذكره في قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وبالنصب الباقون

عطفا

عطفا على محل الساعة ويعلم قيله اي قيل محمد يا رب والقيل والقول والقال
والمقال واحد ويجوز ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه
وجواب القسم ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كانه قيل واقسم بقيله يا رب ان هؤلاء
قوم لا يؤمنون واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه
فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل
لهم سلام اي تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم
وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم وبالتاء مدني وشامي وبالله التوفيق

سورة الدخان مكية وهي تسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم
في الخبر من قراها ليلة جمعة اصبح مغفورا له حم والكتاب المبين اي القران
الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة
مرفوعا على خبر الابتدا المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وجواب
القسم انا انزلناه في ليلة مباركة اي ليلة القدر او ليلة النصف من شعبان
وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة والجمهور على الاول لقوله انا
انزلناه في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وليلة
القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان ثم قيل انزله جملة من اللوح المحفوظ
الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل ابتدا نزوله في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها
من الخير والبركة ويستجاب من الدعا ولو لم ينزل فيها الا انزال القران
وحده لكفى به بركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر هما جملتان مستانفتان
ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار
والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال
القران من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم ومعنى يفرق
يفصل ويكتب كل امر من ارزاق العباد واجالهم وجميع امورهم في هذه الليلة
الى ليلة القدر التي تجي في السنة المقبلة حكيم ذي حكمة اي مفعول على ما
تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على
الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل
كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بان قال
اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا انا كنا
مرسلين بدل من انا كنا منذرين رحمة من ربك مفعول له على معنى انا انزلنا
القران لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم
او تعليل لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال
كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والاصل انا كنا مرسلين
رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على
المربوبين انه هو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم رب كوفي بدل من ربك
وغيرهم بالرفع اي هو رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين

ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم
ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع
العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما
ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس
بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم اي
هو ربكم ورب آبائكم الاولين عطف عليه ثم رد بان يكونوا موقنين بقوله بل هم
في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن بل قول مخلوط بهزء
ولعب ومشغول فارتقب فانتظر يوم تأتي السماء بدخان يأتي من السماء قبل يوم
القيامة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري
المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص
وقيل ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم
فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السما والارض
الدخان وكان الرجل يحدث فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان مبين ظاهر
حاله لا يشك احد في انه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل
الجر صفة لدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون
اي سنؤمن ان تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون
ويقولون منصوب المحل على الحال اي قائلين ذلك انى لهم الذكرى كيف
يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم
رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون اي وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل
في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الايات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه
بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون
انا كاشفوا العذاب قليلا زمانا قليلا او كشفا قليلا انكم عائدون الى الكفر الذي كنتم
فيه او الى العذاب يوم نبطش البطشة الكبرى هي يوم القيامة او يوم بدر انا
منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر او بما دل
عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله ولقد
فتنا قبلهم قبل هؤلاء المشركين اي فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا
قوم فرعون وجاءهم رسول كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه
حسيب نسيب لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا
الي من ان المفسرة لان مجيء الرسول الى من بعث اليهم متضمن معنى القول لانه
لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم
بان الشان والحديث ادوا الي سلموا الي عباد الله هو مفعول به وهم بنو اسرائيل
يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز
ان يكون نداء لهم على معنى ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان

لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بقوله اني لكم رسول امين اي على رسالتي
غير متهم وان لا تعلوا على الله ان هذه مثل الاولى في وجهيها اي لا تستكبروا على
الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبي الله اني آتيكم بسلطان
مبين بحجة واضحة تدل على اني نبي واني عذت ادغمها ابو عمرو وحمزة وعلي
بربي وربكم ان ترجمون ان تقتلوني رجما ومعناه انه عائذ بربه متكل
على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم
والقتل وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اي ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا
يؤمن فتنحوا عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشركم واذاكم فليس
جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك فترجموني فاعتزلوني في الحالين يعقوب
فدعا ربه شاكيا قومه ان هؤلاء قوم مجرمون بان هؤلاء اي دعا ربه بذلك قال
دعاه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال
ان هؤلاء فاسر من اسرى فاسر بالوصل حجازي من سرى والقول مضمر بعد الفاء
اي فقال اسر بعبادي اي بني اسرائيل ليلا انكم متبعون اي دبر الله ان تتقدموا
ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين واترك البحر رهوا
ساكنا اراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق فامر
بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق
يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه
الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا
انهم جند مغرقون بعد خروجهم من البحر وقرئ بالفتح اي لانهم كم عبارة عن
الكثرة منصوب بقوله تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم هو ما كان لهم
من المنازل الحسنة وقيل المنابر ونعمة تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين كذلك
اي الامر كذلك فالكاف في موضع الرفع على انه خبر مبتدا مضمر واورثناها قوما
آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل فما بكت
عليهم السما والارض لانهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكي عليه السما
والارض فيبكي على المؤمن من الارض مصلاه ومن السما مصعد عمله وعن
الحسن اهل السما والارض وما كانوا منظرين اي لم ينظروا الى وقت آخر
ولم يمهلوا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين اي الاستخدام والاستعباد
وقتل الاولاد من فرعون بدل من العذاب المهين باعادة الجار كانه في
نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم او خبر مبتدا
محذوف اي ذلك من فرعون انه كان عاليا متكبرا من المسرفين خبر ثان
اي كان متكبرا مسرفا ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم حال من ضمير
الفاعل اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا على العالمين على
عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن
والسلوى وغير ذلك ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة او اختبار ظاهر لننظر

كيف يعملون ان هؤلا يعني كفار قريش ليقولون ان هي ما الموته الا موتتنا الاولي
والاشكال ان الكلام وقع في الحياة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا
حياتنا الدنيا وما معنى ذكر الاولي كانهم وعدوا موته اخري حتى جحدوها
واثبتوا الاولي والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة
كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالي وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولي يريدون ما الموتة التي
من شانها ان تتعقبها حياة الا الموتة الاولي فلا فرق اذا بين هذا وبين
قوله الا حياتنا الدنيا في المعنى ويحتمل ان يكون هذا انكارا لما في قوله
ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وما نحن بمنشرين بمبعوثين يقال
انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فاتوا بابائنا خطاب للذين كانوا
يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين ان كنتم
صادقين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من ابائنا
بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة
وبعث الموتى حق اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع هو تبع الحميري
كان مومنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفي الحديث ما ادري اكان
تبع نبيا او غير نبي والذين من قبلهم مرفوع بالعطف على قوم تبع اهلكناهم
انهم كانوا مجرمين كافرين منكرين للبعث وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما وما بين الجنسين لاعبين حال ولو لم يكن بعث ولا حساب
ولا ثواب كان خلق الخلق للفنا خاصة فيكون لعبا ما خلقناهما الا بالحق
بالجد ضد اللعب ولكن اكثرهم لا يعلمون انه خلق لذلك ان يوم الفصل
بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة ميقاتهم اجمعين وقت موعدهم
كلهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اي ولي اي ولي كان عن اي ولي كان
شيئا من اغنا اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى
كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى الا من رحم الله في
محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من
رحمه الله انه هو العزيز الغالب على اعدايه الرحيم لاوليايه ان شجرة الزقوم
هي على صورة شجر الدنيا لكنها من النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل
طعام الاثيم هو الفاجر الكثير الاثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا
فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا استدل
على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جايز اذا كانت مودية معناها ومنه
اجاز ابو حنيفة رضي الله عنه القراة بالفارسية بشرط ان يودي القاري
المعاني كلها على كمالها من غير ان يخرم منها شيء قالوا وهذه الشريطة تشهد
انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القران الذي هو معجز
بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطايف المعاني والدقايق ما لا
يستقل باداية لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما وعليه

الاعتماد كالمهل هو دردي الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر تغلي في البطون
وبالياء مكي وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام كغلي الحميم اي الماء الحار
الذي انتهى غليانه ومعناه غليا كغلي الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال
للزبانية خذوه اي الاثيم فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكي
ونافع وسهل ويعقوب الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق راسه
من عذاب الحميم المصبوب هو الحميم لا عذابه الا انه اذا صب عليه الحميم
فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له
ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم انك اي لانك على انه هذا
اي العذاب او هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون ان المتقين في مقام
بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا
في معنى العموم وبالضم مدني وشامي وهو موضع الاقامة امين من امن
الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخاين فوصف به المكان استعارة لان
المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون
بدل من مقام امين يلبسون من سندس ما رق من الديباج واستبرق
ما غلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ اذا عرب خرج من ان يكون
عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه
واجرايه على اوجه الاعراب فساغ ان يقع في القران العربي متقابلين
في مجالسهم وهو اتم للانس كذلك الكاف مرفوعة اي الامر كذلك
وزوجناهم وقرناهم ولهذا عدي بالباء بحور جمع حوراء وهي الشديدة سواد
العين والشديدة بياضها عين جمع عيناء وهي واسعة العين يدعون فيها
يطلبون في الجنة بكل فاكهة امنين من الزوال والانقطاع وتولد الضرر
من الاكثار لا يذوقون فيها اي في الجنة الموت البتة الا الموتة الاولى اي
سوى الموتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها
في الدنيا ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك اي للفضل فهو مفعول له او مصدر
موكد لما قبله لان قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد
لا يستحق على الله شيا ذلك اي صرف العذاب ودخول الجنة هو الفوز العظيم
فانما يسرناه اي الكتاب وقد جرى ذكره في اول السورة بلسانك لعلهم
يتذكرون يتعظون فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون
ما يحل بك من الدواير والله اعلم سورة الجاثية سبع وثلاثون اية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلتها اسما للسورة فهي
مرفوعة بالابتدا والخبر تنزيل الكتاب من الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا
للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف خبرا العزيز في انتقامه الحكيم
في تدبيره ان في السموات والارض لايات لدلالات على وحدانيته ويجوز ان
يكون المعنى ان في خلق السموات والارض لايات للمومنين دليله قوله
وفي خلقكم ويعطف وما يبث من دابة على الخلق المضاف اليه ضمير مجرور

منفصل بفتح العطف عليه ايات حمزه وعلي بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك
ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او عمرو في السوق لقوم يوقنون واختلاف
الليل والنهار وما انزل الله من السما من رزق اي مطر وسمي به لانه سبب الرزق
فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح الريح حمزة وعلي ايات لقوم يعقلون
بالنصب علي وحمزه وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سوا نصبت
او رفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر
في واختلاف الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان
الابتدا وحرف في عملت الواو الرفع في ايات والجر في واختلاف وهذا
مذهب الاخفش لانه يجوز العطف على عاملين واما سيبويه فانه لا يجيزه
وتخريج الاية عنده ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الايتين
قبل هذه الاية ويؤيده قراة ابن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل
والنهار ويجوز ان ينتصب ايات على الاختصاص بعد انقضا المجرور معطوفا
على ما قبله او على التكرير توكيدا لايات الاولى كانه قيل ايات ايات ورفعها
باضمار هي والمعنى في تقديم الايمان على الايقان وتوسيطه وتاخير الاخر
ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات نظرا صحيحا علموا انها
مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله فاذا نظروا في خلق انفسهم
وتنقلها من حال الى حال وفي خلق ما ظهر على الارض من صنوف الحيوانات
ازدادوا ايمانا وايقنوا فاذا نظروا في ساير الحوادث التي تتجدد في كل وقت
كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف
الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم
تلك اشارة الى الايات المتقدمة اي تلك الايات ايات الله وقوله
نتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك
من معنى الاشارة فباي حديث بعد الله واياته اي بعد ايات الله كقولهم
اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد يومنون حجازي وابو عمرو
وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد ويل لكل افاك كذاب اثيم
بالغ في اقتراف الاثام يسمع ايات الله في موضع جر صفة تتلى عليه حال من
ايات الله ثم يصر يقبل على كفره ويقيم عليه مستكبرا عن الايمان بالايات
لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث
وما كان يشتري من احاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القران
والاية عامة في كل من كان مضارا لدين الله وجي بثم لان الاصرار على
الضلالة والاستكبار عن الايمان عند استماع ايات القران مستبعد
في العقول كان لم يسمعها كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير
الشان ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب
اليم فاخبره خبرا يظهر اثره على البشرة واذا علم من اياتنا شيا واذا بلغه شي من
اياتنا وعلم انه منها اتخذها اتخذ الايات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار

بانه

بانه اذا احس بشي من الكلام انه من جملة الايات خاض في الاستهزا بجميع الايات
ولم يقتصر على الاستهزا بما بلغه ويجوز ان يرجع الضمير الى شي لانه في معنى
الاية كقول ابي العتاهية

نفسي بشي من الدنيا معلقة ... الله والقايم المهدي يكفيها

حيث اراد عتبة اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين
لهم عذاب مهين مخز من ورايهم من قدامهم الورا اسم للجهة التي يواريها
الانسان من خلف او قدام جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا من الاموال شيا
من عذاب الله ولا ما اتخذوا ما فيهما مصدرية او موصولة من دون الله من
الاوثان اوليا ولهم عذاب اليم في جهنم هذا هدى اشارة الى القران
ويدل عليه والذين كفروا بايات ربهم لان ايات ربهم هي القران اي هذا القران
كامل في الهداية كما تقول زيد رجل اي كامل في الرجولية لهم عذاب من رجز
هو اشد العذاب اليم بالرفع مكي ويعقوب وحفص صفة لعذاب
وغيرهم بالجر صفة لرجز الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره باذنه
ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللولو والمرجان واستخراج
اللحم الطري ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا هو
توكيد ما في السموات وهي مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال منه
حال اي سخر هذه الاشيا كاينة منه حاصلة من عنده او خبر مبتدا محذوف
اي هذه النعم كلها منه او صفة للمصدر اي تسخيرا منه ان في ذلك لايات لقوم
يتفكرون قل للذين امنوا يغفروا اي قل لهم اغفروا يغفروا فحذف المقول لان
الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة
تقديره ليغفروا فهو امر مستانف وجاز حذف اللام للدلالة على الامر للذين
لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايع الله باعدايه من قولهم لوقايع العرب
ايام العرب وقيل لا يامِلون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب
المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه
رجل من المشركين من بني غفار فهم ان يبطش به ليجزي تعليل للامر بالمغفرة
اي انما امروا بان يغفروا ليوفيهم جزا مغفرتهم يوم القيمة وتنكير قوما
على المدح لهم كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على اذى
اعدايهم لنجزي شامي وحمزة وعلي ليجزى قوما يزيد اي ليجزى الخير قوما
فاضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما اضمر الشمس في قوله حتى توارت بالحجاب
لان قوله اذ عرض عليه بالعشي دليل على تواري الشمس وليس التقدير
ليجزى الجزا قوما لان المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح
اما اقامة المفعول الثاني مقام الفاعل فجايز وانت تقول جزاك الله
خيرا بما كانوا يكسبون من الاحسان من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها
اي لها الثواب وعليها العقاب ثم الى ربكم ترجعون اي الى جزايه ولقد اتينا بني
اسرايل الكتاب التوراة والحكم والنبوة الحكمة والفقه ورزقناهم من الطيبات

مما احل الله لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين على عالمي زمانهم واتيناهم
بينات ايات ومعجزات من الامر من امر الدين فما اختلفوا فما وقع الخلاف بينهم
في الدين الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اي الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب
لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا للبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد
بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون قيل المراد اختلافهم
في اوامر الله ونواهيه في التوراة حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون
الانسان به معذورا ثم جعلناك بعد اختلاف اهل الكتاب على شريعة
على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة
بالحجج والدلايل ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ولا تتبع اهواء ما لا حجة عليه من الجهال
ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم روسا قريش حين قالوا ارجع الى دين
اباءك انهم ان هولاء الكافرين لن يغنوا عنك من الله شيا وان الظالمين بعضهم
اولياء بعض والله ولي المتقين وهم موالوه وما ابين الفضل بين الولايتين
هذا القران بصاير للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرايع بمنزلة
البصاير في القلوب كما جعل روحا وحياة وهدى من الضلالة ورحمة من العذاب
لقوم يوقنون لمن امن وايقن بالبعث ام حسب الذين ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها انكار الحسبان اجترحوا السيات اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه
الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل
المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف في كالذين امنوا وعملوا الصالحات
والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا
ثانيا فكانت في حكم المفرد سواء على وحمزة وحفص بالنصب على الحال من
الضمير في نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرا الاعمش ومماتهم
بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج اي سواء في محياهم وفي
مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيؤون والمحسنون محيا وان يستووا
مماتا لافتراق احوالهم احيا حيث عاش هولاء على القيام بالطاعة واولئك
على اقتراف السيات ومماتا حيث مات هولاء على البشرى بالرحمة والكرامة
واولئك على الياس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار ان يستووا في الحياة
في الرزق والصحة وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة
عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويردد الى الصباح وعن الفضيل انه
بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري اي الفريقين انت
ساء ما يحكمون بيس ما يقضون اذ حسبوا انهم كالمومنين فليس من اقعد
على بساط الموافقة كمن اقعد في مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلي المومنين
ونخزي الكافرين وخلق الله السموات والارض بالحق ليدل على قدرته
ولتجزى معطوف على هذا المعلل المحذوف كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون
افرايت من اتخذ الهه هواه اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه
فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه واضله الله على علم منه باختياره الضلال او

انشا

انشاء فيه فعل الضلال على علم منه بذلك وختم على سمعه فلا يقبل وعظا وقلبه
فلا يعتقد حقا وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلى فمن يهديه من
بعد الله من بعد اضلال الله اياه افلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص
وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله في مخالفته فنعم ما قال

• اذا طالبتك النفس يوما بشهوة • وكان اليها للخلاف طريق •
• فدعها وخالف ما هويت فانما • هواك عدو والخلاف صديق •

وقالوا ما هي اي ما الحياة لانهم وعدوا حياة ثانية الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها
نموت ونحيى نموت نحن ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون
مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحياة
يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا
كلام من يقول بالتناسخ اي يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيى به
وما يهلكنا الا الدهر كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك
الانفس ينكرون ملك الموت وقبضه الارواح باذن الله وكانوا يضيفون
كل حادثة الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه
قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاتي
بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وما يقولون ذلك عن
علم ويقين ولكن عن ظن وتخمين واذا تتلى عليهم اياتنا اي القران يعني ما فيه
من ذكر البعث بينات ما كان حجتهم وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه في
زعمهم حجة الا ان قالوا ائتوا باباينا اي احيوهم ان كنتم صادقين في دعوى
البعث وحجتهم خبر كان واسمها ان قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم
ائتوا باباينا وقرئ حجتهم بالرفع على انه اسم كان وان قالوا الخبر قل الله
يحييكم في الدنيا ثم يميتكم فيها عند انتهاء اعماركم ثم يجمعكم الى يوم القيامة
اي يبعثكم يوم القيمة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان
باباءكم ضرورة لا ريب فيه اي في الجمع ولكن اكثر الناس لا يعلمون قدرة الله
على البعث لاعراضهم عن التفكر في الدلايل ولله ملك السموات والارض ويوم
تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ
بدل من يوم تقوم وترى كل امة جاثية جالسة على الركب يقال جثا فلان
يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة كل امة بالرفع على الابتدا
كل يعقوب على الابدال من كل امة تدعى الى كتابها الى صحايف اعمالها
فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا هذا
كتابنا اضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان اعمالهم مثبتة فيه
والى الله تعالى لانه مالكه والامر ملايكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق
عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون نستكتب الملايكة اعمالكم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم جنته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن اياتي

[illegible]

تتلى عليكم والمعنى الم تاتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه
فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين كافرين واذا قيل ان وعد الله حق
والساعة بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة حمزة عطف على وعد الله
لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة اي شي الساعة ان نظن الا ظنا اصله نظن
ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفي والاستثنا ليفاد
اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن
بمستيقنين وبدا لهم ظهر لهولاء الكفار سيات ما عملوا قبايح اعمالهم او عقوبات
اعمالهم السيات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
ونزل بهم جزاء استهزايهم وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقا يومكم هذا اي نترككم
في العذاب كما تركتم عدة لقا يومكم وهي الطاعة واضافة اللقاء الى اليوم
كاضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقا الله في يومكم هذا ولقا
جزايه وماواكم النار اي منزلكم وما لكم من ناصرين العذاب ذلكم بانكم بسبب انكم
اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون لا يخرجون
حمزة وعلي منها ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه فلله الحمد
رب السموات ورب الارض رب العالمين اي فاحمدوا الله الذي هو ربكم
ورب كل شي من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة
توجب الحمد والثنا على كل مربوب وله الكبريا في السموات والارض وكبروه
فقد ظهرت اثار كبريايه وعظمته في السموات والارض وهو العزيز في انتقامه
الحكيم في احكامه والله اعلم سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلاثون اية
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق ملتبسا بالحكمة واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي
اليه وهو يوم القيامة والذين كفروا عما انذروا عما انذروه من هول ذلك اليوم
الذي لا بد لكل مخلوق من انتهايه اليه معرضون لا يومنون به ولا يهتمون
بالاستعداد له ويجوز ان يكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم قل ارايتم
اخبروني ما تدعون من دون الله تعبدونه من الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض
اي شي خلقوا مما في الارض ان كانوا الهة ام لهم شرك في السموات شركة مع الله
في خلق السموات والارض ايتوني بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب
وهو القران يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من
كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فاتوا بكتاب
واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم
او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين ان كنتم صادقين ان الله امركم
بعبادة الاوثان ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة
وهم عن دعايهم غافلون اي ابدا واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا اي الاصنام
لعبدتها وكانوا اي الاصنام بعبادتهم بعبادة عبدتهم كافرين يقولون
ما دعوناهم الى عبادتنا ومعنى الاستفهام في من اضل انكار ان يكونوا في الضلال

كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون عبادة السميع المجيب
القادر على كل شي ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على
استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيمة
وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على
نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الاخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم
ولما اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم
ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها
ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم
ويوم القيمة يكفرون بشرككم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات جمع بينة وهي
الحجة والشاهد او واضحات مبينات قال الذين كفروا للحق المراد بالحق
الايات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل
عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاهم اي بادوه بالجحود ساعة اتاهم واول
ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر هذا سحر مبين ظاهر امره في البطلان
لا شبهة فيه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا الى ذكر
قولهم ان محمدا افتراه اي اختلقه واضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمراد
به الايات قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيا اي ان افتريته فلا تقدرون
على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شي من عقابه فكيف افتريه واتعرض
لعقابه هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن
في اياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد
لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة
وعيد بجزا افاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن
الكفر وامنوا قل ما كنت بدعا من الرسل اي بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى
اني لست باول مرسل فتنكروا نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي ما
يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبي قال له اصحابه وقد
ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا
بكم اأترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه
ذات نخل وشجر وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون
استفهامية مرفوعة وانما دخل لا في قوله ولا بكم مع ان يفعل مثبت غير
منفي لتناول النفي في ما ادري ما وما في حيزه ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا
الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند عير الله وشهد شاهد من بني اسرايل
هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الاية مدنية لان اسلام ابن
سلام بالمدينة روي انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر
الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له اني سايلك عن ثلاث لا يعلمهن
الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة وما بال الولد
ينزع الى ابيه او الى امه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط

الساعة فنار تحشرهم من المشرق الي المغرب وما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة
كبد حوت واما الولد فاذا اسبق ما الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال
اشهد انك رسول الله حقا **على مثله** الضمير للقران اي مثله في المعنى وهو ما في
التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القران من التوحيد والوعد والوعيد وغير
ذلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على
نحو ذلك يعني كونه من عند الله **فامن** الشاهد **واستكبرتم** عن الايمان به
وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القران من عند الله وكفرتم به الستم
ظالمين ويدل على هذا المحذوف **والله لا يهدي القوم الظالمين** والواو الاولي
عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على
شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من
بني اسرايل على مثله فامن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم
به والمعنى قل اخبروني اذا اجتمع كون القران من عند الله مع كفركم به واجتمع
شهادة اعلم بني اسرايل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن
الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم **وقال الذين كفروا للذين امنوا** اي لاجلهم
وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقرا مثل
عمار وصهيب وابن مسعود **لو كان خيرا ما سبقونا اليه** لو كان ما جاء به
محمد خيرا ما سبقنا اليه هولاء **واذ لم يهتدوا به** العامل في اذ محذوف لدلالة
الكلام عليه تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله **فسيقولون هذا افك قديم**
مسبب عنه وقولهم افك قديم اي كذب متقادم كقولهم اساطير الاولين
ومن قبله اي القران **كتاب موسى** اي التوراة وهو مبتدا ومن قبله ظرف واقع
خبرا مقدما عليه وهو ناصب **اماما** على الحال نحو في الدار زيد قايما ومعنى اماما
قدوة يوتم به في دين الله وشرايعه كما يوتم بالامام **ورحمة** لمن امن به وعمل
بما فيه **وهذا** القران **كتاب مصدق** لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع
الكتب **لسانا عربيا** حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق او من
كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز ان يكون مفعولا لمصدق
اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول **لينذر** اي الكتاب لتنذر حجازي وشامي
الذين ظلموا كفروا **وبشرى** في محل النصب معطوف على محل لتنذر لانه
مفعول له **للمحسنين** المومنين المطيعين **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**
على توحيد الله وشريعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **فلا خوف عليهم** في القيمة
ولا هم يحزنون عند الموت **اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها** حال من
اصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة الذي دل عليه اولئك **جزاء بما كانوا
يعملون** جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء **ووصينا الانسان
بوالديه احسانا** كوفي اي وصيناه بان يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم
اي وصيناه بوالديه امرا ذا حسن اي بامر ذي حسن فهو في موضع البدل
من قوله بوالديه وهو بدل الاشتمال **حملته امه كرها ووضعته كرها** وبفتح

الكافيئ حجازي وابو عمرو وهما لغتان في معنى المشقة وانتصابه على الحال
اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره **وحمله وفصاله** ومدة حمله
وفطامه **ثلاثون شهرا** وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر
لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت للحمل
ستة اشهر وبه قال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفة رضي
الله عنه المراد به الحمل بالاكف وفصله يعقوب والفصل والفصال كالفطم
والفطام بناء ومعنى **حتى اذا بلغ اشده** هو جمع لا واحد له من لفظه وكان
سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي
يستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين
وعن قتادة ثلاث وثلاث سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد
وغايته الاربعون **وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي
انعمت علي وعلى والدي** المراد نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري
النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه **وان اعمل صالحا ترضاه** قيل
هي الصلوات الخمس **واصلح لي في ذريتي** اي اجعل ذريتي موقعا للصلاح
ومظنة له **اني تبت اليك** من كل ذنب **واني من المسلمين** المخلصين **اولئك الذين
يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم** حمزة وعلي وحفص يتقبل
ويتجاوز احسن غيرهم **في اصحاب الجنة** هو كقولك اكرمني الامير في ناس
من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب
على الحال على معنى كاينين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم **وعد الصدق**
مصدر موكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير
وفي اولاده واستجابة دعايه فيهم فانه امن بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن اربعين سنة ولم يكن احد
من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته
غير ابي بكر رضي الله عنه **الذين كانوا يوعدون** في الدنيا **والذي قال لوالديه**
مبتدا خبره اولئك الذين حق عليهم القول ولذلك وقع الخبر مجموعا
وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت في
عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قبل اسلامه ويشهد لبطلانه كتاب
معاوية الى مروان ليامر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن ابي بكر
لقد جيتم بها هرقلية اتبايعون لابنايكم فقال مروان يا ايها الناس
هذا الذي قال الله تعالى فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عايشة
رضي الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شيت ان اسميه لسميته
ولكن الله تعالى لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله **اف
لكما** مدني وحفص اف مكي وشامي اف غيرهم وهو صوت اذا صوت به
الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان

اي هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما اتعدانني ان اخرج ان ابعث
واخرج من الارض وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما ابواه
يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله
ويقولان له ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان
لا حقيقة الهلاك آمن بالله وبالبعث ان وعد الله بالبعث حق صدق
فيقول لهما ما هذا القول الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول
اي لاملأن جهنم في امم في جملة امم قد خلت قد مضت من قبلهم من الجن والانس
انهم كانوا خاسرين ولكل من الجنسين المذكورين الابرار والفجار درجات مما عملوا
اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما
وقيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب
وليوفيهم اعمالهم بالياء مكي وبصري وعاصم وهم لا يظلمون اي وليوفيهم اعمالهم
ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات
والعقاب دركات واللام متعلقة بمحذوف ويوم يعرض الذين كفروا على النار
عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرضوا بنوا فلان على السيف اذا
قتلوا به وقيل عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون
عرض الحوض عليها فقلبوا اذهبتم اي يقال لهم وهو ناصب الظرف طيباتكم
في حياتكم الدنيا اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في
دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها
وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني
استبقي طيباتي واستمتعتم بها بالطيبات فاليوم تجزون عذاب الهون
اي الهوان وقرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض تتكبرون بغير الحق
وبما كنتم تفسقون اي باستكباركم وفسقكم واذكر اخا عاد اي هودا اذ
انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء
من احقوقف الشيء اذا اعوج عن ابن عباس رضي الله عنهما هو واد بين عمان
ومهرة وقد خلت النذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه
ومن خلفه من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه
ومن خلفه وقع اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك
والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك
قالوا اي قوم هود اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا فالافك الصرف يقال افكه
عن رايه عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من معاجلة العذاب
على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم بوقت مجيء العذاب
عند الله ولا علم لي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم وابلغكم ما ارسلت به
اليكم وبالتخفيف ابو عمرو اي هو من شأني ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار
والتخويف ولكني اراكم قوما تجهلون اي ولكنكم جاهلون لا تعلمون

ان الرسل

ان الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا شيء يليق غير ما اذن لهم فيه فلما رأوه
الضمير يرجع الى ما تعدنا او هو مبهم وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا او حالا
والعارض السحاب الذي يعرض في افق من السما مستقبل اوديتهم قالوا
هذا عارض ممطرنا روي ان المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة قد استقبلت
اوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر واظهروا لذلك فرحا واضافة
مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعها وهما مضافان الى معرفتين
وصفا للنكرة بل هو اي قالوا بل هو ويدل عليه قراءة من قرا قال هود بل
هو ما استعجلتم به من العذاب ثم فسره فقال ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء
تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية بامر ربها
رب الريح فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم عاصم وحمزة وخلف اي لا يرى الا مساكنهم
غيرهم لا ترى الا مساكنهم والخطاب للرائي من كان كذلك نجزي القوم المجرمين
اي مثل ذلك نجزي من اجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركي العرب عن
ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح
الا ما تلذ الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السما والارض وتدمغهم
بالحجارة ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية اي فيما مكناكم فيه الا ان ان
احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع الا ترى ان
الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف ها وقد جعلت ان صلة
وتأول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول لقوله تعالى
هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وما بمعنى الذي
او نكرة موصوفة وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة اي الات الدرك
والفهم فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اي من شيء من
الاغناء وهو القليل منه اذ كانوا يجحدون بايات الله اذ نصب بقوله
فما اغنى وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك
ضربته لاساءته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما
ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف
في ذلك وحاق بهم ونزل بهم ما كانوا به يستهزئون جزاء استهزائهم وهذا
تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة
من القرى نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد اهل القرى ولذلك قال
وصرفنا الايات لعلهم يرجعون اي كررنا عليهم الحجج وانواع العبر لعلهم
يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا فلولا فهلا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا الهة القربان ما تقرب به الى الله تعالى اي اتخذوهم
شفعاء حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذ الراجع
الى الذين محذوف اي اتخذوهم والثاني الهة وقربانا حال بل ضلوا عنهم
غابوا عن نصرتهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون وذلك اشارة الى امتناع
نصرة الهتهم وضلالهم عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها

الهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب واذ صرفنا اليك نفرا املناهم
اليك واقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة من الجن جن نصيبين
يستمعون القران منه عليه السلام فلما حضروه اي الرسول صلى الله
عليه وسلم او القران اي كانوا منه بحيث يسمعون قالوا اي قال بعضهم
لبعض انصتوا اسكتوا مستمعين روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما
حرست السما ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنهض سبعة نفر
او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا
تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلاة الفجر فاستمعوا القراءة وعن سعيد
بن جبير ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم وانما كان
يتلوا في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانباه الله تعالى
باستماعهم وقيل بل الله امر رسوله ان ينذر الجن ويقرا عليهم فصرف اليه
نفرا منهم فقال اني امرت ان اقرا على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا
فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضر ليلة الجن احد غيري فانطلقنا
حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج منه
حتى اعود اليك ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا انفك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيا قلت نعم رجالا سودا
فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم
اقرا باسم ربك فلما قضي اي فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة
ولوا الى قومهم منذرين اياهم قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى مصدقا لما بين يديه من الكتب
يهدي الى الحق الى الله والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله اي محمدا صلى
الله عليه وسلم وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم قال ابو حنيفة
رضي الله عنه لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الاية وقال مالك
وابن ابي ليلى وابو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن
الضحاك انهم يدخلون الجنة وياكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه
مهرب وليس له من دونه اوليا اولئك في ضلال مبين اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض ولم يعي بخلقهن هو كقوله وما مسنا من لغوب ويقال عييت
بالامر اذا لم يعرف وجهه بقادر محله الرفع لانه خبر يدل عليه قراءة عبد الله
قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الاية على ان وما في حيزها
وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل اليس الله
بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره
لا لرؤيتهم على ان يحيي الموتى بلى هو جواب للنفي انه على كل شيء قدير ويوم يعرض

الذين كفروا على النار يقال لهم اليس هذا بالحق وناصب الظرف القول
المضمر وهذا اشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بكفركم في الدنيا فاصبر كما صبر اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر من الرسل
من للتبعيض والمراد باولي العزم ما ذكر في الاحزاب واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ويونس ليس
منهم بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا ادم لقوله ولم نجد له عزما وللبيان
فيكون اولوا العزم صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لهم للكفار قريش بالعذاب
اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر كانهم يوم يرون ما
يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار اي انهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا
حتى يحسبوها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ اي هذا الذي وعظتم به كفاية
في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك هلاك عذاب والمعنى
فلن يهلك بعذاب الله الا القوم الفاسقون اي المشركون الخارجون عن
الاتعاظ به والعمل بموجبه والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القتال ثمان وثلاثون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا
وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال الجوهري صد
عنه يصد صدودا اعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه وهم
المطعمون يوم بدر او اهل الكتاب او عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم
ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها
ويثيب عليها كالضالة من الابل واعمالهم ما عملوه في كفرهم من صلة
الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام او ما عملوه من الكيد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله والذين امنوا وعملوا
الصالحات هم ناس من قريش او من الانصار او من اهل الكتاب او عام وامنوا بما
نزل على محمد وهو القران وتخصيص الايمان بالمنزل على رسوله من بين ما
يجب الايمان به لتعظيم شانه واكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهي قوله
وهو الحق من ربهم اي القران وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ
وهو ناسخ لغيره كفر عنهم سياتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كانت
منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم
وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة
والتاييد ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم
ذلك مبتدا وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين
وتكفير سيئات الثاني والاصلاح كائن بسبب اتباع هولاء الباطل وهو
الشيطان وهولاء الحق وهو القران كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله
اي يبين الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين
من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد

جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او جعل
الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيات مثلا لفوز الابرار فاذا لقيتم
الذين كفروا من اللقا وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب
ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه
اختصار مع اعطا معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة
التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة
دون غيرها من الاعضا ولان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع
عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم فيهم القتل
فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى
فشدوا وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا منكم فاما منا بعد اي بعد ان تاسروهم
واما فداء منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون منا او تفدون
فداء والمعنى التخيير بين الامرين بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم
وبين ان يفادوهم وحكم اسارى المشركين عندنا القتل او الاسترقاق
والمن والفداء المذكور في الاية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براة
من اخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء او المراد بالمن ان يمن
عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفدا
ان يفادي باساراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن
ابي حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور انه لا يرى فداهم لا بمال ولا
بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعي رحمه الله للامام ان يختار
احد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين
والمن حتى تضع الحرب اوزارها اثقالها والاتها التي لا تقوم الا بها كالسلاح
والكراع وقيل اوزارها اثامها يعني حتى تترك اهل الحرب وهم المشركون
شركهم بان يسلموا وحتى لا تخلوا من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن
والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون
على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة
وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا علق
بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب
الاوزار وذلك حين لا يبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفدا
فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول
المن والفدا بما ذكرنا من التاويل ذلك اي الامر ذلك فهو مبتدا وخبر او
افعلوا بهم ذلك فهو في محل النصب ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم
بغير قتال ببعض اسباب الهلاك كالخسف او الرجفة او غير ذلك ولكن
امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض اي المؤمنين بالكافرين تمحيصا
للمؤمنين وتمحيقا للكافرين والذين قتلوا بصري وحفص قاتلوا غيرهم
في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم الى طريق الجنة او الى الصواب

في جواب

في جواب منكر ونكير ويصلح بالهم يرضي خصماءهم ويقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم
عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا الى ان يسالوا او طيبها لهم من
العرف وهو طيب الرائحة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اي دين الله ورسوله
ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او محجة الاسلام
والذين كفروا في موضع رفع بالابتدا والخبر فتعسا لهم وعطف قوله واضل اعمالهم
على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم والتعس العثور وعن
ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الاخرة التردي في النار ذلك
اي التعس والضلال بانهم كرهوا ما انزل الله اي القران فاحبط اعمالهم افلم يسيروا
في الارض يعني كفار امتك فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم اهلكهم
هلاك استيصال وللكافرين مشركي قريش امثالها امثال تلك الهلكة لان
التدمير يدل عليها ذلك اي نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين بان الله مولى الذين
امنوا وليهم وناصرهم وان الكافرين لا مولى لهم اي لا ناصر لهم فالله مولى العباد
جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم ومولى المومنين خاصة من جهة
النصرة ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين
كفروا يتمتعون بمتاع الحياة الدنيا اياما قلائل ويأكلون كما تاكل الانعام
في معالفها ومسارحها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم
منزل ومقام وكاين من قرية اي وكم من قرية للتكثير واراد بالقرية اهلها
ولذلك قال اهلكناهم هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اي وكم من قوم اشد
قوة من قومك الذين اخرجوك اي كانوا سبب خروجك اهلكناهم فلا ناصر لهم
اي فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم افمن كان على بينة من ربه اي
على حجة من عنده وبرهان وهو القران المعجز وسائر المعجزات يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم كمن زين له سوء عمله هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان
شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله واتبعوا اهواءهم للحمل على لفظ من
ومعناه مثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان التي وعد المتقون عن الشرك
فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار
او حال اي مستقرة فيها انهار من ماء غير اسن غير متغير اللون والريح والطعم
يقال اسن الماء اذا تغير طعمه وريحه اسن مكي وانهار من لبن لم يتغير طعمه
كما تتغير البان الدنيا الى الحموضة وغيرها وانهار من خمر لذة تانيث لذ وهو اللذيذ
للشاربين اي ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا
صداع ولا افة من افات الخمر وانهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه
الشمع وغيره ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم مثل مبتدا خبره كمن هو خالد في النار
وسقوا ماء حميما حارا في النهاية فقطع امعاءهم والتقدير امثل الجنة كمثل جزاء من
هو خالد في النار وهو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي لانطوائه تحت كلام
مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن
زين له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوي

كفروا فتعسا

بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة
التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ومنهم من يستمع
اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا هم المنافقون
كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه
ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال
الساعة على جهة الاستهزاء اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا
بالايمان واستماع القرآن زادهم الله هدى علما وبصيرة او شرح صدور وآتاهم تقواهم
اعانهم عليها او آتاهم جزاء تقواهم او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة
اي ينتظرون ان تاتيهم اي اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة بغتة فجاة
فقد جاء اشراطها علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق
القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم قال الاخفش التقدير فانى لهم ذكراهم اذا جاءتهم فاعلم انه ان الشان
لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والمعنى فاثبت على ما انت
عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك
وذنوب من على دينك وفي شرح التأويلات جاز ان يكون له ذنب يأمره بالاستغفار
له ولكنا لا نعلمه غير ان ذنب الانبياء ترك الافضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا
مباشرة القبيح من الصغائر والكبائر وقيل الفائدة في هذه الآيات لعطف جملة على
جملة بينهما انفصال والله يعلم متقلبكم في معايشكم ومتاجركم ومثواكم ويعلم حيث
تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور او متقلبكم في اعمالكم
ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر وسئل سفيان
بن عيينة عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك فامر بالعمل بعد العلم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فيها ذكر الجهاد
فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا
وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لان النسخ
لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ
الى يوم القيامة وذكر فيها القتال اي امر فيها بالجهاد رايت الذين في قلوبهم مرض
نفاق اي رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها ينظرون اليك نظر المغشي عليه من
الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت
فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء
عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي طاعة وقول
معروف خير لهم فاذا عزم الامر فاذا جد الامر ولزمهم فرض القتال فلو صدقوا الله
في الايمان والطاعة لكان الصدق خيرا لهم من كراهة القتال ثم التفت من
الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم فلعلكم ان اعرضتم عن دين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد

في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا
ووأد البنات وخبر عسى ان تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير
فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ان توليتم اولئك اشارة
الى المذكورين الذين لعنهم الله ابعدهم عن رحمته فاصمهم عن استماع الموعظة
واعمى ابصارهم عن ابصارهم طريق الهدى افلا يتدبرون القرآن فيعرفون ما فيه
من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ام على
قلوب اقفالها بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل
اليها ذكر وتنكير القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك
والمراد بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واضيفت الاقفال الى القلوب
لان المراد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح نحو
الرين والختم والطبع ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى اي
المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم الشيطان سول لهم جملة
من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان نحو ان زيدا عمرو مر به واملى لهم ومد لهم في الآمال
والاماني وأملي ابو عمرو اي امهلوا ومد في عمرهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله
اي المنافقون قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الامر اي عداوة محمد والقعود عن
نصرته والله يعلم اسرارهم على المصدر من اسر حمزة وعلي وحفص اسرارهم غيرهم
جمع سر فكيف اذا توفتهم الملائكة اي فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ يضربون
وجوههم وادبارهم عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا يضرب
من الملائكة في وجهه ودبره ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم بسبب
انهم اتبعوا ما اسخط الله من معاونة الكافرين وكرهوا رضوانه من نصرة
المؤمنين فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم
احقادهم والمعنى اظن المنافقون ان الله تعالى لا يبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين
ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم
وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية احد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم
ولتعرفنهم في لحن القول في نحوه واسلوبه الحسن في فحوى كلامهم لانهم لا يقدرون
على كتمان ما في انفسهم واللام في فلعرفتهم داخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم
كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم
محذوف والله يعلم اعمالكم ليكون ابلغ في اظهار العدل حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين على الجهاد اي نعلم كائنا ما علمناه انه سيكون ونبلو اخباركم اسراركم
وليبلونكم حتى يعلم ونبلو ابو بكر وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال
اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوا يعني المطعمين يوم بدر
وقد مر من بعد ما تبين لهم الهدى التي عملوها من بعد ما ظهر لهم انه الحق
وعرفوا الرسول لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم التي عملوها في مشاقته

الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بالنفاق او بالرياء ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل هم اصحاب القليب والظاهر
العموم فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا الى العدو وتدعوا الى السلم وبالكسر حمزة
وابو بكر وهما المسالمة اي ولا تدعوا الكفار الى الصلح وانتم الاعلون اي الاغلبون
وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي والله معكم بالنصرة اي ناصركم ولن يتركم اعمالكم
ولن ينقصكم اجر اعمالكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو ينقطع في اسرع مدة وان تؤمنوا
بالله ورسوله وتتقوا الشرك يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسالكم
اموالكم اي لا يسالكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله او الرسول وقال سفيان
بن عيينة غيضا من فيض ان يسالكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفا
المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسالة اذا لم يترك شيئا من
الالحاح واحفا شاربه اذا استاصله تبخلوا ويخرج اي الله او البخل اضغانكم
عند الامتناع او عند سؤال الجميع لان عند مسالة المال تظهر العداوة والحقد
ها انتم ها للتنبيه هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون اي انتم الذين
تدعون لتنفقوا في سبيل الله هي النفقة في الغزو او الزكاة كانه قيل الدليل عليه
انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطا انكم تدعون الى ربع العشر فمنكم من يبخل بالربع
لان من هذه ليست للشرط اي فمنكم ناس يبخلون به ومن يبخل بالصدقة واداء
الفريضة فانما يبخل عن نفسه اي يبخل عن داعي نفسه لا عن داعي ربه وقيل يبخل
على نفسه يقال بخلت عليه وعنه والله الغني وانتم الفقراء اي انه لا يامر بذلك
لحاجته اليه لانه غني عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب وان تتولوا
وان تعرضوا ايها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والانفاق في سبيله وهو
معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم يخلق قوما خيرا منكم واطوع
وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى
جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا
بالثريا لناله رجال من فارس ثم لا يكونوا امثالكم اي ثم لم يكونوا في الطاعة
امثالكم بل اطوع منكم والله اعلم سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون اية
بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا الفتح الظفر
بالبلدة عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه مغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به
فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي لانها في تحققها بمنزلة
الكائنة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر به وهو الفتح ما لا يخفى
وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام
وحجارة فرموا المسلمون المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وسالوا الصلح فكان
فتحا مبينا وقال الزجاج كان في فتح الحديبية اية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها
ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في البئر

فدرت

فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا
لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا
بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة ليغفر لك الله قيل الفتح ليس بسبب
للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا
جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز ان يكون فتح
مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل
لاتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عد عليه هذه
النعم وصلها بما هو اعظم النعم كانه قيل يسرنا لك فتح مكة او كذا ليجمع لك
بين عز الدارين واغراض العاجل والاجل ما تقدم من ذنبك وما تاخر يريد
جميع ما فرط منك او ما تقدم من حديث مارية وما تاخر من امراة زيد ويتم
نعمته عليك باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك ويهديك صراطا مستقيما ويثبتك
على الدين المرضي وينصرك الله نصرا عزيزا قويا منيعا لا ذل بعده ابدا هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم السكينة للسكون
كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمانينة بسبب الصلح
ليزدادوا ايقانا الى يقينهم وقيل السكينة الصبر على ما امر الله والثقة
بوعد الله والتعظيم لامر الله ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما
حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات
اي ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته
ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم
وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنين نعمة الله ويشكروها فيثيبهم ويعذب
الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه الظانين بالله ظن السوء
وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده يقال فعل سوء اي مسخوط
فاسد والمراد ظنهم ان الله لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة
ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء مكي وابو عمرو اي ما يظنونه
ويتربصونه للمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار
وغيرهما دائرة السوء بالفتح اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها والسوء
والسوء كالكره والكره والضعف والضعف الا ان المفتوح غلب في ان
يضاف اليه ما يراد ذمه في كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض
الخير وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا جهنم ولله جنود
السموات والارض فيدفع كيد من عادى نبيه والمؤمنين بما شاء منها وكان الله
عزيزا غالبا فلا يرد باسه حكيما فيما دبر انا ارسلناك شاهدا تشهد على امتك
يوم القيامة وهذه حال مقدرة ومبشرا للمؤمنين بالجنة ونذيرا للكافرين من
النار لتؤمنوا بالله ورسوله والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولامته وتعزروه وتوقروه وتقووه بالنصر وتوقروه وتعظموه وتسبحوه

والمشركين والمشركات

من التسبيح او من السبحة والضماير لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه
ورسوله ومن فرق الضماير فجعل الاولين للنبي صلى الله عليه وسلم فقد
ابعد ليؤمنوا مكي وابو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الاخيرة بالياء عندهما
بكرة صلاة الفجر واصيلا الصلوات الاربع ان الذين يبايعونك اي بيعة
الرضوان ولما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال
يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله
والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد
الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع
الرسول فقد اطاع الله وانما يبايعون الله خبر ان فمن نكث نقض العهد
ولم يف بالبيعة فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر
بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت
وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبا
تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم ومن اوفى بما عاهد يقال وفيت بالعهد
واوفيت به ومنه قوله اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم عليه الله حفص
فسيؤتيه وبالنون حجازي وشامي اجرا عظيما الجنة سيقول لك اذا
رجعت من الحديبية المخلفون من الاعراب هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم
اعراب غفار ومزينة وجهينة واسلم واشجع والديل وذلك انه عليه السلام
حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب
واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن
البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا
فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم غزوه في عقر داره بالمدينة
وقتلوا اصحابه فنقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة شغلتنا
اموالنا واهلونا هي جمع اهل اعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه
ليس لهم من يقوم باشغالهم فاستغفر لنا ليغفر لنا الله تخلفنا عنك
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي
خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق فطلبهم الاستغفار
ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيا فمن يمنعكم من
مشية الله وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة ضرا حمزة وعلي
او اراد بكم نفعا من غنيمة وظفر بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان
لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم زينه
الشيطان وظننتم ظن السوء من علو الكفر وظهور الفساد وكنتم قوما بورا
جمع باير كعائذ وعوذ من بار الشيء هلك وفسد اي وكنتم قوما فاسدين
في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستحقين
لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين اي لهم
فاقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله

وبرسوله

وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك
السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يغفر ويعذب
بمشيته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين وكان الله
غفورا رحيما سبقت رحمته غضبه سيقول المخلفون الذين تخلفوا
عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم الى غنائم خيبر لتاخذوها ذرونا نتبعكم
يريدون ان يبدلوا كلام الله كلم الله حمزة وعلي اي يريدون ان يغيروا
موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة
مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيا قل لن تتبعونا اي لا تتبعونا
وهو اخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه كذلكم قال الله من قبل
من قبل انصرافهم الى المدينة ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم
فسيقولون بل تحسدوننا اي لم يامركم الله به بل تحسدوننا ان نشارككم في
الغنيمة بل كانوا لا يفقهون من كلام الله الا قليلا الا شيا قليلا يعني مجرد القول
والفرق بين الاضرابين ان الاول رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات
الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم
بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الاعراب هم الذين
تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم اولي باس شديد يعني بني حنيفة
قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر رضي الله عنه لان مشركي
العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف وقيل هم
فارس وقد دعاهم عمر رضي الله عنه تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد
الامرين اما المقاتلة او الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التاويل ينقادون
لان فارس مجوس يقبل منهم الجزية وفي الاية دلالة صحة خلافة الشيخين
حيث دعاهم الثواب على طاعة الداعي عند دعوته بقوله فان تطيعوا من
دعاكم الى قتاله يؤتكم الله اجرا حسنا فوجب ان يكون الداعي مفترض الطاعة
وان تتولوا كما توليتم من قبل اي عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما في الاخرة
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على نفى الحرج عن ذوي العاهات
في التخلف عن الغزو ومن يطع الله ورسوله في الجهاد وغيره لك يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعرض عن الطاعة يعذبه عذابا اليما
ندخله ونعذبه مدني وشامي لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
هي بيعة الرضوان سميت بهذه الاية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين نزل بالحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى مكة فهموا
به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال اني اخافهم على
نفسي لما عرف من عداوتي اياهم فبعث عثمان فخبرهم انه لم يات لحرب
وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى
البيعة فبايعوه على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة

المريض حرج

وكان عدد المبايعين الفا واربع مائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضماير فيما بايعوه عليه فانزل السكينة عليهم اي الطمانينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم واثابهم وجازاهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم وكان الله عزيزا فلا يغالب حكيما فيما يحكم به فلا يعارض وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها هي ما اصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيمة فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة اية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله عز وجل بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى هي مغانم هوازن في غزوة حنين لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اي قدر عليها واستولى واظهركم عليها ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط الله بها خبر المبتدا وكان الله على كل شيء قديرا قادرا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا او من حلفاء اهل خيبر لولوا الادبار لغلبوا وانهزموا ثم لا يجدون وليا يلي امرهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم اي ايدي اهل مكة وايديكم عنهم عن اهل مكة يعني قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت ببطن مكة اي بمكة او بالحديبية لان بعضها منسوب الى الحرم من بعد ان اظفركم عليهم اي اقدركم وسلطكم وكان الله بما تعملون بصيرا وبالياء ابو عمرو هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي هو ما يهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم في صدوكم وصدوا الهدي معكوفا ان يبلغ محبوسا ان يبلغ ومعكوفا حال وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة محله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل على ان المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات بمكة لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا

ان تطوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم معرة اثم وشدة وهي مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطا وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر بغير علم متعلق بان تطوهم يعني ان تطؤهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وقوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لما دلت عليه الاية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز المسلمون من المشركين وجواب لولا محذوف اغنى عنه جواب لو ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا الذين كفروا هو الجواب تقديره ولولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف منهم من اهل مكة عذابا اليما والعامل في اذ جعل الذين كفروا اي ترس لعذبنا اي لعذبناهم في ذلك الوقت او اذكر في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين المراد بحمية الذين كفروا وهي الانفة وسكينة المؤمنين وهي الوقار ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعرف انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى للجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وكانوا اي المؤمنون احق بها من غيرهم واهلها بتاهيل الله اياهم وكان الله بكل شيء عليما فيجري الامور على مصالحها لقد صدق الله رسوله الرؤيا اي صدقه في

في رؤياه ولم يكذب تعالى الله عن الكذب فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا
ما عاهدوا الله عليه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى قبل خروجه الى
الحديبية كانه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا
على اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي واصحابه والله
ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت بالحق متعلق بصدق
اي صدقه فيما راى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالحكمة
البالغة وذلك لما فيه من الابتلا والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من
في قلبه مرض ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل
او بالحق الذي هو من اسمائه وجوابه لتدخلن المسجد الحرام وعلى الاول
هو جواب قسم محذوف ان شاء الله حكاية من الله تعالى قول رسوله لاصحابه
وقصه عليهم او تعليم لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متادبين بادب
الله ومقتدين بسنته آمنين حال والشرط معترض محلقين حال من
الضمير في آمنين رؤوسكم اي جميع رؤوسها ومقصرين بعض شعورها لا تخافون
حال موكدة فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل
فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر
لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود هو الذي ارسل
رسوله بالهدى بالتوحيد ودين الحق اي الاسلام ليظهره ليعليه على الدين كله
على دين الدين يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين واهل الكتاب
ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه
العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على
وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وكفى بالله شهيدا على
ان ما وعده كائن وعن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينه والتقدير
وكفاه الله شهيدا او شهيدا تمييز او حال محمد خبر مبتدا اي هو محمد
لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله او مبتدا خبره رسول الله وتقف عليه نصير
والذين معه اي اصحابه مبتدا والخبر اشداء على الكفار او محمد مبتدا
ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدا اشداء خبر عن
الجميع ومعناه غلاظ رحماء بينهم متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا
شديد ورحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم
على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم
ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه
وعانقه تراهم ركعا سجدا ساجدين يبتغون حال كما ان ركعا
وسجدا كذلك فضلا من الله ورضوانا سيماهم علامتهم في وجوههم من اثر السجود
اي من التاثير الذي يؤثره السجود وعن عطا استنارت وجوههم من طول
ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار

وذلك

ذلك المذكور مثلهم صفتهم في التوراة وعليه وقف ومثلهم في الانجيل مبتدا خبره
كزرع اخرج شطاه فراخه يقال اشطا الزرع اذا فرخ فآزره قواه فازره شامي
فاستغلظ فصار من الرقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه
جمع ساق يعجب الزراع يتعجبون من قوته وقيل مكتوب في الانجيل
سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وعن عكرمة اخرج شطاه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى
على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الاسلام وترقيه في الزيادة
الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله
تعالى بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما
يتولد منها حتى يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار تعليل لما دل عليه تشبيههم
بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لان الكفار اذا سمعوا بما
اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومن في منهم
للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي فاجتنبوا الرجس
الذي هو الاوثان وقولك انفق من الدراهم اي اجعل نفقتك هذا
الجنس وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبي صلى
الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون ان لو ثبتوا
على ما كانوا عليه في حياته والله اعلم سورة الحجرات ثماني عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا قدمه واقدمه
منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه
وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول او الفعل
وجاز ان لا يقصد مفعول والنهي متوجه الى النفس المتقدمة كقوله هو الذي
يحيي ويميت او هو من قدم بمعنى تقدم كوجه ومنه مقدمة الجيش وهي الجماعة
المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى التاءين في تتقدموا
بين يدي الله ورسوله حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين
المسامتتين يمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على
سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وفي
هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهو تصوير
الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء
على امثلة الكتاب والسنة ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن
حاله اي سرني حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا
المسلك وهذا تمهيد لما نقم منهم من رفع اصواتهم فوق صوته لان من فضله
الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص كان ادنى ما يجب له من التهيب

والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى
قبل الصلاة فنزلت وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعيدوا ذبحا
اخر وعن عائشة رضي الله عنها انها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك
واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها
ان الله سميع لما تقولون عليم بما تفعلون وحق مثله ان يتقى يا ايها الذين امنوا اعادة
النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا
يغفلوا عن تأملهم لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي اذا نطق ونطقتم فعليكم
ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث
يكون كلامه غالبا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم
لائحة وسابقته لديكم واضحة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي اذا
كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم
ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من
الهمس الذي يضاد الجهر او لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة
والتعظيم ولما نزلت هذه الاية ما كلم النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر الا
كاخي السرار وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما
كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه في محل
النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر
مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص
اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة ابهة
النبوة وجلالة مقدارها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه المفعول له
متعلق بمعنى النهي والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها
على تقدير حذف المضاف وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
ثم اشار ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون اصواتهم في مجلسه
تعظيما له اولئك مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وتم صلة الذين عند
قوله للتقوى واولئك مع خبره خبر ان والمعنى اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب
وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر
فوجدها مخلصة وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال
من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد لهم مغفرة واجر عظيم جملة اخرى قيل
نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الاية
بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير
خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف
الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره دالة
على غاية الاعتداد والارتضاء لفعل الخافضين اصواتهم وفيها تعريض لعظيم
ما ارتكب الرافعون اصواتهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات نزلت في وفد

بني تميم

بني تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الاقرع
بن حابس وعيينة بن حصن ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا
اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ فخرج والوراء الجهة
التي يواريها عنك الشخص بظلمة من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة
نشأت من ذلك المكان والحجرة القطعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي
فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهي
قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة
ومناداتهم من ورائها ولعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له او نادوه من وراء الحجرة
التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان
مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا
اكثرهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل ان يكون المراد
النفي العام اذ القلة تقع موقع النفي وورود الاية على النمط الذي وردت عليه فيه
ما لا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين
به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع
بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من اول السورة
الى اخر هذه الاية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بايجاب الامور التي تنمي الى الله
ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس
التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساطا للثاني ثم اثنى على الغاضين اصواتهم
ليدل على عظيم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله
صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على
فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من
المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ولو انهم صبروا اي ولو ثبت صبرهم ومحل انهم
صبروا رفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله
تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول
وهو النفس وقيل الصبر مر لا يتجرعه الا حر وقوله حتى تخرج اليهم يفيد انه لو خرج
ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان
الصبر خيرا لهم في دينهم والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق
غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
اجمعوا انها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينهم وبينه احنة في الجاهلية فلما شارف ديارهم
ركبوا مستقبلين اليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا اليه
الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والانباء كانه قال
اي فاسق جاءكم باي نبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا وتبينوا بيان الامر وانكشاف
الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب

الذي هو نوع منه وفي الاية دلالة قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا في خبره لسويت
بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة والفسوق الخروج من الشيء يقال
فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقشت البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها
ومن مقلوبه ايضا قفست الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل
في الخروج عن القصد بركوب الكبائر ونحو فتبينوا والتثبت والتبين متقاربان
وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ان تصيبوا قوما لئلا تصيبوا بجهالة حال يعني
جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين الندم
ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان
صحبة لها دوام واعلموا ان فيكم رسول الله فلا تكذبوا فان الله يخبره فينهتك ستر
الكاذب او فارجعوا اليه واطلبوا رايه ثم قال مستانفا لو يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم لوقعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم
كانوا يتصوّنون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين
استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب الله اليهم الايمان غايرت صفة المتقدم
ذكرهم وقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها
لما قبلها نفيا واثباتا وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر وهو تغطية نعم الله
وغمطها بالجحود والفسوق وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر والعصيان
وهو ترك الانقياد لما امر به الشارع اولئك هم الراشدون اي اولئك المستثنون
هم الراشدون يعني اصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة
على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة فضلا من الله ونعمة
الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والانتصاب على المفعول له اي حبب
وكره للفضل والنعمة والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل
حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافاضل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار
وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد
اذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحه والله ان بول حماره لاطيب من مسكك
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا
وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال
والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وجمع
اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثنى فاصلحوا
بينهما نظرا الى اللفظ فان بغت احداهما على الاخرى البغي الاستطالة والظلم واباء
الصلح فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة
لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين
وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب

ايديهما تركت الى امر الله المذكور في كتابه من الصلح وزوال الشحناء فان فاءت
عن البغي الى امر الله فاصلحوا بينهما بالعدل بالانصاف واقسطوا واعدلوا وهو
امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين
ان الله يحب المقسطين العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه
اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط وهو الجور انما المؤمنون اخوة فاصلحوا
بين اخويكم هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة
من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب
اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب
مثل ذلك بين الاخوين ولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته
بالصلح بينهما فالاخوة في الدين احق بذلك اخوتكم يعقوب واتقوا الله لعلكم ترحمون
اي واتقوا الله فان التقوى تحملكم على التواصل والايتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول
رحمة الله اليكم مرجوا والاية تدل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين
مع وجود البغي يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نسا
من نسا عسى ان يكن خيرا منهن القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النسا قال الله تعالى
الرجال قوامون على النسا وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر
واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية اذ لو كانت النسا داخلة في قوم
لم يقل ولا نسا وحقق ذلك زهير في قوله

وما ادري ولست اخال ادري ۞ اقوم ال حصن ام نساء

واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم
بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن
وتنكير القوم والنسا يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من
بعض وان يقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية
وانما لم يقل رجل من رجل واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه وقوله عسى
ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهي
والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفا والمعنى وجوب ان يعتقد كل واحد
ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الا على
الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغي ان
لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة
في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد
صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضي الله
عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا ولا تلمزوا انفسكم
ولا تطعنوا اهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب
وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه
وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز
نفسه حقيقة ولا تنابزوا بالالقاب التنابز بالالقاب التداعي بها والنبز

ولا امراة من امراة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية ع صح

لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به لكونه تقصيرا به وذما
له فاما ما يحبه فلا باس به وروي ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب
وعمار وصهيب فنزلت وعن عايشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب
بنت خزيمة وكانت قصيرة وعن انس عيرت نسا النبي صلى الله عليه وسلم
ام سلمة بالقصر وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون
له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال
من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها
في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها
ابدا **بيس الاسم الفسوق بعد الايمان** الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في
الناس بالكرم او باللوم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كانه قيل
بيس الذكر المرتفع للمومنين بسبب ارتكاب هذه الجرايم ان يذكروا بالفسق
وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يحظره
الايمان كما تقول بيس الشان بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتايمهم
لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بيس الذكر ان تذكروا
الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه **ومن لم يتب** عما نهي عنه **فاولئك هم الظالمون**
وهو جمع للفطاحن ومعناه **يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** يقال جنبه
الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله في جانبه فيعدى الى مفعولين قال الله
تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فتنقص مفعولا
والمامور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله
ان بعض الظن اثم قال الزجاج هو ظنك باهل الخير سوءا فاما اهل الفسق فلنا
ان نظن فيهم مثل الذي ظهر منهم او معناه اجتنبوا اجتنابا كثيرا او احترزوا من الكثير
ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل
لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب **ولا تجسسوا** اي لا تتبعوا عورات
المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس
وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب
ما ستره الله على عباده **ولا يغتب بعضكم بعضا** الغيبة الذكر بالعيب في ظهر الغيب
وهي من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفي الحديث هو ان تذكر اخاك بما يكره
فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ميتا مدني وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب
من عرض المغتاب على افحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذي معناه
التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد
الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر
على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر
على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة
ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال

من اللحم او من اخيه ولما قررهم بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب
ذلك بقوله **فكرهتموه** اي فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق
ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين **واتقوا الله ان الله**
تواب رحيم التواب البليغ في قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك
ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله
توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التايبين وروي ان سلمان كان يخدم
رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شي فاخبرهما سلمان فقالا
لو بعثناه الى بير سميحة لغار ماؤها فلما جاا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما قال
انكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد اكل لحمه ثم قرا الاية وقيل غيبة
الخلق انما تكون بالغيبة عن الحق **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى** من ادم
وحوا او كل واحد منكم من اب وام فما منكم من احد الا وهو يدلي بمثل ما
يدلي به الاخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل في النسب **وجعلناكم**
شعوبا وقبايل الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها
العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب
يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ
والفخذ تجمع الفصايل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن
وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبايل تتشعب منها
لتعارفوا اي انما رتبكم على شعوب وقبايل ليعرف بعضكم نسب بعض
فلا يعتزي الى غير ابايه لا ان تتفاخروا بالاباء والاجداد وتدعوا التفاضل في
الانساب ثم بين الخصلة التي يفضل بها الانسان غيره ويكتسب الشرف
والكرم عند الله فقال **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** وفي الحديث من سره ان
يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا
الغنا وكرم الاخرة التقوى وروي انه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح
مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية
وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مومن تقي كريم على الله وفاجر
شقي هين على الله ثم قرا الاية وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سوق المدينة فراى غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط
ان لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه
بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفي فحضر دفنه
فقالوا في ذلك شيا فنزلت **ان الله عليم** بكرم القلوب وتقواها **خبير** بهم
النفوس في هواها **قالت الاعراب** اي بعض الاعراب لان من الاعراب من
يومن بالله واليوم الاخر وهم اعراب بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة

فاظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه **آمنا** اي ظاهرا وباطنا **قل**
لهم يا محمد **لم تؤمنوا** لم تصدقوا بقلوبكم **ولكن قولوا اسلمنا** فالايمان هو التصديق
والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار
الشهادتين الا ترى الى قوله **ولما يدخل الايمان في قلوبكم** فاعلم انما يكون من الاقرار
باللسان من غير مواطاة القلب فهو اسلام وما واطاه فيه القلب اللسان
فهو ايمان وهذا من حيث اللغة واما في الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف
وفي لما معنى التوقع وهو دال على ان بعض هؤلاء قد امنوا فيما بعد والاية تنقض
على الكرامية مذهبهم ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان فان قلت
مقتضى نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا
ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا فقيل قل لم تؤمنوا مع
ادب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته
موضعه واستغني بقوله لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا امنا لاستهجان ان
يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون
خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم امنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم
لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما يدخل
الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا
اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال
من الضمير في قولوا **وان تطيعوا الله ورسوله** في السر بترك النفاق **لا يلتكم**
لا يألتكم بصري **من اعمالكم شيئا** اي لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيئا ألت
يألت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص **ان الله غفور** يستر الذنوب
رحيم بهدايتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ارتاب مطاوع رابه اذا
اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم امنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك
فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان وزوال الريب ملاك
الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان
بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا
جديدا **وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله** يجوز ان يكون المجاهد منويا
وهو العدو والمحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد
ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات باجمعها
وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان في جيش العسرة وان يتناول الزكاة
وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر وخبر المبتدا الذي هو **اولئك هم الصادقون** اي
الذين صدقوا في قولهم امنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد وهم الذين
ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين امنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الاية
جاؤوا وحلفوا انهم مخلصون فنزل **قل اتعلمون الله بدينكم** اي اتخبرونه
بتصديق قلوبكم **والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم** من النفاق

والاخلاص

والاخلاص وغير ذلك **يمنون عليك ان** اي بان **اسلموا** يعني باسلامهم والمن
ذكر الايادي تعريضا للشكر وتهيئا عنه **قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم** اي
المنة لله عليكم **ان هداكم** بان هداكم او لان **للايمان ان كنتم صادقين** ان صح
زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه
وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم
الايمان بالله فلله المنة عليكم وقرئ اذ هداكم **ان الله يعلم غيب السموات والارض**
والله بصير بما تعملون وبالياء مكي وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم
يعني انه تعالى يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم
لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم والله الموفق للصواب

سورة ق خمس واربعون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام في **ق والقران المجيد بل عجبوا** كالكلام في ص والقران ذي الذكر
بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب واحد والمجيد ذو المجد
والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند
الله وعند الناس وقوله بل عجبوا اي كفار مكة **ان جاءهم منذر منهم** اي
محمد انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد
عرفوا عدالته وامانته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحا لقومه خائفا
ان ينالهم مكروه واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم فكيف بما هو غاية
المخاوف وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى
على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء واقرارهم بالنشاة
الاولى مع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله
فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا ترابا دلالة على ان تعجبهم من البعث
ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة
على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب
بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع متنا نافع وحمزة وعلي وحفص **ذلك رجع**
بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد اي بعيد من الوهم والعادة
ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى
استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن
وناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع ما دل عليه المنذر من المنذر به
وهو البعث **قد علمنا ما تنقص الارض منهم** رد لاستبعادهم الرجع لان من
لطف علمه حتى علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكله من لحومهم وعظامهم
كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا **وعندنا كتاب حفيظ** محفوظ من الشياطين
ومن التغير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه **بل كذبوا بالحق**
لما جاءهم اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤوا بما هو افظع من
تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول
وهلة من غير تفكر ولا تدبر **فهم في امر مريج** مضطرب يقال مرج الخاتم في الاصبع

اي اضطرب من سخفه فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون
على شيء واحد وقيل الحق القران وقيل الاخبار بالبعث ثم دل لهم على قدرته
على البعث فقال افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السما فوقهم الى اثار
قدرة الله تعالى في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بغير عمد وزيناها بالنيرات
وما لها من فروج من فتوق وشقوق اي انها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا
صدع ولا خلل والارض مددناها دحوناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت
لولا هي لمالت وانبتنا فيها من كل زوج صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى
لتبصر به ونذكر لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدايع خلقه ونزلنا من السما ماء
مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات وحب الحصيد اي وحب الزرع الذي من
شانه ان يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات طوالا في السما لها طلع
هو كل ما يطلع من ثمر النخيل نضيد منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع
وتراكمه او لكثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد اي انبتناها رزقا للعباد لان
الانبات في معنى الرزق فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه او هو مفعول له اي
انبتناها لرزقهم واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا قد جف نباتها كذلك
الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم لان احيا
الموات كاحيا الاموات والكاف في محل الرفع على الابتدا كذبت قبلهم قبل قريش
قوم نوح واصحاب الرس هو بئر لم تطو وهم قوم باليمامة وقيل اصحاب الاخدود
وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملائهم لان المعطوف
عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات واخوان لوط واصحاب الايكة سماهم اخوانه
لان بينهم وبينه نسبا وقوم تبع هو ملك باليمن دعا قومه الى الاسلام فكذبوه
وسمي به لكثرة تبعه كل اي كل واحد منهم كذب الرسل لان من كذب رسولا واحدا
فقد كذب جميعهم فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وفيه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله
والهمزة للانكار بالخلق الاول اي انا لم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعجز عن الثاني
والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة بل هم في لبس في خلط وشبهة قد لبس عليهم
الشيطان وحيرهم وذلك تسويله اليهم ان احيا الموتى امر خارج عن العادة
فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشا كان على الاعادة
اقدر من خلق جديد بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمة شانه وان
حق من سمع به ان يخاف ويهتم به ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
الوسوسة الصوت الخفي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان
ويهجس في ضميره من حديث النفس والبا مثلها في قوله صوت بكذا ونحن اقرب
اليه المراد قرب علمه منه من حبل الوريد هو مثل في فرط القرب والوريد عرق
في باطن العنق والاضافة للبيان كقولهم بعير سانية اذ يتلقى المتلقيان يعني
الملكين الحافظين عن اليمين وعن الشمال قعيد التلقي التلقن بالحفظ والكتبة
والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال

قعيد

قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله

رماني بامر كنت منه ووالدي ٭ بريا ومن اجل الطوي رماني

اي رماني بامر كنت منه بريا وكان والدي منه بريا واذ منصوب باقرب
لما فيه من معنى يقرب والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس
ولا شيء اخفى منه وهو اقرب الى الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان
ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف
لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهي ما في
كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحايف العمل يوم القيمة من زيادة لطف
له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات ما يلفظ من قول ما يتكلم
به وما يرمي به من فيه الا لديه رقيب حافظ عتيد حاضر ثم قيل يكتبان
كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه اجر او وزر وقيل
ان الملكين لا يجتنبانه الا عند الغايط والجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج
عليهم بقدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم
وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي
وهو قوله وجاءت سكرة الموت اي شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة بالحق
اي بحقيقة الامر او بالحكمة ذلك ما كنت منه تحيد تنفر وتهرب ونفخ
في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم الوعيد
على حذف المضاف والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد
اي ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سايق
النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت
اي يقال لها لقد كنت في غفلة من هذا النازل بك اليوم فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
فازلنا غفلتك بما تشاهده فبصرك اليوم حديد جعلت الغفلة كانها غطا
غطي بها جسده كله او غشاوة غطي بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيمة
تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لا يبصره من الحق ورجع بصره
الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه الجمهور على انه الملك
الكاتب الشهيد عليه هذا اي ديوان عمله مجاهد شيطانه الذي قيض له في قوله
نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا اي الذي وكلت به ما لدي عتيد هذا مبتدا
وما نكرة بمعنى شيء والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا
والتقدير هذا شيء ثابت لدي عتيد ثم يقول الله تعالى القيا والخطاب للسايق
والشهيد او لمالك وكان الاصل الق الق فناب القيا عن الق الق لان الفاعل
كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نايبا عن تكرار الفعل وقيل اصله القين
والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن القين
في جهنم كل كفار بالنعم والمنعم عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله مناع
للخير كثير المنع للمال عن حقوقه او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله معتد
ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر

فكشفنا عنك غطاءك

مبتدا متضمن معني الشرط فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار وفالقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز ان يكون جزا صفة للكفار لان النكرة لا توصف بالموصول
قال قرينه اي شيطانه الذي قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما اخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولي لان الاولي واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها
ومعني ما قبلها في الحصول اعني مجي كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له واما هذه فهي مستانفة كاستئناف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما في
مقاولة موسي وفرعون فكان الكافر قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد اي ما اوقعته في الطغيان ولكنه طغي
واختار الضلالة على الهدي قال لا تختصموا استيناف مثل قوله تعالى قال
قرينه كان قايلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي وقد قدمت
اليكم بالوعيد اي لا تختصموا في دار الجزا وموقف الحساب فلا فايدة في اختصامكم
ولا طايل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي
فما تركت لكم حجة علي والبا في الوعيد مزيدة كما في قوله ولا تلقوا بايديكم
او معدية على ان قدم مطاوع بمعني تقدم ما يبدل القول لدي اي لا تطمعوا
ان ابدل قولي ووعيدي بادخال الكفار في النار وما انا بظلام للعبيد
فلا اعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة لانه من قولك
هو ظالم لعبده وظلام لعبيده يوم نصب بظلام او بمضمر هو اذكر او انذر
يقول نافع وابو بكر اي يقول الله لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد
وهو مصدر كالمحيد اي انها تقول بعد امتلايها هل من مزيد اي هل بقي في موضع
لم يمتلي يعني قد امتلات او انها تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا على
تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسوال لتوبيخ
الكفرة لعلمه تعالى بانها امتلات ام لا وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد
غير نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة
المصدر كالصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمونث او على
حذف الموصوف اي شيا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد
وعزيز غير ذليل هذا مبتدا وهو اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت ما توعدون
صفته وبالياء مكي لكل اواب رجاع الى ذكر الله خبره حفيظ حافظ لحدوده
في الحديث من حافظ على اربع ركعات في اول النهار كان اوابا حفيظا من
مجرور المحل بدل من اواب او رفع بالابتدا وخبره ادخلوها على تقدير يقال
لهم ادخلوها بسلام لان من في معني الجمع خشي الرحمن الخشية انزعاج
القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة
للثنا البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثني عليه
بانه خاشي مع ان المخشي عنه غايب بالغيب حال من المفعول اي خشيه
وهو غايب او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث
خشي عقابه وهو غايب الحسن اذا اغلق الباب وارخي الستر وجا بقلب منيب

راجع الي الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة ادخلوها بسلام
اي سالمين من زوال النعم وحلول النقم ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير
الخلود كقوله فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود لهم ما يشاؤن
فيها ولدينا مزيد على ما تشتهون والجمهور على انه روية الله تعالى بلا
كيف وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن من القرون الذين كذبوا
رسلهم هم اشد منهم من قومك بطشا قوة وسطوة فنقبوا فخرقوا
في البلاد وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ودخلت
الفا للتسبيب عن قولهم هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم
على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم
ومسايرهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى ياملوا مثله
لانفسهم ويدل عليه قراة من قرا فنقبوا على الامر هل من محيص مهرب
من الله او من الموت ان في ذلك المذكور لذكري تذكرة وموعظة لمن
كان له قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له او القي السمع اي
اصغي الي المواعظ وهو شهيد حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه
غايب ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا
من لغوب اعيا قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله
السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد واخرها الجمعة واستراح يوم
السبت واستلقي على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه
الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ وانكر اليهود التربيع في الجلوس وزعموا
انه جلس تلك الجلسة يوم السبت فاصبر على ما يقولون اي على ما يقول
اليهود ويايتون به من الكفر والتشبيه او على ما يقول المشركون في امر البعث
فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وسبح بحمد ربك
حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره او على الصلاة فالصلاة قبل طلوع
الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه العشاآت
او التهجد وادبار السجود التسبيح في اثار الصلوات والسجود والركوع
يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات او الوتر بعد العشا
والادبار جمع دبر وادبار حجازي وحمزة وخلف من ادبرت الصلاة اذا
انقضت وتمت ومعناه وقت انقضا السجود كقولهم اتيتك خفوق النجم
واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم
لشان المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب يوم يناد المنادي
بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور
وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي والمنادي بالياء
في الحالين مكي وسهل ويعقوب وفي الوصل مدني وابو عمرو وغيرهم بغير يا
فيهما والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية
والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله

يا مركن ان تجتمعن لفصل القضا وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان
قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب مكان من الارض الى السما باثني عشر
ميلا وهي وسط الارض يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي الصيحة
النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزا ذلك
يوم الخروج من القبور انا نحن نحيي الخلق ونميت اي نميتهم في الدنيا والينا
المصير اي مصيرهم يوم تشقق خفيف كوفي وابو عمرو وغيرهم بالتشديد الارض
عنهم اي تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها سراعا حال من المجرور
اي مسرعين ذلك حشر علينا يسير هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص
اي لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذي لا يشغله شان عن شان
نحن اعلم بما يقولون فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وما انت عليهم بجبار كقوله بمسيطر اي ما انت بمسلط عليهم
انما انت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى اجبره اي ما انت بوال
عليهم تجبر على الايمان فذكر بالقران من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر
من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه سورة الذاريات مكية وهي ستون اية
بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره
وبادغام التاء في الذال حمزة وابو عمرو ذروا مصدر والعامل فيه اسم الفاعل
فالحاملات السحاب لانها تحمل المطر وقرا مفعول الحاملات فالجاريات
الفلك يسرا جريا ذا يسر اي ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها
تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرهما او تفعل التقسيم مامورة بذلك
او تتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت
لقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ
السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار
بتصريف السحاب ومعنى الفا على الاول انه اقسم بالرياح فبالسحاب
الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها فبالملائكة التي تقسم الارزاق
باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثاني انها تبتدي
في الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة
له فتقسم المطر انما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية
والموعود البعث لصادق وعد صادق كعيشة راضية اي ذات رضى
وان الدين الجزاء على الاعمال لواقع لكائن والسماء هذا قسم اخر
ذات الحبك الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح
وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق
ويقال ان خلقة السما كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك
انكم لفي قول مختلف اي قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون
وفي القران سحر وشعر واساطير الاولين يؤفك عنه من افك الضمير
للقران او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد

منه

منه واعظم او يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه
مافوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم
بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسما على انهم في قول
مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر
القيامة من هو المافوك قتل لعن واصله الدعا بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى
لعن الخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف
واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون الذين هم في غمرة في جهل
يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون فيقولون ايان يوم الدين
اي متى يوم الجزا وتقديره ايان وقوع يوم الدين لانه انما يقع الاحيان ظروفا
للحدثان وانتصب اليوم الواقع في الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال
اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته
الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذي هو يقع او رفع على هو
يوم الدين هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون ذوقوا فتنتكم اي تقول
لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم بالنار هذا مبتدا خبره الذي
اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا بقولكم فاتنا بما
تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال ان المتقين في جنات وعيون اي
وتكون العيون وهي الانهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها ابصارهم
لا انهم فيها آخذين ما آتاهم ربهم ما يليق لكل ما اعطاهم من الثواب
راضين به واخذين حال من الضمير في الظرف وهو خبر ان انهم كانوا قبل ذلك
قبل دخول الجنة في الدنيا محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم
ما بعده كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ينامون وما مزيدة للتوكيد
ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل
او مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه
بدلا من الواو في كانوا لا بقليلا لانه صار موصوفا بقوله من الليل خرج من
شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة اي كان هجوعهم قليلا من الليل
ولا يجوز ان تكون ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه
كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت وبالاسحار
هم يستغفرون وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا
في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم والسحر السدس الاخير من الليل
وفي اموالهم حق للسائل لمن يسال لحاجته والمحروم اي الذي يتعرض
ولا يسال حيا وفي الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره
حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين
فيها وهي مجزاة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذاة وسبخة وفيها
عيون متفجرة ومعادن مفتنة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال
متباينة الهيئات والافعال للموقنين للموحدين الذين سلكوا الطريق

السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة
كلما راوا اية عرفوا وجه تاملها فازدادوا ايقانا على ايقانهم وفي انفسكم
في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر
وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول
وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائف من
الايات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع
والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتاتيها لما خلقت له وما سوى في
الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا منها شيء جاء العجز
واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين وما قيل ان التقدير
افلا تبصرون في انفسكم ضعيف لانه يفضي الى تقديم ما في حيز الاستفهام
على حرف الاستفهام افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم
اي المطر لانه سبب الاقوات وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب قال
لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة
فهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه في الدنيا
وما توعدونه في العقبى كله مقدور مكتوب في السماء فورب السماء والارض
انه لحق الضمير يعود الى الرزق او الى ما توعدون مثل ما انكم تنطقون
بالرفع كوفي غير حفص صفة للحق اي حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب اي
اي انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن
وما مزيدة وعن الاصمعي انه قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على
قعود فقال ممن الرجل فقلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من
موضع يتلى فيه كتاب الله قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت
وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من
اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد
وطفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فاذا انا
بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الاية صاح
وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرات فورب السماء
والارض انه لحق فصاح وقال سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل
حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه
هل اتاك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانما عرفه بالوحي وانتظامها بما قبلها باعتبار انه قال وفي
الارض ايات وقال في اخر هذه القصة وتركنا فيها اية حديث ضيف ابراهيم
الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا
اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة
الضيف حيث اضافهم ابراهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين عند
الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه واخدمهم امراته وعجل

لهم القرى اذ دخلوا عليه نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا
فباضمار اذكر فقالوا سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله
نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره
محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم
باحسن مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم حمزة وعلي
سلم والسلم السلام قوم منكرون اي انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم
فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان
يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه
وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر فجاء بعجل سمين فقربه اليهم لياكلوا
منه فلم ياكلوا قال الا تاكلون انكر عليهم ترك الاكل وحثهم عليه فاوجس
فاضمر في نفسه منهم خيفة خوفا لان من لم ياكل طعامك لم يحفظ ذمامك عن
ابن عباس رضي الله عنهما وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب
قالوا لا تخف انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بامه
وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم والمبشر به اسحاق عند الجمهور
فاقبلت امراته في صرة في صيحة من صر القلم والباب قال الزجاج الصرة
شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة وقيل فاخذت
في صياح وصرتها قولها ياويلتى فصكت وجهها فلطمت ببسط يديها
وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز عقيم
اي انا عجوز فكيف الد كما قال في موضع اخر االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا
قالوا كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك اي انما نخبرك
عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين انه هو الحكيم في فعله العليم
فلا يخفى عليه شيء وروي ان جبريل قال لها حين استبعدت انظري الى
سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة
وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما
شانكم وما طلبتكم وفيما ارسلتم ايها المرسلون ارسلتم بالبشارة خاصة
او لامر اخر او لهما قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي قوم لوط لنرسل عليهم
حجارة من طين اريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الاجر حتى صار في
صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد
منها اسم من يهلك به عند ربك في ملكه وسلطانه للمسرفين سماهم مسرفين
كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم
فاخرجنا من كان فيها في القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة من المؤمنين
يعني لوطا ومن امن به فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين اي غير اهل بيت
وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد لان الملائكة سماهم مؤمنين
ومسلمين هنا وتركنا فيها في قراهم اية للذين يخافون العذاب الاليم
علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هي ماء اسود منتن

وفي موسى معطوف على وفي الارض ايات او على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا
في موسى اية كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين
بحجة ظاهرة وهي اليد والعصا فتولى فاعرض عن الايمان بركنه بما كان
يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن اليه الانسان من مال وجند وقال
ساحر اي هو ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم
ات بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام في قوله فالتقمه
الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف
مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والزلة
كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم
هي التي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها
والاظهر انها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم اي بلي وتفتت من عظم
او نبات او غير ذلك والمعنى ما تترك من شيء هبت عليه من انفسهم وانعامهم
واموالهم الا اهلكته وفي ثمود اية ايضا اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله
تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم
الصاعقة العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة علي وهي المرة من
مصدر صعقتهم الصاعقة وهم ينظرون لانها كانت نهارا يعاينونها فما
استطاعوا من قيام اي هرب او هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه
وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب او لم يمكنهم مقابلتنا بالعذاب
لان معنى الانتصار المقابلة وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل
عليه او واذكر قوم نوح وبالجر ابو عمرو وعلي وحمزة اي وفي قوم نوح اية
ويؤيده قراءة عبد الله وفي قوم نوح من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا
قوما فاسقين كافرين والسماء نصب بفعل يفسره بنيناها بايد بقوة
والايد القوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع
القوي على الانفاق او لموسعون ما بين السماء والارض والارض فرشناها اي
بسطناها ومهدناها وهي منصوبة بفعل مضمر اي فرشنا الارض فرشناها
فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى
وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر
والموت والحياة فعدد اشيا وكل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل
له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق
الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله اي من الشرك
الى الايمان بالله او من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن او مما سواه اليه
اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين
والتكرير للتوكيد والاطالة في الوعيد ابلغ كذلك الامر مثل ذلك
وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا او مجنونا ثم فسر

ما اجمل

ما اجمل بقوله ما اتى الذين من قبلهم من قبل قومك من رسول الا قالوا ساحر
او مجنون ذموهم بالسحر او الجنون لجهلهم اتواصوا به الضمير للقول
اي اتواصى الاولون والاخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه
بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة
الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن الذين
كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا فما انت بملوم فلا لوم عليك في اعراضك
بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة وذكر وعظ بالقران
فان الذكرى تنفع المؤمنين بان تزيد في علمهم وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
العبادة ان حملت على حقيقتها فلا تكون الاية عامة بل المراد بها المؤمنون من
الفريقين دليله السياق اعني وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن
عباس رضي الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وهذا لانه لا يجوز
ان يخلق الذين علم منهم انهم لا يؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة واراد
منهم العبادة فلا بد ان توجد منهم فاذا لم يؤمنوا علم انه خلقهم لجهنم كما
قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لامرهم بالعبادة
وهو منقول عن علي رضي الله عنه وقيل الا ليكونوا عبادا لي والوجه
ان تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة
في القران فهو توحيد والكل يوحدونه في الاخرة لما عرف ان الكفار كلهم
مؤمنون موحدون في الاخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين نعم قد اشرك البعض في الدنيا لكن مدة الدنيا بالاضافة
الى الابد اقل من يوم ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته الا للكتابة
كان صادقا في قوله ما اشتريته الا للكتابة وان استعمله في يوم من عمره
لعمل اخر ما اريد منهم من رزق ما خلقتهم ليرزقوا انفسهم او واحدا من عبادي
وما اريد ان يطعمون قال ثعلب ان يطعموا عبادي وهو اضافة تخصيص
كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من اكرم مومنا فقد اكرمني ومن
اذى مومنا فقد اذاني ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين الشديد القوة والمتين
بالرفع صفة لذو وقرا الاعمش بالجر صفة للقوة على تاويل الاقتدار
فان للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم
نصيبا من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة
قال الزجاج الذنوب في اللغة النصيب فلا يستعجلون نزول العذاب
وهذا جواب النضر واصحابه حين استعجلوا العذاب فويل للذين ظلموا من
يومهم الذي يوعدون اي من يوم القيامة وقيل من يوم بدر ليعبدوني ان
يطعموني فلا يستعجلوني بالياء في الحالين يعقوب وافقه سهل الباقون
بغير يا والله اعلم بالصواب سورة الطور تسع واربعون اية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم والطور هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو
بمدين وكتاب مسطور هو القران ونكره لانه كتاب مخصوص من بين ساير

المكتوب او اللوح المحفوظ او التوراة **في رق** هو الصحيفة او الجلد اي يكتب فيه
منشور مفتوح لا ختم عليه او لاح **والبيت المعمور** اي الضراح وهو بيت في السما
حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روي انه يدخله كل يوم
سبعون الف ملك ويخرجون ثم لا يعودون اليه ابدا وقيل الكعبة لكونها
معمورة بالحجاج والعمار **والسقف المرفوع** اي السما او العرش **والبحر المسجور**
المملوء او الموقد والواو الاولى للقسم والبواقي للعطف وجواب القسم **ان عذاب
ربك** اي الذي اوعد الكفار به **لواقع** لنازل قال جبير ابن مطعم اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فالفيته في صلاة الفجر
يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل
العذاب **ما له من دافع** لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع اي واقع غير مدفوع
والعامل في يوم لواقع اي يقع في ذلك اليوم او اذكر **يوم تمور** تدور كالرحى مضطربة
السما مورا وتسير الجبال سيرا في الهوى كالسحاب لانها تصير هبا منثورا
فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون غلب الخوض في الاندفاع
في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل **يوم
يدعون الى نار جهنم دعا** من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان
خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم
الى النار دفعا على وجوههم وزخا على اقفيتهم فيقال لهم **هذه النار التي
كنتم بها تكذبون** في الدنيا **افسحر هذا** هذا مبتدا وسحر خبره يعني كنتم تقولون
للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد المصداق ايضا سحر ودخلت الفا لهذا المعنى
ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما
كنتم عمي عن الخبر وهذا تقريع وتهكم **اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سوا عليكم**
خبر سوا محذوف اي سوا عليكم الامران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استوا
الصبر وعدمه بقوله **انما تجزون ما كنتم تعملون** لان الصبر انما يكون له مزية
على الجزع لنفعه في العاقبة بما يجازي عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب
الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع **ان المتقين في جنات**
في اي جنات **ونعيم** اي واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم
مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة **فاكهين** حال من الضمير في الظرف والظرف
خبر اي متلذذين **بما اتاهم ربهم** وعطف قوله **ووقاهم ربهم** على في جنات
اي ان المتقين استقروا في جنات ووقاهم ربهم او على اتاهم ربهم على ان تجعل
ما مصدرية والمعنى فاكهين باتيانهم ربهم ووقاتهم **عذاب الجحيم** او الواو للحال
وقد بعدها مضمرة يقال لهم **كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون** اكلا وشربا هنيئا
او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه **متكئين** حال من الضمير في
كلوا واشربوا **على سرر** جمع سرير **مصفوفة** موصول بعضها ببعض **وزوجناهم**
وقرناهم **بحور** جمع حورا **عين** عظام الاعين حسانها **والذين امنوا** مبتدا
والحقنا بهم خبره **واتبعتهم** واتبعناهم ابو عمرو **ذريتهم** اولادهم **بايمان**

حال من الفاعل **الحقنا بهم ذرياتهم** اي نلحق الاولاد باباهم واعمالهم درجات
الابا وان قصرت اعمال الذرية من اعمال الابا وقيل ان الذرية وان لم يبلغوا
مبلغا يكون منهم الايمان استدلالا وانما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون
بالابا **وما التناهم من عملهم من شي** وما نقصناهم من ثواب اعمالهم من شي
كل امري بما كسب رهين اي مرهون فنفس المومن مرهونة بعمله ويجازى به
وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت **بفاكهة ولحم مما يشتهون** وان لم
يقترحوا **يتنازعون فيها كاسا** خمرا اي يتعاطون ويتعاورون هم وجلساوهم
من اقربائهم يتناول هذا الكاس من يد هذا وهذا من يد هذا **لا لغو فيها** في
شربها **ولا تاثيم** اي لا يجري بينهم ما يلغى يعني لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه اثم لو فعله
فاعل في دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربي خمر الدنيا لان عقولهم
ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لا لغو فيها ولا تاثيم مكي وبصري **ويطوف
عليهم غلمان لهم** مملوكون لهم مخصوصون بهم **كانهم** في بياضهم وصفائهم **لولو
مكنون** في الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين
الغالي القيمة في الحديث ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه
فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك **واقبل بعضهم على بعض يتساءلون** يسال بعضهم
بعضا عن احواله واعماله وما استحق به نيل ما عند الله **قالوا انا كنا قبل** اي في
الدنيا **في اهلنا مشفقين** ارقا القلوب من خشية الله او خائفين من نزع الايمان
وفوت الامان او من رد الحسنات والاخذ بالسيات **فمن الله علينا** بالمغفرة
والرحمة **ووقانا عذاب السموم** هي الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم
لانها بهذه الصفة **انا كنا من قبل** من قبل لقا الله تعالى والمصير اليه يعنون
في الدنيا **ندعوه** نعبده ولا نعبد غيره ونساله الوقاية **انه هو البر** المحسن
الرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سيل اجاب انه بالفتح مدني
وعلي اي بانه او لانه **فذكر** فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم **فما انت بنعمة ربك**
برحمة ربك وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل **بكاهن ولا مجنون** كما زعموا
وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك
ام يقولون هو شاعر نتربص به ريب المنون حوادث الدهر اي ننتظر نوائب
الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعرا زهير والنابغة وام في اوايل هذه
الاي منقطعة بمعنى بل والهمزة **قل تربصوا فاني معكم من المتربصين** اتربص
هلاككم كما تتربصون هلاكي **ام تامرهم احلامهم** عقولهم **بهذا** التناقض في
القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام
والنهى **ام هم قوم طاغون** مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم واسناد
الامر الى الاحلام مجاز **ام يقولون تقوله** اختلقه محمد من تلقا نفسه **بل** رد عليهم
اي ليس الامر كما زعموا **لا يومنون** فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع
علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من
العرب **فلياتوا بحديث** مختلق **مثله** مثل القران **ان كانوا صادقين** في ان محمدا

تقوله من تلقا نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء ام خلقوا ام احدثوا وقدروا
التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شي من غير مقدر ام هم الخالقون ام هم
الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل اخلقوا من اجل لا شي من جزا
ولا حساب ام هم الخالقون فلا ياتمرون ام خلقوا السموات والارض فلا
يعبدون خالقهما بل لا يوقنون اي لا يتدبرون في الايات فيعلموا خالقهم وخالق
السموات والارض ام عندهم خزاين ربك من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من
شاوا بما شاوا ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية
ويبنوا الامور على مشيتهم وبالسين مكي وشامي ام لهم سلم منصوب يرتقون به
الى السما يستمعون فيه كلام الملايكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا
ما هو كاين من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون
قال الزجاج يستمعون فيه اي عليه فليات مستمعهم بسلطان مبين بحجة
واضحة تصدق استماع مستمعهم ام له البنات ولكم البنون ثم سفه احلامهم
حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكما عند انفسهم ام تسالهم اجرا على التبليغ
والانذار فهم من مغرم مثقلون المغرم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اي
لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك ام عندهم الغيب اي اللوح
المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون
كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله والمومنين فالذين كفروا اشارة
اليهم او اريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم
ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته
فكدته ام لهم اله غير الله يمنعهم من عذاب الله سبحان الله عما يشركون
وان يروا كسفا من السما ساقطا يقولوا سحاب الكسف القطعة وهو
جواب قولهم او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم
وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم قد ركم اي جمع بعضه
على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون بضم اليا عاصم وشامي الباقون بفتح اليا يقال
صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق يوم لا يغني عنهم
كيدهم شيا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا وان لهولاء الظلمة عذابا دون
ذلك دون يوم القيامة وهو القتل يوم بدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر
ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك ثم امره بالصبر الى ان يقع بهم العذاب فقال
واصبر لحكم ربك بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة فانك باعيننا اي
بحيث نراك ونكلوك وجمع العين لان الضمير بلفظ الجماعة الا ترى الى قوله
ولتصنع على عيني وسبح بحمد ربك حين تقوم للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير
سبحانك اللهم وبحمدك او من اي مكان قمت او من منامك ومن الليل فسبحه
وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وادبار بالكسر زيد اي في اعقاب
النجوم واثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات

وقيل

وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشايين وادبار النجوم
صلاة الفجر والله اعلم بالصواب سورة النجم اثنان وستون اية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اقسم بالثريا او بجنس النجوم اذا هوى اذا
غرب او انتثر يوم القيمة وجواب القسم ما ضل عن قصد الحق صاحبكم اي
محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وما غوى في اتباع الباطل وقيل
الضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون
من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وما اتاكم
به من القران ليس بمنطق يصدر عن هواه ورايه انما هو وحي من عند الله يوحى اليه
ويحتج بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبيا عليهم السلام ويجاب بان الله تعالى
اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحي لا نطقا عن الهوى علمه علم
محمدا عليه السلام شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها
اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته
انه اقتلع قرى قوم لوط من الما الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السما ثم
قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة ذو مرة اي ذو منظر حسن
عن ابن عباس فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي
كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى
له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملا الافق وقيل ما راه احد من الانبيا
في صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض
ومرة في السما وهو اي جبريل عليه السلام بالافق الاعلى مطلع الشمس ثم دنا
جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى فزاد في القرب والتدلي
هو النزول بقرب الشي فكان قاب قوسين مقدار قوسين عربيتين
وقد جا التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه لا صلاة
الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة
وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة
قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات او ادنى اي على تقديركم
كقوله او يزيدون وهذا لانهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون
هذا قدر رمحين او انقص وقيل بل ادنى فاوحى جبريل عليه السلام الى عبده
الى عبد الله وان لم يجر لاسمه ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم
للوحي الذي اوحي اليه قيل اوحي اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها
وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفواد فواد محمد ما راى ما راه ببصره
من صورة جبريل عليه السلام اي ما قال فواده لما راه لم اعرفك ولو قال
ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه راه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك
في ان ما راه حق وقيل المرئي هو الله سبحانه راه بعين راسه وقيل بقلبه
افتمارونه افتجادلونه من المرا وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة

كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه افتمارونه حمزة وعلي وخلف
ويعقوب افتغلبونه من المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة
قال على ما يرى فعدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه
افتجحدونه يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على
مذهب التضمين ولقد راه راي جبريل محمد عليهما السلام نزلة اخرى مرة
اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة
اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة اخرى
في صورة نفسه فراه عليها وذلك ليلة المعراج عند سدرة المنتهى الجمهور على
انها شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء
او الانتهاء كانها في منتهى الجنة واخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي
علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل تنتهي اليها ارواح الشهداء
عندها جنة الماوى اي الجنة التي يصير اليها المتقون وقيل تاوي اليها ارواح
الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى اي راه اذ يغشى السدرة ما يغشى وهو
تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق
الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله اشياء لا يحيط بها الوصف وقد قيل
يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وقيل يغشاها فراش
من ذهب ما زاغ البصر بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدل عن رؤية
العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته لقد
راى والله لقد راى من ايات ربه الكبرى الايات التي هي كبراها وعظماها
يعني حين رقي به الى السماء فاري عجائب الملكوت افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى هي صفة ذم اي المتاخرة الوضيعة المقدار
كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ولا يجوز
ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة
وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند
الله مع وادهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى تلك
اذا قسمة ضيزى اي جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى اي جائرة
من ضازه يضيزه اذا ضامه وضيزى فعلى اذ لا فعلى في النعوت فكسرت الضاد
للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود ضئزى بالهمز مكي من ضازه مثل ضازه
ان هي ما الاصنام الا اسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية
لما هو ابعد شيء منها واشد منافاة لها سميتموها اي سميتم بها يقال سميته
زيدا وسميته بزيد انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان حجة ان يتبعون
الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم
ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به ام للانسان
ما تمنى هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان يعني الكافر
ما تمنى من شفاعة الاصنام او من قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى

وقيل

وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الاخرة والاولى اي هو مالكهما
وله الحكم فيهما يعطي النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لا من تمنى وكم من
ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء
ويرضى يعني ان امر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربتهم وكثرتهم لو
شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من
بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه اهلا
لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالاخرة
ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة
بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم
اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن
هو تقليد الاباء وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي انما يعرف الحق الذي هو
حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم فاعرض عن من
تولى عن ذكرنا فاعرض عن من رايته معرضا عن ذكر الله اي القران ولم يرد الا
الحياة الدنيا ذلك اي اختيارهم الدنيا والرضى بها مبلغهم من العلم منتهى
علمهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي هو اعلم
بالضال والمهتدي ومجازيهما ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين
اساءوا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بسبب ما عملوا من السوء ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بسبب الاعمال الحسنى
والمعنى ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت ليجزي المحسن من
المكلفين والمسيء منهم اذ الملك لنصر الاولياء وقهر الاعداء الذين بدل او في موضع
رفع على المدح اي هم الذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من الاثم لان الاثم
جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي يكبر عقابها كبير حمزة
وعلي اي النوع الكبير منه والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش
منها خاصة قيل الكبائر ما اوعد عليه النار والفواحش ما شرع فيها الحد الا اللمم
اي الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة
والقبلة واللمسة والغمزة ان ربك واسع المغفرة فيغفر ما شاء من الذنوب
من غير توبة هو اعلم بكم اذ انشاكم اي اباكم من الارض واذ انتم اجنة جمع
جنين في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة
الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها
فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب ادم عليه السلام
وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون
صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء لا على
سبيل الاعتراف بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر
هو اعلم بمن اتقى فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس افرايت
الذي تولى اعرض عن الايمان واعطى قليلا واكدى قطع عطيته وامسك واصله

الرا الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر عن ابن عباس
رضي الله عنهما فيمن كفر بعد الايمان وقيل في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض الكافرين وقال له تركت دين الاشياخ
وزعمت انهم في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيئا
من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل واعطى الذي عاتبه بعض
ما كان ضمن له ثم بخل به ومنعه اعنده علم الغيب فهو يرى هو اعلم ان ما ضمنه من
عذاب الله حق ام لم ينبأ يخبر بما في صحف موسى اي التوراة وابراهيم اي
وفي صحف ابراهيم الذي وفى اي وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول
كل وفاء وتبليغه وقرئ مخففا والتشديد مبالغة في الوفاء عن الحسن ما امره
الله بشيء الا وفى به وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسال مخلوقا فلما قذف
في النار قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي
الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح واذا امسى فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون
عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين
قد افلح المؤمنون ثم اعلم بما في صحف موسى وابراهيم فقال الا تزر وازرة وزر
اخرى تزر من وزر يزر اذا اكتسب وزرا وهو الاثم وان مخففة من الثقيلة
والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف
موسى او الرفع على ان لا تزر كان قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل
الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس ذنب نفس وان ليس للانسان الا ما سعى
اي سعيه وهذه ايضا مما في صحف ابراهيم وموسى واما ما صح من الاخبار في الصدقة
عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه
وهو ان يكون مؤمنا كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه
ولان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب
عنه والوكيل القائم مقامه وان سعيه سوف يرى اي يرى هو سعيه يوم القيمة
في ميزانه ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله
بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء
الاوفى او ابدله عنه وان الى ربك المنتهى هذا كله في الصحف الاولى والمنتهى
مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير
وانه هو اضحك وابكى خلق الضحك والبكا وقيل خلق الفرح والحزن وقيل
اضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب وابكاهم في الدنيا بالنوائب وانه هو امات
واحيى قيل امات الاباء واحيى الابناء او امات بالكفر واحيى بالايمان او امات هنا
واحيى ثمة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى اي تدفق في
الرحم يقال منى وامنى وان عليه النشأة الاخرى الاحياء بعد الموت وانه هو
اغنى واقنى واعطى القنية وهي المال تأثلته وعزمت ان لا تخرجه من

برك وانه هو رب الشعرى هو كوكب يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وكانت
خزاعة تعبدها فاعلم الله انه رب معبودهم هذا وانه اهلك عادا الاولى
هم قوم هود وعاد الاخرى ارم عادا لولى مدني وبصري غير سهل بادغام التنوين
في اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف وثمود فما ابقى حمزة
وعاصم الباقون وثمودا وهو عطف على عادا ولا ينتصب بفما ابقى لان ما بعد
الفاء لا يعمل فيما قبله والمعنى واهلك ثمود فما ابقاهم وقوم نوح اي واهلك
قوم نوح من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من عاد وثمود لانهم
كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم
ان يسمعوا منه والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهم
قوم لوط يقال افكه فائتفك اهوى اي رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم
اهواها الى الارض اي اسقطها والمؤتفكة منصوب باهوى فغشاها البسها
ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من الصخر المنضود
فباي الاء ربك ايها المخاطب تتمارى تتشكك اي بما اولاك من النعم او بما
كفاك من النقم او باي نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك هذا
نذير اي محمد منذر من النذر الاولى من المنذرين الاولين وقال الاولى
على تاويل الجماعة او هذا القران نذير من النذر الاولى اي انذار من جنس
الانذارات الاولى التي انذر بها من قبلكم ازفت الازفة قربت الموصوفة
بالقرب في قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس
لها نفس كاشفة اي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها اي قادرة على
كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه لا يكشفها افمن هذا الحديث
اي القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون خشوعا وانتم سامدون
غافلون او لاهون لاعبون وكانوا اذا سمعوا القران عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس
عن استماعه فاسجدوا لله واعبدوا اي فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الالهة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة
قربت القيمة وانشق القمر بنصفين وقرئ وقد انشق اي اقتربت الساعة
وقد حصل من ايات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء
المبشر بقدومه قال ابن مسعود رضي الله عنه رايت حراء بين فلقتي القمر وقيل
معناه ينشق يوم القيمة والجمهور على الاول وهو المروي في الصحيحين
ولا يقال لو انشق لما خفي على اهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لان الطباع
جبلت على نشر العجائب لانه يجوز ان يحجبه الله عنهم بغيم وان يروا يعني اهل مكة
اية تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم يعرضوا عن الايمان به ويقولوا سحر مستمر
محكم قوي من المرة القوة او دائم مطرد او مار ذاهب يزول ولا يبقى وكذبوا النبي
واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر وعدهم الله
مستقر كائن في وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل امر من امرهم وامره مستقر
اي سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب ولقد جاءهم اهل مكة من الانباء

من القران المودع انبا القرون الخالية او انبا الاخرة وما وصف من عذاب الكفار
ما فيه مزدجر ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته اي منعته واصله ازتجر
ولكن التا اذا وقعت بعد زاي ساكنة ابدلت دالا لان التا حرف مهموس
والزاي حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا في اخر كتاب سيبويه حكمة
بدل من ما او على هو حكمة بالغة نهاية الصواب او بالغة من الله اليهم فما
تغني النذر وما نفي والنذر جمع نذير وهم الرسل او المنذر به او النذر مصدر
بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب يوم يدع الداعي
بيخرجون او باضمار اذكر الداعي الى الداعي سهل ويعقوب ومكي فيهما وافق مدني
وابو عمرو في الوصل ومن اسقط اليا اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدع
في الكتابة لمتابعة اللفظ والداعي اسرافيل عليه السلام الى شي نكر منكر
فظيع وتنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة نكر بالتخفيف
مكي خاشعا ابصارهم عراقي غير عاصم وهو حال من الخارجين فعل للابصار
وذكر كما تقول يخشع ابصارهم غيرهم خشعا على يخشعن ابصارهم وهي
لغة من يقول اكلوني البراغيث ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم
بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة لان ذلة الذليل وعزة العزيز
تظهران في عيونهما يخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر في كثرتهم
وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير
المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد مهطعين الى الداعي مسرعين مادي اعناقهم اليه
يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب شديد كذبت قبلهم قبل اهل مكة قوم نوح
فكذبوا عبدنا نوحا عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب انهم كذبوه تكذيبا
على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح
الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا
نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا مجنون اي هو مجنون وازدجر زجر عن اداء الرسالة
بالشتم وهدد بالقتل او هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن
وتخبطته وذهبت بلبه فدعا ربه اني اي باني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني
واستحكم الياس من اجابتهم فانتصر فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه اليهم ففتحنا
ابواب السما ففتحنا شامي ويزيد وسهل ويعقوب بما منهمر منصب في كثرة وتتابع
لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر
وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض فالتقى الما اي مياه السما والارض
وقرئ الماان اي النوعان من الما السماوي والارضي على امر قد قدر على حال
قدرها الله كيف شا او على امر قد قدر في اللوح المحفوظ انه يكون وهو هلاك
قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ودسر اراد السفينة وهي من الصفات
التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها
وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع الا ترى
انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام

ودسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر
به منفذه تجري باعيننا بمرأى منا او بحفظنا او باعيننا حال من الضمير في تجري
اي محفوظة بنا جزا مفعول له لما قدم من فتح ابواب السما وما بعده اي
فعلنا ذلك جزا لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي
نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان
نوح نعمة مكفورة ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة اي جعلناها اية
يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا
طويلا حتى نظر اليها اوايل هذه الامة فهل من مدكر متعظ يتعظ ويعتبر واصله
مذتكر بالذال والتا ولكن التا ابدلت منها الدال والدال والذال من موضع
فادغمت الذال في الدال فكيف كان عذابي ونذر جمع نذير وهو الانذار ونذري
يعقوب فيهما وافقه سهل في الوصل غيرهما بغير يا وعلى هذا الاختلاف ما بعده
الى اخر السورة ولقد يسرنا القران للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه
بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من مدكر متعظ يتعظ
وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه
ليعان عليه ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور
لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقران كذبت عاد فكيف كان عذابي
ونذر اي وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شوم مستمر
دايم الشر فقد استمر عليهم حتى اهلكهم وكان في اربعا في اخر الشهر تنزع الناس
تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون اخذين بعضهم بايدي بعض ويتداخلون
في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم
كانهم حال اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا باعجاز
النخل لان الريح كانت تقلع روسهم فتبقى اجسادا بلا روس فيتساقطون
على الارض امواتا وهم جثث طوال كانهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع
وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال كانهم اعجاز نخل
خاوية فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت
ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا انتصب بشرا بفعل يفسره نتبعه تقديره
انتبع بشرا منا واحدا انا اذا لفي ضلال وسعر كان يقول ان لم تتبعوني كنتم
في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك
كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطا والبعد عن الصواب والسعر الجنون
وقولهم ابشرا انكار لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من الملايكة
وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان
تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس من اشرافهم وافضلهم
ويدل عليه قوله االقي الذكر عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا
من هو احق منه بالاختيار للنبوة بل هو كذاب اشر بطر متكبر حمله بطره وطلبه

التعظم علينا على ادعائه لذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة
من الكذاب الاشر اصالح ام من كذبه سيعلمون شامي وحمزة على حكاية ما قال
لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات انا مرسلوا الناقة اي
باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سالوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء وهي
مفعول له او حال فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على اذاهم
حتى ياتيك امري ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم
شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلا كل شرب محتضر محضور يحضر القوم الشرب
يوما وتحضر الناقة يوما فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى
فاجترا على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فعقر الناقة او فتعاطى الناقة
فعقرها او فتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة في اية اخرى لرضاهم به
او لانه عقر بعونهم فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم في اليوم الرابع من
عقرها صيحة واحدة صاح بهم جبريل عليه السلام فكانوا كهشيم المحتظر والهشيم
الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس
بطول الزمان وتتوطاه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرا الحسن بفتح الظاء
وهو موضع الاحتظار اي الحظيرة ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت
قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم يعني على قوم لوط حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة
اي ترميهم الا ال لوط ابنتيه ومن امن معه نجيناهم بسحر من الاسحار ولذا صرفه
ويقال لقيته بسحر اذا لقيته في سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل
انصداع الفجر والاخر عند انصداعه نعمة مفعول له اي انعاما من عندنا
كذلك نجزي من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته ولقد انذرهم لوط عليه السلام
بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد
راودوه عن ضيفه طلبوا الفاحشة من اضيافه فطمسنا اعينهم اعميناهم
وقيل مسحناها وجعلناها كساير الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما
عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملايكة خلهم يدخلوها انا رسل
ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم
يترددون ولا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم على
السنة الملايكة عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة اول النهار عذاب مستقر
ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الاخرة وفايدة تكرير فذوقوا عذابي
ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ان يجددوا عند استماع كل نبا من انبا
الاولين ادكارا واتعاظا وان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث
على ذلك والبعث عليه وهكذا حكم التكرير في قوله فباي الاء ربكما تكذبان عند
كل نعمة عدها وقوله ويل يوميذ للمكذبين عند كل اية اوردها وكذا تكرير الانبا
والقصص في انفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة
غير منسية في كل اوان ولقد جاء ال فرعون النذر موسى وهارون وغيرهما من
الانبيا او هو جمع نذير وهو الانذار كذبوا باياتنا كلها بالايات التسع فاخذناهم

اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شي اكفاركم يا اهل مكة خير من اوليكم
المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وال فرعون اي اهم خير قوة واله
ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اوليك بل هم شر منهم
ام لكم براة في الزبر ام انزلت عليكم يا اهل مكة براة في الكتب المتقدمة ان
من كفر منكم وكذب الرسل كان امنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراة ام
يقولون نحن جميع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام سيهزم الجمع جمع اهل مكة
ويولون الدبر اي الادبار كما قالوا كلوا في بعض بطنكم اي ينصرفون منهزمين
يعني يوم بدر وهذه من علامات النبوة بل الساعة موعدهم موعد عذابهم
بعد بدر والساعة ادهى وامر مذاقا من عذاب الدنيا او اشد من المرة
ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الاخرة او في هلاك ونيران
يوم يسحبون في النار يجرون فيها على وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر
كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها فكانها
تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتانيث والتعريف لانها علم لجهنم
من سقرته النار اذا لوحته انا كل شي خلقناه بقدر بفعل مضمر يفسره الظاهر
وقرئ بالرفع شاذا والنصب اولى لانه لو رفع لامكن ان يكون خلقناه في موضع
الجر وصفا لشي وان يكون الخبر بقدر وتقديره انا كل شي مخلوق لنا بقدر ويحتمل
ان يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل شي مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر
في الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شي بقدر فيكون الخلق عاما
لكل شي وهو المراد بالاية ولا يجوز في النصب ان يكون خلقناه صفة لشي لانه
تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف والقدر والقدر التقدير اي بتقدير
سابق او خلقنا كل شي مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا
مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال ابو هريرة جاء
مشركوا قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت الاية
وكان عمر يحلف انها نزلت في القدرية وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة
اي وما امرنا لشي نريد تكوينه الا ان نقول له كن فيكون كلمح بالبصر على قدر
ما يلمح احدكم ببصره وقيل المراد بامرنا القيامة كقوله وما امر الساعة الا كلمح
البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم فهل من مدكر متعظ
وكل شي فعلوه اي اوليك الكفار او وكل شي مفعول لهم ثابت في الزبر
في دواوين الحفظة ففعلوه في موضع جر نعت لشي وفي الزبر خبر لكل
وكل صغير وكبير من الاعمال وهو كل ما هو كاين مستطر مسطور في اللوح
ان المتقين في جنات ونهر وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضيا
ومنه النهار في مقعد صدق في مكان مرضي عند مليك عندية منزلة وكرامة
لا مسافة ومماسة مقتدر قادر وفايدة التنكير فيهما ان يعلم ان لا شي الا
هو تحت ملكه وقدرته والله اعلم سورة الرحمن ست وسبعون اية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران خلق الانسان اي الجنس او ادم

او محمدا عليهما السلام علمه البيان عدد الله عز وجل الاءه فاراد ان يقدم اول
شي هو اسبق قدما من ضروب الايه وصنوف نعمايه وهي نعمة الدين فقدم
من نعمة الدين ما هو سنام في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه
بالقران وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه
في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر
ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط
علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الانسان من اجله عليه ثم ذكر ما تميز به
عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير
والرحمن مبتدا وهذه الافعال مع ضمايرها اخبار مترادفة واخلاوها
من العاطفة لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيدا اغناك بعد فقر اعزك
بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه
الشمس والقمر بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما
ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب والنجم
النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق
وقيل النجم نجوم السما يسجدان ينقادان لله فيما خلقا له تشبيها
بالساجد من المكلفين في انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل
المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل
الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف في
الجمل الاول ثم جي به بعد لان الاول وردت على سبيل التعديد تبكيتا
لمن انكر الاءه كما يبكت منكرا ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه
في المثال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب
وصله للتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب ان الشمس والقمر
سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل
وان السما والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر
بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر
والسما رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشا احكامه
ومصدر قضاياه ومسكن ملايكته الذين يهبطون بالوحي على انبيايه ونبه
بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان اي كل ما يوزن به الاشيا
وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا
على الارض حيث علق به احكام عباده من التسوية والتعديل في اخذهم
واعطايهم ان لا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا وهي ان المفسرة واقيموا الوزن بالقسط
وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهي
عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف
ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله
والحث عليه والارض وضعها خفضها مدحوة على الما للانام للخلق وهو

كلا

كلما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي كالمهاد لهم
يتصرفون فوقها فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية
الثمر الواحد كم بكسر الكاف او كل ما يكم اي يغطى من ليفه وسعفه وكفراه
وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه والحب ذو العصف
هو ورق الزرع او التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ
به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به
وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلي اي والحب ذو العصف الذي هو
علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الانعام والرفع على وذو الريحان
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان
الذي يشم والحب ذا العصف والريحان شامي اي وخلق الحب والريحان
او واخص الحب والريحان فباي الا اي النعم مما عدد من اول السورة جمع الى
والى ربكما تكذبان الخطاب للثقلين لدلالة الانام عليهما خلق الانسان من
صلصال طين يابس له صلصلة كالفخار اي الطين المطبوخ بالنار وهو
الخزف ولا اختلاف في هذا وفي قوله من حما مسنون من طين لازب من
تراب لاتفاقهما معنى لانه يفيد انه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حما
مسنونا ثم صلصالا وخلق الجان ابا الجن قيل هو ابليس من مارج هو اللهب
الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشي اذا
اضطرب واختلط من نار هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او
مختلط او اراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى فباي الاء ربكما
تكذبان رب المشرقين ورب المغربين اراد مشرقي الشمس في الصيف والشتا
ومغربيها فباي الاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان اي ارسل البحر الملح
والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مراي العين
بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما
ولا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة فباي الاء ربكما تكذبان يخرج مدني وبصري
منهما اللولو بالهمز ابو بكر ويزيد وهو كبار الدر والمرجان صغاره وانما
قال منهما وهما يخرجان من الملح لانهما لما التقيا وصارا كالشي الواحد
جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع
البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت
من محلة من محاله وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب فباي الا
ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف
عليها بالياء والاختيار وصلها وان وقف عليها واقف بغير ياء فذاهب
الى بعد ولكن يروم الكسر في الراء ليدل على حذف الياء المنشآت المرفوعات
الشرع المنشيات بكسر الشين حمزة ويحيى وهي الرافعات الشرع واللاتي
ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل فباي الاء ربكما
تكذبان كل من عليها على الارض فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال ذاته والاكرام

ذو العظمة والسلطان وهو صفة الوجه والاكرام بالتجاوز والاحسان وهذه
الصفة من عظيم صفات الله وفي الحديث الظوا بياذا الجلال والاكرام وروي
انه عليه الصلاة والسلام مر برجل وهو يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال
قد استجيب لك فباي الاء ربكما تكذبان والنعمة في الفنا باعتبار ان المومنين
به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذي
يقرب الحبيب الى الحبيب يساله من في السموات والارض وقفه عليها نافع كل من
اهل السموات والارض مفتقرون اليه فيساله اهل السموات ما يتعلق
بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب كل يوم ظرفا بما دل
عليه هو في شان اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي انه
عليه الصلاة والسلام تلاها فقيل له وما ذلك الشان فقال من شانه ان
يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين وعن ابن عيينه الدهر عند الله
يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاحيا
والاماتة والاعطا والمنع والاخر يوم القيامة فشانه فيه الجزا والحساب
وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شانا وسال
بعض الملوك وزيره عن الاية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها
فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك
على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شان
الله انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافا ويعافي مبتليا ويعز
ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير
ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان الله وقيل سوق
المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله دعا الحسين بن الفضل وقال
له اشكلت على ثلاث ايات دعوتك لتكشفها لي قوله فاصبح من النادمين
وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كائن
الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف
فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة وقيل ان ندم
قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وان ليس للانسان
الا ما سعى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام واما قوله كل يوم هو في شان
فانها شوون يبديها لا شوون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ
خراجه فباي الاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدد
به سافرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد
التوفر على النكاية والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ
اخرها وتنتهي عند ذلك شوون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شان
فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاوكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل
وقرئ ع حمزة وعلي ايه الله تعالى ايه الثقلان الانس والجن سمي بذلك لانهما

ثقلا الارض فباي الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس هو كالترجمة لقوله
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
اي ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هربا من قضائي
فاخرجوا ثم قال لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان بقوة وقهر
وغلبة وانى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن موقفهم للحساب غدا بالعجز عن
نفوذ الاقطار اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيمة حين تحدق بهم
الملايكة فاذا راوهم الجن والانس هربوا فلا ياتون وجها الا وجدوا الملايكة
احتاطت به فباي الاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار وبكسر الشين
مكي وكلاهما اللهب الخالص ونحاس اي دخان ونحاس مكي وابو عمرو فالرفع
عطف على شواظ والجر على نار والمعنى اذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما
لهب خالص من النار ودخان يسوقكم الى المحشر فلا تنتصران فلا تمتنعان
منهما فباي الاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السما انفك بعضها من بعض
لقيام الساعة فكانت وردة فصارت كلون الورد الاحمر وقيل اصل
لون السما الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقا كالدهان كدهن الزيت
كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم
الاحمر فباي الاء ربكما تكذبان فيومئذ اي فيوم تنشق السما لا يسال عن ذنبه
انس ولا جان اي ولا جن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال
هاشم ويراد ولده والتقدير لا يسال انس ولا جان عن ذنبه والتوفيق
بين هذه الاية وبين قوله فوربك لنسالنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم
مسولون ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسالون في موطن ولا يسالون
في اخر وقال قتادة قد كانت مسالة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت
ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسال عن ذنبه ليعلم من جهته
ولكن يسال للتوبيخ فباي الاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم بسواد
وجوههم وزرقة عيونهم فيوخذ بالنواصي والاقدام اي يوخذ تارة بالنواصي
وتارة بالاقدام فباي الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
يطوفون بينها وبين حميم ان ماء حار قد انتهى حره اي يعاقب عليهم بين
التصلية بالنار وبين شرب الحميم فباي الاء ربكما تكذبان والنعمة في هذا
نجاة الناجي منه بفضله ورحمته وما في الانذار به من التنبيه ولمن خاف
مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة فترك
المعاصي او فادى الفرايض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذيب
اي نفيت عنه الذيب جنتان جنة الانس وجنة الجن لان الخطاب
للثقلين وكانه قيل لكل خايفين منكما جنتان جنة للخايف الانسي وجنة
للخايف الجني فباي الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان اغصان جمع فنن وخص الافنان
لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار او الوان
جمع فن اي له فيهما ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال الشاعر

ومن كلا افنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش اخضر ناضر
فباي الاء ربكما تكذبان فيهما في الجنتين عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي
والاسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل
فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان صنف معروف
وصنف غريب فباي الاء ربكما تكذبان متكئين نصب على المدح للخائفين او حال
منهم لان من خاف في معنى الجمع على فرش جمع فراش بطائنها جمع بطانة من
استبرق ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلمها
الا الله وجنى الجنتين دان ثمرهما قريب يناله القائم والقاعد والمتكئ فباي الا
ربكما تكذبان فيهن اي في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس
او في هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى
قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن
الدوري بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية انس قبلهم ولا جان وهذا دليل على
ان الجن يطمثون كما تطمث الانس فباي الاء ربكما تكذبان كانهن اللولو صفا والمرجان
بياضا فهو ابيض من اللولو فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان
في الثواب وقيل ما جزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة وعن ابراهيم الخواص
فيه هل جزاء الاسلام الا دار السلام فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما ومن دون
تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين
فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل
الدهمة السواد فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء
لا تنقطعان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة الوان الفواكه ونخل ورمان
والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند ابي حنيفة رضي الله عنه للعطف
ولان التمر فاكهة وغذا والرمان فاكهة ودوا فلم يخلصا للتفكه وهما قالا
انما عطفا على الفاكهة لفضلهما كانهما جنسان اخران لما لهما من المزية كقوله
وجبريل وميكال فباي الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان اي خيرات
فخففت وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق
فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام اي مخدرات يقال امراة قصيرة
وقصورة ومقصورة اي مخدرة وقيل الخيام من الدر المجوف فباي الاء ربكما تكذبان
لم يطمثهن انس قبلهم قبل اصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين ولا جان فباي
الاء ربكما تكذبان متكئين نصب على الاختصاص على رفرف هو كل ثوب عريض
وقيل الوسائد خضر وعبقري حسان ديباج او طنافس فباي الاء ربكما تكذبان وانما
تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما
لان مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون
كل فاكهة وكذلك صفة الحور تبارك اسم ربك ذي الجلال ذي العظمة ذو الجلال
شامي صفة للاسم والاكرام لاوليائه بالانعام روى جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرا سورة الرحمن فقال مالي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم

ردا اما اتيت على قوله فباي الاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك
ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الاية في هذه السورة
احدى وثلاثين مرة ثمانية منها عقيب تعداد عجائب خلق الله وبدائع
صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقيب ايات فيها ذكر النار
وشدائدها على عدد ابواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين
واهلهما على عدد ابواب الجنة وثمانية اخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما
فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها فتحت له ابواب الجنة وغلقت
عنه ابواب جهنم والله اعلم سورة الواقعة ست وتسعون اية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة قامت القيامة وقيل وصفت
بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها
ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله
وانتصاب اذ باضمار اذكر ليس لوقعتها كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون حين
تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ
مومنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام
مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي خافضة رافعة اي هي خافضة
رافعة ترفع اقواما وتضع اخرين اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا
شديدا حتى يتهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وهو بدل من اذا وقعت
ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض
وبس الجبال وبست الجبال بسا وفتت حتى تعود كالسويق او سيقت
من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال فكانت هباء غبارا منبثا
متفرقا وكنتم ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها من بعض او يذكر
بعضها مع بعض ازواج ثلاثة صنفان في الجنة وصنف في النار ثم فسر
الازواج فقال فاصحاب الميمنة مبتدا هم الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم
ما اصحاب الميمنة مبتدا وخبر وهما خبر المبتدا الاول وهو تعجيب من حالهم
في السعادة وتعظيم لشانهم كانه قال ما هم واي شيء هم واصحاب
المشامة اي الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية
واصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان مني باليمين وفلان
مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم
بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل
النار ذات الشمال ما اصحاب المشامة اي اي شيء هم وهو تعجيب من حالهم
بالشقاء والسابقون السابقون مبتدا وخبر تقديره السابقون الى الخيرات
او السابقون الى الجنات وقيل الثاني تاكيد للاول والخبر اولئك
المقربون والاول اوجه في جنات النعيم اي هم في جنات النعيم ثلة من
الاولين وقليل من الاخرين اي هم ثلة والثلة الامة من الناس الكثيرة
والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن ادم الى نبينا محمد

عليه السلام **وقليل من الاخرين** وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من
الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الاخرين من متاخريها وعن النبي صلى
الله عليه وسلم الثلثان جميعا من امتي **على سرر** جمع سرير ككثيب وكثب
موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت **متكئين** حال من الضمير
في على وهو العامل اي استقروا عليها متكئين **عليها متقابلين** ينظر بعضهم في
وجوه بعض ولا ينظر بعضهم في اقفا بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب
الاخلاق وصفا المودة ومتقابلين حال ايضا **يطوف عليهم** يخدمهم **ولدان**
غلمان جمع وليد **مخلدون** مبقون ابدا على شكل الولدان لا يتحولون عنه
وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات
فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل
الجنة **باكواب** جمع كوب وهي انية لا عروة لها ولا خرطوم **واباريق** جمع ابريق
وهو ما له خرطوم وعروة **وكاس** وهو قدح فيه شراب وان لم يكن فيه شراب
فليس بكاس **من معين** من خمر تجري من العيون **لا يصدعون عنها** اي بسببها
وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها **ولا ينزفون** ولا يسكرون
نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاي كوفي اي لا ينفد
شرابهم يقال انزف القوم اذا فني شرابهم **وفاكهة مما يتخيرون** ياخذون
خيره وافضله **ولحم طير مما يشتهون** يتمنون **وحور** جمع حوراء **عين**
جمع عيناء اي وفيها حور عين او ولهم حور عين ويجوز ان يكون عطفا على
ولدان وحور عين يزيد وحمزة وعلي عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات
النعيم وفاكهة ولحم وحور **كامثال اللؤلؤ** في الصفا والنقا **المكنون** المصون
وقال الزجاج كامثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف
احوال الاستعمال **جزاء بما كانوا يعملون** جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك
كله لجزاء اعمالهم او مصدر اي يجزون جزاء **لا يسمعون فيها** في الجنات **لغوا**
باطلا **ولا تاثيما** هذيانا **الا قيلا سلاما سلاما** الا قولا ذا سلامة والاستثناء
منقطع وسلاما بدل من قيلا او مفعول به لقيلا اي لا يسمعون فيها الا ان يقولوا
سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام
واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود السدر شجر النبق والمخضود
الذي لا شوك له كانما خضد شوكه **وطلح منضود** الطلح شجر الموز والمنضود
الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة **وظل ممدود**
ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس **وماء مسكوب** جار بلا حد
ولا خد اي يجري على الارض في غير اخدود **وفاكهة كثيرة** اي كثيرة الاجناس
لا مقطوعة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا بل هي دائمة
ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا
ممنوعة بالاثمان **وفرش مرفوعة** رفيعة القدر او نضدت حتى ارتفعت
او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش

مرفوعة

مرفوعة على الارايك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارايك
متكيون ويدل عليه قوله **انا انشاناهن انشاء** ابتدانا خلقهن ابتداء من غير
ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدي انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن
وعلى غير هذا التاويل اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن
فجعلناهن ابكارا عذارى كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا **عربا**
عربا حمزة وخلف ويحيى وحماد جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها
الحسنة التبعل **اترابا** مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين
وازواجهن كذلك واللام في **لاصحاب اليمين** من صلة انشانا **ثلة** اي
اصحاب اليمين ثلة **من الاولين وثلة من الاخرين** فان قلت كيف قال
قبل هذا وقليل من الاخرين ثم قال هنا وثلة من الاخرين قلت ذاك
في السابقين وهذا في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والاخرين
جميعا وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعوا الامم مثل
تابعي هذه الامة **واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال** الشمال والمشامة واحدة
في سموم في حر نار ينفذ في المسام **وحميم** وماء حار متناه في الحرارة **وظل
من يحموم** من دخان اسود **لا بارد ولا كريم** نفي لصفتي الظل عنه يريد انه
ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه
من ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من
الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار **انهم كانوا قبل ذلك** اي في الدنيا **مترفين**
متنعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار **وكانوا يصرون**
يداومون **على الحنث العظيم** اي على الذنب العظيم او على الشرك لانه نقض
عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين او الكفر بالبعث بدليل
قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت **وكانوا يقولون ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون** صح تقديره انبعث اذا متنا
وهو العامل في الظرف وجاز حذفه اذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه
مبعوثون لان ان والاستفهام يمنعان ان يعمل ما بعدهما فيما قبلهما **او اباؤنا
الاولون** دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف
على المضمر في لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن
في قوله ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي او اباؤنا مدني وشامي
قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت
به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت
به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من
يريد دخول مكة الا محرما **ثم انكم ايها الضالون** عن الهدى **المكذبون** بالبعث
وهم اهل مكة **لآكلون من شجر** من لابتداء الغاية **من زقوم** من لبيان الشجر
فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم انث ضمير الشجر على المعنى
وذكره على اللفظ في منها وعليه **فشاربون شرب** بضم الشين مدني وعاصم وحمزة

وسهل ونافع الشين غيرهم وهما مصدران الهيم هي ابل عطاش لا تروى جمع اهيم
وهيماء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو
كالمهل فاذا ملؤوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب
الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وانما صح عطف الشاربين
على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شاربين
للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب ايضا فكانتا
صفتين مختلفتين هذا نزلهم هو الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له يوم
الدين يوم الجزاء نحن خلقناكم فلولا فهلا تصدقون تحضيض على التصديق اما
بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه
التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان
يخلق ثانيا افرايتم ما تمنون ما تمنونه اي تقذفونه في الارحام من النطف
ءانتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون
نحن قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف
وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط
قدرنا بالتخفيف مكي سبقته بالشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله
وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه
وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق
وننشئكم فيما لا تعلمون وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها
يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز
عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم
التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها ولقد علمتم
النشاة الاولى النشاءة مكي وابو عمرو فلولا تذكرون ان من قدر على شيء مرة
لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس
النشاة الاخرى على الاولى افرايتم ما تحرثون ما تحرثونه من الطعام اي تثيرون
الارض وتلقون فيها البذر ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا ام نحن
الزارعون المنبتون وفي الحديث لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت
لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا قبل ادراكه فظلتم تفكهون تعجبون
او تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي
التي اصبتم بذلك من اجلها انا اي ليقولون انا ائنا ابو بكر لمغرمون اي
لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك
بل نحن قوم محرومون محارفون محدودون لا مجدودون لا حظ لنا
ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا افرايتم الماء الذي تشربون
اي الماء العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن السحاب الابيض
وهو اعذب ماء ام نحن المنزلون بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او مرا
لا يقدر على شربه فلولا تشكرون فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب

لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لو لما كانت داخلة على جملتين
معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان
ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها
في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها
الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك
ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل احد به وتساوي حالي
حذفه واثباته على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية
ولان هذه اللام تفيد معنى التاكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون
اية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان
الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا
للمطعوم ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب افرايتم النار التي تورون
تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما
على الاخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة
ءانتم انشاتم شجرتها التي منها الزناد ام نحن المنشئون الخالقون لها ابتداء
نحن جعلناها اي النار تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب
المعاش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها
ويذكرون ما اوعدوا به ومتاعا ومنفعة للمقوين للمسافرين في القواء
وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من قولهم
اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدا بذكر خلق الانسان فقال افرايتم
ما تمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما به قوامه وهو الحب
فقال افرايتم ما تحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما
يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد
ما دام حيا فسبح باسم ربك فنزه ربك عما لا يليق به ايها المستدل
او اراد بالاسم الذكر اي فسبح بذكر ربك العظيم صفة للمضاف او للمضاف
اليه وقيل قل سبحان ربي العظيم وجاء مرفوعا انه لما نزلت هذه الاية قال
اجعلوها في ركوعكم فلا اقسم اي فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله
لئلا يعلم اهل الكتاب وقرئ فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء
ادخلت على جملة من مبتدا وخبر وهي انا اقسم ثم حذف المبتدا ولا يصح
ان تكون اللام لام القسم لان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة بمواقع النجوم
بمساقطها ومغاربها بموقع حمزة وعلي ولعل الله تعالى في اخر الليل اذا
انحطت النجوم في اخر الليل افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات
موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم
فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم
وهو اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو
قوله انه لقران كريم حسن مرضي او نفاع جم المنافع او كريم على الله

واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته في كتاب اي اللوح المحفوظ مكنون
مصون عن ان ياتيه الباطل او من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه
من سواهم لا يمسه الا المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وغيرها
ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقران
فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس والمراد مس
المكتوب منه تنزيل صفة رابعة للقران اي منزل من رب العالمين
او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين ساير كتب الله فكانه في نفسه
تنزيل ولذلك اجري مجرى بعض اسمايه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق
به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا افبهذا الحديث اي القران انتم
مدهنون متهاونون به كمن يدهن في بعض الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب
فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي تجعلون شكر رزقكم
التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وفي قراءة علي رضي الله عنه
وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم انكم تكذبون
اي تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم
السقيا اليها والرزق المطر اي وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث
انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم فلولا اذا بلغت النفس
اي الروح عند الموت الحلقوم ممر الطعام والشراب وانتم حينئذ تنظرون
الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة ونحن اقرب اليه الى المحتضر منكم ولكن
لا تبصرون لا تعقلون ولا تعلمون فلولا ان كنتم غير مدينين مربوبين من دان
السلطان الرعية اذا ساسهم ترجعونها تردون النفس وهي الروح الى
الجسد بعد بلوغ الحلقوم ان كنتم صادقين انكم غير مربوبين مقهورين
فلولا في الاثنين للتحضيض يستدعي فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره
مرة وترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين
وفلولا الثانية مكررة للتاكيد ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا
وعلمنا او بملايكة الموت والمعنى انكم في جحودكم ايات الله في كل شيء اذا انزل
عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافترا وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر
كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يودي الى
الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم
ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدي
المعيد فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلاثة
المذكورة في اول السورة فروح فله استراحة وريحان ورزق وجنة نعيم
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك يا صاحب
اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما
سلاما واما ان كان من المكذبين الضالين هم الصنف الثالث من الازواج
الثلاثة وهم الذين قيل لهم في هذه السورة ثم انكم ايها الضالون المكذبون

فنزل

فنزل من حميم وتصلية جحيم اي ادخال فيها وفي هذه الايات اشارة الى ان الكفر
كله ملة واحدة وان اصحاب الكباير من اصحاب اليمين لانهم غير مكذبين
ان هذا الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت من
اليقين فسبح باسم ربك العظيم روي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل
على ابن مسعود رضي الله عنه في مرض موته فقال له ما تشتكي فقال ذنوبي
فقال ما تشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو الطبيب قال الطبيب
امرضني فقال الا نامر بعطائك قال لا حاجة لي فيه قال ندفعه الى
بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد امرتهن ان يقران سورة الواقعة فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة
لم تصبه فاقة ابدا وليس في هذه السور الثلاث ذكر الله اقتربت الرحمن الواقعة
سورة الحديد تسع وعشرون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله جاء في
بعض الفواتح سبح بلفظ الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع وفي بني اسرايل
بلفظ المصدر وفي الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع
جهاتها وهي اربع المصدر والماضي والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدي
باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه
لان معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد ف
اللام اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله
احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتاتى
منه التسبيح ويصح وهو العزيز المنتقم من مكلف لم يسبح له عنادا الحكيم في
مجازاة من سبح له انقيادا له ملك السموات والارض لا لغيره وموضع يحيي
رفع اي هو يحيي الموتى ويميت الاحيا او نصب اي له ملك السموات والارض
محييا ومميتا وهو على كل شيء قدير هو الاول هو القديم الذي كان قبل كل شيء
والاخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن
لكونه غير مدرك بالحواس وان كان مرئيا والواو الاولى معناها
الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية والثالثة على
انه الجامع بين الظهور والخفا واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع
الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو مستمر الوجود
في جميع الاوقات الماضية والاتية وهو في جميعها ظاهر وباطن
وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه
والباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام عن الحسن من ايام الدنيا ولو اراد ان
يجعلها في طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة اصلا ليكون عليها المدار
ثم استوى استولى على العرش يعلم ما يلج في الارض ما يدخل في الارض من البذر
والقطر والكنوز والموتى وما يخرج منها من النبات وغيره وما ينزل من
السما من الملايكة والامطار وما يعرج فيها من الاعمال والدعوات وهو

معكم اين ما كنتم بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا **والله**
بما تعملون بصير فيجازيكم على حسب اعمالكم **له ملك السموات والارض والى الله**
ترجع الامور يولج الليل في النهار يدخل الليل في النهار بان ينقص من الليل ويزيد
في النهار **ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور امنوا بالله ورسوله**
وانفقوا يحتمل الزكاة والانفاق في سبيل الله **مما جعلكم مستخلفين فيه** يعني
ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم
اياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة
وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله تعالى
وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره اذا اذن
له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم وسينقله
منكم الى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به **فالذين امنوا** بالله ورسوله
منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله هو حال من معنى الفعل في ما لكم
كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما وما لكم كافرين بالله والواو في
والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلان والمعنى واي عذر لكم في
ترك الايمان والرسول يدعوكم **لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم** وقبل ذلك قد
اخذ الله ميثاقكم بقوله الست بربكم او بما ركب فيكم من العقول ومكنكم
من النظر في الادلة فاذا لم يبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول
فما لكم لا تؤمنون **ان كنتم مؤمنين** لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه
أُخذ ميثاقكم ابو عمرو **هو الذي ينزل على عبده** محمد صلى الله عليه وسلم **ايات**
بينات يعني القران **ليخرجكم** الله او محمد بدعوته **من الظلمات الى النور** من
ظلمات الكفر الى نور الايمان **وان الله بكم لرؤف** بالمد والهمز حجازي وشامي
وحفص **رحيم** الرافة اشد الرحمة **وما لكم الا تنفقوا** في ان لا تنفقوا **في سبيل**
الله ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق
لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد
مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق
في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال **لا يستوي منكم من**
انفق من قبل الفتح وقاتل اي فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول
الناس في دين الله افواجا ومن انفق من بعد الفتح فحذف لان قوله
من الذين انفقوا من بعد يدل عليه **اولئك** الذين انفقوا قبل الفتح وهم
السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى
الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا اي كل واحد من
الفريقين **وعد الله الحسنى** اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات
وكلا مفعول اول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامي اي وكل
وعده الله الحسنى نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول

من انفق في سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه **والله بما تعملون خبير**
فيجازيكم على قدر اعمالكم **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** بطيب نفسه
والمراد الانفاق في سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء
فيضاعفه له اي يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله
وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه فيضعفه
مكي فيضعفه شامي فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب
على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه او عطف على يقرض **يوم ترى**
المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما
لذلك اليوم **يسعى** يمضي **نورهم** نور التوحيد والطاعات وانما قال **بين ايديهم**
وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء
يؤتونها من شمايلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم واية
لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحايفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى
الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملايكة
بشراكم اليوم جنات اي دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون
الجثث **تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول** هو بدل
من يوم ترى **المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا** انتظرونا لانه يسرع
بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة انظرونا حمزة من النظرة وهي الامهال جعل
اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم **نقتبس من نوركم** نصب منه
وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به **قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا** طرد لهم
وتهكم بهم اي تقول لهم الملايكة او المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث
اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا
فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان **فضرب بينهم** بين المؤمنين والمنافقين
بسور بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف **له** لذلك
السور **باب** لاهل الجنة يدخلون منه **باطنه** باطن السور او الباب
وهو الشق الذي يلي الجنة **فيه الرحمة** اي النور او الجنة **وظاهره** ما ظهر لاهل
النار **من قبله** من عنده ومن جهته **العذاب** اي الظلمة او النار **ينادونهم**
اي ينادي المنافقون المؤمنين **الم نكن معكم** يريدون موافقتهم في الظاهر
قالوا اي المؤمنون **بلى ولكنكم فتنتم انفسكم** محنتموها بالنفاق واهلكتموها
وتربصتم بالمؤمنين الدوائر **وارتبتم** وشككتم في التوحيد **وغرتكم الاماني**
طول الامال والطمع في امتداد الاعمار **حتى جاء امر الله** اي الموت **وغركم**
بالله الغرور وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم او بانه لا بعث ولا
حساب **فاليوم لا يؤخذ** وبالتاء شامي **منكم** ايها المنافقون **فدية** ما يفتدى
به **ولا من الذين كفروا ماواكم النار** مرجعكم **هي مولاكم** هي اولى بكم وحقيقته مولاكم
محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم
اي مكان لقول القائل انه لكريم **وبئس المصير** النار **الم يان** من انى الامر يانى

اذا جاءنا اتاه اي وقته قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة
ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا
وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابي بكر رضي الله عنه ان هذه
الاية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم
فقال هكذا كنا حتى قست القلوب **للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل**
من الحق بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزل وما بمعنى الذي والمراد بالذكر وما
نزل من الحق القران لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السما
ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل القراءة بالياء عطف على تخشع وبالتاء رويس
على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب
بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم
واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان
غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره **فطال**
عليهم الامد الاجل او الزمان **فقست قلوبهم** باتباع الشهوات **وكثير منهم فاسقون**
خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اي وقليل منهم مؤمنون **اعلموا ان**
الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون قيل هذا
تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض **ان المصدقين والمصدقات**
بتشديد الدال وحده مكي وابو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين
صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو
اسم فاعل من تصدق فادغمت التاء في الصاد وقرئ على الاصل **واقرضوا الله قرضا**
حسنا هو عطف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم
الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان
يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة
يضاعف لهم يضعف مكي وشامي **ولهم اجر كريم** اي الجنة **والذين امنوا بالله**
ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم يريد ان المؤمنين بالله ورسله
هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق
واستشهدوا في سبيل الله **لهم اجرهم ونورهم** اي مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم ويجوز ان يكون والشهداء مبتدا ولهم اجرهم خبره
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحياة الدنيا لعب
كلعب الصبيان **ولهو** كلهو الفتيان **وزينة** كزينة النسوان **وتفاخر بينكم**
كتفاخر الاقران **وتكاثر** كتكاثر الدهقان **في الاموال والاولاد** اي مباهاة بهما
والتكاثر ادعاء الاستكثار **كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا**
بعد خضرته **ثم يكون حطاما** متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة
جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى وقوي واعجب به الكفار الجاحدون
لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج
واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب

الجنتين وقيل الكفار الزراع **وفي الاخرة عذاب شديد** للكفار **ومغفرة من الله ورضوان**
للمؤمنين يعني ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو
والزينة والتفاخر والتكاثر واما الاخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب
الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف في كمثل غيث في محل
رفع على انه خبر بعد خبر اي الحياة الدنيا مثل غيث **وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور**
لمن ركن اليها واعتمد عليها قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا
وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل في غيرها ولما حقر الدنيا
وصغر امرها وعظم امر الاخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد
من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة
بقوله **سابقوا** اي بالاعمال الصالحة **الى مغفرة من ربكم** وقيل سارعوا
مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار **وجنة عرضها كعرض السماء والارض**
قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون
الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه
بالبسطة عرف ان طوله ابسط او اريد بالعرض البسطة وهذا ينفي قول
من يقول ان الجنة في السماء الرابعة لان التي في احدى السموات لا تكون
في عرض السموات والارض **اعدت للذين امنوا بالله ورسوله** وهذا دليل على انها
مخلوقة **ذلك** الموعود من المغفرة والجنة **فضل الله يؤتيه من يشاء** وهم
المؤمنون وفيه دليل انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل الله **والله ذو الفضل العظيم**
ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله **ما اصاب من مصيبة في الارض** من
الجدب وافات الزروع والثمار وقوله في الارض في موضع الجر اي ما اصاب
من مصيبة ثابتة في الارض **ولا في انفسكم** من الامراض والاوصاب وموت
الاولاد **الا في كتاب** في اللوح وهو في موضع الحال اي الا مكتوبا **من قبل ان نبراها**
من قبل ان نخلق الانفس **ان ذلك** ان تقدير ذلك واثباته في كتاب **على الله**
يسير وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله **لكيلا**
تاسوا تحزنوا حزنا يطغيكم **على ما فاتكم** من الدنيا وسعتها او من العافية وصحتها
ولا تفرحوا فرح المختال الفخور **بما اتاكم** اعطاكم من الايتاء ابو عمرو واتاكم اي جاءكم
من الاتيان يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على
الفائت وفرحكم على الاتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لا يتفاقم
جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل
اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس احد الا وهو يفرح
عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغي ان يكون الفرح شكرا
والحزن صبرا وانما يذم من الحزن الجزع المنافي ومن الفرح الاشر المطغي
الملهي عن الشكر **والله لا يحب كل مختال فخور** لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في
نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس **الذين يبخلون** خبر مبتدا محذوف
او بدل من كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون

الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه
عن حقوق الله ويبخلون به ويامرون الناس بالبخل ويحضون غيرهم على البخل
ويرغبونهم في الامساك ومن يتول يعرض عن الانفاق او عن اوامر الله
ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالاتي فان الله
هو الغني عن جميع المخلوقات فكيف عنه الحميد في افعاله فان الله الغني
بذاته هو محمود في ذاته لقد ارسلنا رسلنا يعني ارسلنا الملائكة الى الانبيا
بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي وقيل الرسل الانبيا
والاول اولى لقوله معهم لان الانبيا ينزل عليهم الكتاب والميزان روي ان
جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس
ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء بالقسط بالعدل ولا يظلم احد احدا
وانزلنا الحديد قيل نزل ادم من الجنة ومعه خمسة اشيا من حديد السندان
والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة
وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه فيه باس شديد وهو القتال به ومنافع
للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنايعهم فما من صناعة الا والحديد آلة
فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف
والرماح وساير السلاح في مجاهدة اعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من
يقاتل مع رسوله في سبيله بالغيب غايبا منهم ان الله قوي يدفع بقوته
باس من يعرض عن ملته عزيز يربط بعزته جاش من يتعرض لنصرته والمناسبة
بين هذه الاشيا الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام
الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع الاحكام والحدود ويامر
بالعدل والاحسان وينهى عن البغي والطغيان واستعمال العدل والاجتناب
عن الظلم انما يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوي والتعادل
وهو الميزان ومن المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة
الموضوعة للتعامل بالتسوية انما يحفظ العوام على اتباعهما بالسيف
الذي هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو
الحديد الذي وصف بالباس الشديد ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وخصا بالذكر
لانهما ابوان للانبيا عليهم السلام وجعلنا في ذريتهما اولادهما النبوة والكتاب
الوحي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة
فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين
مهتد وكثير منهم فاسقون هذا تفصيل لحالهم اي فمنهم من اهتدى باتباع
الرسل ومنهم من فسق اي خرج عن الطاعة والغلبة للفساق ثم قفينا على
آثارهم اي نوح وابراهيم ومن مضى من الانبيا برسلنا واتيناه الانجيل
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة مودة ولينا ورحمة تعطفا
على اخوانهم كما قال في صفة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية
ابتدعوها هي ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم

للعبادة

للعبادة وهي الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب
كخشيان من خشي وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا
رهبانية ابتدعوها اي اخرجوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم
لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها
ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه
عهد مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم اي اهل الرأفة والرحمة
الذين اتبعوا عيسى او الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكثير منهم فاسقون
الكافرون يا ايها الذين آمنوا الخطاب لاهل الكتاب اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد
صلى الله عليه وسلم يؤتكم الله كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد صلى
الله عليه وسلم ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور المذكور في
قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب
الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون ان مخففة من الثقيلة اصله انه
لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا ينالون شيا
مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان الفضل
عطف على ان لا يقدرون بيد الله اي في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء من عباده
والله ذو الفضل العظيم والله الموفق للصواب سورة المجادلة اثنان وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك تحاورك وتراجعك فيها
وهي خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخي عبادة راها وهي تصلي
وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب فظاهر منها فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب
في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها
قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا
فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت
عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس
الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت في زوجها
في شانه ومعناه وتشتكي الى الله تظهر ما بها من المكروه والله يسمع تحاوركما
مراجعتكما الكلام من حاور اذا رجع ان الله سميع يسمع شكوى المضطر بصير
بحاله الذين يظاهرون عاصم يظهرون حجازي وبصري غيرهم يظاهرون
وفي منكم توبيخ للعرب لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون
ساير الامم من نسائهم زوجاتهم ما هن امهاتهم امهاتهم المفضل والاول
حجازي والثاني تميمي ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة
الوالدات والوالدات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا ازواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمزيد حرمتهن واما الزوجات فابعد

شي من الامومة فلذا قال وانهم ليقولون منكرا من القول اي تنكره الحقيقة والاحكام
الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور لما سلف
منهم والذين يظاهرون من نسائهم بين في الاية الاولى ان ذلك من قائله منكر
وزور وبين في الثانية حكم الظهار ثم يعودون لما قالوا العود الصيرورة
ابتداء او بناء فمن الاول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثاني
وان عدتم عدنا ويعدي بنفسه كقولك عدته اذا اتيته وصرت اليه وبحرف
الجر بالى وعلى وفي واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم
يعودون لما قالوا اي يعودون لنقض ما قالوا او لتداركه على حذف المضاف
وعن ثعلب يعودون لتحليل ما حرموا على حذف المضاف ايضا غير انه اراد
بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه
كقوله ونرثه ما يقول اراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا ان النقض
بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة
وعند الشافعي بمجرد الامساك وهو ان لا يطلقها عقيب الظهار فتحرير رقبة
فعليه اعتاق رقبة مؤمنة او كافرة ولم يجز المدبر وام الولد والمكاتب الذي
ادى شيئا من قبل ان يتماسا الضمير يرجع الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر
منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها بشهوة
ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب
ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه
والله بما تعملون خبير والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي
واذا وضع موضع انت عضوا منها يعبر به عن الجملة او مكان الظهر عضوا
آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم
منه بنسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من
الرضاع او عمتي من النسب او امرأة ابني او ابي او ابنتها فهو مظاهر واذا
امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة ان ترافعه وعلى القاضي ان يجبره على
ان يكفر وان يحبسه ولا شي من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار
لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فان مس قبل ان يكفر
استغفر الله ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان
يستانف عند ابي حنيفة رضي الله عنه فمن لم يجد الرقبة فصيام شهرين لكل
مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب ان يقدمه على المسيس
ولكن لا يستانف ان جامع في خلال الاطعام ذلك البيان والتعليم للاحكام
لتؤمنوا لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار
وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اي الاحكام التي وصفنا في
الظهار والكفارة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا
يتبعونها عذاب اليم مؤلم ان الذين يحادون الله ورسوله يعادون ويشاقون
كبتوا اخذوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم من اعداء الرسل وقد انزلنا ايات

بينات

بينات فدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الايات
عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم منصوب بمهين او باضمار اذكر
تعظيما لليوم ثم توبيخا وتشهيرا الله جميعا كلهم لا يترك منهم احدا غير مبعوث
او مجتمعين في حال واحدة فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم
يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الاشهاد
احصاه الله احاط به عددا لم يفته منه شي ونسوه لانهم تهاونوا به حين
ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور والله على كل شي شهيد لا يغيب عنه شي الم تر ان
الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من كان التامة اي ما يقع من
نجوى ثلاثة النجوى التناجي وقد اضيفت الى ثلاثة اي من نجوى ثلاثة نفر
الا هو اي الله رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا هو
معهم يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا
وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها نزلت في المنافقين وكانوا يتحلقون
للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل ما يتناجى منهم ثلاثة
ولا خمسة ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون
ولان اهل التناجي في العادة طائفة من اهل الراي والتجارب واول عددهم
الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال فذكر عز وعلا
الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة
وقال ولا اكثر فدل على ما يقارب هذا العدد اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم
القيمة فيجازيهم عليه ان الله بكل شي عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم
يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كانت
اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين
ويريدون ان يغيظوهم ويوهموهم في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا
وان اقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل
فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية
الرسول ومخالفته ويتنجون حمزة وهو بمعنى الاول واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام
الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول
ويا ايها النبي ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي يقولون فيما بينهم
لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقوله فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا يصلونها
حال اي يدخلونها فبئس المصير المرجع جهنم يا ايها الذين امنوا بالسنتهم وهو
خطاب للمنافقين والظاهر انه خطاب للمؤمنين اذا تناجيتم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي اذا تناجيتم فلا تتشبهوا باليهود والمنافقين
في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر باداء الفرائض والطاعات والتقوى وترك المعاصي
واتقوا الله الذي اليه تحشرون للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير او شر
انما النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان من تزيينه ليحزن اي الشيطان

وبضع اليانا فع الذين امنوا ليس الشيطان او الحزن بضارهم شيا الا باذن الله بعلمه
وقضايه وقدره وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي يكلون امرهم الى الله ويستعيذون به
من الشيطان يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس توسعوا فيه في المجالس عامه
والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا
على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال
وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال ومنازل في صلاة الجمعة فافسحوا
توسعوا يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان
والرزق والصدر والقبر وغير ذلك واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة على
المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم
بالنهوض عنه او انهضوا الى الصلاة والجهاد واعمال الخير فانشزوا بالضم
فيهما مدني وشامي وعاصم غير حماد يرفع الله الذين امنوا منكم بامتثال اوامره
واوامر رسوله والذين اوتوا العلم والعالمين منهم خاصة درجات والله بما تعملون خبير
وفي الدرجات قولان احدهما في الدنيا في المرتبة والشرف والاخر في
الاخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال يا ايها
الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه
صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد
اربعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلاثة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة
والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار
العلم فاعطي المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم اوحى الله
الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وعن بعض العلما
ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك
العلم وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال والعلوم
انواع فاشرفها اشرفها معلوما يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول اي
اذا اردتم مناجاته فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اي قبل نجواكم وهي
استعارة ممن له يدان كقول عمر رضي الله عنه من افضل ما اوتيت
العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل
به اللئيم يريد قبل حاجته ذلك التقديم خير لكم في دينكم واطهر لان
الصدقة طهرة فان لم تجدوا ما تتصدقون به فان الله غفور رحيم في ترخيص
المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل
ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال علي رضي الله عنه هذه اية
من كتاب الله ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان
لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسالت

رسول الله

ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اخفتم
تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فاجابني عنها قلت يا رسول
الله ما الوفا قال التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله قلت وما الفساد
قال الكفر والشرك قلت وما الحق قال الاسلام والقران والولاية اذا
انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما علي قال
طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف ادعو الله قال بالصدق واليقين
قلت وماذا اسال الله قال العافية قلت وما اصنع لنجاة نفسي
قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت
وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها فاذ لم تفعلوا ما
امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم اي خفف عنكم وازال عنكم
المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما ازال المؤاخذة بالذنب
عن التائب عنه فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله
اي فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات والله خبير بما تعملون
وهذا وعد ووعيد الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم كان
المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه
الله وغضب عليه وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون
ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون
على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون لا منافقون وهم يعلمون انهم
كاذبون منافقون اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما
انهم ساء ما كانوا يعملون اي انهم كانوا في الزمان الماضي مصرين على سوء
العمل او هي حكاية ما يقال لهم في الاخرة اتخذوا ايمانهم الكاذبة جنة
وقاية دون اموالهم ودمائهم فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم
عن سبيل الله عن طاعته والايمان به فلهم عذاب مهين وعدهم العذاب
المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذاب الله شيئا
قليلا من الاغنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له اي لله في الاخرة انهم كانوا مخلصين في الدنيا غير منافقين
كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون انهم في الدنيا على شيء من النفع
او يحسبون انهم على شيء من النفع ثم بايمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا الا انهم
هم الكاذبون حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والاخرة استحوذ عليهم
الشيطان استولى عليهم فانساهم ذكر الله قال شاه الكرماني علامة استحواذ
الشيطان على العبد ان يشغله بعمارة ظاهره من الماكل والملابس ويشغل
قلبه عن التفكر في الاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن
ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل قلبه عن التفكر والمراقبة
بتدبير الدنيا وجمعها اولئك حزب الشيطان جنده الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة

من هواذ لخلق الله تعالى لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في اللوح لاغلبن انا
ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما ان الله قوي لا يمنع عليه ما يريد عزيز غالب
غير مغلوب لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون هو مفعول ثان
لتجد او حال او صفة لقوما وتجد بمعنى تصادف على هذا من حاد الله خالفه
وعاداه ورسوله اي من الممتنع ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد
انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في الزجر عن
مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد
ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وبقوله
اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان
بقوله اولئك حزب الله وايدهم بروح منه اي بكتاب انزله فيه حياة لهم ويجوز ان يكون
الضمير للايمان على انه في نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثوري انه قال
كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز ابن ابي رواد
انه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صح ايمانه
واخلص توحيده فانه لا يانس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة
ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن اجاب مبتدعا لطلب
عز الدنيا او عرضها اذله الله بذلك العز وافقره بذلك الغنى ومن ضحك الى
مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب ويدخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم بتوحيدهم الخالص وطاعتهم ورضوا
عنه بثوابه الجسيم في الاخرة او بما قضى عليهم في الدنيا اولئك حزب الله
انصار حقه ودعاة خلقه الا ان حزب الله هم المفلحون الباقون في النعيم
المقيم الفايزون بكل محبوب الامنون من كل مرهوب والله اعلم بالصواب

سورة الحشر اربع وعشرون اية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي ان هذه السورة نزلت
باسرها في بني النضير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة
صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له
فلما ظهر يوم بدر قالوا هذا النبي الذي نعته في التوراة فلما هزم المسلمون
يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة
فحالف ابا سفيان عند الكعبة فامر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة
الانصاري فقتل كعبا غيلة ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش اليهم
فحاصرهم احدى وعشرين ليلة وامر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب
في قلوبهم طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات
على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات هو الذي اخرج
الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود بني النضير من ديارهم بالمدينة واللام في
لاول الحشر تتعلق باخرج وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي
وقوله جيته لوقت كذا اي اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول

الحشر

الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام او هذا اول حشرهم واخر حشرهم اجلاء عمر
اياهم من خيبر الى الشام او اخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس
رضي الله عنهما من شك ان المحشر بالشام فليقرا هذه الاية فهم الحشر الاول
وساير الناس الحشر الثاني وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا
امضوا فانكم اول الحشر ونحن على الاثر قتادة اذا كان اخر الزمان جاءت نار من
قبل المشرق فحشرت الناس الى ارض الشام وبها تقوم عليهم القيامة وقيل
معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم
ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي
ظنوا ان حصونهم تمنعهم من باس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم
الذي جاء عليه ان في تقديم الخبر على المبتدا دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها
ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل
على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم
او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم فاتاهم
الله اي امر الله وعقابه وفي الشواذ فاتاهم الله اي فاتاهم الهلاك
من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم قتل رئيسهم كعب بن الاشرف
غرة على يد اخيه رضاعا وقذف في قلوبهم الرعب الخوف يخربون بيوتهم بايديهم
وايدي المؤمنين يخربون ابو عمرو والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم
والخربة الفساد وكانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله
من استيصال شافتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم
الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان
لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان
في ابنيتهم من جيد الخشب والساج واما المؤمنون فداعيهم الى التخريب
ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بايدي
المؤمنين انهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم
امروهم به وكلفوهم اياه فاعتبروا يا اولي الابصار اي فتاملوا فيما نزل بهؤلاء
والسبب الذي استحقوا به ذلك فاحذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا
بمثل عقوبتهم وهو دليل على جواز القياس ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج
من الوطن مع الاهل والولد لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة
ولهم سواء اجلوا او قتلوا في الاخرة عذاب النار الذي لا اشد منه ذلك بانهم
اي انما اصابهم ذلك بسبب انهم شاقوا الله خالفوه ورسوله ومن يشاق
الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة هو بيان لما قطعتم ومحل ما
نصب بقطعتم كانه قيل اي شيء قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما في قوله
او تركتموها لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو
قلبت لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين

قائمة على اصولها فباذن الله قطعها وتركها باذن الله وليخزي الفاسقين وليذل
اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وما افاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة
منهم من بني النضير فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فلم يكن ذلك بايجاف خيل
او ركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما اوجفتم على تحصيله وتغنيمه
خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم لانه على
ميلين من المدينة وكان صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب ولكن الله يسلط رسله على من
يشاء يعني ان ما خول الله ورسوله من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال
والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم
فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التي قوتل عليها
واخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة منهم لفقرهم
والله على كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان
للاولى فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع
بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على
الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الاية الاولى نزلت
في اموال بني النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الاية في غنائم
كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفي الاية بيان مصرف خمسها فهي مبتداة كي لا يكون
دولة تكون دولة بزيد على كان التامة والدولة والدولة ما يدول للانسان
اي يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون
الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها بين الاغنياء
يتكاثرون به وما اتاكم الرسول اي ما اعطاكم من قسمة غنيمة او فيء فخذوه
فاقبلوه وما نهاكم عنه عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تطلبوه واتقوا الله ان
تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسول
الله صلى الله عليه وسلم والاجود ان يكون عاما في كل ما اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه للفقراء بدل من قوله
ولذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول وان كان
المعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون
الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال
على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل المهاجرين الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم بمكة وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء اموال
المسلمين لان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار واموال
يبتغون حال فضلا من الله ورضوانا اي يطلبون الجنة ورضوان الله
وينصرون الله ورسوله اي ينصرون دين الله ويعينون رسوله اولئك هم
الصادقون في ايمانهم والذين معطوف على المهاجرين وهم الانصار تبوؤا
الدار توطنوا المدينة والايمان واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء

باردا او وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما
جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف
في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف
اليه مقامه من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة
والايمان وقيل من قبل هجرتهم يحبون من هاجر اليهم حتى شاطروهم اموالهم
وانزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن احداهما حتى تزوج
بها رجل من المهاجرين ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ولا يعلمون
في انفسهم طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج
اليه يسمى حاجة يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه
تحتاج اليه وقيل حاجة حسدا مما اعطي المهاجرون من الفيء حيث خصهم
النبي صلى الله عليه وسلم به وقيل لا يجدون في صدورهم مس حاجة من
فقد ما اوتوا فحذف المضاف ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فقر
واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة
خصاصتهم روي انه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية وقرب الطعام
واطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا ياكل هو وعن انس اهدي لبعضهم
راس مشوي وهو مجهود فوجهه لجاره فتداولته تسعة انفس حتى
عاد الى الاول ابو يزيد قال لي شاب من اهل بلخ ما الزهد عندكم
قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ
بل اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا اثرنا ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
الظافرون بما ارادوا والشح اللؤم وان يكون نفس الرجل كزة حريصة على
المنع واما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح اكل مال اخيك ظلما والبخل
منع مالك وعن كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد
بخلاف الشحيح والذين جاءوا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين
هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان وقيل من بعدهم الى يوم القيامة
قال عمر رضي الله عنه دخل في هذا الفيء كل من هو مولود الى يوم القيامة
في الاسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان قيل هم المهاجرون والانصار عن عائشة
رضي الله عنها امروا بان يستغفروا لهم فسبوهم ولا تجعل في قلوبنا غلا حقدا
للذين امنوا يعني الصحابة ربنا انك رؤوف رحيم وقيل لسعيد بن المسيب
ما تقول في عثمان وعلي وطلحة والزبير قال اقول ما قولنيه الله وتلا
هذه الاية ثم عجب نبيه الم تر الى الذين نافقوا اي الم تر يا محمد الى عبد الله
بن ابي واشياعه يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يعني بني النضير
والمراد اخوة الكفر لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم روي ان ابن ابي
واصحابه دسوا الى بني النضير حين حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم
لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن اخرجتم

لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا ابدا يعني رسول الله والمسلمين
ان حملناه او في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة وان قوتلتم لننصرنكم
والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة
لانه اخبار بالغيب لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار ثم لا ينصرون وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم
لا ينصرونهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم
ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون
اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا
ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين
لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر رهب المبني للمفعول وقوله في
صدورهم دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم
اهيب في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته
حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا
مجتمعين يعني اليهود والمنافقين الا في قرى محصنة بالخنادق
والدروب او من وراء جدر جدار مكي وابو عمرو باسهم بينهم شديد يعني ان
الباس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم
لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله
تحسبهم اي اليهود والمنافقين جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد
وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون
حق التعاضد وهذا تجسير للمومنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ذلك التفرق
بانهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على
ارواحهم كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل اهل بدر فحذف المبتدا قريبا
اي استقروا من قبلهم زمنا قريبا ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم
وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلاء وبيل وخيم
سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم عذاب اليم اي ولهم مع
ذلك في الاخرة عذاب النار كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال
اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين اي مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على
القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان
اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرا منه في العاقبة وقيل المراد استغواؤه
قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى
قوله اني بريء منكم فكان عاقبتهما عاقبة الانسان الكافر والشيطان
انهما في النار خالدين فيها عاقبتهما خبر كان مقدم وان مع اسمها وخبرها اي
في النار في موضع الرفع على الاسم وخالدين حال وذلك جزاء الظالمين يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله في اوامره فلا تخالفوها ولتنظر نفس نكر النفس تقليلا
للانفس النواظر فيما قدمن للاخرة ما قدمت لغد يعني يوم القيمة سماه باليوم

الذي يلي يومك تقريبا له او عبر عن الاخرة بالغد كان الدنيا والاخرة نهاران
بيوم وغد وتنكيره لتعظيم امره اي لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك ابن
دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا
واتقوا الله كرر الامر بالتقوى تاكيدا او اتقوا الله في اداء الواجبات
لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى
الوعيد وقوله ان الله خبير بما تعملون وفيه تحريض على المراقبة لان من علم
وقت فعله ان الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه ولا تكونوا
كالذين نسوا الله تركوا ذكر الله وما امرهم به فانساهم انفسهم فتركهم من ذكره
بالرحمة والتوفيق اولئك هم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون هذا تنبيه للناس
وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار
العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار
والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز العظيم مع اصحاب الجنة والعذاب
الاليم مع اصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول
لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على
حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه
الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء
وقد اجبنا عن مثل هذا في اصول الفقه والكافي لو انزلنا هذا القران على
جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله اي من شان القران وعظمته انه لو جعل
في الجبل تمييز وانزل عليه القران لخشع اي لخضع وتطاطا وتصدع
اي تشقق من خشية الله وجاز ان يكون هذا تمثيلا كما في قوله انا عرضنا
الامانة ويدل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهي اشارة
الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان
على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القران وتدبر قوارعه وزواجره
ثم رد على من اشرك وشبهه بخلقه فقال هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة اي السر والعلانية او الدنيا والاخرة او المعدوم والموجود
هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك الذي لا يزول ملكه
القدوس المنزه عن القبائح وقيل بتسبيح الملائكة سبوح قدوس رب
الملائكة والروح السلام الذي سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج المؤمن
واهب الامن وعن الزجاج الذي امن الخلق من ظلمه او المؤمن من عذابه
من اطاعه المهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان
همزته قلبت هاء العزيز الغالب غير المغلوب الجبار العالي العظيم
الذي يذل له من دونه او العظيم الشان في القدرة والسلطان او القهار
ذو الجبروت المتكبر البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون نزه
ذاته عما يصفه به المشركون هو الله الخالق المقدر لما يوجده البارئ الموجد

المصور ذو الارحام له الاسماء الحسنى الدالة على الصفات العلى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ختم السورة بما بدأ به عن ابي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد علي والله اعلم بالصواب

سورة الممتحنة ثلاث عشرة اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه فنزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم عدي اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان تلقون حال من الضمير في لا تتخذوا والتقدير لا تتخذوهم اولياء ملقين اليهم بالمودة او مستانف بعد وقف على التوبيخ والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم والباء في المودة زائدة موكدة للتعدي كقوله ولا تلقوا بايديكم او ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول

اوليآءهم

الله

الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا حال من لا تتخذوا او من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم بما جاءكم من الحق دين الاسلام والقران يخرجون الرسول واياكم استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا ان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم من مكة لان امنتم بالله ربكم ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا اي لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه جهادا في سبيلي مصدر في موضع الحال اي ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي وابتغاء مرضاتي ومبتغين مرضاتي تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وهو استئناف وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم والمعنى اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله اي هذا الاسرار منكم فقد ضل سواء السبيل فقد اخطا طريق الحق والصواب ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم خطا عظيم والماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كانه قيل ودوا قبل كل شي كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شي عنده ان يقصد اهم شي عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيامة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل عاصم يفصل حمزة وعلي والفاعل هو الله عز وجل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم على اعمالكم قد كانت لكم اسوة قدوة في التبري من الاهل حسنة في ابراهيم اي في اقواله ولهذا استثني منها الا قول ابراهيم والذين معه من المؤمنين وقيل كانوا انبياء اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة بالافعال والبغضاء بالقلوب ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فحينئذ نترك عداوتكم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وذلك لموعدة وعدها اياه اي اقتدوا به في اقواله ولا تتاسوا به في الاستغفار لابيه الكافر وما املك لك من الله من شي اي من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لا تليق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا ولكن المراد استثناء جملة

قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كانه قال استغفر
لك وما في طاقتي الا الاستغفار ربنا عليك توكلنا متصل بما قبل الاستثناء
وهو من جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء امر من الله
للمؤمنين بان يقولوه واليك انبنا اقبلنا واليك المصير المرجع ربنا لا
تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم اي الغالب الحاكم لقد كان لكم فيهم
اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ثم كرر الحث على الائتساء
بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتاكيدا عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم
لانه الغاية في التاكيد وابدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله اي ثوابه
اي يخشى الله وعقابه بقوله ومن يتول عن امرنا ووالى الكفار فان الله
هو الغني عن الخلق الحميد المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التاكيد الا
جاء به ولما نزلت هذه الايات وتشدد المؤمنون في عداوة ابائهم وابنائهم
وجميع اقربائهم من المشركين اطمعهم في تحول الحال الى خلاف فقال
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اهل مكة من
اقربائكم مودة بان يوفقهم للايمان فلما يسر فتح مكة اظفر الله بامنيتهم
فاسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك
حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في
تمام ذلك او اريد به اطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب
وتحويل الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم
من المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم ان تبروهم تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا ومحل ان تبروهم
جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين
وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم
في حق المشرك فكيف في حق المسلم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم
الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على
اخراجكم ان تولوهم هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة
هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
حيث وضعوا التولي غير موضعه يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات
سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة او لانهن مشارفات لثبات
ايمانهن بالامتحان مهاجرات نصب على الحال فامتحنوهن فابتلوهن
بالنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وعن ابن عباس رضي
امتحانها ان تقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الله
اعلم بايمانهن منكم فانكم وان رزتم احوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة
وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه
طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن

بان الظن الغالب وما يفضي اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله
ولا تقف ما ليس لك به علم فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن
المشركين لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن اي لا حل بين المؤمنة والمشرك لوقوع
الفرقة بينهما بخروجها مسلمة واتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا
اليهن من المهور نزلت الاية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على ان يرد على
اهل مكة من جاء مؤمنا منهم فانزل الله هذه الاية بيانا ان ذلك في الرجال لا في النساء
لان المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الاية الحكم الاول ولا جناح عليكم
ان تنكحوهن ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا اتيتموهن اجورهن
اي مهورهن لان المهر اجر البضع وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه على ان لا عدة
على المهاجرة ولا تمسكوا ولا تمسكوا بصري بعصم الكوافر العصمة ما يعتصم به من عقد
وسبب والكوافر جمع كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب او لحقت بدار الحرب
مرتدة اي لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما
من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع
عصمتها منه واسالوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها
وليسالوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا ذلكم حكم الله اي
جميع ما ذكر في هذه الاية يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف
الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال
المهر لا منا ولا منهم والله عليم حكيم وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار وان
انفلت احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه احد فعاقبتم
فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم عن الزجاج فاتوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا فاعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار
الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون وقيل
هذا الحكم منسوخ ايضا يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك نصب حال
على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد
واد البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المراة
تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها
ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها التي تحمله فيه بين اليدين
وفرجها الذي تلده به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف طاعة الله ورسوله
فبايعهن واستغفر لهن الله عما مضى ان الله غفور بمحو ما سلف رحيم
بتوفيق ما ائتنف وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح
مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد اسفل
منه يبايعهن عنه بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان
متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعت
بحمزة فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فبايع عمر النساء
على ان لا يشركن بالله شيئا فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت هند ان ابا

سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فقال ابو سفيان ما اصبت
فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك
لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت
او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا
فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى
وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا ياتين ببهتان فقالت والله
ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك
في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء
وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب في المنكر يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما
غضب الله عليهم ختم السورة بما بدا به قيل هم المشركون قد يئسوا من الاخرة
من ثوابها لانهم ينكرون البعث كما يئس الكفار اي كما يئس الا انه وضع الظاهر
موضع الضمير من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم او كما يئس اسلافهم الذين هم في
القبور من الاخرة اي هولاء كسلفهم وقيل هم اليهود اي لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم
قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الاخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان
يبعثوا ويرجعوا احيا وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار
الذين قبروا من خير الاخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله اعلم

سورة الصف مدنية وهي اربعة عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انهم قالوا قبل
ان يومروا بالجهاد لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت اية الجهاد فتباطا
بعضهم فنزلت يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون هي لام الاضافة داخلة
على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم وم وعم
والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما واللام وغيرها كشيء واحد وهو كثير
الاستعمال في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا قال ٭ على ما
قام يشتمني جرير ٭ والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن
في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله ٭ غلت ناب كليب بواؤها ٭ ومعنى
التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء
خارج عن نظايره واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة
على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم ما لا
تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وعن بعض السلف
انه قيل له حدثنا فقال اتامرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله
ثم اعلم الله عز وجل ما يحبه فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
اي صافين انفسهم مصدر وقع موقع الحال كانهم بنيان مرصوص لاصق بعضه
ببعض وقيل اريد به استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة

كالبنيان الذي رص بعضه الى بعض وهو حال ايضا واذ قال موسى لقومه يا قوم
لم تؤذونني بجحود الايات والقذف بما ليس في وقد تعلمون في موضع الحال اي
تؤذونني عالمين علما يقينا اني رسول الله اليكم وقضية علمكم بذلك توقيري
وتعظيمي لا ان تؤذونني فلما زاغوا مالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم من الهداية
او لما تركوا اوامره نزع نور الايمان عن قلوبهم او فلما اختاروا الزيغ ازاغ الله
قلوبهم اي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل ولم
يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه اني رسول الله اليكم
مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد اي
ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول ياتي
من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر بعدي
حجازي وابو عمرو وابو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا ومبشرا
بما في الرسول من معنى الارسال فلما جاءهم عيسى او محمد عليهما السلام بالبينات
بالمعجزات قالوا هذا سحر مبين ساحر حمزة وعلي ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب
وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه
ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه
افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر
كذب وتمويه يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم هذا تهكم بهم في ارادتهم ابطال
الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفيه
والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفئوا نور الله بافواههم
اي بكلامهم والله متم نوره مكي وحمزة وعلي متم نوره غيرهم اي متم الحق ومبلغه
غايته ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق اي الملة الحنيفية
ليظهره ليعليه على الدين كله على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين
من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن
في الارض الا دين الاسلام ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم تنجيكم شامي تؤمنون استيناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال
تؤمنون وهو بمعنى امنوا عند سيبويه ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة
ابن مسعود امنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جيء به على لفظ الخبر للايذان
بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم اي ما ذكر من الايمان والجهاد
خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم
اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم
فتفلحون وتخلصون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن اي اقامة وخلود يقال عدن بالمكان اذا اقام به كذلك
واخرى تحبونها وذلكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الاجلة

نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب اي عاجل
وهو فتح مكة والنصر على قريش او فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ
على محبة العاجل وقال صاحب الكشف معناه هل ادلكم على تجارة تنجيكم وعلى
تجارة اخرى تحبونها ثم قال نصر اي هي نصر وبشر المؤمنين عطف على تؤمنون لانه
في معنى الامر كانه قيل امنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر المؤمنين
يا رسول الله بذلك وقيل هو عطف على قل مراد ا قبل يا ايها الذين امنوا اهل ادلكم
يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله اي انصار دينه انصارا لله حجازي وابو عمرو
كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله ظاهره تشبيه كونهم
انصارا بقول عيسى من انصاري الى الله ولكنه محمول على المعنى اي كونوا انصار
الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله ومعناه
من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله قال الحواريون
نحن انصار الله اي نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري من الانصار الذين
يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن
به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض
الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها فامنت طائفة
من بني اسرائيل بعيسى وكفرت طائفة به فايدنا الذين امنوا على عدوهم فقوينا
مؤمنيهم على كفارهم فاصبحوا ظاهرين فغلبوا عليهم سورة الجمعة احدى عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس
العزيز الحكيم التسبيح اما ان يكون تسبيح خلقة يعني اذا نظرت الى كل شيء دلتك خلقته
على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الاشباه او تسبيح معرفة بان يجعل الله
بلطفه في كل شيء ما يعرف به الله تعالى وينزهه الا ترى الى قوله وان من شيء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم او تسبيح ضرورة بان يجري الله التسبيح على كل
جوهر من غير معرفة له بذلك هو الذي بعث ارسل في الاميين رسولا منهم اي
بعث رجلا اميا في قوم اميين كقوله من انفسكم تعلمون نسبه واحواله والامي
منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الامم وقيل
بدأت الكتابة بالطائف وهم اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار
يتلوا عليهم اياته القران ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم
الكتاب القران والحكمة السنة او الفقه في الدين وان كانوا من قبل من قبل محمد
لفي ضلال مبين كفر وجهالة ان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في
ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه واخرين منهم مجرور معطوف على الاميين يعني انه
بعثه في الاميين الذين على عهده وفي اخرين من الاميين لما يلحقوا بهم اي لم
يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم او هم
الذين يأتون من بعدهم الى يوم الدين وقيل هم العجم او منصوب معطوف
على المنصوب في ويعلمهم اي يعلمهم ويعلم اخرين لان التعليم اذا تناسق الى اخر
الزمان كان كله مستندا الى اوله فكانه هو الذي تولى ما وجد منه وهو العزيز الحكيم

في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتاييده عليه واختياره اياه من بين كافة
البشر ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور
الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته والله ذو الفضل
العظيم مثل الذين حملوا التوراة اي كلفوا علمها والعمل بما فيها ثم لم يحملوها
ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع سفر وهو الكتاب
الكبير ويحمل في محل النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني شبه اليهود في انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ
ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا باياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا كبارا من كتب
العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل
من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله
اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله او بئس مثل القوم المكذبين
مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بايات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين اي وقت اختيارهم الظلم او لا
يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما قل يا ايها الذين هادوا هاد يهود اذا
تهود ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة
فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه
ثم قال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي بما قدموا من الكفر ولا فرق بين
لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس
في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه والله
عليم بالظالمين وعيد لهم قل ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون اي
ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم لا محالة والجملة خبر
ان ودخلت الفاء لتضمن الذي معنى الشرط ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون ليجازيكم بما انتم اهله من العقاب يا ايها الذين امنوا
اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة النداء الاذان ومن بيان لاذا وتفسير له
ويوم الجمعة سيد الايام وفي الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد
ووقي فتنة القبر فاسعوا فامضوا وقرئ بها وقال الفراء السعي والمضي
والذهاب واحد وليس المراد به السرعة في المشي الى ذكر الله اي الى الخطبة
عند الجمهور وبه استدل ابو حنيفة رضي الله عنه على ان الخطيب اذا اقتصر
على الحمد لله جاز وذروا البيع اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل
الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة تتكاثر فيه البيع والشراء عند
الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر
الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير ذلكم اي السعي
الى ذكر الله خير لكم من البيع والشراء ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة اديت

فانتشروا في الارض امر اباحة وابتغوا من فضل الله الرزق او طلب العلم او عيادة المريض او زيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واشكروه على ما وفقكم لاداء فرضه لعلكم تفلحون واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها تفرقوا عنك اليها تقديره واذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وانما خص التجارة لانها كانت اهم عندهم روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلا فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه فما بقي معه الا ثمانية او اثنا عشر فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتركوك على المنبر قائما تخطب وفيه دليل على ان الخطيب ينبغي ان يخطب قائما قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين اي لا يفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله اعلم

سورة المنافقون احدى عشرة اية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ارادوا شهادة واطاة فيها قلوبهم السنتهم والله يعلم انك لرسوله اي والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في ادعاء المواطاة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه اتخذوا ايمانهم جنة وقاية من السبي والقتل وفيه دليل على ان اشهد يمين فصدوا الناس عن سبيل الله اي عن الاسلام بالتنفير والقاء الشبه انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوا الناس اعمالا بانهم بسبب انهم امنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير ونحو ذلك او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا الاية فطبع على قلوبهم فختم عليها حتى لا يدخلها الايمان جزاء على نفاقهم فهم لا يفقهون لا يتدبرون او لا يعرفون صحة الايمان والخطاب في واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لرسول الله او لكل من يخاطب وان يقولوا تسمع لقولهم كان ابن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين في مثل صفته فكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه

ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الالسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وموضع كانهم خشب رفع على هم كانهم خشب او هو كلام مستانف لا محل له مسندة الى الحائط شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما كان متروكا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع او لانهم اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام خشب ابو عمرو عن عباس وعلي جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر يحسبون كل صيحة عليهم كل صيحة مفعول اول والمفعول الثاني عليهم وتم الكلام اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم ورعبهم يعني اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ثم قال هم العدو اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم قاتلهم الله دعاء عليهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا لووا بالتخفيف نافع ورايتهم يصدون يعرضون وهم مستكبرون عن الاعتذار والاستغفار روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر وسنان الجهني حليف لابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاه جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله ثم قال لقومه والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال والله انت الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد على راسه تاج المعراج في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال له عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنق المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا

من ذلك وان زيدا الكاذب فهو قوله اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون
يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا نصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد
وهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد يا غلام ان
الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبد الله قيل له قد
نزلت فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر
لك فلوى راسه فقال امرتموني ان اومن فامنت وامرتموني ان ازكي
مالي فزكيت وما بقي لي الا ان اسجد لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا ولم
يلبث الا يوما حتى اشتكى ومات سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم اي داموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار
وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم وقرئ
استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يتفرقوا ولله خزائن السموات والارض اي وله الارزاق والقسم فهو رازقهم
منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن المنافقين لا يفقهون ولكن عبد الله
واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان يقولون لئن
رجعنا من غزوة بني المصطلق الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة
الغلبة والقوة ولرسوله وللمؤمنين ولمن اعزه الله وايده من رسوله والمؤمنين
وهم الاخصاء لذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين وعن
بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل
معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال
له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الاية
ولكن المنافقين لا يعلمون يا ايها الذين امنوا لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم هو
التصرف فيها والسعي في تدبيرها بالنماء وطلب النتاج ولا اولادكم وسروركم بهم
وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم عن ذكر الله اي عن الصلوات الخمس او عن القران
ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير امواله
عن تدبير احواله وبمرضاة اولاده عن اصلاح معاده فاولئك هم الخاسرون
في تجارتهم حيث باعوا الباقي بالفاني وانفقوا مما رزقناكم من للتبعيض والمراد
بالانفاق الواجب من قبل ان ياتي احدكم الموت اي من قبل ان يرى دلائل
الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويتعذر عليه الانفاق فيقول
رب لولا اخرتني هلا اخرت موتي الى اجل قريب الى زمان قليل فاصدق
فاتصدق وهو جواب لولا واكن من الصالحين من المؤمنين والاية في المؤمنين
وقيل في المنافقين واكون ابو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم في موضع
فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن ولن يؤخر الله نفسا عن الموت
اذا جاء اجلها المكتوب في اللوح المحفوظ والله خبير بما تعملون يعملون حماد
ويحيى والمعنى انكم اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه

وانه

وانه هاجم لا محالة وان الله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق
الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى نفذ في
سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك
لان الملك في الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء والقائم به وكذا الحمد لان اصول
النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد
بان نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن اي فمنكم
ات بالكفر وفاعل له ومنكم ات بالايمان وفاعل له ويدل عليه قوله والله بما
تعملون بصير اي عالم وبصير بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي
تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم وكان يجب ان تكونوا
باجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه
اغلب عليهم والاكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل
هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به خلق السموات
والارض بالحق بالحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم
وصوركم فاحسن صوركم اي جعلكم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان
الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن
صورته انه خلق منتصبا غير منكب ومن كان دميما مشوه الصورة سمج الخلقة
فلا سماجة ثم ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح
ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان
واليه المصير فاحسنوا سرائركم كما احسن صوركم يعلم ما في السموات والارض
ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور نبه بعلمه ما في السموات
والارض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور ان شيئا من
الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما
يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم
كافر ومنكم مؤمن في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته
الم ياتكم الخطاب لكفار مكة نبؤا الذين كفروا من قبل يعني قوم نوح وهود وصالح
ولوط فذاقوا وبال امرهم اي ذاقوا وبال كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم
في العقبى ذلك اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم
من العذاب في الاخرة بانه بان الشان والحديث كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة
للحجر فكفروا بالرسل وتولوا عن الايمان واستغنى الله اطلق ليتناول كل
شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم والله غني عن خلقه حميد على صنعه زعم الذين
كفروا اي اهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدي العلم ان لن يبعثوا
ان مع ما في حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا قل بلى
هو

اثبات لما بعد لن وهو البعث **وربي لتبعثن** اكد الاخبار باليمين فان قلت فما
معنى اليمين على شيء انكروه قلت هو جائز لان التهدد به اعظم موقعا في القلب
فكانه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك اي البعث
على الله يسير هين فآمنوا بالله ورسوله محمد عليه السلام والنور الذي
انزلنا يعني القرآن لانه يبين حقيقة كل شيء فيهتدى به كما بالنور والله بما
تعملون خبير فراقبوا امركم يوم يجمعكم انتصب الظرف بقوله لتنبؤن او
باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون ذلك يوم التغابن
وهو مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء
منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء
التي ينزلونها لو كانوا اشقياء كما ورد في الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد
يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة
لا التغابن في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا صفة للمصدر اي عملا
صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله وبالنون فيهما مدني وشامي جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآيات
الله اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة
شدة ومرض وموت اهل او شيء يقتضي هما الا باذن الله بعلمه وتقديره ومشيئته
كانه اذن للمصيبة ان تصيبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه للاسترجاع عند المصيبة
حتى يقول انا لله وانا اليه راجعون او يشرحه للازدياد من الطاعة والخير
او يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد
ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر والله بكل شيء عليم واطيعوا الله
واطيعوا الرسول فان توليتم عن طاعة الله وطاعة رسوله فانما على رسولنا
البلاغ المبين اي فعليه التبليغ وقد فعل الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل
المؤمنون بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على
من كذبه وتولى عنه يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
اي ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الاولاد اولادا يعادون
آباءهم ويعقونهم فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا
اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم
وشرهم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها
وتصفحوا تعرضوا عن التوبيخ وتغفروا تستروا ذنوبهم فان الله غفور رحيم
يغفر ذنوبكم ويكفر عنكم قيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم
واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا
بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم
واولادهم فزين لهم العفو انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون
في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما والله عنده اجر عظيم اي في الآخرة
وذلك اعظم من منفعتكم باموالكم واولادكم ولم يدخل فيه من كما في العداوة

لان الكل

لان الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة فاتقوا الله
ما استطعتم جهدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته واسمعوا ما توعظون
به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم
النفقة فيها خيرا لانفسكم اي انفاقا خيرا لانفسكم وقال الكسائي يكن الانفاق
خيرا لانفسكم والاصح ان تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها
وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم
من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات ومن يوق شح
نفسه اي البخل بالزكاة والصدقة الواجبة فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا
الله قرضا حسنا بنية واخلاص وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم
يكتب لكم بالواحدة عشرا او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة ويغفر لكم والله شكور
يقبل القليل ويعطي الجزيل حليم يقيل الجليل من ذنب البخيل او يضعف الصدقة
لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها عالم الغيب اي يعلم ما استتر من سرائر القلوب
والشهادة اي ما انتشر من ظواهر الخطوب العزيز المعز باظهار السيوب الحكيم
في الاخبار عن الغيوب والله اعلم سورة الطلاق مدنية وهي اثنا عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النبي
صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال
لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه قدوة
قومه فكانه وحده في حكم كلهم وسادّ مسد جميعهم وقيل التقدير يا ايها النبي
والمؤمنون والمعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على
الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله
سلبه ومنه كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن
فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل
عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت
مستقبلة لعدتها والمراد ان تطلق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر
لم يجامعهن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق واحصوا العدة
واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن
وخوطب الازواج لغفلة النساء واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن حتى تنقضي
عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج
واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على ان السكنى
واجب وان الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما اذا حلف
لا يدخل داره ومعنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة
لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن
ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن اذا اردن ذلك
الا ان يأتين بفاحشة مبينة قيل هي الزنا الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد
عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه وتلك حدود الله

اي الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري ايها المخاطب
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها او من الرغبة
عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن
لعدتهن واحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون فاذا بلغن
اجلهن قاربن اخر العدة فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف اي فانتم
بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك
الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في اخر عدتها ثم يطلقها
تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها واشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعا
وهذا الاشهاد مندوب اليه لئلا يقع بينهما التجاحد ذوي عدل منكم من المسلمين
واقيموا الشهادة لله لوجهه خالصا وذلك ان يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود
عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الضرر ذلكم الحث على
اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر اي انما ينتفع به هؤلاء ومن يتق الله يجعل له مخرجا هذه
جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة والمعنى ومن
يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط
فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع في
المضايق ويفرج عنه ويعطه الخلاص ويرزقه من حيث لا يحتسب من وجه
لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله
ذلكم يوعظ به اي ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن
غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية
لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي
ان عوف بن مالك اسر المشركون ابنا له فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال ما امسى عند ال محمد الا مد فاتق
الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد الى بيته
وقال لامراته ان رسول الله امرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان ذلك فبينا هو
في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها
فنزلت هذه الاية ومن يتوكل على الله يكل امره اليه عن طمع غيره وتدبير نفسه
فهو حسبه كافيه في الدارين ان الله بالغ امره حفص اي منفذ امره غيره
بالغ امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب قد جعل الله لكل شيء
قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه
لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق
الا التسليم للقدر والتوكل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم روي ان
ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت ان ارتبتم

ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فعدتهن ثلاثة اشهر اي فهذا
حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس وقد قدروه بستين سنة
وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر واذا
كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي لم يحضن
هن الصغائر وتقديره واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة اشهر فحذفت الجملة
لدلالة المذكور عليها واولات الاحمال اجلهن عدتهن ان يضعن حملهن والنص
يتناول المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما
عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين ومن يتق الله يجعل له من امره
يسرا ييسر له من امره ويحلله من عقده بسبب التقوى ذلك امر الله اي ما علم من
حكم هؤلاء المعتدات انزله اليكم من اللوح المحفوظ ومن يتق الله في العمل بما انزله
من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا
ثم بين التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات
فقيل اسكنوهن وكذا وكذا من حيث سكنتم من للتبعيض مبعضها محذوف
اي اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم من وجدكم هو عطف
بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم
مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور
الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي لا نفقة
للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها ابت طلاقها فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب
ربنا وسنة نبينا بقول امراة لعلها نسيت او شبه لها سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن اي ولا
تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الاسباب من
انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى
الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل ذوات الاحمال فانفقوا
عليهن حتى يضعن حملهن وفائدة اشتراط الحمل ان مدة الحمل ربما تطول
فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار مدة الحامل فنفى ذلك
الوهم فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من
غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فاتوهن اجورهن
فحكمهن في ذلك حكم الاظار ولا يجوز الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم
يبن خلافا للشافعي رحمه الله واتمروا بينكم اي تشاوروا على التراضي
في الاجرة او ليامر بعضكم بعضا والخطاب للاباء والامهات بمعروف
بما يليق بالسنة ويحسن في المروة فلا يماكس الاب ولا تعاسر الام
لانه ولدهما وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم
تضايقتم فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب على ذلك
فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف

من مخاصمة الام على المعاسرة وقوله له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة
ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه
رزقه فلينفق مما اتاه الله اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه
وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه
رزقه ضيق اي رزقه الله على قدر قوته لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها
اعطاها من الرزق سيجعل الله بعد عسر يسرا بعد ضيق في المعيشة سعة
وهذا وعد لذي العسر باليسر وكاين من قرية اهل قرية عتت اي عصت
عن امر ربها ورسله اعرضت عنه على وجه العتو والعناد فحاسبناها حسابا
شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا نكرا مدني وابو بكر
منكرا عظيما فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اي خسارا وهلاكا
والمراد حساب الاخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر
وجيء به على لفظ الماضي لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما
هو كائن فكان قد كان اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه
مترقبا فكانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب
الذين امنوا فليكن لكم ذلك يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله
وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا
واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان
يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين
قد انزل الله اليكم ذكرا اي القران وانتصب رسولا بفعل مضمر تقديره ارسل
رسولا او هو بدل من ذكرا كانه في نفسه ذكرا او على تقدير حذف المضاف
اي قد انزل الله اليكم ذا ذكر رسولا او اريد بالذكر الشرف لقوله وانه لذكر
لك ولقومك اي ذو شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل او محمد عليهما
السلام يتلوا اي الرسول او الله عز وجل عليكم ايات الله مبينات ليخرج
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات اي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من
الايمان والعمل الصالح او ليخرج الذين علم انهم يؤمنون من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر او الجهل الى نور الايمان او العلم ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله
وبالنون مدني وشامي جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وحد وجمع
حملا على لفظ من ومعناه قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم
لما رزق المؤمنين من الثواب الله الذي خلق مبتدا وخبر سبع سموات اجمع
المفسرون على ان السموات سبع ومن الارض مثلهن بالنصب عطفا على سبع
سموات قيل ما في القران اية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الاية وبين
كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات
وقيل الارض واحدة الا ان الاقاليم سبعة يتنزل الامر بينهن اي يجري امر
الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير اللام
يتعلق بخلق وان الله قد احاط بكل شيء علما هو تمييز او مصدر من غير لفظ

الاول اي قد علم كل شيء علما والله اعلم سورة التحريم اثنتا عشرة اية مدنية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها
وعلمت بذلك حفصة فقال لها النبي اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي
وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا
متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها
فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية
فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها
لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش
فتواطات عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان
يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم
ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغي مرضات ازواجك
تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان
يحرم ما احل الله والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك
فلم يؤاخذك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد قدر الله لكم ما تحللون به
ايمانكم وهي الكفارة او قد شرع لكم تحليلها بالكفارة او شرع الله لكم
الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول
ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن
انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم
للمؤمنين والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم
فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه
لكم الحكيم فيما احل وحرم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا
حديث مارية وامامة الشيخين فلما نبات به افشته الى عائشة واظهره
الله عليه واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على افشائها الحديث على لسان
جبريل عليه السلام عرف بعضه اعلم ببعض الحديث واعرض عن بعض فلم يخبر
بها تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف
علي اي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقيل المعرف حديث
الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي
علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله
بها اباها فلما نباها به نبا النبي حفصة بما افشت من السر الى عائشة قالت
حفصة للنبي صلى الله عليه وسلم من انباك هذا قال نباني العليم بالسرائر
الخبير بالضمائر ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات
ليكون ابلغ في معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله
فهو الواجب ودل على المحذوف فقد صغت مالت قلوبكما عن الواجب

في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه
وان تظاهرا عليه بالتخفيف كوفي وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في
الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وليه وناصره وزيادة هو ايذان بانه
يتولى ذلك بذاته وجبريل ايضا وليه وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين
اي كل من امن وعمل صالحا وقيل من بري من النفاق وقيل الصحابة وهو واحد
اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل اصله
صالحوا المؤمنين فحذفت الواو عن الخط موافقة للفظ والملائكة على تكاثر عددهم
بعد ذلك بعد نصرة الله وجبريل وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر
امراتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله
قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
يبدله مدني وابو عمرو فالتشديد للكثرة ازواجا خيرا منكن فان قلت كيف
تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين
قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايذائهن اياه لم يبقين على تلك
الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف خيرا منهن مسلمات مؤمنات
مقرات مخلصات قانتات مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله
وطاعة الله في طاعة رسوله تائبات من الذنوب او راجعات الى الله
والى امر رسوله عابدات لله سائحات مهاجرات او صائمات وقيل للصائم
سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به
الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره ثيبات وابكارا انما وسط العاطف
بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات لانهما صفتان متنافيتان بخلاف
سائر الصفات يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات
واهليكم نارا بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وقودها الناس والحجارة
نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما تتقد غيرها من النيران بالحطب عليها
تلي امرها وتعذيب اهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ
شداد في اجرامهم غلظة وشدة او غلاظ الاقوال شداد الافعال لا يعصون الله
في موضع الرفع على النعت ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون
ما امر الله اي امره كقوله افعصيت امري او لا يعصونه فيما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وليست الجملتان في معنى واحد اذ معنى الاولى انهم يتقبلون
اوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون
عنه ولا يتوانون فيه يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم
تعملون في الدنيا اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم
او لانه لا ينفعكم الاعتذار يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا صادقة
عن الاخفش رضي الله عنه وقيل خالصة يقال عسل ناصح اذا خلص من الشمع
وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك وترم خللك ويجوز
ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها

واستعماله

واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وبضم النون حماد ويحيى وهو مصدر
اي ذات نصوح او تنصح نصوحا وجاء مرفوعا ان التوبة النصوح ان يتوب ثم
لا يعود الى الذنب الى ان يعود اللبن في الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان
يتوب عن الذنب ثم لا يعود فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي الاستغفار باللسان
والندم بالجنان والاقلاع بالاركان عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم هذا على ما
جرى به عادة الملوك من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع
والبت ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ونصب يوم بيدخلكم لا يخزي
الله النبي والذين امنوا معه فيه تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر نورهم
مبتدا يسعى بين ايديهم وبايمانهم في موضع الخبر يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
يقولون ذلك اذا انطفى نور المنافقين واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالقول الغليظ والوعظ البليغ وقيل
باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم على الفريقين فيما تجاهرهما به من القتال والمحاجة
باللسان وماواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح
وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين مثل الله عز وجل حال الكفار
في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم
لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وان كان المؤمن الذي يتصل به
الكافر نبيا بحال امراة نوح وامراة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بافشاء
اسرارهما لم يغن الرسولان عنهما اي عن المراتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج
اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع سائر
الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح
وقوم لوط وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون هي اسية بنت مزاحم
امنت بموسى فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة اذ قالت وهي تعذب رب ابن لي
عندك بيتا في الجنة فكانها ارادت الدرجة العالية لانه تعالى منزه عن المكان
فعبرت عنها بقولها عندك ونجني من فرعون وعمله اي من عمل فرعون او من
نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم
ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله
والالتجاء اليه ومسالة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين
ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه فنفخ جبريل بامرنا
فيه في الفرج من روحنا المخلوقة لنا وصدقت بكلمات ربها اي بصحفه التي
انزلها على ادريس وغيره وكتبه بصري وحفص يعني الكتب الاربعة وكانت من
القانتين لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على
اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين
لانها من اعقاب هارون اخي موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين في ان وصلة
الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امراة فرعون

ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعداء الله ومريم ابنة عمران وما اوتيت من
كرامة الدنيا والاخرة والاصطفا على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا
وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما
فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما
على اغلظ وجه واشارة الى ان من حقهما ان يكونا في الاخلاص كهاتين المؤمنتين
وان لا يتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والله الموفق

سورة الملك مكية وهي ثلاثون اية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي
قاريها من عذاب القبر وجا مرفوعا من قراها في ليلة فقد اكثر واطيب

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي
بيده الملك اي بتصرفه الملك والاستيلا على كل موجود وهو مالك الملك
يوتيه من يشا وينزعه ممن يشا وهو على كل شي من المقدورات او من
الانعام والانتقام قدير قادر على الكمال الذي خلق الموت خبر مبتدا
محذوف او بدل من الذي قبله والحياة اي ما يصح بوجوده الاحساس والموت
ضده ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى
خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم ليمتحنكم بامره ونهيه فيما بين
الموت الذي يعم الامير والاسير والحياة التي لا تفي بتعليل ولا طبيب فيظهر منكم
ما علم انه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم ايكم مبتدا وخبره
احسن عملا اي اخلصه واصوبه فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب
ان يكون على السنة والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وسلط
عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراه الا البعث
والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان اقوى الناس داعيا الى العمل
من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى المسوق له الاية اهم ولما
قدم الموت الذي هو اثر صفة القهر على الحياة التي هي اثر صفة اللطف قدم
صفة القهر على صفة اللطف وهو العزيز اي الغالب الذي لا يعجزه من اسا العمل
الغفور الستور الذي لا ييأس منه اهل الاساة والزلل الذي خلق سبع سموات
طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق
وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق
كجمل وجمال والخطاب في ما ترى في خلق الرحمن للرسول او لكل مخاطب
من تفاوت تفوت حمزة وعلي ومعنى البنايين واحد كالتفاهد والتعهد
اي من اختلاف واضطراب وعن السدي من عيب وحقيقة التفاوت عدم
التناسب كان بعض الشي يفوت بعضا ولا يلايمه وهذه الجملة صفة لطباقا
واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما
لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن
وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب فارجع البصر
رده الى السما حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة فلا يبقى معك شبهة

فيه

فيه هل ترى من فطور صدوع وشقوق جمع فطور وهو الشق ثم ارجع البصر كرتين
كرر النظر مرتين اي كرتين مع الاولى وقيل سوى الاولى فيكون ثلاث مرات
وقيل لم يرد الاقتصار على مرتين بل اراد به التكثير اي كرر نظرك وادققه هل
ترى خللا او عيبا وجواب الامر ينقلب يرجع اليك البصر خاسئا ذليلا وبعيدا
مما تريد وهو حال من البصر وهو حسير كليل معي ولم ير فيها خللا ولقد زينا
السما الدنيا القربى اي السما الدنيا منكم بمصابيح بكواكب مضيئة كاضاءة الصبح
والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم
بايقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار الذي اجتمعتم فيها بمصابيح اي
باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وجعلناها رجوما للشياطين اي
لاعدائهم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم
لثلاث زينة للسما ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول
فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به
ما يرجم به ومعنى كونها رجوما للشياطين ان ينفصل عنها شهاب قبس يوخذ
من نار فيقتل الجني او يخبله لان الكواكب عن اماكنها لانها قارة في الفلك على
حالها واعتدنا لهم للشياطين عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب
في الدنيا وللذين كفروا بربهم ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب
جهنم ليس الشياطين المرجومين مخصوصين بذلك وبئس المصير المرجع جهنم
اذا القوا فيها طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لها لجهنم
شهيقا صوتا منكرا كصوت الحمير شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي
تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز اي تتميز يعني تنقطع وتتفرق
من الغيظ على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم كلما
القي فيها فوج جماعة من الكفار سالهم خزنتها مالك واعوانه من الزبانية
توبيخا لهم الم ياتكم نذير رسول يخوفكم من هذا العذاب قالوا بلى قد جانا نذير
اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى ازاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم
ما وقعوا فيه فكذبنا اي فكذبناهم وقلنا ما نزل الله من شي مما تقولون
من وعد ووعيد وغير ذلك ان انتم الا في ضلال كبير اي قال الكفار للمنذرين
ما انتم الا في خطا عظيم فالنذير بمعنى الانذار ثم وصف به منذروهم لغلوهم
في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وجاز ان يكون هذا كلام الخزنة للكفار على
ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك او سموا جزاء الضلال باسمه كما سمي
جزاء السيئة والاعتدا سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة في علم البيان او كلام
الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله وقالوا لو كنا نسمع الانذار
سماع طالب الحق او نعقل اي نعقله عقل متامل ما كنا في اصحاب السعير
في جملة اهل النار وفيه دليل على ان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل وانهما
حجتان ملزمتان فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا لاصحاب
السعير ويضم الحايري وعلي اي فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا او

يجحدوا فائدة ذلك لا ينفعهم وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء ان الذين يخشون
ربهم بالغيب قبل معاينة العذاب لهم مغفرة للذنوب واجر كبير اي الجنة واسروا
قولكم او اجهروا به ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو
عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما روي ان مشركي مكة كانوا ينالون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم
اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنزلت ثم علله بقوله انه عليم بذات الصدور
اي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به الا يعلم من خلق
في موضع رفع بانه فاعل يعلم وهو اللطيف الخبير انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر
والمجهر من خلقها وصفته انه اللطيف اي العالم بدقائق الاشياء الخبير العالم
بحقائق الاشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق افعال العباد
وقال ابو بكر ابن الاصم وجعفر ابن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى
فاحتجا لا بهذا النفي خلق الافعال هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة سهلة
مذللة لا تمنع المشي فيها فامشوا في مناكبها جوانبها استدلالا واسترزاقا او جبالها
او طرقها وكلوا من رزقه اي من رزق الله فيها واليه النشور اي واليه نشوركم
فهو مسائلكم عن شكر ما انعم به عليكم أأمنتم من في السماء اي من ملكوته في السماء
لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه فكانه قال
أأمنتم خالق السماء وملكه او لانهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان
الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون انه
في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض كما خسف بقارون فاذا هي
تمور تضطرب وتتحرك ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا حجارة ان
يرسل بدل من من بدل الاشتمال وكذا ان يخسف فستعلمون كيف نذير اي اذا
رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب الذين من قبلهم
من قبل قومك فكيف كان نكير اي انكاري عليهم اذ اهلكتهم ثم نبه على قدرته
على الخسف وارسال الحاصب بقوله اولم يروا الى الطير جمع طائر فوقهم في الهواء
صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن
بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى اي يصففن
ويقبضن او صافات وقابضات واختار هذا التركيب باعتبار ان اصل الطيران
هو صف الاجنحة لان الطيران في الهوى كالسباحة في الماء والهواء للطائر
كالماء للسابح والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ
على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى
انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن
عن الوقوع عند القبض والبسط الا الرحمن بقدرته والا فالثقيل يتسفل
طبعا ولا يعلو وكذا لو امسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك
وما يمسكهن مستانف وان جعل حالا من الضمير في يقبضن يجوز انه بكل شيء بصير
يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب امن مبتدا خبره هذا ويبدل من هذا الذي

هو جند لكم ومحل ينصركم من دون الرحمن رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى
من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى ان الكافرون الا في غرور اي ما هم الا في
غرور امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه امن يشار اليه ويقال هذا الذي
يرزقكم ان امسك الله رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع
الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكانه
الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا اضرب عنهم فقال بل لجوا تمادوا في عتو
استكبارا عن الحق ونفور وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا
للكافرين والمؤمنين فقال افمن يمشي مكبا على وجهه اي ساقطا على وجهه
يعثر كل ساعة ويمشي معتسفا وخبر من اهدى ارشد واكب مطاوع كبه يقال
كببته فاكب امن يمشي سويا مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور على
صراط مستقيم على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة اهدى عليه وعن الكلبي
عني بالمكب ابو جهل وبالسوي النبي عليه السلام قل هو الذي انشاكم خلقكم
ابتداء وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصها لانها الات العلم قليلا ما تشكرون
هذه النعم لانكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا
وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذراكم خلقكم في الارض
واليه تحشرون للحساب والجزاء ويقولون اي الكافرون للمؤمنين استهزاء متى
هذا الوعد الذي تعدوننا به يعني العذاب ان كنتم صادقين في كونه فاعلمونا
زمانه قل انما العلم اي علم وقت العذاب عند الله وانما انا نذير مخوف مبين
ابين لكم الشرائع فلما راوه اي الوعد يعني العذاب الموعود زلفة قريبا منهم
وانتصابها على الحال سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم
بان علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القترة والسواد وقيل هذا الذي القائلون
الزبانية كنتم به تدعون تفتعلون من الدعاء اي تسالون تعجيله وتقولون
ائتنا بما تعدنا او هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون
وقرا يعقوب تدعون قل ارايتم ان اهلكني الله اي اماتني الله كقوله ان امرؤ هلك
ومن معي من اصحابي او رحمنا او اخر في آجالنا فمن يجير يمنع الكافرين من عذاب اليم
مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين
بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما
ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصر عليكم كما نرجو فانتم ما تصنعون
من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه قل هو الرحمن اي الذي
ادعوكم اليه الرحمن آمنا به صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم وعليه توكلنا فوضنا
اليه امورنا فستعلمون اذا نزل بكم العذاب وبالياء علي من هو في ضلال مبين
نحن ام انتم قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الدلا
وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل فمن ياتيكم بماء معين جار يصل اليه
من اراده وتليت عند ملحد فقال تاتي بالمعول والمعين فذهب ماء عينيه
في تلك الليلة وعمي وقيل انه محمد ابن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة

سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم ن الظاهر ان
المراد به هذا الحرف من حروف المعجم واما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس
انه الحوت الذي عليه الارض واسمه بهموت فمشكل لانه لا بد له من الاعراب
سواء كان اسم جنس او اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف المعجم والقلم
اي ما كتب به اللوح او قلم الملائكة او الذي يكتب به الناس اقسم به لما فيه من
المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون اي ما يسطره الحفظة
او ما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة او مصدرية وجواب القسم ما انت
بنعمة ربك اي بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فانت اسم ما وخبرها بمجنون
وبنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء في بنعمة ربك تتعلق بمجنون
ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما انت بمجنون منعما
عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي
وهو جواب قولهم وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وان لك
على احتمال ذلك والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع او غير ممنون
عليك وانك لعلى خلق عظيم قيل ما امر الله تعالى به في قوله خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران
اي ما فيه من مكارم الاخلاق وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل
على خالقهما فستبصر ويبصرون اي عن قريب ترى ويرون وهذا وعد له ووعيد
لهم بايكم المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون والباء مزيدة او المفتون مصدر
كالمعقول اي بايكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى في تقول كنت ببلد كذا
اي في بلد كذا وتقديره في ايكم المفتون اي في اي الفريقين منكم المجنون فريق
الاسلام او فريق الكفر ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي هو اعلم بالمجانين
على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي هو اعلم بالعقلاء
وهم المهتدون فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد ارادوه ان
يعبد الله مدة والهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم ودوا لو تدهن لو تلين لهم
فيدهنون فيلينون لك ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني لانه عدل به
الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون اي فهم الان يدهنون
لطمعهم في ادهانك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة
لمن اعتاد الحلف مهين حقير في الراي والتمييز من المهانة وهي القلة والحقارة
او كذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان مغتاب مشاء بنميم نقال
للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة
السعاية مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله من الخير وهو الاسلام والمراد
الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من اسلم منكم منعته
رفدي معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الاثام عتل غليظ جاف بعد ذلك
بعد ما عد له من المثالب زنيم دعي وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم
ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت

هذه

هذه الاية والنطفة اذا خبثت خبث الناشي منها وروي انه دخل على امه وقال
ان محمدا وصفني بعشر صفات وجدت تسعا فيّ فاما الزنيم فلا علم لي به فان
اخبرتني بحقيقته والا ضربت عنقك فقالت ان اباك عنين وخفت ان
يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسي فانت من ذلك الراعي
ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع اي ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا
مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده اي لان كان ذا مال
وبنين كذب باياتنا يدل عليه اذا تتلى عليه اياتنا اي القران قال اساطير
الاولين ولا يعمل فيه قال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ءان حمزة وابو بكر اي
لان كان ذا مال كذب شامي ويزيد ويعقوب وسهل قالوا لما عاب الوليد النبي
صلى الله عليه وسلم كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة
اسماء صادقا فان كان من عدله ان يجزي المسيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعشرة كان من فضله ان من صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا
سنسمه سنكويه على الخرطوم على انفه مهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الانف
بالذكر لان الوسم عليه ابشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمة له على خرطومه
انا بلوناهم امتحنا اهل مكة بالقحط والجوع حتى اكلوا الجيف والرمم بدعاء
النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها
سنين كسني يوسف كما بلونا اصحاب الجنة هم قوم من اهل الصلاة كانت
لابيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ذروان وكانت على فرسخين من صنعاء
وكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي على الفقراء فلما مات قال بنوه ان فعلنا
ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين
في السدف خفية من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقال
الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول اذ اقسموا حلفوا ليصرمنها ليقطعن
ثمرها مصبحين داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها
ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وسمي استثناء وان كان شرطا صورة لانه
يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج
الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها طائف من ربك نزل عليها بلاء قيل انزل الله
تعالى عليها نارا فاحرقتها وهم نائمون اي في حال نومهم فاصبحت فصارت
الجنة كالصريم كالليل المظلم اي احترقت فاسودت او كالصبح اي صارت
ارضها بيضاء بلا شجر وقيل كالمصرومة اي كانها لهلاك ثمرها فتنادوا مصبحين
اي فنادى بعضهم بعضا عند الصباح ان اغدوا بالركوب على حرثكم ولم يقل
الى حرثكم لان الغدو اليه ليصرموه كان غدوا عليه او ضمن الغدو معنى الاقبال
اي فاقبلوا على حرثكم باكرين ان كنتم صارمين مريدين صرامه فانطلقوا
ذهبوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين ان لا يدخلنها
اي الجنة وان مفسرة وقرئ بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون
لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين والنهي عن دخول المساكين نهي عن التمكين

تعالى

اي لا تمكنوه من الدخول وغدوا على حرد على جد في المنع قادرين عند انفسهم على
المنع كذا عن نفطويه او الحرد الغضب والسرعة اي وغدوا قاصدين الى جنتهم
بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وهو علم
للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم فلما راوها اي
جنتهم محترقة قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا وما هي
بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا
خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اعدلهم وخيرهم الم اقل لكم لولا تسبحون
هلا تستثنون اذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان
الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه
تعظيم او لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم
قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن
هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
تكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به اولا واقروا على
انفسهم بالظلم في منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن ان يكون ظالما
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من
المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الاخر ثم اعترفوا جميعا بانهم تجاوزوا
الحد بقوله قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء عسى ربنا
ان يبدلنا وبالتشديد مدني وابو عمرو خيرا منها من هذه الجنة انا الى ربنا راغبون
طالبون منه الخير راجعون لعفوه عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وعن
ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا فابدلهم بها جنة تسمى الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا كذلك العذاب اي مثل ذلك العذاب
الذي ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم ولعذاب الاخرة اكبر اعظم
منه لو كانوا يعلمون لما فعلوا ما يفضي الى هذا العذاب ثم ذكر ما عنده
للمؤمنين فقال ان للمتقين عن الشرك عند ربهم اي في الاخرة جنات
النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا افنجعل
المسلمين كالمجرمين استفهام انكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا
فنحن نعطى في الاخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما في الدنيا فقيل لهم
احيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات
ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصي
كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء
فيه تدرسون تقرؤون في ذلك الكتاب ان لكم فيه لما تخيرون اي ان ما
تختارونه وتشتهونه لكم والاصل تدرسون ان لكم ما تخيرون بفتح ان
لانه مدروس لوقوع الدرس عليه وانما كسرت اللام في خبره ويجوز ان
يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح
وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان

بالغة نعت ايمان ويتعلق الى يوم القيامة ببالغة اي انها تبلغ ذلك اليوم
وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم او
بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها
الى يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ان لكم لما تحكمون به لانفسكم
وهو جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم بايمان مغلظة
متناهية في التوكيد سلهم اي المشركين ايهم بذلك الحكم زعيم كفيل بانه
يكون ذلك ام لهم شركاء اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويذهبون
مذهبهم فيه فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان احدا
لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم
به عند الله ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا يوم يكشف عن ساق ناصب
الظرف فلياتوا او اذكر مضمرا والجمهور على ان الكشف عن الساق عبارة
عن شدة الامر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد
الامر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كني به عن الشدة لانهم اذا
ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة
ولا يد ثمة ولا غل وانما هو كناية عن البخل واما من شبه فلضيق عطنه
وقلة نظره في علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه لكان من حق الساق
ان يعرف لانها ساق معهودة عنده ويدعون اي الكفار ثمة الى السجود
لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود في الدنيا فلا يستطيعون ذلك لان
ظهورهم تبقى كصياصي البقر لا تنثني عند الخفض والرفع خاشعة ذليلة
حال من الضمير في يدعون ابصارهم اي يدعون في حال خشوع ابصارهم
ترهقهم ذلة يغشاهم صغار وقد كانوا يدعون على السن الرسل الى السجود
في الدنيا وهم سالمون اي وهم اصحاء فلا يسجدون فلذلك منعوا عن
السجود ثم فذرني يقال ذرني واياه اي كله الي فاني اكفيكه ومن يكذب
معطوف على المفعول او مفعول معه بهذا الحديث بالقران والمراد كل
امره الي وخل بيني وبينه فاني عالم بما ينبغي ان يفعل به مطيق له فلا
تشغل قلبك بشانه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين سنستدرجهم سندنيهم من العذاب
درجة درجة يقال استدرجه الى كذا اي استنزله اليه درجة فدرجة
حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة
فيجعلون رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصي من حيث لا يعلمون من الجهة
التي لا يشعرون انه استدراج قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة
وانسيناهم شكرها قال عليه السلام اذا رايت الله تعالى ينعم على عبد
وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا الاية واملي لهم وامهلهم
ان كيدي متين قوي شديد فسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا
لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك والاصل ان معنى الكيد والمكر

والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز ان يسمى اسمه كايدا وماكرا
ومستدرجا ام تسألهم على تبليغ الرسالة اجرا فهم من مغرم غرامة
مثقلون فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفي اي لست تطلب اجرا على تبليغ
الوحي فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ
عند الجمهور فهم يكتبون منه ما يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم
وتاخير نصرتك عليهم لانهم وان امهلوا لم يهملوا ولا تكن كصاحب الحوت كيونس
عليه السلام في العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه والوقف
على الحوت لان اذ ليس ظرف لما تقدمه اذ النداء طاعة فلا ينهى عنه
بل مفعول محذوف اي اذكر اذ نادى دعا ربه في بطن الحوت بلا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين وهو مكظوم مملوا غيظا من كظم السقاء اذا
ملاه لولا ان تداركه نعمة رحمة من ربه اي لولا ان الله انعم عليه باجابة دعائه
وقبول عذره لنبذ من بطن الحوت بالعراء بالفضاء وهو مذموم معاتب بزلته
لكنه رحم فنبذ غير مذموم فاجتباه ربه اصطفاه لدعائه وعذره فجعله من
الصالحين من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من الانبياء
وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى
وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون الايات وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم وبفتح اليا مدني ان مخففة من الثقيلة واللام
علمها زلقه وازلقه ازاله عن مكانه اي قارب الكفار من شدة نظرهم اليك
شزرا بعيون العداوة اي يزيلوك بابصارهم عن مكانك او يهلكوك لشدة
حنقهم عليك وكانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام
فلا يمر به شي فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا هلك فاريد بعض العيانين
على ان يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم ار كاليوم مثله رجلا فعصمه
الله عن ذلك وفي الحديث العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل
القبر وعن الحسن رقية العين بهذه الاية لما سمعوا الذكر القران ويقولون
حسدا على ما اوتيت من النبوة انه لمجنون ان محمدا لمجنون حيرة في امره وتنفيرا
عنه وما هو القران الا ذكر وعظ للعالمين للجن والانس يعني انهم جننوه
لاجل القران وما القران الا موعظة للعالمين فكيف يجن من جاء بمثله وقيل
لما سمعوا الذكر اي ذكره عليه السلام وما هو اي محمد عليه السلام الا ذكر شرف
للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون سورة الحاقة احدى وخمسون اية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء
التي هي اتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر اي وجب ما الحاقة مبتدا
وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شي هي تفخيما لشانها
وتعظيما لهولها اي حقها ان يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير
لزيادة التهويل وما ادراك واي شي اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك
بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين

وما رفع بالابتداء وادراك الخبر والجملة بعده في موضع نصب لانه مفعول ثان لادري
كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لانها من
اسماء القيامة وسميت بها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال ولما ذكرها
وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل
مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة
المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية
مصدر كالعافية اي بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح
اي بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
صرصر شديدة الصوت من الصرة الصيحة او باردة من الصر كانها التي كرر فيها
البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها عاتية شديدة العصف او عتت على خزانها
فلم يضبطوها باذن الله غضبا على اعداء الله سخرها سلطها عليهم سبع ليال
وثمانية ايام وكان ابتداء العذاب يوم الاربعا اخر الشهر الى الاربعا الاخرى
حسوما اي متتابعة لا تنقطع جمع حاسم كشهود تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل
الحاسم في اعادة الكي كرة بعد اخرى حتى ينحسم وجاز ان يكون مصدرا اي تحسم
حسوما بمعنى تستاصل استيصالا فترى ايها المخاطب القوم فيها في مهابها او في
الليالي والايام صرعى حال جمع صريع كانهم حال اخرى اعجاز اصول نخل
جمع نخلة خاوية ساقطة او بالية فهل ترى لهم من باقية من نفس باقية
او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه
من الامم والمؤتفكات قرى قوم لوط فهي ائتفكت اي انقلبت بهم بالخاطئة
بالخطاء او بالفعلة او بالافعال ذات الخطا العظيم فعصوا اي قوم لوط
رسول ربهم لوطا فاخذهم اخذة رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت
قبائحهم في القبح انا لما طغى الماء ارتفع وقت الطوفان على اعلى جبل في الدنيا
خمسة عشر ذراعا حملناكم اي اباكم في الجارية في سفينة نوح عليه السلام
لنجعلها اي الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة
عبرة وعظة وتعيها وتحفظها اذن واعية حافظة لما تسمع قال قتادة
وهي اذن وعت عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة هي النفخة الاولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون
عندها وحملت الارض والجبال رفعتا عن موضعهما فدكتا دكة واحدة
فدقتا وكسرتا اي ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء
منبثا فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة نزلت النازلة وهي القيامة
وجواب اذا وقعت ويومئذ بدل من اذا وانشقت السماء فتحت ابوابا فهي
يومئذ واهية مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة والملك للجنس
بمعنى الجمع وهو اعم من الملائكة على ارجائها جوانبها واحدها رجا مقصور
لانها اذا انشقت وهي مسكن الملائكة فيلجئون الى اطرافها ويحمل عرش ربك
فوقهم فوق الملك الذي على ارجائها يومئذ ثمانية منهم واليوم تحمله اربعة

وزبوت اربعة اخري يوم القيامة وعن الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية
اصناف يومئذ تعرضون للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان
العسكر ليعرف احواله لا تخفى منكم خافية سريرة وحاله كانت تخفى في الدنيا
وباليا يكون عن عاصم وفي الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات
فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ
الفايز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله فاما تفصيل للعرض من اوتي
كتابه بيمينه فيقول سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا لجماعة
هاؤم اسم للفعل اي خذوه اقرؤا كتابيه تقديره هاؤم كتابي اقرؤا
كتابيه فحذف الاول لدلالة الثاني عليه والعامل في كتابيه اقرا واعتد
البصريين لانهم يعملون الاقرب والها في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه
للسكت وحقها ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار
الوقف ايثارا لثباتها في المصحف اني ظننت علمت وانما اجري الظن مجرى
العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام ولان ما يدرك
بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهي تفضي الي الظنون فجاز
اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه اني ملاق حسابيه معاين حسابي
فهو في عيشة راضية ذات رضى يرضى بها صاحبها كلابن في جنة عالية
رفيعة المكان او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور وهو خبر
بعد خبر قطوفها دانية ثمارها قريبة من مريدها ينالها القاعد كالقايم
يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا لا مكروه فيهما ولا اذى او
هنيتم هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام
الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن ابن عباس هي في الصايمين اي كلوا
واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله واما من اوتي كتابه
بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه لما يرى فيها من الفضايح ولم ادر
ما حسابيه اي يا ليتني لم اعلم ما حسابي يا ليتها يا ليت الموتة التي متها
كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى
ما اغنى عني ماليه اي لم ينفعني ما جمعته في الدنيا فما نفي والمفعول محذوف
اي شيئا هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا
فيقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه فغلوه اي اجمعوا يديه الي عنقه
ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه يعني ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى
او نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه ثم في سلسلة ذرعها طولها سبعون ذراعا
بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها الا الله فاسلكوه فادخلوه
والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية
انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين على بذل طعام المسكين
وفيه اشارة الي انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون من المساكين

الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الاخرة فاذا لم
يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم اي انه مع كفره لا يحرض غيره على الطعام
المحتاجين وفيه دليل قوي على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر
وجعله دليلا عليه وقرينة له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض
اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل احق وعن ابي الدرداء انه كان يحض امراته
على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فلنخلع
نصفها بهذا وهذه الايات ناطقة على ان المؤمنين يرحمون جميعا والكافرون
لا يرحمون لانه قسم الخلق صنفين فجعل صنفا منهم اهل اليمين ووصفهم بالايمان
فحسب بقوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وصنفا منهم اهل الشمال ووصفهم
بالكفر بقوله انه لا يؤمن بالله العظيم وجاز ان الذي يعاقب من المؤمنين انما
يعاقب قبل ان يؤتى كتابه بيمينه فليس له اليوم ههنا حميم قريب يرفع عنه
ويحترق له قلبه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار فعلين من الغسل
والنون زايدة واريد به هنا ما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم لا ياكله الا
الخاطئون الكافرون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب فلا اقسم
بما تبصرون من الاجسام والارض والسما وما لا تبصرون من الملايكة والارواح
انه اقسم بجميع الاشيا انه اي ان القران لقول رسول كريم اي محمد صلى الله
عليه وسلم او جبريل عليه السلام اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من
عند الله وما هو بقول شاعر كما تدعون قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن
كما تقولون قليلا ما تذكرون وباليا فيهما مكي وشامي ويعقوب وسهل وبتخفيف
الذال كوفي غير ابو بكر والقلة في معنى العدم يقال هذه ارض قلما تنبت اي لا
تنبت اصلا والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة تنزيل هو تنزيل بيانا لانه
قول رسول نزل عليه من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل ولو
ادعى علينا شيئا لم نقله لاخذنا منه باليمين لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن
يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون
اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتال اذا اراد ان
يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف
وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه والمعنى لاخذنا منه باليمين
لاخذنا بيمينه وكذا ثم لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهو نياط القلب اذا
قطع مات صاحبه فما منكم الخطاب للناس او للمسلمين من احد من زايدة عنه
عن قتل محمد وجمع حاجزين وان كان وصف احد لانه في معنى الجماعة ومنه قوله
تعالى لا نفرق بين احد من رسله وانه وان القران لحسرة على الكافرين به
المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به وانه وان القران لحق اليقين لعين
اليقين ومحض اليقين فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم
وهو قوله سبحان الله والله الموفق سورة المعارج اربع واربعون اية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم سال سايل هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو

الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او هو النبي صلى
الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سال معنى دعا عدي تعديته
كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه
قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسال بغير همز مدني وشامي وهو من السوال
ايضا الا انه خفف بالتليين وسايل مهموز اجماعا للكافرين صفة لعذاب اي
بعذاب واقع كاين للكافرين ليس له لذلك العذاب دافع راد من الله متصل
بواقع اي واقع من عنده او بدافع اي ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته
ذي المعارج اي مصاعد السماء للملايكة جمع معرج وهو موضع العروج ثم وصف
المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج تصعد وبالياء علي
الملايكة والروح اي جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه
او خلق هم حفظة على الملايكة كما ان الملايكة حفظة علينا او ارواح المؤمنين
عند الموت اليه الى عرشه ومهبط امره في يوم من صلة تعرج كان مقداره خمسين
الف سنة من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك او من صلة واقع اي يقع في يوم
طويل مقداره خمسين الف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فاما ان يكون
استطالة له لشدته على الكفار او لانه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون
موطنا لكل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر
فاصبر متعلق بسال سايل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه
الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك
مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه صبرا جميلا بلا جزع
ولا شكوى انهم ان الكفار يرونه اي العذاب او يوم القيمة بعيدا مستحيلا
ونراه قريبا كاينا لا محالة فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب
القريب منه نصب يوم تكون السماء بقريبا اي تكون في ذلك اليوم او هو بدل
عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت او كالفضة المذابة في تلونها
وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن
المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما لا يسال قريب عن قريب
لاشتغاله بنفسه وعن البزي والبرجمي بضم اليا اي لا يسال قريب عن قريب
اي لا يطالب به ولا يوخذ بذنبه يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين
اياهم او مستانف كانه لما قال ولا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل
يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تسايلهم والواو ضمير الحميم الاول
وهم ضمير الحميم الثاني اذ يبصر الاحماء والاحماء فلا يخفون عليهم وانما جمع
الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع يود المجرم يتمنى المشرك
وهو مستانف او حال من الضمير المرفوع او المنصوب من يبصرونهم لو يفتدي
من عذاب يوميذ وبالفتح مدني وعلي على البنا للاضافة الى غير متمكن ببنيه
وصاحبته وزوجته واخيه وفصيلته وعشيرته الادنين التي تؤويه تضمه

انتماءه

انتماءه اليها ويغني هو يزيد ومن في الارض جميعا من الناس ثم ينجيه الافتداء
عطف على يفتدي كلا ردع للمجرم عن الوداد وتنبيه على انه لا ينفعه الافتدا
ولا ينجيه من العذاب انها ان النار ودل ذكر العذاب عليها او مبهم
ترجم عنه الخبر او ضمير القصة لظى علم للنار نزاعة حفص والمفضل على الحال
الموكدة او على الاختصاص للتهويل وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر كذا او على هي
نزاعة للشوى لاطراف الانسان كاليدين والرجلين او جمع شواة وهي
جلدة الراس تنزعها نزعا فتفرقها ثم تعود الى ما كانت تدعوا باسمايهم
يا كافر يا منافق الي الي او تهلك من قولهم دعاك الله اي اهلكك او
لما كان مصيره اليها جعلت كانها دعته من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة
وجمع المال فاوعى فجعله في وعاء ولم يود حق الله منه ان الانسان اريد
به الجنس ليصح استثنا المصلين منه خلق هلوعا عن ابن عباس رضي
الله عنهما تفسيره ما بعده اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا
والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسال محمد
بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله تعالى ولا يكون
تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله
خير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مامور بمخالفة طبعه وموافقة
شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى او المرض والصحة الا
المصلين الذين هم على صلاتهم اي صلواتهم الخمس دايمون اي يحافظون
عليها في مواقيتها عن ابن مسعود رضي الله عنه والذين في اموالهم حق معلوم
يعني الزكاة لانها مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه يوديها
في اوقات معلومة للسايل الذي يسال والمحروم الذي يتعفف عن السوال
فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي يوم الجزاء والحساب
وهو يوم القيامة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خايفون واعترض
بقوله ان عذاب ربهم غير مامون بالهمز سوى ابو عمرو اي لا ينبغي لاحد وان بالغ
في الاجتهاد والطاعة ان يامنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف والرجا
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم نسايهم او ما ملكت ايمانهم
اي امايهم فانهم غير ملومين على ترك الحفظ فمن ابتغى طلب منكحا وراء ذلك
غير الزوجات والمملوكات فاولئك هم العادون المتجاوزون عن الحلال
الى الحرام وهذه الاية تدل على حرمة المتعة ووطي الذكران والبهايم والاستمنا
بالكف والذين هم لاماناتهم بالتوحيد مكي وهي تتناول امانات الشرع وامانات
العباد وعهدهم اي عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان راعون
حافظون غير خاينين ولا ناقضين وقيل الامانات ما يدل عليه العقول والعهد
ما اتى به الرسول والذين هم بشهاداتهم حفص بالالف وسهل ويعقوب
قايمون يقيمونها عند الحكام بلا ميل الى قريب وشريف وترجيح للقوي على
الضعيف اظهارا للصلابة في الدين ورغبة في احياء حقوق المسلمين

والذين هم على صلاتهم يحافظون كرر ذكر الصلاة لبيان انها اهم او لان
احداهما للفرائض والاخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها
والمحافظة عليها ان لا تضيع عن مواقيتها والدوام عليها اداؤها في اوقاتها
والمحافظة عليها حفظ اركانها وواجباتها وسننها وآدابها اولئك اصحاب
هذه الصفات في جنات مكرمون هما خبران فمال الذين كفروا قبلك
نحوك معمول مهطعين مسرعين حال من الذين كفروا عن اليمين وعن الشمال
عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله عزين حال اي فرقا شتى جمع عزة
واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم
مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا
وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة
كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم
كالمؤمنين كلا انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة المذرة ولذلك ابهم
اشعارا بانه منصب يستحيى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون
لندخلن الجنة قبلهم او معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم
ومن حكمنا ان لا يدخل احد الجنة الا بالايمان فلم يطمع ان يدخلها من لا ايمان له
فلا اقسم برب المشارق والمغارب مطالع الشمس ومغاربها انا لقادرون
على ان نبدل خيرا منهم على ان نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن
بمسبوقين بعاجزين فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون فيه العذاب يوم يخرجون بفتح الياء وضم الراء سوى
الاعشى من الاجداث القبور سراعا جمع سريع حال اي الى الداعي كانهم حال
الى نصب شامي وحفص وسهل نصب المفضل نصب غيرهم وهو كل ما نصب
وعبد من دون الله يوفضون يسرعون خاشعة حال من ضمير يخرجون
اي ذليلة ابصارهم يعني لا يرفعونها لذلتهم ترهقهم ذلة يغشاهم هوان ذلك
اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا وهم يكذبون به والله اعلم بالصواب

سورة نوح مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا قيل معناه بالسريانية الساكن الى قومه ان انذر خوف اصله
بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب
او ان مفسرة بمعنى اي لان في الارسال معنى القول قومك من قبل ان ياتيهم
عذاب اليم عذاب الآخرة او الطوفان قال يا قوم اضافهم الى نفسه اظهارا
للشفقة اني لكم نذير مخوف مبين ابين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها
ان اعبدوا الله وحدوه وان هذه نحو ان انذر في الوجهين واتقوه واحذروا
عصيانه واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه يغفر لكم جواب الامر من ذنوبكم
للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان او للتبعيض لان ما يكون بينه وبين
الخلق يؤاخذ به بعد الاسلام كالقصاص وغيره كذا في شرح التاويلات
ويؤخركم الى اجل مسمى وهو وقت موتكم ان اجل الله اي الموت اذا جاء لا يؤخر

لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء اجلكم
لآمنتم قيل ان الله تعالى قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان
لم يؤمنوا اهلكهم على راس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي تبلغوا
الف سنة ثم اخبر ان الالف اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا
يخافون على انفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام
فكانه عليه السلام امنهم من ذلك ووعدهم انهم بايمانهم يبقون الى الاجل
الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا اي انكم ان اسلمتم بقيتم الى الاجل المسمى آمنين
من عدوكم قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا دائبا بلا فتور فلم يزدهم
دعائي الا فرارا عن طاعتك ونسب ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن
الدعاء سببا للفرار في الحقيقة وهو كقوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه
الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرنك فان ابي قد وصاني به
واني كلما دعوتهم الى الايمان بك لتغفر لهم اي ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر
المسبب جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامي واستغشوا
ثيابهم وتغطوا بثيابهم لئلا يبصروني كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين
الله واصروا واقاموا على كفرهم واستكبروا استكبارا وتعظموا عن اجابتي
وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم ثم اني دعوتهم جهارا مصدر في
موضع الحال اي مجاهرا او مصدر دعوتهم كقعد القرفصاء لان الجهار احد
نوعي الدعاء يعني اظهرت لهم الدعوة في المحافل ثم اني اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا اي خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل انه دعاهم
ليلا ونهارا في السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن وهكذا يفعل
الآمر بالمعروف يبتدئ بالاهون ثم بالاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر
فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان
وثم تدل على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين
الامرين اغلظ من افراد احدهما فقلت استغفروا ربكم من الشرك لان
الاستغفار طلب المغفرة فان كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وان كان عاصيا
مؤمنا فهو من الذنوب انه كان غفارا لم يزل غفار الذنوب لمن ينيب اليه
يرسل السماء المطر عليكم مدرارا كثيرة الدرور ومفعال يستوي فيه المذكر
والمؤنث ويمددكم باموال وبنين يزدكم اموالا وبنين ويجعل لكم جنات
بساتين ويجعل لكم انهارا جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الاموال
والاولاد فحركوا بهذا على الايمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة
حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة او سبعين فوعدهم
انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله
عنه انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت
فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه عمر

الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطي وقرا الايات مالكم لا ترجون لله وقارا
لا تخافون لله عظمة عن الاخفش قال والرجا هنا الخوف لان مع الرجا طرفا
من الخوف من الياس والوقار العظمة او لا تاملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى
مالكم لا تكونون على حال تاملون فيه تعظيم الله اياكم في دار الثواب وقد خلقكم
اطوارا في موضع الحال اي مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة
للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات وكرات خلقكم اولا نطفا ثم خلقكم علقا
ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم نبههم اولا على النظر في انفسهم
لانها اقرب ثم على النظر في العالم وما سوي فيه من العجائب الدالة على الصانع
بقوله الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا بعضها على بعض وجعل القمر
فيهن نورا اي في السموات وهو في السما الدنيا لان بين السموات
ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن
كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي
الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السموات وظهورهما مما
يلي الارض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لانها لطيفة لا تحجب نوره
وجعل الشمس سراجا مصباحا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت
في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وضوء الشمس اقوى من نور
القمر واجمعوا على ان الشمس في السماء الرابعة والله انبتكم من الارض انشاكم
استعير الانبات للانشاء نباتا فنبتم نباتا ثم يعيدكم فيها بعد الموت
ويخرجكم يوم القيامة اخراجا اكده بالمصدر اي اخراجا والله جعل لكم
الارض بساطا مبسوطة لتسلكوا منها لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل
على بساطه سبلا طرقا فجاجا واسعة او مختلفة قال نوح رب انهم عصوني
فيما امرتهم به من الايمان والاستغفار واتبعوا اي السفلة من لم يزده ماله
وولده اي الروسا واصحاب الاموال والاولاد الا خسارا في الاخرة ومكروا
معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع
والماكرون هم الروسا ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش
الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه مكرا كبارا عظيما وهو اكبر من
الكبار وقرئ به وهو اكبر من الكبير وقالوا اي الروسا لسفلتهم لا تذرن الهتكم
على العموم اي عبادتها ولا تذرن ودا بفتح الواو وضمها وهو قراة نافع لغتان
صنم على صورة رجل ولا سواعا هو على صورة امراة ولا يغوث هو على صورة
اسد ويعوق هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل
ان كانا عربيين وللتعريف والعجمة ان كانا عجميين ونسرا هو على صورة
نسر اي هذه الاصنام الخمسة على الخصوص فكانها كانت اكبر
اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الاصنام
عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج
ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كان الناس

يقتدون

يقتدون بهم بين ادم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك ادعى الى العبادة
فلما طال الزمان قال لهم ابليس انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقد اضلوا
اي الاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس او الروسا ولا تزد الظالمين عطف
على رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة
عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين اي قال هذين القولين
وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال الا ضلالا هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين
الا تبارا مما خطيئاتهم خطاياهم ابو عمرو اي ذنوبهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا
نارا عظيمة وتقديم مما خطاياهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم
في النيران الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب
الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن والفاء في
فادخلوا للايذان بانهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على
اثبات عذاب القبر فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا ينصرونهم ويمنعونهم من
عذاب الله وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا يدور في الارض
وهو فيعال من الدور وهو من الاسما المستعملة في النفي العام انك ان تذرهم
يضلوا عبادك يدعوهم الى الضلال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا الا من
اذا بلغ فجر وكفر وانما قال ذلك لان الله تعالى اخبره بقوله لن يؤمن من قومك
الا من قد امن رب اغفر لي ولوالدي وكانا مسلمين واسم ابيه لملك واسم امه شمخا
وقيل هما ادم وحوى وقرئ لولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي
او سفينتي مؤمنا لانه علم ان من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر وللمؤمنين والمؤمنات
الى يوم القيامة خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين
والمؤمنات ولا تزد الظالمين الكافرين الا تبارا هلاكا فاهلكوا قال ابن عباس
رضي الله عنهما دعا نوح عليه السلام بدعوتين احدهما للمؤمنين بالمغفرة والاخرى
على الكافرين بالتبار وقد اجيبت دعوته في حق الكفار بالتبار فاستحال ان لا
يستجاب دعوته في حق المؤمنين واختلف في صبيانهم حين اغرقوا فقيل اعقم
الله ارحام نسائهم قبل الطوفان باربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا
وقيل علم الله براءتهم فاهلكوا بغير عذاب

سورة الجن ثمان وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا محمد لامتك اوحي الي انه ان الامر والشان اجمعوا
على فتح انه لانه فاعل اوحي وان لو استقاموا وان المساجد للعطف على انه
استمع فان مخففة من الثقيلة وان قد ابلغوا لتعدي يعلم اليها وعلى كسر ما بعد
فاء الجزاء وبعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا انا سمعنا لانه مبتدا محكي
بعد القول واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من انه تعالى جد ربنا الى وانا منا
المسلمون ففتحها شامي وكوفي غير ابو بكر عطفا على انه استمع او على محل الجار
والمجرور في امنا به تقديره صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان
يقول سفيهنا الى اخرها وكسرها غيرهم عطفا على انا سمعنا وهم يقفون على اخر
الايات استمع نفر جماعة من الثلاثة الى العشرة من الجن جن نصيبين

فقالوا لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صلاة الفجر انا سمعنا قرانا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه
وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر وضع موضع
العجيب يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب او الى التوحيد والايمان فامنا به
بالقران ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك
قالوا ولن نشرك بربنا احدا من خلقه وجاز ان يكون الضمير في به لله تعالى
لان قوله بربنا يفسره وانه تعالى جد ربنا عظمته يقال جد فلان في
عيني اي عظم ومنه قول عمر او انس كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران
جد فينا اي عظم في عيوننا ما اتخذ صاحبة زوجة ولا ولدا كما يقول كفار
الجن والانس وانه كان يقول سفيهنا جاهلنا او ابليس اذ ليس فوقه سفيه
على الله شططا كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار اي بعدت
او قولا يجور فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه والشطط
مجاوزة الحد في الظلم وغيره وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
قولا كذبا او مكذوبا فيه او نصب على المصدر اذ الكذب نوع من القول
اي كان في ظننا ان احدا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد اليه
فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه حتى تبين لنا بالقران كذبهم كان الرجل
من العرب اذا نزل بمخوف من الارض قال اعوذ بالله بسيد هذا الوادي
من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم اي زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم رهقا طغيانا
وكبرا بان قالوا سدنا الجن والانس او فزاد الجن الانس رهقا اثما لاستعاذتهم
بهم واصل الرهق غشيان المحظور وانهم وان الجن ظنوا كما ظننتم يا اهل
مكة ان لن يبعث الله احدا بعد الموت اي ان الجن كانوا ينكرون البعث
كانكاركم ثم بسماع القران اهتدوا واقروا بالبعث فهلا اقررتم كما
اقروا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها واللمس
المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف فوجدناها ملئت حرسا
شديدا جمعا اقوياء من الملائكة يحرسون جمع حارس ونصب على التمييز
وقيل الحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذا وصف
بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا وشهبا جمع شهاب اي كواكب
مضيئة وانا كنا نقعد منها من السماء قبل هذا مقاعد للسمع لاستماع اخبار
السماء يعني كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث
فمن يستمع يريد الاستماع الآن بعد المبعث يجد له لنفسه شهابا رصدا
صفة لشهابا بمعنى الراصد اي يجد شهابا راصدا له ولاجله او هو اسم
جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين
يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن
قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الرجم في الجاهلية ولكن

الشياطين

الشياطين كانت تسترق في بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق اصلا بعد مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بعدم استراق
استراق السمع ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا ورحمة وانا منا الصالحون الابرار المتقون
ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في الصلاح غير
الكاملين فيه او اراد غير الصالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة
اي كنا ذوي مذاهب متفرقة او اديان مختلفة والقدد جمع قدة وهي
القطعة من قددت الشيء اي قطعته وانا ظننا ايقنا ان لن نعجز الله لن نفوته
في الارض حال اي لن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه
من احوالهم وعقائدهم ولن نعجزه هربا مصدر في موضع الحال وانا لما سمعنا الهدى
القران امنا به بالقران او بالله فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف مبتدا
وخبر بخسا نقصا من ثوابه ولا رهقا اي ولا ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة
وقوله ولا ترهق وجوههم قتر ولا ذلة وفيه دليل على ان العمل ليس من الايمان
وانا منا المسلمون المؤمنون ومنا القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق
قسط جار واقسط عدل فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا طلبوا هدى والتحري
طلب الاحرى اي الاولى واما القاسطون فكانوا في علم الله لجهنم حطبا وقودا
وفيه دليل على ان الجني الكافر يعذب في النار ويتوقف في كيفية ثوابهم
وان مخففة من الثقيلة يعني وانه من جملة الموحى اي اوحي الي ان الشان
لو استقاموا اي القاسطون على الطريقة طريقة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا
كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لانه سبب سعة الرزق
لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا فيه ومن يعرض عن ذكر ربه
القران او التوحيد او العبادة نسلكه بالياء عراقي غير ابي عمرو ندخله
عذابا صعدا شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب
لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه
ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح اي ما شق علي وان المساجد لله من
جملة الموحى اي اوحي الي ان المساجد اي البيوت المبنية للصلاة فيها لله
وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا
اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها خالصة لله ولعبادته وقيل
المساجد اعضاء السجود وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان
وانه لما قام عبد الله اي محمد عليه السلام الى الصلاة وتقديره واوحي
الي انه لما قام عبد الله يدعوه يعبده ويقرا القران ولم يقل نبي الله
او رسول الله لانه من احب الاسماء الى النبي صلى الله عليه وسلم
ولانه لما كان واقعا في كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما
يقتضيه التواضع او لان عبادة عبد الله ليست بمستبعد حتى يكونوا
عليه لبدا كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا جماعات جمع لبدة تعجبا مما
راوا من عبادته واقتداء اصحابه واعجابا بما تلا من القران لانهم راوا

مالم يروا مثله قل انما ادعوا ربي وحده قال غير عاصم وحمزة ولا اشرك به احدا
في العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون علي قل اني لا املك لكم ضرا مضرة ولا
رشدا نفعا او اراد بالضر الغي بدليل قراءة ابي غيا ولا رشدا يعني لا استطيع
ان اضركم وان انفعكم لان الضار والنافع هو الله قل اني لن يجيرني من الله
احد لن يدفع عني عذابه احد ان عصيته كقول صالح عليه السلام فمن ينصرني
من الله ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدا ملتجأ الا بلاغا من الله
ورسالاته عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات
اي الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ
رسالته التي ارسلني بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه
يقال بلغ عنه انما هي بمنزلة في براءة من الله اي بلاغا كائنا من الله ومن يعص
الله ورسوله في ترك القبول بما انزل على الرسول لانه ذكر على اثر
تبليغ الرسالة فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وحد في قوله له وجمع في
خالدين للفظ من ومعناه حتى اذا راوا ما يوعدون من العذاب فسيعلمون
عند حلول العذاب بهم من اضعف ناصرا واقل عددا اهم ام المؤمنون قل
ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون من العذاب ام يجعل له ربي امدا
غاية بعيدة يعني انكم تعذبون ولكن لا ادري هو حال ام مؤجل عالم الغيب
خبر مبتدا محذوف اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا من
خلقه الا من ارتضى من رسول الا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب
ليكون اخباره عن الغيب معجزة له فانه يطلعه على غيبه ما شاء ومن رسول
بيان لمن ارتضى والولي اذا اخبر بشيء فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه اخبر
بناء على رؤياه او بالفراسة على ان كل كرامة للولي فهي معجزة للرسول
وذكر في التاويلات قال بعضهم في هذه الاية دلالة تكذيب المنجمة وليس
كذلك فان فيهم من يصدق خبره وكذا المتطببة يعرفون طبائع النبات
وذا لا يعرف بالتامل فعلم انهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع اثره
وبقي علمه في الخلق فانه يسلك يدخل من بين يديه يدي الرسول ومن خلفه
رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان ويعصمونه من وساوسهم
وتخاليطهم حتى يبلغ الوحي ليعلم الله ان قد ابلغوا اي الرسل رسالات ربهم
كاملة بلا زيادة ولا نقصان الى المرسل اليهم اي ليعلم الله ذلك موجودا
حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده انه يوجد وحد الضمير في
من بين يديه للفظ من وجمع في ابلغوا لمعناه واحاط الله بما لديهم بما عند
الرسل من العلم واحصى كل شيء عددا من القطر والرمل وورق الاشجار
وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال
اي وعلم كل شيء معدودا محصورا او مصدر في معنى احصاء والله اعلم

سورة المزمل تسعة عشر اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اي المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها

بادغام

بادغام التاء في الزاي وكان صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في ثيابه
فامر بالقيام للصلاة بقوله قم الليل الا قليلا نصفه بدل من الليل
والا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلا من نصف
الليل او انقص منه من النصف بضم الواو غير عاصم وحمزة قليلا الى الثلث
او زد عليه على النصف الى الثلثين والمراد التخيير بين امرين بين ان يقوم
اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من
النصف والزيادة عليه وان جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيرا من ثلاثة
اشياء بين قيام النصف تاما وبين قيام نصف الناقص منه وبين قيام
الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل والا فاطلاق
لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف ولهذا قلنا اذا اقر ان لفلان
عليه الف درهم الا قليلا انه يلزمه اكثر من نصف الالف ورتل القران بين
وفصل من الثغر المرتل اي المفلج او اقرا على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ
الوقوف واشباع الحركات ترتيلا هو تاكيد في ايجاب الامر به وانه
لا بد منه للقارئ انا سنلقي عليك سننزل عليك قولا ثقيلا اي القران
لما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين
او ثقيلا على المنافقين او كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف
الخفيف ان ناشئة الليل بالهمز سوى ورش قيام الليل عن ابن مسعود رضي
الله عنه فهو مصدر من نشا اذا قام ونهض على فاعلة او العبادة التي
تنشا بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تنشا ساعة فساعة
وكان زين العابدين رضي الله عنه يصلي بين العشائين ويقول هذه
ناشئة الليل هي اشد وطا وطاء شامي وابو عمرو اي يواطئ فيها قلب
القائم لسانه وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية
لانقطاع رؤية الخلائق غيرهما وطأ اي اثقل على المصلي من صلاة
النهار لطرد النوم في وقته من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد
وطاتك على مضر واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات
وانقطاع الحركات ان لك في النهار سبحا طويلا تصرفا وتقلبا في مهماتك
وشواغلك ففرغ نفسك في الليل لعبادة ربك او فراغا طويلا لنومك
وراحتك واذكر اسم ربك ودم على ذكره في الليل والنهار وذكر الله
يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القران ودراسة
العلم وتبتل اليه انقطع الى عبادته عن كل شيء والتبتل الانقطاع الى الله
تعالى بتاميل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا وما فيها والتماس
ما عند الله تبتيلا في اختلاف المصدر زيادة تاكيد اي بتلك الله
فتبتل تبتيلا او جيء به مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب بالرفع
اي هو رب او مبتدا خبره لا اله الا هو وبالجر شامي وكوفي غير حفص
بدل من ربك وعن ابن عباس رضي الله عنهما على القسم باضمار حرف

القسم بحو الله لا فعلن وجوابه لا اله الا هو كقولك والله لا احد في الدار الا زيد
فاتخذه وكيلا وليا وكفيلا بما وعدك من النصر اذا علمت انه ملك المشرق
والمغرب وان لا اله الا هو فاتخذه كافيا لامورك وفايدة الفا ان لا تلبث
بعد ان عرفت في تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك في الانتظار
بعد الاقرار واصبر على ما يقولون على ما يقولون في من الصاحبة والولد وفيك
من الساحر والشاعر واهجرهم هجرا جميلا جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن
المحافظة وترك المكافاة وقيل هو منسوخ باية القتال وذرني اي كلهم
الي فاني كافيكهم والمكذبين رؤسا قريش مفعول معه او عطف على ذرني
اي دعني واياهم اولي النعمة التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة
ومهلهم امهالا قليلا الى يوم بدر او الى يوم القيامة ان لدينا للكافرين
في الاخرة انكالا اي قيودا ثقالا جمع نكل وجحيما نارا محرقة وطعاما ذا غصة
اي الذي ينشب في الحلوق فلا ينساغ يعني الضريع والزقوم وعذابا اليما
يخلص وجعه الى القلب وروي انه صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية
فصعق وعن الحسن انه امسى صايما فاتي بطعام فعرضت له هذه
الاية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه
وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني وغيره فجاوا فلم يزالوا
به حتى شرب شربة من سويق يوم منصوب بما في لدينا من معنى
الفعل اي استقر للكفار لدينا كذلك ترجف الارض والجبال اي تتحرك
حركة شديدة وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه
فعيل بمعنى مفعول مهيلا سايلا بعد اجتماعه انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة
رسولا يعني محمدا عليه السلام شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة
بكفركم وتكذيبكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى عليه السلام فعصى
فرعون الرسول اي ذلك الرسول اذ النكرة اذا اعيدت معرفة كان
الثاني عين الاول فاخذناه اخذا وبيلا شديدا غليظا وانما خص موسى
وفرعون لان خبرهما كان منتشرا بين اهل مكة لانهم كانوا جيران
اليهود فكيف تتقون ان كفرتم يوما هو مفعول تتقون اي كيف تتقون عذاب
يوم كذا ان كفرتم او ظرف اي فكيف لكم التقوى يوم القيمة ان كفرتم في
الدنيا او منصوب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه
ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه يجعل الولدان
صفة ليوما والعايد محذوف اي فيه شيبا من هوله وشدته وذلك
حين يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع
اشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال في اليوم الشديد يوم يشيب
نواصي الاطفال السما منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا اي السماء على
عظمها واحكامها تنفطر به اي تنشق فما ظنك بغيرها من الخلايق
والتذكير على تاويل السماء بالسقف او السماء شيء منفطر وقوله به

اي

اي بيوم القيامة يعني انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما
ينفطر به وكان وعده المصدر مضاف الى المفعول وهو اليوم او الى الفاعل وهو الله
عز وجل مفعولا كاينا ان هذه الايات الناطقة بالوعيد تذكرة موعظة فمن
شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى
والخشية ان ربك يعلم انك تقوم ادنى اقل فاستعير الادنى وهو الاقرب
للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت
كثر ذلك من ثلثي الليل بضم اللام سوى هشام ونصفه وثلثه منصوبان
عطف على ادنى مكي وكوفي ومن جرهما عطف على ثلثي وطايفة عطف
على الضمير في تقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل من الذين معك اي ويقوم
ذلك المقدار جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار اي ولا يقدر
على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم
اسمه عز وجل مبتدا مبنيا عليه يقدر هو الدال على انه مختص بالتقدير
ثم انهم كانوا يتوخون الصواب فيحتاطون في الوقت فنزل علم ان لن تحصوه لن تطيقوا
قيامه على المقادير الا بشدة ومشقة وفي ذلك حرج فتاب عليكم فخفف
عليكم واسقط عنكم فرض قيام الليل فاقرءوا في الصلاة والامر للوجوب
او في غيرهما والامر للندب ما تيسر عليكم من القران روى ابو حنيفة عن
ابي هريرة رضي الله عنه انه قال من قرا ماية اية في ليلة لم يكتب من
الغافلين ومن قرا مايتي اية كتب من القانتين وقيل اراد بالقران
الصلاة لانه بعض اركانها اي فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة
الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة
في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال
علم ان سيكون منكم اي انه مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها
وحذف اسمها مرضى فيشق عليهم قيام الليل واخرون يضربون في الارض
يسافرون يبتغون حال من ضمير يضربون من فضل الله رزقه بالتجارة
او طلب العلم واخرون يقاتلون في سبيل الله سوى بين المجاهد والمكتسب
لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضي الله عنه ايما رجل جلب شيا الى مدينة
من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهدا
وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله
احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله
فاقرءوا ما تيسر منه كرر الامر بالتيسير لشدة احتياطهم واقيموا الصلاة
المفروضة واتوا الزكاة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا من الحلال بالاخلاص
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه اي ثوابه وهو جزاء الشرط عند الله هو خيرا
مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثاني لتجدوه خيرا وهو فصل وجاز وان لم يقع
بين معرفتين لان افعل من اشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف واعظم
اجرا واجزل ثوابا واستغفروا الله من السيات والتقصير في الحسنات

ان الله غفور يستر على اهل الذنب والتقصير رحيم يخفف عن اهل الجهد والتوفي
سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم
روي جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حرى فنوديت
يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت
فوقي فاذا هو قاعد على عرش بين السما والارض يعني الملك الذي ناداه
فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثريني دثريني فدثرته خديجة فجا
جبريل وقرا يا ايها المدثر اي المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من
الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد واصله المتدثر
فادغم قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك
من عذاب الله ان لم يومنوا او فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وقيل
سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فقيل
له يا ايها الصارف اذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار
وان اذاك الفجار وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم
اي لا يكبر في عينك غيره وقل عندما يعروك من غيره الله اكبر وروي
انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت
خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد حمل على تكبير الصلاة ودخلت
الفاء بمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر
بالماء عن النجاسة لان الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى في غير الصلاة
او فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول اذ لا يؤمن
معه اصابة النجاسة او طهر نفسك مما يستقذر من الافعال يقال
فلان طاهر الثياب اذا وصفوه بالنقا من المعايب وفلان دنس الثياب
للغادر ولان من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا والرجز فاهجر اي اثبت
على هجره لانه كان بريا منه ولا تمنن تستكثر بالرفع وهو منصوب المحل
على الحال اي لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا الكثر مما اعطيت
فانك مامور باجل الاخلاق واشرف الاداب وهو من من عليه اذا انعم
عليه وقرا الحسن تستكثر بالسكون جوابا للنهي ولربك فاصبر ولوجه
الله فاستعمل الصبر على اوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه
فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور وهي النفخة الاولى وقيل الثانية فذلك
اشارة الى وقت النقر وهو مبتدا يومئذ مرفوع المحل بدل من ذلك يوم
عسير على الكافرين غير يسير واكد بقوله غير يسير ليوذن بانه يسير على
المومنين او عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور
الدنيا ذرني ومن خلقت اي كله الي يعني الوليد بن المغيرة وكان يلقب في
قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف او مفعول معه وحيدا حال من اليا
في ذرني اي ذرني وحدي معه فاني اكفيك امره او من التا في خلقت
اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من الها المحذوفة او من من

اي خلقته

اي خلقته منفردا بلا اهل ومال ثم انعمت عليه وجعلت له مالا ممدودا اي
مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنما وكان له الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد
له مائة الف دينار وعنه ان له ارضا بالطايف لا ينقطع ثمارها وبنين شهودا
حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة اسلم منهم خالد وهشام
وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه والرياسة فاتممت عليه نعمتي
الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ثم يطمع ان ازيد استبعاد
واستنكار لطمعه في الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الاية
في نقصان من المال والجاه حتى هلك انه كان لاياتنا للقران عنيدا معاندا
جاحدا سارهقه ساغشيه صعودا عقبة شاقة المصعد وفي الحديث
الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا
انه فكر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنا والعز
لعناده ويعاقبه في الاخرة باشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته
القران سحرا يعني انه فكر ماذا يقول في القران وقدر في نفسه ما يقول وهياه
فقتل لعن كيف قدر تعجيب من تقديره ثم قتل كيف قدر كرر للتاكيد وثم يشعر
بان الدعا الثاني ابلغ من الاول ثم نظر في وجوه الناس او فيما قدر ثم عبس
قطب وجهه وبسر زاد في التقبض والكلوح ثم ادبر عن الحق واستكبر
عنه او عن مقامه وفي مقاله وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعا اعتراض
بينهما وايراد ثم في المعطوفات لبيان ان بين الافعال المعطوفة تراخيا
فقال ان هذا ما هذا الا سحر يوثر يروى عن السحرة ان الوليد قال لبني
مخزوم والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من
كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد
فقال ابو جهل هو ابن اخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه
فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه
كاهن فهل رايتموه قط يتكهن قط وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى
شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيا من الكذب فقالوا
في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه
يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يوثر
عن مسيلمة واهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين منه
وذكر الفا ودليل على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير
تلبث ان هذا الا قول البشر ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين
لان الثانية جرت مجرى التوكيد للاولى ساصليه سقر بدل من سارهقه
صعودا سقر علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتانيث وما ادراك ما سقر
تهويل لشانها لا تبقي اي هي لا تبقي لحما ولا تذر عظما او لا تبقي شيا الا اهلكته
ولا تذره هالكا بل يعود كما كان لواحة خبر مبتدا محذوف اي هي لواحة

للبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد اي مسودة للجلود ومحرقة لها عليها
على سقر تسعة عشر اي يلي امرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا
من الملايكة وقيل صفا وقيل نقيبا وما جعلنا اصحاب النار اي خزنتها الا
ملايكة لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تاخذهم الرافة والرقة لانهم
اشد الخلق باسا فللواحد منهم قوة الثقلين وما جعلنا عدتهم تسعة عشر
الا فتنة اي ابتلا واختبارا للذين كفروا حتى قال ابو جهل لما نزلت عليها
تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة منكم ان ياخذوا واحدا منهم وانتم الدهم فقال
ابو الاشد وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم
اثنين فنزلت وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما جعلناهم رجالا
من جنسكم يطاقون وقالوا في تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لا يطلب
في الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يقودونهم
وستة يضربونهم بمقامع الحديد والاخر خازن جهنم وهو مالك وهو
الاكبر وقيل في سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل
يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان
جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهي تسعة عشر وان كان اصلها
مايه وستين الا ان غيرها يتشعب عنها ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القران ايقنوا انه
منزل من الله ويزداد الذين امنوا بمحمد وهو عطف على ليستيقن ايمانا
لتصديقهم بذلك كما صدقوا ساير ما انزل او يزدادون يقينا لموافقة كتابهم
كتاب اوليك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون هذا عطف
ايضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذ الاستيقان وازدياد
الايمان دلا على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن ايضا وليقول
الذين في قلوبهم مرض نفاق والكافرون المشركون فان قلت النفاق
ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين
يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله
بهذا مثلا وهذا اخبار بما سيكون كساير الاخبارات بالغيوب وذا لا يخالف
كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة
كان اكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله
لكم اية ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وان مثله حقيق بان تسير
به الركبان سيرها بالامثال سمي مثلا والمعنى اي شي اراد الله بهذا
العدد العجيب واي معنى اراد في ان الملايكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم
انكاره اصلا وانه ليس من عند الله لما جا بهذا العدد الناقص كذلك يضل
الله من يشاء الكاف نصب وذلك اشارة الى ما قبله في معنى الاضلال
والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعني اضلال المنافقين
والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المومنين لتصديقه ورؤية الحكمة

في ذلك

في ذلك يضل الله من يشا من عباده وهو الذي علم منه اختيار الضلال ويهدي
من يشا وهو الذي علم منه اختيار الاهتدا فيه دليل خلق الافعال
ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال ابو جهل لعنه الله اما لرب محمد
اعوان الا تسعة عشر نزل وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا
يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها
وما هي متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا ذكرى
للبشر اي تذكرة للبشر او ضمير الايات التي ذكرت فيها كلا انكار بعد
ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون والقمر اقسم به
لعظم منافعه والليل اذ ادبر نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم
اذا دبر بمعنى ادبر ومعناهما ولى وذهب وقيل ادبر ولى ومضى ودبر
جاء بعد النهار والصبح اذا اسفر اضاء وجواب القسم انها ان سقر
لاحدى الكبر هي جمع الكبرى اي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر
ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظير لها كما
تقول هو احد الرجال وهي احدى النسا نذيرا تمييز من احدى اي
انها لاحدى الدواهي انذارا كقولك هي احدى النسا عفافا نذيرا من
للبشر لمن شاء منكم باعادة الجار ان يتقدم الى الخير او يتاخر عنه وعن
الزجاج الى ما امر وعما نهي كل نفس بما كسبت رهينة هي ليست بتانيث
رهين في قوله كل امرء بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت
الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمونث
وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت
رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب
اليمين اي اطفال المسلمين لانهم لا اعمال لهم يرهنون بها او الا المسلمين
فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق في جنات
اي في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسال بعضهم بعضا
او يتساءلون غيرهم ما سلككم في سقر ادخلكم فيها ولا يقال لا يطابق
قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين
وهو سؤال عنهم وانما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم
لان ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين
عنهم لان المسؤولين يلقون الى السايلين ما جرى بينهم وبين المجرمين
فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا انه
اختصر كما هو نهج القران وقيل عن زيادة قالوا لم نك من المصلين
اي لم نعتقد فرضيتها ولم نك نطعم المسكين كما يطعم المسلمون وكنا نخوض
مع الخايضين الخوض الشروع في الباطل اي نقول الباطل والزور في
ايات الله وكنا نكذب بيوم الدين الحساب والجزا حتى اتانا اليقين
الموت فما تنفعهم شفاعة الشافعين من الملايكة والنبيين والصالحين

عشرة صح

لانها للمؤمنين دون الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين
في الحديث ان من امتي من يدخل الجنة بشفاعته اكثر من ربيعة ومضر فما لهم
عن التذكرة معرضين مولين حال من الضمير كقولك ما لك قائما كانهم حمر
مستنفرة شديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها وبفتح الفاء مدني
وشامي اي استنفرها غيرها فرت من قسورة حال وقد معها مقدرة
والقسورة الرماة او الاسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبهوا
في اعراضهم عن القران واستماع الذكر بحمر جدت في نفارها بل يريد
كل امرء منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كل واحد
منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر
فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وقيل قالوا ان كان محمدا صادقا فليصبح عند كل راس كل رجل منا صحيفة
فيها براءته وامنه من النار كلا ردع لهم عن تلك الارادة وزجر عن
اقتراح الايات ثم قال بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة
لا لامتناع ايتاء الصحف كلا انه تذكرة ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة
وقال ان القران تذكرة بليغة كافية فمن شاء ذكره اي فمن شاء ان يذكره
ولا ينساه فعل فان نفع ذلك عائد اليه وما يذكرون وبالتاء نافع ويعقوب
الا ان يشاء الله الا وقت مشيئة الله والا بمشيئة الله هو اهل التقوى
واهل المغفرة في الحديث هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه

سورة القيامة مكية وهي اربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيامة اي اقسم عن ابن عباس ولا صلة كقوله لئلا يعلم
وقوله في بير لا حور سرى وما شعر كقوله

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة • وكاد ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لانكار المشركين البعث كانه قيل
ليس الامر كما تزعمون ثم قيل اقسم بيوم القيامة وقيل اصله لاقسم
كقراءة ابن كثير على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف لانا اقسم
ويقويه انه في الامام بغير الف ثم اشبع فظهر من الاشباع الف وهذا
اللام يصحبه نون التاكيد في الاغلب وقد يفارقه ولا اقسم بالنفس اللوامة
الجمهور على انه قسم اخر وعن الحسن اقسم بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس
اللوامة فهي صفة ذم وعلى القسم صفة مدح اي النفس المتقية التي
تلوم على التقصير في التقوى وقيل هي نفس ادم لم تزل تلوم على فعلها
التي خرجت به من الجنة وجواب القسم محذوف اي لتبعثن دليله ايحسب
الانسان اي الكافر المنكر للبعث ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها ورجوعها
رفاتا مختلطا بالتراب بلى اوجبت ما بعد النفي اي بلى نجمعها قادرين
حال من الضمير في نجمع اي نجمعها قادرين على جمعها واعادتها كما كانت

على

على ان نسوي بنانه اصابعه كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها
فكيف بكبار العظام بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله
استفهاما ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسال ايان
يوم القيمة سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة فاذا برق البصر تحير
فزعا وبفتح الراء مدني شخص وخسف القمر ذهب ضوءه او غاب من قوله
فخسفنا به وقرا ابو حيوة بضم الخا وجمع الشمس والقمر اي جمع بينهما
في الطلوع من المغرب او جمعا في ذهاب الضوء او يجمعان فيقذفان في البحر فيكونا
نار الله الكبرى يقول الانسان الكافر يومئذ اين المفر هو مصدر اي الفرار
من النار او الموضع ايضا من الهول وقرا الحسن بكسر الفا وهو يحتمل المكان
والمصدر كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجا الى ربك خاصة يومئذ المستقر
مستقر العباد اي موضع قرارهم من جنة او نار مفوض ذلك الى مشيئته
من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار ينبؤا الانسان يومئذ بخبر بما قدم
من عمل عمله واخر ما لم يعلمه بل الانسان على نفسه بصيرة شاهد والهاء
للمبالغة كعلامة او انثه لانه اراد به جوارحه اذ جوارحه تشهد عليه او هو
حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول
لغيرك انت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتدا وخبره على نفسه تقدم عليه
والجملة خبر الانسان كقولك زيد على راسه عمامة والبصيرة على هذا يجوز ان
يكون الملك الموكل عليه ولو القى معاذيره ولو ارخى ستوره والمعذار
الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير
ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هي اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر
لا تحرك به بالقران لسانك لتعجل به بالقران وكان صلى الله عليه وسلم ياخذ
في القراءة قبل فراغ جبريل كراهة ان يتفلت منه فقيل له لا تحرك لسانك
بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرا لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك
ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك وقرانه واثبات قراءته
في لسانك والقران القراءة ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه
فاذا قراناه اي قراه جبريل عليك فجعل قراءة جبريل قراءته فاتبع قرانه قراءته
عليك ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كلا ردع عن انكار
البعث او ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وانكار لها عليه
واكده بقوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني ادم لانكم خلقتم من
عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها
وتذرون الاخرة الدار الاخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما بالتاء مدني
وكوفي وجوه هي وجوه المؤمنين يومئذ ناضرة حسنة ناعمة الى ربها ناظرة
بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لامر ربها او
لثوابه لا يصح لانه يقال نظرت فيه اي تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى
بالى الا بمعنى الرؤية مع انه لا يليق الانتظار في دار القرار ووجوه يومئذ باسرة

كالحة شديدة العبوسة من وجوه الكفار **تظن** تتوقع **ان يفعل بها فعل** هو في شدته
فاقرة داهية تقصم فقار الظهر **كلا** ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة كانه قيل
ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع
العاجلة عنكم وتنتقلون الى الاجلة التي تبقون فيها مخلدين **اذا بلغت** اي
الروح وجاز وان لم يجر لها ذكر لان الاية تدل عليها **التراقي** العظام المكتنفة
لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة **وقيل من راق** بوقف حفص على من وتنبيه
اي قالوا حاضروا المحتضر بعضهم لبعض ايكم يرقيه مما به من الرقية من حد
ضرب وهو من كلام الملائكة ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة
العذاب **وظن** ايقن المحتضر **انه الفراق** ان هذا الذي نزل به هو فراق
الدنيا المحبوبة **والتفت الساق بالساق** التوت ساقاه عند موته وعن
سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في اكفانه وقيل شدة فراق الدنيا
بشدة اقبال الاخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هما همان هم الاهل والولد وهم القدوم على الواحد الصمد **الى ربك يومئذ
المساق** هو مصدر ساقه اي مساق العباد الى حيث امر الله اما الى الجنة
او الى النار **فلا صدق** بالرسول والقران **ولا صلى** الانسان في قوله ايحسب
الانسان ان لن نجمع عظامه **ولكن كذب** بالقران **وتولى** عن الايمان او فلا
صدق ماله يعني فلا زكاه **ثم ذهب الى اهله يتمطى** يتبختر واصله يتمطط
اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فابدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة احرف
متماثلة **اولى لك** بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره **فاولى ثم
اولى لك فاولى** كرر للتاكيد كانه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك
فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك في القبر وويل لك حين البعث
وويل لك في النار **ايحسب الانسان ان يترك سدى** ايحسب الكافر ان
يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى **الم يك نطفة من مني
يمنى** بالياء ابن عامر وحفص اي يراق المني في الرحم وبالتاء يعود الى النطفة
ثم كان علقة اي صار المني قطعة دم جامد بعد اربعين يوما **فخلق فسوى**
فخلق الله منه بشرا سويا **فجعل منه** من الانسان **الزوجين الذكر والانثى**
اي من المني الصنفين **اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى** اليس الفعال
لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قراها يقول
سبحانك بلى والله الموفق للصواب **سورة الانسان احدى وثلثون اية مكية**
بسم الله الرحمن الرحيم **هل اتى** قد مضى **على الانسان** على ادم عليه السلام
حين من الدهر اربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه **لم يكن شيئا مذكورا**
لم يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به لانه كان طينا يمر به الزمان ولو كان غير
موجود لم يوصف بانه قد اتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيئا مذكورا
النصب على الحال من الانسان اي اتى عليه حين من الدهر غير مذكور
انا خلقنا الانسان اي ولد ادم وقيل الاول ولد ادم ايضا وحين من الدهر

ساهذا مدة لبثه في بطن امه الى ان صار شيئا مذكورا بين الناس **من نطفة امشاج**
نعت او بدل منها اي من نطفة قد امتزج فيها الماآن ومشجه ومزجه بمعنى
ونطفة امشاج كبرمة اعشار فهو لفظ مفرد غير جمع ولذا وقع صفة
للمفرد **نبتليه** حال اي خلقناه مبتلين اي مريدين ابتلاءه بالامر
والنهي **فجعلناه سميعا بصيرا** ذا سمع وبصر **انا هديناه السبيل** بينا له
طريق الهدى بادلة العقل والسمع **اما شاكرا** مؤمنا **واما كفورا** كافرا
حالان من الهاء في هديناه اي ان شكر او كفر فقد هديناه السبيل في
الحالين او من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا
كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين اتبعهما
ما اعد لهما فقال **انا اعتدنا للكافرين سلاسل** جمع سلسلة بغير تنوين
حفص ومكي وابو عمرو وحمزه ليناسب اغلالا وسعيرا اذ يجوز صرف غير
المنصرف ليناسب غيرهم **واغلالا** جمع غل **وسعيرا** نارا موقدة وقال
ان الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وهم الصادقون
في الايمان او الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر **يشربون من كاس**
خمر فنفس الخمر تسمى كاسا وقيل الكاس الزجاجة اذا كانت فيها خمر
كان مزاجها ما تمزج به **كافورا** ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها
في بياض الكافور ورائحته وبرده **عينا** بدل منه **يشرب بها عباد الله** اي
منها والباء فيها زائدة او هو محمول على المعنى اي يلتذ بها او يروى
بها وانما قال اولا بحرف من وثانيا بحرف الباء لان الكاس مبتدأ
شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكانه قيل
يشرب عباد الله بها الخمر **يفجرونها** يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم **تفجيرا**
سهلا لا يمتنع عليهم **يوفون بالنذر** بما اوجبوا على انفسهم وهو جواب
من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم
بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه
الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى **ويخافون يوما كان شره** شدائده هو
مستطيرا منتشرا من استطار الفجر **ويطعمون الطعام على حبه** اي حب
الله مع الاشتهاء والحاجة اليه او على حب الله **مسكينا** فقيرا عاجزا
عن الاكتساب **ويتيما** صغيرا لا اب له **واسيرا** ماسورا مملوكا او غيره
ثم عللوا اطعامهم فقالوا **انما نطعمكم لوجه الله** اي لطلب ثوابه او هو
بيان من الله عز وجل عما في ضمائرهم لان الله تعالى علمه منهم فاثنى
عليهم وان لم يقولوا شيئا **لا نريد منكم جزاء** هدية على ذلك **ولا شكورا** ثناء وهو
مصدر كالشكر **انا نخاف من ربنا** اي انا لا نريد منكم المكافاة لخوف عذاب
الله على طلب المكافاة بالصدقة وانا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه
حتى نامن من ذلك الخوف **يوما عبوسا قمطريرا** وصف اليوم بصفة اهله
من الاشقياء نحو نهارك صائم والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع

الطعام مع

مابين عينيه فوقاهم الله شر ذلك اليوم مما يخافون من شدايده ولقاهم اعطاهم بدل
عبوس الفجار نضرة حسنا في الوجوه وسرورا فرحا في القلوب وجزاهم بما صبروا
بصبرهم على الايثار نزلت في علي وفاطمة وفضة جارية لهما لما مرض الحسن
والحسين رضي الله عنهم نذروا صوم ثلاثة ايام فاستقرض علي رضي الله عنه
من يهودي ثلاثة اصوع من الشعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها كل يوم صاعا
وخبزت فاثروا بذلك ثلاث عشايا على انفسهم مسكينا ويتيما واسيرا
ولم يذوقوا الا الماء في وقت الافطار جنة بستانا يأكلون منها كل ما يشتهون وحريرا
ملبسا يلبسونه متكئين حال من هم في جزاهم فيها في الجنة على الارائك
الاسرة جمع الاريكة لا يرون حال من الضمير المرفوع في متكئين عين
راءين فيها في الجنة شمسا ولا زمهريرا لانه لا شمس فيها ولا زمهرير
فظلها دايم وهواها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد يؤذي وفي
الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر فالزمهرير البرد الشديد وقيل
القمر اي الجنة مضيئة لا يحتاج فيها الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها
قريبة منهم ظلال الاشجار عطفت على جنة اي وجنة اخرى دانية
عليهم ظلالها لانهم وعدوا جنتين لانهم وصفوا بالخوف بقوله انا
نخاف من ربنا ولمن خاف مقام ربه جنتان وذللت سخرت للقايم
والقاعد والمتكي وهو حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم في حال
تذليل قطوفها او معطوف عليها اي ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها
ثمارها جمع قطف تذليلا ويطاف عليهم بانية من فضة اي يدير عليهم خدمهم
كؤس الشراب والانية جمع اناء وهو وعاء الماء واكواب اي من فضة جمع
كوب وهو ابريق لا عروة له كانت قواريرا كانت تامة اي كونت فكانت
قوارير بتكوين الله نصب على الحال قواريرا من فضة اي مخلوقة من
فضة فهي جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها
حتى يرى ما فيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضي الله عنهما
قوارير كل ارض من تربتها وارض الجنة فضة قرا نافع والكسائي
وعاصم في رواية ابي بكر بالتنوين فيهما وحمزه وابن عامر وابو عمرو
وحفص بغير تنوين فيهما وابن كثير بتنوين الاول والتنوين في الاول لتناسب
الاي المتقدمة والمتاخرة وفي الثاني لاتباعه الاول والوقف على
الاول تعجيل ولا يوثق به لان الثاني بدل الاول قدروها تقديرا صفة
لقوارير من فضة اي اهل الجنة قدروها على اشكال مخصوصة فجاءت
كما قدروها تكرمة لهم او السقاة جعلوها على قدر ري شاربيها فهي الذ
لهم واخف عليهم وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض ويسقون اي الابرار
فيها في الجنة كاسا خمرا كان مزاجها زنجبيلا عينا بدل من زنجبيلا فيها
في الجنة تسمى تلك العين سلسبيلا سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل
فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها

في الحلق وسهولة مساغها قال ابو عبيدة ما سلسبيل اي عذب طيب
ويطاف عليهم ولدان غلمان ينشيهم الله لخدمة المؤمنين او ولدان الكفرة
يجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة مخلدون لا يموتون اذا رايتهم حسبتهم
لحسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم لؤلؤا منثورا وتخصيص
المنثور لانه ازين في النظر من المنظوم واذا رايت ثم ظرف اي في الجنة
وليس لرايت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع في كل مرئي تقديره واذا
اكتسبت الجنة الرؤية في الجنة رايت نعيما كثيرا وملكا كبيرا واسعا يروى
ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه
كما يرى ادناه وقيل ملك لا يعقبه هلاك او لهم فيها ما يشاؤن او تسلم
عليهم الملايكة ويستاذنون في الدخول عليهم عاليهم بالنصب على انه حال
من الضمير في يطوف عليهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم
ثياب وبالسكون مدني وحمزة على انه مبتدا خبره ثياب سندس اي ما
يعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج خضر جمع اخضر واستبرق
غليظ برفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلى حملا
على سندس وبرفع الاول وجر الثاني او عكسه غيرهم وحلوا عطف
على ويطوف اساور من فضة وفي سورة الملايكة يحلون فيها من اساور من
ذهب واخر من لؤلؤ وسقاهم ربهم اضيف اليه تعالى للتشريف والتخصيص
وقيل ان الملايكة يعرضون عليهم الشراب فيابون قبوله منهم ويقولون
لقد طال اخذنا من الوسايط فاذا هم بكاسات تلاقي افواههم بغير اكف
من غيب الى عبد شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا
بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم او لانه لم تعصره الايدي الوضرة وتدوسه
الاقدام الدنسة يقال لاهل الجنة ان هذا النعيم كان لكم جزاء لاعمالكم وكان سعيكم
مشكورا محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والاسير
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا تكرير الضمير بعد
ايقاعه اسما لان تاكيدا على تاكيد بمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر
في نفس النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقا
الا حكمة وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة فاصبر لحكم ربك عليك
بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتاخير نصرتك على اعدايك من اهل
مكة ولا تطع منهم من الكفار للضجر من تاخير الظفر اثما راكبا لما هو اثم
داعيا لك اليه او كفورا فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه
الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهي ان
يساعدهم على الاولين دون الثالث وقيل الاثم عتبة لانه كان ركابا
للماثم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غاليا في الكفر والجحود
والظاهر ان المراد كل اثم وكافر اي لا تطع احدهما واذا نهي عن طاعة
احدهما لا بعينه فقد نهي عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز

ان يطيع احدهما لان الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما لا عن طاعة احدهما
وقيل او بمعنى ولا اي ولا تطع اثما ولا كفورا واذكر اسم ربك صل له بكرة صلاة
الفجر واصيلا صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل صلاة
العشائين وسبحه ليلا طويلا اي تهجد له هزيعا طويلا من الليل نصفه او
ثلثيه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الاخرة ويذرون
وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا لا يعبؤن به وهو
يوم القيامة لان شدائده تثقل على الكفار نحن خلقناهم وشددنا احكمنا اسرهم
خلقهم عن ابن عباس رضي الله عنهما والفراء واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي
اذا شئنا اهلاكهم اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة ممن يطيع ان هذه
السورة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالطاعة
له واتباع رسوله وما تشاؤن اتخاذ السبيل الى الله وبالياء مكي وشامي
وابو عمرو ومحل الا ان يشاء الله النصب على الظرف اي الا وقت مشيئة الله
وانما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك وقيل هو لعموم المشيئة
في الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة ان الله
كان عليما بما كان منهم من الاحوال حكيما مصيبا في الاقوال والافعال
يدخل من يشاء وهم المؤمنون في رحمته جنته لانها برحمته تنال وهو
حجة على المعتزلة لانهم يقولون قد شاء ان يدخل كلا في رحمته وهو الذي
علم منه انه يختار الهدى والظالمين الكافرين لانهم وضعوا العبادة في غير
موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره اعد لهم عذابا اليما نحو اوعد وكافا

سورة المرسلات مكية وهي خمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اقسم سبحانه وتعالى بطوائف من
الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن وبطوائف منهم نشرن
اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الارض
او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق
والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عليهم السلام عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين
او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب
في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقين ذكرا اما عذرا للذين
يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة الله في الغيث
ويشكرونها واما انذارا للذين لا يشكرون وينسبون ذلك الى الانواء
وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا حال اي متتابعة
كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا او مفعول له اي ارسلن للاحسان
والمعروف وعصفا ونشرا مصدران او نذرا ابو عمرو وكوفي غير ابي بكر
وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر
اذا خوف على فعل كالكفر والشكر وانتصابهما على البدل او على المفعول له

انما

انما توعدون ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لواقع لكائن نازل لا ريب
فيه وهو جواب القسم ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم فاذا النجوم
طمست محقت او ذهب بنورها وجواب فاذا محذوف والعامل فيها جوابها
وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست واذا السماء فرجت
فتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت قلعت من اماكنها واذا الرسل
اقتت اي وقتت كقراءة ابي عمرو وابدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت
الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم لاي يوم اجلت
اخرت وامهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتاجيل من الاجل
كالتوقيت من الوقت ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي
يفصل فيه بين الخلائق وما ادراك ما يوم الفصل تعجيب اخر وتعظيم لامره
ويل مبتدا وان كان نكرة لانه في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله
ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه
ونحوه سلام عليكم يومئذ ظرفه للمكذبين بذلك اليوم خبره الم نهلك الاولين
الامم الخالية المكذبة ثم نتبعهم الاخرين مستانف بعد وقف وعيد لاهل
مكة اي ثم نفعل بامثالهم من الاخرين مثل ما فعلنا بالاولين لانهم كذبوا
مثل تكذيبهم كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بالمجرمين بكل من اجرم
ويل يومئذ للمكذبين بما اوعدنا الم نخلقكم من ماء مهين حقير وهو النطفة
فجعلناه اي الماء في قرار مكين مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل الى قدر معلوم
الحال اي مؤخرا الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة
اشهر او ما فوقها او ما دونها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم
المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول احق
لقراءة نافع وعلي بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره ويل يومئذ للمكذبين
بنعمة الفطرة الم نجعل الارض كفاتا هو من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم
ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة
احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت اي تكفت احياء
على ظهرها وامواتا في بطنها والتنكير فيهما للتفخيم اي تكفت احياء لا يعدون
وامواتا لا يحصرون وجعلنا فيها رواسي جبالا ثوابت شامخات عاليات واسقيناكم
ماء فراتا عذبا ويل يومئذ للمكذبين بهذه النعمة انطلقوا الى ما كنتم به
تكذبون اي يقال للكافرين يوم القيامة سيروا الى النار التي كنتم بها تكذبون
انطلقوا تكرير للتوكيد الى ظل دخان جهنم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه
ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق لا ظليل نعت ظل
اي لا مظل من حر ذلك اليوم وحر النار ولا يغني من اللهب من حر اللهب
شيئا انها اي النار ترمي بشرر هو ما تطاير من النار كالقصر في العظم وقيل
هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة كانه جمالة كوفي غير ابي بكر جمع جمل
جمالات غيرهم جمع الجمع صفر جمع اصفر اي سود وتضرب الى الصفرة

وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون ويل
يومئذ للمكذبين بان هذه صفتها هذا يوم لا ينطقون وقرئ بنصب اليوم اي هذا
الذي قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الاية
وعن قوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فقيل في ذلك اليوم مواقف
في بعضها يختصمون وفي بعضها لا ينطقون او لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم
كلا نطق ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك
النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار ويل يومئذ للمكذبين بهذا اليوم هذا يوم الفصل
بين المحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء جمعناكم يا مكذبي محمد والاولين
والمكذبين قبلكم فان كان لكم كيد حيلة في دفع العذاب فكيدون فاحتالوا
علي بتخليص انفسكم من العذاب والكيد متعد تقول كدت فلانا اذا احتلت
عليه ويل يومئذ للمكذبين بالبعث ان المتقين عن عذاب الله في ظلال جمع ظل
وعيون جارية في الجنة وفواكه مما يشتهون اي لذيذة مشتهاة كلوا واشربوا
في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم
مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا انا كذلك
نجزي المحسنين فاحسنوا تجزوا بهذا ويل يومئذ للمكذبين بالجنة كلوا وتمتعوا
كلام مستانف خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد كقوله
اعملوا ما شئتم قليلا لان متاع الدنيا قليل انكم مجرمون كافرون اي ان
كل مجرم ياكل ويتمتع اياما قلائل ثم يبقى في الهلاك الدائم ويل يومئذ
للمكذبين بالنعم واذا قيل لهم اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا اليه بقبول
وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار لا يركعون لا يخشعون ولا
يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم او اذا قيل لهم صلوا لا يصلون
ويل يومئذ للمكذبين بالامر والنهي فباي حديث بعده بعد القران يؤمنون
اي ان لم يؤمنوا بالقران مع انه اية مبصرة ومعجزة باهرة من بين
الكتب السماوية فباي كتاب بعده يؤمنون والله الموفق للصواب

سورة النبا مكية وهي اربعون اية ـــــ بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عن ما وقرئ بها ثم ادغمت النون في الميم فصار عما وقرئ
بها ثم حذفت الالف تخفيفا لكثرة الاستعمال في الاستفهام وعليه
الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لانه تعالى لا تخفى
عليه خافية يتساءلون يسأل بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم من المؤمنين
والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين
عنه على طريق الاستهزاء عن النبا العظيم اي البعث وهو بيان للشان
المفخم وتقديره عم يتساءلون يتساءلون عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون
فمنهم من يقطع بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين
وكانوا جميعا يتساءلون عنه فالمسلم يسأل ليزداد خشية والكافر
يسأل استهزاء كلا ردع عن الاختلاف او التساؤل هزءا سيعلمون

وعيد لهم بانهم سوف يعلمون عيانا ان ما يتساءلون عنه حق ثم كلا سيعلمون
كرر الردع للتشديد وثم يشعر ان الثاني ابلغ من الاول واشد الم نجعل
الارض لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من اضيف اليه الخلق البعث
هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو الا اختراع
كهذه الاختراعات او قيل لهم لم فعل هذه الاشياء والحكيم لا يفعل عبثا
وانكار البعث يؤدي الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا فرشناها
لكم تسكنونها والجبال اوتادا للارض لئلا تميد بكم وخلقناكم ازواجا ذكرا
وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت
القطع وجعلنا الليل لباسا سترا يستركم عن العيون اذا اردتم اخفاء
ما لا تحبون الاطلاع عليه وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون
في حوائجكم ومكاسبكم وبنينا فوقكم سبعا سبع سموات شدادا
جمع شديدة اي محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان او غلاظا غلظ كل
واحدة خمسمائة عام وجعلنا سراجا وهاجا مضيئا وقادا اي جامعا للنور
والحرارة والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات اي السحائب اذا اعصرت
اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر ومنه اعصرت الجارية اذا دنت
ان تحيض او الرياح لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان تجعل
مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء
الى السحاب ماء ثجاجا منصبا بكثرة لنخرج به بالماء حبا كالبر والشعير
ونباتا وكلأ وجنات بساتين الفافا ملتفة الاشجار واحدها لف كجذع
واجذاع او لفيف كشريف واشراف او لا واحد له كاوزاع او هي جمع الجمع
فهي جمع لف واللف جمع لفاء وهي شجرة مجتمعة ولا وقف من الم نجعل
الى الفافا والوقف الضروري على اوتادا او معاشا ان يوم الفصل بين المحسن
والمسيء والمحق والمبطل كان ميقاتا وقتا محدودا ومنتهى معلوما
لوقوع الجزاء او ميعادا للثواب والعقاب يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او
عطف بيان في الصور القرن فتاتون افواجا حال اي جماعات
مختلفة او امما كل امة مع رسولها وفتحت السماء خفيف كوفي اي شقت
لنزول الملائكة فكانت ابوابا فصارت ذات ابواب وطرق وفروج
وما لها اليوم من فروج وسيرت الجبال عن وجه الارض فكانت سرابا اي
هباء تخيل الشمس انه ماء ان جهنم كانت مرصادا طريقا عليه ممر الخلق
فالمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها وقيل المرصاد الحد الذي يكون فيه
الرصد اي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم
او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين هم يستقبلونهم عندها
لان مجازهم عليها للطاغين مابا للكافرين مرجعا لابثين ماكثين حال
مقدرة من الضمير في للطاغين حمزة لبثين واللبث اقوى اذ اللابث
من وجد منه اللبث وان قل واللبث من شانه اللبث والمقام في المكان

فيها في جهنم احقابا ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور
بل الابد كلما مضى حقب تبعه اخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة
الا اذا اريد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسيل بعض
العلماء عن هذه الاية فاجاب بعد عشرين سنة لا يثبت فيها احقابا لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا اي غير ذايقين حال من ضمير لابثين فاذا انقضت هذه
الاحقاب التي عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا باحقاب اخر
فيها عذاب اخر وهي احقاب بعد احقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب
عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه
احقاب فينتصب حالا عنهم اي لابثين فيها حقبين مجدبين ولا يذوقون فيها
بردا ولا شرابا تفسير له قوله الا حميما وغساقا استثناء منقطع اي لا
يذوقون في جهنم او في الاحقاب بردا روحا ينفس عنهم حر النار او
نوما ومنه منع البرد البرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها
ماء حارا يحرق ما ياتي عليه وغساقا ما يسيل من صديدهم وبالتشديد
كوفي غير ابي بكر جزاء جوزوا جزاء وفاقا موافقا لاعمالهم مصدر
بمعنى الصفة او ذا وفاق ثم استانف معللا فقال انهم كانوا لا يرجون
حسابا لا يخافون محاسبة الله اياهم اذ لم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا
وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش وكل شيء
نصب بمضمر يفسره احصيناه كتابا مكتوبا في اللوح بالحساب او حال
مصدر في موضع احصاء او احصينا في معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة
غالبا وهذه الاية اعتراض لان قوله فذوقوا مسبب عن كفرهم
بالحساب وتكذيبهم بالايات اي فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد
على شدة الغضب فلن نزيدكم الا عذابا في الحديث هذه الاية اشد ما في القران
على اهل النار ان للمتقين مفازا مفعل من الفوز يصلح مصدرا اي نجاة من كل
مكروه وظفرا بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم ابدل عنه بدل البعض
من الكل فقال حدائق بساتين فيها انواع الشجر المثمر جمع حديقة
واعنابا كروما عطف على حدائق وكواعب نواهد اترابا لذات مستويات
في السن وكاسا دهاقا مملوءة لا يسمعون فيها في الجنة حال من ضمير خبر ان
لغوا باطلا ولا كذابا الكسائي خفف بمعنى مكاذبة اي لا يكذب بعضهم
بعضا او لا يكاذبه جزاء مصدر اي جزاهم جزاء من ربك عطاء مصدر او بدل
من جزاء حسابا صفة يعني كافيا او على حسب اعمالهم رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ومن رفعهما
فرب خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره الرحمن او الرحمن صفته ولا يملكون
خبراهما خبران والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض وفي منه خطابا
لله تعالى اي لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا باذنه او لا يقدر احد
ان يخاطبه تعالى خوفا يوم يقوم ظرف للا يملكون لا نقف على خطابا وان

جعلت ظرفا للا يتكلمون نقف الروح جبريل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم
ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا اعظم منه والملائكة صفا حال اي
مصطفين لا يتكلمون اي الخلائق ثم خوفا الا من اذن له الرحمن في الكلام
او الشفاعة وقال صوابا حقا بان قال المشفوع له لا اله الا الله في الدنيا
او لا يؤذن الا لمن يتكلم بالصواب في امر الشفاعة ذلك اليوم الحق الثابت
وقوعه فمن شاء اتخذ الى ربه مابا مرجعا بالعمل الصالح انا انذرناكم
ايها الكفار عذابا قريبا في الاخرة لان ما هو ات قريب يوم ينظر المرء
الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا ما قدمت يداه من الشر لقوله
وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وتخصيص الايدي لان
اكثر الاعمال تقع بها وان احتمل ان لا يكون للايدي مدخل فيما ارتكب من
الاثام ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف
او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير
المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله
وقيل الكافر ابليس يتمنى ان يكون كادم مخلوقا من التراب ليثاب
ثواب اولاده المؤمنين والله اعلم سورة النازعات ست واربعون اية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا لا وقف الى هنا ولزم هنا
لانه لو وصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة في ذلك
اليوم اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد
غرقا اي اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها ومواضع
اظفارها وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البير اذا
اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا
به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم
او بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها
لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب فتدبر امر الغلبة
والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او بالنجوم التي تنزع من
المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في
اقصى المغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة
فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن
لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة يوم ترجف تتحرك حركة شديدة
والرجف شدة الحركة الراجفة النفخة الاولى وصفت بما يحدث
بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها تتبعها حال
من الراجفة الرادفة النفخة الثانية لانها تردف الاولى وبينهما
اربعون سنة والاولى تميت الخلق والثانية تحييهم قلوب يومئذ
قلوب منكري البعث واجفة مضطربة من الوجيف وهو الوجيب

وانتصاب يوم ترجف بما دل عليه يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت
القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها ابصارها اي ابصار
اصحابها خاشعة ذليلة لهول ما ترى خبرها يقولون اي منكروا
البعث في الدنيا استهزاء وانكارا للبعث ائنا لمردودون في الحافرة استفهام
بمعنى الانكار اي انرد بعد موتنا الى اول الامر فنعود احياء كما كنا والحافرة
الحالة الاولى يقال لمن كان في امر فخرج منه ثم رجع اليه عاد الى حافرته
اي الى حالته الاولى ائذا كنا عظاما نخرة بالية ناخرة كوفي غير حفص وفعل
ابلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمعنى انرد الى الحياة
بعد ان صرنا عظاما بالية واذا منصوب بمحذوف وهو نبعث قالوا اي
منكروا البعث تلك رجعتنا اذا كرة خاسرة رجعة ذات خسران او خاسر
اصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها
وهذا استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تحسبوا تلك
الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة في قدرته فما هي الا صيحة
واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه فاذا هم
بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وقيل
الساهرة ارض بعينها بالشام الى جنب بيت المقدس او ارض مكة او جهنم هل اتاك
حديث موسى استفهام بمعنى التنبيه على ان هذا مما يجب والتشريف للمخاطب
به اذ ناداه ربه حين ناداه بالواد المقدس المبارك المطهر طوى اسمه اذهب الى
فرعون على ارادة القول انه طغى تجاوز الحد في الكفر والفساد فقل هل لك
الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والايمان
وبتشديد الزاي حجازي واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله بذكر
صفاته فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وعن بعض الحكماء اعرفوا الله
فمن عرف الله لم يقدر ان يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الامر من خشي الله
اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف ادلج ومن
ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام التي معناه العرض كما يقول الرجل
لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق ليستدعيه باللطف في
القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا
فاراه الاية الكبرى اي فذهب فارى موسى فرعون العصا او العصا واليد
البيضاء لانهما في حكم اية واحدة فكذب فرعون بموسى والاية الكبرى وسماها
ساحرا وسحرا وعصى الله تعالى ثم ادبر تولى عن موسى يسعى يجتهد في مكايدته
او لما راى الثعبان ادبر مرعوبا يسرع في مشيته وكان طياشا خفيفا فحشر
فجمع السحرة وجنده فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه فقال انا ربكم
الاعلى لا رب فوقي وكانت لهم اصنام يعبدونها فاخذه الله نكال الاخرة
عاقبه الله عقوبة الاخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم

ونصبه

ونصبه على المصدر لان اخذ بمعنى نكل كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة اي احراق
الاخرة والاولى اي الاغراق او نكال كلمتيه الاخرة انا ربكم الاعلى والاولى
وهي ما علمت لكم من اله غيري وبينهما اربعون سنة او ثلاثون او عشرون
ان في ذلك المذكور لعبرة لمن يخشى الله ءانتم يا منكروا البعث اشد خلقا اصعب
خلقا وانشاء ام السماء مبتدأ محذوف الخبر اي ام السماء اشد خلقا ثم بين كيف
خلقها فقال بناها اي السماء وهو الله ثم بين البناء فقال رفع سمكها
اي سقفها او قيل جعل مقدار ذهابها في سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام
فسواها فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور واغطش ليلها اظلمه واخرج
ضحاها ابرز ضوء شمسها واضيفت الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلمتها والشمس
سراجها والارض بعد ذلك دحاها بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت
من مكة بعد خلق السماء بالفي عام ثم فسر البسط فقال اخرج منها ماءها
بتفجير العيون ومرعاها كلأها ولذا لم يدخل العاطف على اخرج حال باضمار
قد والجبال ارساها اثبتها وانتصاب الارض والجبال باضمار دحى وارسى على شريطة
التفسير متاعا لكم ولانعامكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة
الكبرى الداهية العظمى التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب يوم يتذكر
الانسان ما سعى عمل به اي سعيه او موصولة وبرزت الجحيم واظهرت لمن
يرى لكل راء لظهورها ظهورا بينا فاما من طغى جاوز الحد فكفر واثر الحياة
الدنيا على الاخرة باتباع الشهوات فان الجحيم هي الماوى ماواه والالف واللام
بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه والبصريين هي الماوى له
واما من خاف مقام ربه اي علم ان له مقاما يوم القيامة لحساب ربه ونهى النفس
الامارة بالسوء عن الهوى المردي اي زجرها عن اتباع الشهوات وقيل
هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس
الى شهواتها فان الجنة هي الماوى اي المرجع يسالونك عن الساعة ايان
مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يعني متى يقيمها الله تعالى ويثبتها
فيم انت من ذكراها اي في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به اي ما انت
من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء كقولك ليس فلان من العلم في شيء
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسال عنها
حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها اي انهم يسالونك عنها
فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها الى ربك منتهاها منتهى علمها
متى تكون لا يعلمها غيره انما انت منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت
الساعة وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يخاف شدائدها منذر منون
يزيد وعباس كانهم يوم يرونها اي الساعة لم يلبثوا في الدنيا الا عشية
او ضحاها اي ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من الهول
كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانما
صحت اضافة الضحى الى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد

والمراد ان مدة لبثهم لم يبلغ يوما كاملا ولكن احد طرفي النهار عشيته او ضحاه
سورة عبس مكية وهي اثنان واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
عبس كلح اي النبي صلى الله عليه وسلم وتولى اعرض ان جاءه لان جاءه ومحله
نصب لانه مفعول له والعامل فيه عبس او تولى على اختلاف المذهبين الاعمى
عبد الله بن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه وابوه شريح بن مالك اتى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يدعو اشراف قريش الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني
مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى
الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكرمه بعده ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه
على المدينة مرتين وما يدريك واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى
لعل الاعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل واصله يتزكى وادغمت التاء
في الزاي وكذا او يذكر يتعظ فتنفعه بنصب عاصم غير الاعشى جوابا للعل وغيره
رفعه عطفا على يذكر الذكرى ذكراك اي موعظتك اي انك لا تدري ما هو مترقب
منه من تزكٍ او تذكرٍ ولو دريت لما فرط ذلك منك اما من استغنى اي من كان غنيا
بالمال فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه حرصا على ايمانه تصدى بادغام
التاء في الصاد حجازي وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام
ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او الكفار
اي اذاهم في اتيانك او الكبوة كعادة العميان فانت عنه تلهى تتشاغل واصله تتلهى
وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وروي ان
الفقراء في مجلس الثوري كانوا امراء كلا ردع اي لا تعد الى مثله انها ان السورة او
الايات تذكرة موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره فمن شاء
الله ان يذكره ذكره وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء
الذكر الهمه الله تعالى في صحف صفة لتذكرة اي انها مثبتة في صحف منتسخة من
اللوح او خبر مبتدا محذوف اي هي في صحف مكرمة عند الله مرفوعة في السماء او مرفوعة
القدر والمنزلة مطهرة عن مس غير الملائكة او عما ليس من كلام الله بايدي سفرة
كتبة جمع سافر اي الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح كرام على الله او عن المعاصي
بررة اتقياء جمع بار قتل الانسان لعن الكافر او هو امية او عتبة ما اكفره استفهام
توبيخ اي اي شيء حمله على الكفر او هو تعجب اي ما اشد كفره من اي شيء خلقه
من اي حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشيء فقال من نطفة
خلقه فقدره على ما يشاء من خلقه ثم السبيل يسره نصب السبيل باضمار يسر
اي ثم سهل سبيل الخروج من بطن امه او بين له سبيل الخير والشر ثم اماته فاقبره
جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه واقبره الميت امره
ان يقبره ومكنه منه ثم اذا شاء انشره احياه بعد موته كلا ردع للانسان عن
الكفر لما يقض ما امره لم يفعل هذا الكافر ما امره الله به من الايمان ولما عدد
النعم في نفسه من ابتداء حدوثه الى ان انتهى اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال

فلينظر

فلينظر الانسان الى طعامه الذي ياكله ويحيى به كيف دبرنا امره انا بالفتح كوفي
على انه بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستئناف غيرهم صببنا الماء صبا
يعني المطر من السحاب ثم شققنا الارض شقا بالنبات فانبتنا فيها حبا
كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به وعنبا ثمرة الكرم اي الطعام والفاكهة
وقضبا رطبة سمي بها لانه يقضب اي يقطع لانه يقضب مرة بعد مرة
وزيتونا ونخلا وحدائق بساتين غلبا غلاظ الاشجار جمع غلباء وفاكهة
لكم وابا ومرعى لدوابكم متاعا مصدر اي منفعة لكم ولانعامكم فاذا جاءت
الصاخة صيحة القيامة لانها تصخ الآذان اي تصمها وجوابه محذوف لظهوره
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه لتبعات بينه وبينهم او لاشتغاله بنفسه
وصاحبته وزوجته وبنيه بدا بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة
والبنين لانهم احب قيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم
ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح لكل امرئ منهم يومئذ شان في نفسه
يغنيه يكفيه من الاهتمام به ويشغله عن غيره وجوه يومئذ مسفرة مضيئة
من قيام الليل او من آثار الوضوء ضاحكة مستبشرة اي اصحاب هذه الوجوه
وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار ترهقها
قترة يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد
في الوجه اولئك اهل هذه الحالة هم الكفرة في حقوق الله الفجرة في حقوق
العباد او لما جمعوا الفجور الى الكفر جمع الى سواد وجوههم الغبرة والعياذ بالله
سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
اذا الشمس كورت ذهب بضوئها من كورت العمامة اذا لففتها اي يلف ضوءها
لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها
فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط واذا النجوم
انكدرت تساقطت واذا الجبال سيرت عن وجه الارض وابعدت او سيرت
في الجو تسيير السحاب واذا العشار جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على
حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة عطلت اهملت
عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وكانوا يحبسونها اذا بلغت هذه الحالة
لعزتها عندهم وعطلت مخففا عن اليزيدي واذا الوحوش
حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص
فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم كالطاووس
ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة
بالناس واموالهم حشرتهم السنة واذا البحار سجرت سجرت مكي وبصري
من سجر التنور اذا ملاه بالحطب اي ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا
وقيل ملئت نيرانا لتعذيب اهل النار واذا النفوس زوجت قرنت كل نفس بشكلها
الصالح مع الصالح في الجنة والطالح مع الطالح في النار او قرنت الارواح بالاجساد
او بكتبها واعمالها او نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين

وَاذا المَوْؤُدَة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية الاملاق
وخوف الاسترقاق سُئِلَتْ سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت او لتدل
على قاتلها او هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله أانت قلت
للناس الاية باي ذنب قُتِلَتْ وبالتشديد يزيد وفيه دليل على ان اطفال
المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يكون بلا ذنب واذا الصحف نشرت
فتحت وبالتخفيف مدني وشامي وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف
الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب وجوز ان يراد
نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم واذا السماء كشطت قال الزجاج
قلعت كما يقلع السقف واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وبالتشديد
شامي ومدني وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة واذا الجنة ازلفت ادنيت
من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتا عشرة خصلة
ستة منها في الدنيا والباقية في الاخرة ولا وقف مطلقا من اول السورة
الى ما احضرت لان عامل النصب في اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها
وهو علمت نفس اي كل نفس وللضرورة انقطاع النفس على ايه جواز الوقف
ما احضرت من خير وشر فلا اقسم لا زائدة بالخنس بالرواجع بينا ترى النجم
في اخر البرج اذ كر راجعا الى اوله الجوار السيارة الكنس الغيب من
كنس الوحشي اذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد
والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء
الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل
هي جميع الكواكب والليل اذا عسعس اقبل بظلامه او ادبر فهو من الاضداد
والصبح اذا تنفس امتد ضوءه ولما كان اقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم
جعل ذلك نفسا له مجازا وجواب القسم انه اي القران لقول رسول اي جبريل
عليه السلام وانما اضيف القران اليه لانه هو الذي نزل به كريم عند ربه
ذي قوة قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف عند ذي العرش عند الله
مكين ذي جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال
عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته مطاع ثم اي في السموات
يطيعه من فيها او عند ذي العرش اي عند الله يطيعه ملائكته المقربون
يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه امين على الوحي وما صاحبكم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم
ولقد رآه راى محمد جبريل عليه السلام على صورته بالافق المبين بمطلع الشمس
وما هو على الغيب وما محمد على الوحي بضنين ببخيل من الضن وهو البخل
اي لا يبخل بالوحي كما يبخل الكهان رغبة في الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم
شيئا مما علم بظنين مكي وابو عمرو وعلي اي بمتهم فينقص شيئا مما اوحي اليه او
يزيد فيه من الظنة وهي التهمة وما هو وما القران بقول شيطان رجيم
طويل وهو كقوله وما تنزلت به الشياطين اي ليس هو بقول بعض المسترقة

للسمع ويوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال
لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهبون مثلت
حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه
فاي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي بينت لكم وقال الجنيد
فاين تذهبون عنا وان من شيء الا عندنا ان هو الا ذكر للعالمين ما القران
الا عظة للخلق لمن شاء منكم بدل من العالمين ان يستقيم اي القران ذكر
لمن شاء الاستقامة يعني ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام
هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا
وما تشاءون الاستقامة الا ان يشاء الله رب العالمين مالك الخلق اجمعين
سورة الانفطار مكية وهي تسعة عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم
اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت واذا
البحار فجرت فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا واذا القبور
بعثرت بحثت واخرج موتاها وجواب اذا علمت نفس اي كل نفس
برة وفاجرة ما قدمت ما عملت من الطاعة واخرت وتركت ولم تعمل او ما
قدمت من الصدقات وما اخرت من الميراث يا ايها الانسان قيل الخطاب
لمنكري البعث ما غرك بربك الكريم الذي خلقك اي شيء خدعك حتى
ضيعت ما وجب عليك بالخلق والتسوية والتعديل وعنه عليه السلام
حين تلاها غره جهله وعن عمر رضي الله عنه غره حمقه وعن الحسن غره
شيطانه وعن الفضيل لو خوطبت اقول غرتني ستورك المرخاة وعن
يحيى ابن معاذ اقول غرني برك بي سالفا وانفا فسواك فجعلك مستوي
الخلق سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير
تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا
بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود وجعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا
كالبهائم وبالتخفيف كوفي وهو بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك
ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا في اي صورة ما شاء
ركبك ما مزيدة للتوكيد اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته من الصور
المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر ولم يعطف هذه الجملة كما عطف ما
قبلها لانها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض
الصور ومكنك فيها او بمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور كلا
ردع عن الغفلة عن الله بل تكذبون بيوم الدين اصلا وهو الجزاء او دين
الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وان عليكم لحافظين اعمالكم
وافوا الكم من الملائكة كراما كاتبين يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون
يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا به يعلمون ما تفعلون لا يخفى عليهم شيء من
اعمالكم وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من
جلائل الامور وفيه انذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل

انه كان اذا قراها قال ما اشدها من اية على الغافلين ان الابرار لفي نعيم
اي المومنين لفي نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم وان الكفار لفي النار يصلونها
يوم الدين يدخلونها يوم الجزا وما هم عنها بغائبين اي لا يخرجون منها كقوله
وما هم بخارجين منها ثم عظم شان يوم القيمة فقال وما ادراك ما يوم الدين
ثم ما ادراك ما يوم الدين فكرر للتاكيد والتهويل وبينه بقوله يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه وانما تملك
الشفاعة بالاذن يوم بالرفع مكي وبصري اي هو يوم او بدل يوم الدين
ومن نصب فباضمار اذكر او باضمار يدانون لان الدين يدل عليه والامر يومئذ
لله اي لا امر الا لله وحده فهو القاضي فيه دون غيره والله اعلم بالصواب
سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون اية بسم الله الرحمن الرحيم
ويل مبتدا خبره للمطففين الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اخذوا بالكيل من الناس
ياخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم
ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق
على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص اي يستوفون
على الناس خاصة وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه
حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا
قال اكتلت منك فكانه قال استوفيت منك والضمير المنصوب في
واذا كالوهم او وزنوهم راجع الى الناس اي كالوا لهم او وزنوا لهم
فحذف الجار واوصل الفعل وانما لم يقل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم اكتفا
ويحتمل ان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل لتمكنهم
بالاكتيال من الاستيفا والسرقة لانهم يزعزعون ويحتالون في الملء
واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين يخسرون
ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن اولئك انهم مبعوثون
ليوم عظيم يعني يوم القيامة ادخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخا
وليست الا هذه للتنبيه وفيه انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجترا
على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون
محاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا انهم يبعثون ما نقصوا في الكيل
والوزن وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت
ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد
العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين
بلا كيل ولا وزن ونصب يوم يقوم الناس بمبعوثون لرب العالمين لامره
وجزائه وعن ابن عمر انه قرا هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا
وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردع وتنبيه اي ردعهم عما كانوا عليه
من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب

ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم فقال ان كتاب الفجار
صحائف اعمالهم لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم فان قلت
قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم
فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع
هو ديوان الشر دونه الله فيه اعمال الشياطين والكفرة من الجن والانس
وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه
من رقم الثياب علامتها والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت
في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق
لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح تحت الارض
السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته او اسم علم
منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب
ويل يومئذ يوم يخرج المكتوب للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين الجزا
والحساب وما يكذب به بذلك اليوم الا كل معتد مجاوز للحد اثيم
مكتسب للاثم اذا تتلى عليه اياتنا اي القران قال اساطير الاولين
احاديث المتقدمين وقال الزجاج اساطير اباطيل واحدها اسطورة مثل
احدوثة واحاديث كلا ردع للمعتدي الاثيم عن هذا القول بل نفي لما قالوا
ويقف حفص على بل وقيفة ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون غطاها ليسم
اي غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصي وعن الحسن
الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب
وعن ابي سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما ادمان الصوم
فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام كلا ردع عن الكسب الرائن
عن القلب انهم عن ربهم عن رؤية ربهم يومئذ لمحجوبون لممنوعون
والحجب المنع قال الزجاج في الاية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والا
لا يكون التخصيص مفيدا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن
توحيده حجبهم في العقبى عن رؤيته وقال مالك بن انس رحمه الله
لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقيل عن كرامة ربهم
لانهم في الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا في الاخرة عن كرامته مجازاة
والاول اصح لان الرؤية اقوى الكرامات فالحجب عنها دليل الحجب عن
غيرها ثم انهم لصالوا الجحيم ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلوا النار
ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون اي هذا العذاب الذي كنتم تكذبون به
في الدنيا وتنكرون وقوعه كلا ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي
عليين هو علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحا
الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو سمي به لانه سبب الارتفاع
الى اعالي الدرجات في الجنة او لانه مرفوع في السما السابعة حيث
تسكن الكروبيون تكريما له وما ادراك ما الذي اعلمك يا محمد

ما عليون اي شيء هو كتاب مرقوم يشهده المقربون يحضره الملائكة وقيل
يشهد عمل الابرار مقربوا كل سماء اذا رفع ان الابرار لفي نعيم تنعم في الجنان
على الارائك ينظرون الى كرامة الله ونعمه والى اعدائهم كيف يعذبون
تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وطراوته يسقون من رحيق شراب
خالص مختوم ختامه مسك مختم اوانيه بمسك بدل الطين الذي يختم به
الشراب في الدنيا امر الله تعالى بالختم عليه اكراما لاصحابه او ختامه
مسك مقطعه رائحة مسك اي توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه
اخاتمه على وفي ذلك الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرغب
الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيئات
ومزاجه ومزاج الرحيق من تسنيم هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم
الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها ارفع شراب في الجنة او لانها
تاتيهم من فوق وتنصب في اوانيهم عينا حال او نصب على المدح يشرب
بها اي منها المقربون عن بن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يشربها
المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين ان الذين اجرموا كفروا كانوا من
الذين امنوا يضحكون في الدنيا استهزاء بهم واذا مروا بهم يتغامزون
يشير بعضهم الى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء علي رضي الله عنه
في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا اترون
هذا الاصلع فنزلت قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا انقلبوا الى اهلهم اي اذا رجع الكفار الى منازلهم انقلبوا فكهين
ملتذين بذكرهم والسخرية منهم وقرا غير حفص فاكهين اي فرحين واذا
راوهم واذا راى الكافرون المومنين قالوا ان هؤلاء لضالون اي خدع
محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه في الاخرة من الكرامات
فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال وما ارسلوا وما
ارسل الكفار عليهم على المومنين حافظين يحفظون احوالهم ويرقبون
اعمالهم بل امروا باصلاح انفسهم فاشتغالهم بذلك اولى بهم من تتبع
غيرهم وتسفيه احلامهم فاليوم اي يوم القيامة الذين امنوا من الكفار
يضحكون ثم لا ضحكوا منهم هنا مجازاة على الارائك ينظرون حال من
يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة
والاستكبار وهم على الارائك امنون وقيل يفتح الى الكفار باب الى الجنة
فيقال لهم هلموا الى الجنة واذا وصلوا اليها اغلق دونهم فيضحك المومنون
منهم هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون هل جوزوا بسخريتهم بالمومنين
في الدنيا اذا فعل بهم ما ذكر سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون اية
بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بغمام وتشققت واذنت لربها
سمعت واطاعت واجابت ربها الى الانشقاق ولم تاب ولم تمتنع وحقت
وحق لها ان تسمع وتطيع لامر الله اذ هي مصنوعة مربوبة الله تعالى

واذا الارض مدت بسطت وسويت باندكاك جبالها وكل امت فيها
والقت ما فيها ورمت ما في جوفها من الكنوز والموتى وتخلت وخلت
غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو
يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه واذنت
لربها في القاء ما في بطنها وتخليها وحقت وهي حقيقة بان تنقاد
ولا تمتنع وحذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم
بمثلها من سورة التكوير والانفطار وجوابه ما دل عليه فملاقيه اي
اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه يا ايها الانسان خطاب للجنس
انك كادح الى ربك كدحا جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال
الممثلة باللقاء فملاقيه الضمير للكدح وهو جهد النفس في العمل والكد فيه حتى
يوثر فيها والمراد جزاء الكدح ان خيرا فخير وان شرا فشر وقيل لقاء الكدح
لقاء كتاب فيه ذلك يدل عليه قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه اي كتاب
عمله فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا هينا وهو ان يجازى على
الحسنات ويتجاوز عن السيئات وفي الحديث من يحاسب يعذب فقيل
فاين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في
الحساب عذب وينقلب الى اهله مسرورا فرحا واما من اوتي كتابه
وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيوتى كتابه
بشماله من وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور
الهلاك ويصلى سعيرا اي ويدخل جهنم انه كان في الدنيا في اهله معهم
مسرورا بالكفر يضحك ممن امن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفي مواقع
هواه راتعا انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى ربه تكذيبا بالبعث قال
ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت تفسيره حتى سمعت اعرابية تقول
لبنتها حوري اي ارجعي بلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلى ليحورن
ان ربه كان به وباعماله بصيرا لا يخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها فلا
اقسم بالشفق فاقسم بالبياض بعد الحمرة او الحمرة والليل وما وسق
جمع وضم والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم او ما عمل فيه من التهجد وغيره
والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن ايها الانسان
على ارادة الجنس طبقا عن طبق حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها
في الشدة والهول والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه
ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم
هو على طبقات اي لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها
ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة واهوالها ومحل
عن طبق نصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير
في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق وقال مكحول في كل عشرين عاما
تجدون امرا لم تكونوا عليه ويفتح الباء مكي وعلي وحمزه والخطاب له

عليه السلام اي طبقا من اطباق السما بعد طبق اي في المعراج فما لهم
لا يؤمنون فما لهم في ان لا يؤمنوا واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون
لا يخضعون بل الذين كفروا يكذبون بالبعث والقران والله اعلم بما يوعون
بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبي او بما يجمعون
في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب
فبشرهم بعذاب اليم اخبرهم خبرا يظهر اثره على بشرتهم الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات استثنا منقطع لهم اجر غير ممنون غير منقوص
سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
والسما ذات البروج هي البروج الاثنى عشر النجوم او عظام الكواكب
واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود اي شاهد في ذلك اليوم
ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلايق كلهم وبالمشهود
فيه ما في ذلك اليوم من عجايبه وطريق تنكيرهما اما ما في قوله علمت
نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما
للابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد
كثرت اقاويل المفسرين فيهما فقيل محمد ويوم القيامة او عيسى وامته
لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم او امة محمد وساير الامم او الحجر
الاسود والحجيج او الايام والليالي وبنوا ادم للحديث ما من يوم الا ينادي
انا يوم جديد وعلى ما يفعل في شهيد او الانبيا ومحمد عليهم السلام وجواب
القسم محذوف يدل عليه قتل اصحاب الاخدود اي لعن كانه قيل اقسم
بهذه الاشيا انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود
وهو خد اي شق عظيم في الارض روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلام ليعلمه السحر وكان
في طريق الغلام راهب فسمعه فراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست
الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر
فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبري الاكمه والابرص وعمي
جليس للملك فابراه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال
ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع
الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح
من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور
فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفات بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال
للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع
وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به
فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس امنا برب
الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذره فخد اخدودا وملاها نارا
فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست

ان

ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فالقى الصبي وامه فيها
النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بانها عظيمة لها
ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس اذ ظرف لقتل اي لعنوا
حين احرقوا بالنار قاعدين حولها هم عليها قعود جلوس على الكراسي
وهم اي الكفار على ما يفعلون بالمؤمنين من الاحراق شهود يشهد بعضهم
لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب
وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل اذى اهل مكة وما نقموا منهم الا ان
يؤمنوا وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله • ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم • وقوله وما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا او قرا
نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح بالله العزيز الحميد ذكر الاوصاف التي يستحق
بها ان يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له
الحمد على نعمته ويرجى ثوابه الذي له ملك السموات والارض فكل من فيهما
يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي
لا ينقمه الا مبطل وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم
والله على كل شي شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه
ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب
الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم
عذبوهم بالنار واحرقوهم ثم لم يتوبوا لم يرجعوا عن كفرهم فلهم في الاخرة
عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت
عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى
على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الاخرة
لكفرهم ولفتنتهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز الكبير اي الذين صبروا على تعذيب
الاخدود وهو عام ان بطش ربك لشديد البطش الاخذ بالعنف فاذا
وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد اخذه الظلمة والجبابرة
بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ ويعيد اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم
كما بداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وهو الغفور
الساتر للعيوب العافي عن الذنوب الودود المحب اوليايه وقيل الفاعل
باهل الطاعة ما يفعله الودود من اعطايهم ما اراد ذو العرش خالقه
ومالكه المجيد حمزة وعلي على انه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد
العرش علوه وعظمه فعال خبر مبتدا محذوف لما يريد تكوينه فيكون
فيه دلالة خلق افعال العباد هل اتاك حديث الجنود اي قد اتاك خبر
الجموع الطاغية في الامم الخالية فرعون وثمود بدل من الجنود واراد
بفرعون اياه واله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل
بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب واستيجاب للعذاب

ولا يعتبرون بالجنود لا يخفى حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا بل هو بل
هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه
واعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى وانه اساطير الاولين في لوح محفوظ
من وصول الشياطين محفوظ نافع صفة للقرآن اي من التغيير والتبديل
واللوح عند الحسن شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب
قلمه نور وكل شيء فيه مسطور مقاتل هو على يمين العرش وقيل اعلاه
معقود بالعرش واسفله في حجر ملك كريم والله اعلم بالصواب

سورة الطارق مكية وهي سبعة عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب عظم قدر السماء
في اعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة
فاقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم
بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب اي المضيء كانه يثقب الظلام
بضوئه فينفذ فيه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال لليل طارق
او لانه يطرق الجني اي يصكه وجواب القسم ان كل نفس لما عليها حافظ
ان لما ان كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون
ان نافية اي ما كل نفس الا عليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم
فتكون ان مخففة من الثقيلة اي انه كل نفس لعليها حافظ يحفظها من
الآفات او يحفظ عملها ورزقها واجلها فاذا استوفى ذلك مات وقيل
هو كاتب الاعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ
مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل واينما كانت فهي مما يتلقى القسم
فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان على كل نفس حافظا امره بالنظر في اول
مرة ليعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملي
على حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم خلق استفهام اي من اي شيء خلق
جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع والدفع في الحقيقة
لصاحبه والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض اهل اللغة دفقت الماء دفقا
صببته ودفق الماء بنفسه اي انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما
في الرحم واتحادهما حين ابتدى في خلقه يخرج من بين الصلب والترائب
من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة
وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة انه ان الخالق
لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على
رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يعجز عنه كقوله انني
لفقير ونصب يوم تبلى اي تكشف برجعه او بمضمر دل عليه قوله رجعه
اي يبعثه السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وما
اخفى من الاعمال فما له فما للانسان من قوة في نفسه على دفع ما حل به

ولا ناصر يعينه ويمنع عنه والسماء ذات الرجع اي المطر وسمي لعوده كل حين
والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض من النبات انه ان
القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو
بالهزل باللعب والباطل يعني انه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله
بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب من العقائد والنيات
وما اخفى من الاعمال يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه
بمزاح انهم يعني مشركي مكة يكيدون كيدا يعملون المكايد في ابطال
امر الله واطفاء نور الحق واكيد كيدا واجزيهم جزاء كيدهم باستدراجي
لهم من حيث لا يعلمون فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء
والسيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق
هذا الوصف على الله تعالى الا على وجه الجزاء كقوله نسوا الله فنسيهم
يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم فمهل الكافرين اي لا تدع
بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم انظرهم فكرر وخالف بين اللفظين
لزيادة التسكين والتصبير رويدا امهالا يسيرا ولا يتكلم بها الا مصغرة
وهي من رادت الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة والله اعلم

سورة الاعلى مكية وهي تسعة عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة
وذلك ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى
العلو في المكان وقيل قل سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت
قال عليه السلام اجعلوها في سجودكم الذي خلق فسوى اي خلق
كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يات به متفاوتا غير ملتئم ولكن
على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم او سواه على ما فيه
منفعة ومصلحة والذي قدر فهدى اي قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه
اليه وعرفه وجه الانتفاع به او فهدى واضل ولكن حذف واضل
اكتفاء بقوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء قدر على والذي اخرج المرعى
انبت ما ترعاه الدواب فجعله غثاء يابسا هشيما احوى اسود
فاحوى صفة لغثاء سنقرئك فلا تنسى سنعلمك القرآن حتى لا تنساه
الا ما شاء الله ان ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه ان يحفظ عليه
الوحي حتى لا ينفلت منه شيء الا ما شاء الله ان ينسخه فيذهب به عن
حفظه برفع حكمه وتلاوته وسال ابن كيسان النحوي جنيدا عنه
فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى
على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا اي فلا تغفل قراءته
وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته انه يعلم الجهر
وما يخفى اي انك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله
يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر او ما تقرا في نفسك

مخافة النسيان او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما
ظهر وما بطن من احوالكم **ونيسرك لليسرى** معطوف على سنقريك
وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة
التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي
ايسر الشرايع او نوفقك لعمل الجنة **فذكر** عظ بالقران **ان نفعت
الذكرى** جواب ان مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد
لتاثير الذكرى فيهم وقيل هو امر بالتذكير على الاطلاق كقوله فذكر
انما انت مذكر غير مشروط بالنفع **سيذكر** سيتعظ ويقبل التذكرة
من يخشى الله وسوء العاقبة **ويتجنبها** ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها
الاشقى الكافر او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله
قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة **الذي يصلى النار الكبرى**
يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا **ثم لا يموت فيها** فيستريح من العذاب
ولا يحيى حياة يتلذذ بحياته وقيل ثم لان الترجح بين الحياة والموت
افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة **قد افلح** نال الفوز
من تزكى تطهر من الشرك او تطهر للصلاة او ادى الزكاة تفعل من الزكاة
كتصدق من الصدقة **وذكر اسم ربه** وكبر للافتتاح **فصلى** الخمس وبه
يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة
عطفت عليها وهو يقتضي المغايرة وعلى ان الافتتاح جايز بكل اسم من
اسمايه عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين
يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى
صلاة العيد **بل تؤثرون الحياة الدنيا** على الاخرة فلا تفعلون ما به تفلحون
والمخاطب به الكافرون دليله قراءة ابي عمرو يؤثرون **والاخرة خير وابقى**
افضل في نفسها وادوم **ان هذا لفي الصحف الاولى** هذا اشارة الى قوله
قد افلح الى ابقى اي ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف او الى ما في
السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القران بالفارسية في الصلاة
لانه جعله مذكورا في تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه
اللغة **صحف ابراهيم وموسى** بدل عن الصحف الاولى وفي الاثر وفي صحف
ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على
شانه والله اعلم بالصواب

سورة الغاشية ست وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **هل** بمعنى قد **اتاك حديث الغاشية** الداهية
التي تغشى الناس بشدايدها وتلبسهم اهوالها يعني القيامة وقيل
النار من قوله وتغشى وجوههم النار **وجوه** اي وجوه الكفار وانما خص
الوجه لان الحزن والسرور اذا استحكما في المرء اثر في الوجه **يومئذ**
يوم اذ غشيت **خاشعة** ذليلة لما اعترى اصحابها من الخزي والهوان
عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال

وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دايبة في صعود من نار
وهبوطها في حدورها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها
وتنعمت فهي في نصب منها في الاخرة وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه
انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدايب والتهجد
الواصب **تصلى نارا حامية** تدخل نارا قد احميت مدة طويلة فلا حر
يعدل حرها تصلى ابو عمرو وابو بكر **تسقى من عين انية** من عين ماء قد
انتهى حرها والتانيث في هذه الصفات والافعال راجعة الى الوجوه
والمراد اصحابها بدليل قوله **ليس لهم طعام الا من ضريع** وهو نبت يقال
لرطبه الشبرق فاذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب الوان
والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم
اكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الاية وبين قوله ولا طعام الا من
غسلين **لا يسمن** مجرور المحل لانه وصف ضريع **ولا يغني من جوع** اي منفعتا
الغذا منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة السمن في البدن **وجوه
يومئذ** ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد
طال وانقطع **ناعمة** متنعمة في لين العيش **لسعيها راضية** رضيت بعملها
وطاعتها لما رات ما اداهم اليه من الكرامة والثواب **في جنة عالية** من
علو المكان او المقدار **لا تسمع** يا مخاطب او الوجوه **فيها لاغية** اي لغوا او كلمة
ذات لغو او نفسا تلغو لانه لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على
ما رزقهم من النعيم الدايم **فيها عين جارية** اي عيون كثيرة كقوله علمت
نفس **فيها سرر** جمع سرير **مرفوعة** من رفعة المقدار او السمك
ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم **واكواب**
جمع كوب وهو القدح وقيل انية لا عروة لها **موضوعة** بين ايديهم
ليتلذذوا بالنظر اليها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب
ونمارق وسايد **مصفوفة** بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح ايما
اراد ان يجلس جلس على وسادة واستند الى اخرى **وزرابي** وبسط عراض
فاخرة جمع زربية **مبثوثة** مبسوطة او مفرقة في المجالس ولما انزل الله
تعالى هذه الايات في صفة الجنة وفسر النبي عليه السلام بان ارتفاع
السرر يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لا تدخل في حساب
الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابي كذا انكر الكفار
وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه الكثرة
وطول النمارق هذا الطول وبسط الزرابي هذا الانبساط ولم نشاهد
ذلك في الدنيا فقال الله تعالى **افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت** طويلة
ثم تبرك حتى تركب فيحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطاطي للمؤمن
كما يطاطي الابل **والى السماء كيف رفعت** رفعا بعيد المدى بلا امساك
وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذلك

الاكواب والى الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل مع طولها
فكذا النمارق والى الارض كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية فهي كلها
بساط واحد تنبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابي ويجوز ان يكون
المعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق
حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويومنوا به
ويستعدوا للقايه وتخصيص هذه الاربعة باعتبار ان هذا خطاب
للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما تكثر مشاهدته
له والعرب تكون في البوادي ونظرهم فيها الى السماء والارض والجبال والابل
فهي اعز اموالهم وهم لها اكثر استعمالا منهم لساير الحيوانات ولانها
تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهي النسل والدر والحمل والركوب
والاكل بخلاف غيرها فانه سخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز
ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها
بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد
الشاحطة وصبرها على احتمال العطش حتى ان اظماها لترتفع الى
العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل نابت في البراري مما لا يرعاه ساير البهايم
فذكر هم بالادلة ليتفكروا فيها انما انت مذكر ليس عليك الا التبليغ
لست عليهم بمسيطر بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وبمصيطر بالصاد
وبمسيطر عاصم وعلي الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر الاستثنا
منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله فان لله الولاية
والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثنا من
قوله اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر
وما بينهما اعتراض ان الينا ايابهم رجوعهم وفايدة تقديم الظرف التشديد
في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام ثم ان علينا حسابهم
فنحاسبهم على اعمالهم ونجازيهم بها جزاء امثالهم وعلى لتاكيد الوعيد لا للوجوب
اذ لا يجب على الله شي والله اعلم سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون اية
بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا اسفر
او بصلاة الفجر وليال عشر عشر ذي الحجة او العشر الاول من المحرم او الاخر
من رمضان وانما نكرت لزيادة فضيلتها والشفع والوتر شفع كل الاشيا
ووترها او شفع هذه الليالي ووترها او شفع الصلاة ووترها او يوم
النحر لانه اليوم العاشر ويوم عرفة لانه اليوم التاسع او الخلق
والخالق والوتر حمزة وعلي وبفتح الواو غيرهما وهما لغتان فالفتح
حجازي والكسر تميمي وبعد ما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل
على العموم فقال والليل وقيل اريد به ليلة القدر اذا يسر اذا يمضي
ويا يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وسال واحد
الاخفش عن سقوط اليا فقال لا حتى تخدمني سنة فسأله بعد سنة

فقال

فقال الليل لا يسري انما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة
وقيل معنى يسري يسرى فيه كما يقال ليل نايم اي ينام فيه هل في ذلك اي فيما
اقسمت به من هذه الاشيا قسم اي مقسم به لذي حجر عقل سمي به لانه يحجر
عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى يريد هل
تحقق عنده ان تعظيم هذه الاشيا بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام
لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يوكد بمثله المقسم عليه او هل في القسم بهذه
الاشيا قسم مقنع لذي عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن
يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب
الامم التي كذبت الرسل فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
اي الم تعلم يا محمد علما يوازي العيان في الايقان وهو استفهام تقرير قيل
لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم
ثم قال للاولين منهم عاد الاولى والارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد
الاخيرة فارم عطف بيان لعاد وايذان انهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم
بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة
وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسال القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا
للتعريف والتانيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا
بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وان كانت
صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد
فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع
بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلاث ماية سنة
وكان عمره تسعماية سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة
واساطينها من الزبرجد والياقوت واصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها
سار اليها باهل مملكته فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة
من السما فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها
فقدر فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث
الى كعب فساله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت
فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد اي
مثل عاد في قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم اربعماية ذراع ولم يخلق
مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وثمود الذين جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال
واتخذوا فيها بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا الفا وسبعماية مدينة
كلها من الحجارة بالواد بوادي القرى وفرعون ذي الاوتاد اي ذي الجنود الكثيرة
وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها اذا نزلوا وقيل كان له اوتاد يعذب الناس
بها كما فعل باسية الذين في محل النصب على الذم او الرفع على هم الذين او
الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون طغوا في البلاد تجاوزوا الحد

فاكثروا فيها الفساد بالكفر والقتل والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب
مجاز عن ايقاع العذاب بهم على ابلغ وجه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة
الايلام اي عذبوا عذابا مؤلما ان ربك لبالمرصاد وهو المكان الذي يترقب فيه
الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لا يفوتونه وانه عالم
بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر
عليه رزقه اي ضيق وجعله بمقدار بلغته فقدر شامي ويزيد فيقول ربي اهانن
اي الواجب لمن ربه بالرضا ان يسعى للفانية ولا يهمه العاجلة وهو قد عكس
فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربي اكرمن اي فضلني بما
اعطاني فيرى الاكرام في كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقدر عليه
رزقه ليصبر فقال ربي اهانن فيرى الهوان في قلة الحظ من الدنيا لانه
لا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله كلا بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اي بل هناك شر من هذا القول وهو
ان الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة وحض
اهله على طعام المسكين وتاكلون التراث الميراث اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين
الحرام والحلال وكانوا يورثون النساء والصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم
وتحبون المال حبه واحبة بمعنى حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق
ربي حجازي وابو عمرو يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصري كلا ردع
لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه
حين لا ينفع الحسرة فقال اذا دكت الارض اذا زلزلت دكا دكا دكا بعد دك
اي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا وجاء ربك تمثيل لظهور آيات
اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فان واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه
ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس
امره وقضاؤه والملك صفا صفا اي ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد
صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم قيل انها برزت لاهلها كقوله
وبرزت الجحيم للغاوين وقيل هو يجري على حقيقته ففي الحديث يؤتى بجهنم
يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ
يتذكر الانسان اي يتعظ وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى
يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة اي يا ليتني قدمت الاعمال
الصالحة في الحياة الفانية لحياتي الباقية فيومئذ لا يعذب عذابه احد
اي لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم ولا يوثق بالسلاسل
والاغلال وثاقه احد قال صاحب الكشاف لا يعذب احد احدا كعذاب الله
ولا يوثق احد احدا كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق على ومني قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورجع اليها ابو عمرو في آخر عمره والضمير يرجع الى الانسان
الموصوف وهو الكافر وقيل هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه

ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده ثم يقول الله تعالى
للمؤمن يا ايتها النفس اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او يكون على لسان
ملك المطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة
او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير
الاول قراءة ابي يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة وانما يقال لها عند الموت
او عند البعث او عند دخول الجنة ارجعي الى موعد ربك او ثواب ربك راضية
من الله بما اوتيت مرضية عند الله بما عملت فادخلي في عبادي في جملة عبادي
الصالحين فانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقال ابو عبيدة اي مع عبادي
او بين عبادي اي خواصي كما قال وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي كقراءة ابن مسعود
في جسد عبدي ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته
فدخل في نعشه فلما دفن تليت هذه الآية في شفير القبر ولم ير من تلاها
قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب الذي صلبه اهل مكة وقيل
هي عامة في المؤمنين اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب والله اعلم

سورة البلد مكية وهي عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان
خلق مغمورا في مكابدة المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله
وانت حل بهذا البلد اي ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك
يستحل بهذا البلد يعني مكة كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل
يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت
لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من
حالهم من عداوته او سلى رسول الله بالقسم ببلده على ان الانسان
لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية
والتنفيس عنه فقال وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من
القتل والاسر وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت
على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو
متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان
ونظير قوله وانت حل في الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون
وكفاك دليلا على انه للاستقبال ان السورة مكية بالاتفاق واين
الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح ووالد وما ولد هما آدم وولده او كل
والد وولده او ابراهيم وولده وما بمعنى من او بمعنى الذي لقد خلقنا الانسان
جواب القسم في كبد مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن
ذي النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الائتمار والانتهاء والضمير في
ايحسب ان لن يقدر عليه احد لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله
يكابد منهم ثم قيل هو ابو الاشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى ايظن

هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين اذ لن نقايمه ولم يقدر على الانتقام
منه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا اي كثيرا جمع
لبدة وهو ما تلبد اي كثر واجتمع يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية
يسمونها مكارم ومعالي ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق رياء وافتخارا
يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال الم نجعل له عينين
يبصر بهما المرئيات ولسانا يعبر به عما في ضميره وشفتين يستر بهما ثغره
ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وهديناه النجدين طريقي الخير
والشر المفضيين الى الجنة والنار وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة وما ادراك
ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة ثم كان من الذين امنوا يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال
الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل
كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه
مرضي نافع عند الله لا ان يهلك ماله لبدا في الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع
الماضي الا مكررة وانما لم تكرر في الكلام الافصح لانه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة
اشياء صار كانه اعاد لا ثلاث مرات وتقديره فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا
ولا امن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل
الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة
النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه
الشيطان والمراد بقوله ما اقتحامها ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس
وكنه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والاعانة في مال الكتابة
فك رقبة او اطعم مكي وابو عمرو وعلي على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما
ادراك ما العقبة اعتراض غيرهم فك رقبة او اطعام على اقتحامها فك رقبة
او اطعام والمسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب
اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر
ومعناه التصق بالتراب فيكون ماواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة
كقولهم هم ناصب ذو نصب ومعنى ثم كان من الذين امنوا اي داوم على الايمان
وقيل ثم بمعنى الواو وقيل انما جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة
عن العتق والصدقة لا في الوقت اذ الايمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل
صالح الا به وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وتواصوا بالمرحمة اي
بالتراحم فيما بينهم اولئك اصحاب الميمنة اي الموصوفون بهذه الصفات من
اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا بالقران او بدلائلنا هم اصحاب المشئمة
اصحاب الشمال عليهم نار مؤصدة وبالهمز ابو عمرو وحمزة وحفص اي مطبقة

سورة الشمس مكية وهي خمسة عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها وضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها والقمر اذا تلاها
تبعها في الضياء والنور وذلك في النصف الاول من الشهر يخلف القمر الشمس

ما العقبة صح

في النور

في النور والنهار اذا جلاها جلى الشمس واظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ
النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل
الضمير للظلمة او للدنيا والارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها
من دابة والليل اذا يغشاها يستر الشمس فيظلم الافاق والواو الاولى في نحو
هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف
لان ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول لا يجوز الا ترى انك لو جعلت موضعها
كلمة الفاء او ثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال انها
للقسم احتج بانها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين لان قوله والليل مثلا
مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذي هو اقسم فلو جعلت
الواو في والنهار اذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا واذا تجلى معطوفا
على اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان في الدار زيدا والحجرة عمرا واجيب بان واو القسم
تنزلت منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصار كانها العاملة نصبا
وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز ان يعطف على معموليه
بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها
مقام ضرب الذي هو عاملهما فكذا هنا وما بناها وما مصدرية في والسماء
وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها اي وبنائها وطحوها اي بسطها
وتسويتها خلقها في احسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فالهمها وما فيه
من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية
كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها
وانما نكرت النفس لانه اراد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس ادم كانه قال
وواحدة من النفوس او اراد كل نفس والتنكير للتكثير كما في علمت نفس فالهمها فجورها
وتقواها فاعلمها طاعتها ومعصيتها اي افهمها ان احدهما حسن والاخر قبيح قد افلح
جواب القسم والتقدير لقد افلح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام
وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة
لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا
واما قد افلح فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس
من جواب القسم في شيء من زكاها طهرها الله واصلحها وجعلها زاكية وقد خاب
من دساها اغواها الله قال عكرمة افلحت نفس زكاها الله وخابت نفس
اغواها الله ويجوز ان يكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص
والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة كذبت ثمود
بطغواها بطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم اذ انبعث حين قام بعقر الناقة
اشقاها اشقى ثمود قدار بن سالف وكان اشقر ازرق قصيرا واذ منصوب بكذبت
او بالطغوى فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام ناقة الله نصب على التحذير
اي احذروا عقرها وسقياها كقولك الاسد الاسد فكذبوه فيما حذرهم
منه من نزول العذاب ان فعلوا فعقروها اي الناقة اسند الفعل اليهم

وان كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به فدمدم
عليهم ربهم اهلكهم هلاك استئصال بذنبهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم
الرسول وعقرهم الناقة فسواها فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها
صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقباها ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة
اي فعل ذلك غير خائف ان يلحقه تبعة من احد كما يخاف من يعاقب من
الملوك لانه فعل في ملكه وملكه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والله اعلم

سورة الليل احدى وعشرون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى المغشي اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها او النهار
من قوله يغشي الليل النهار او كل شيء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب والنهار
اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل وما خلق الذكر والانثى والقادر العظيم القدرة
الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وجواب القسم ان سعيكم لشتى
ان عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما يتصل به فاما من اعطى حقوق ماله
واتقى ربه فاجتنب محارمه وصدق بالحسنى بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام
او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بالكلمة الحسنى وهي لا اله الا الله فسنيسره
لليسرى فسنهيئه للخلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه ربه واما من بخل بماله
واستغنى عن ربه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى
وكذب بالحسنى بالاسلام او الجنة فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى النار
فتكون الطاعة اعسر شيء عليه واشد او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها
اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار
وما يغني عنه ماله اذا تردى ولم ينفعه ماله اذا هلك وتردى تفعل من
الردى وهو الهلاك او تردى في القبر او في قعر جهنم ان علينا للهدى ان
علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا للاخرة والاولى
فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى او انهما لنا فمن طلبهما من
غيرنا فقد اخطأ الطريق فانذرتكم خوفتكم نارا تلظى تتلهب لا يصلاها لا يدخلها
للخلود فيها الا الاشقى الذي كذب وتولى الا الكافر الذي كذب الرسل واعرض
عن الايمان وسيجنبها وسيبعدها الاتقى المؤمن الذي يؤتي ماله للفقراء
يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة
او يتفعل من الزكاة ويتزكى ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في
حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله
النصب قال ابو عبيدة الاشقى بمعنى الشقي وهو الكافر والاتقى بمعنى التقي
وهو المؤمن لانه لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء
وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله
وسيجنبها الاتقى لان التقي يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم
خاصة وقيل الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم
من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي

كان

كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له
وقيل هما ابو جهل وابو بكر رضه وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم يقولون لا يدخل النار
الا كافر وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه اي وما لاحد عند
الله نعمة يجازيه بها الا ان يفعل فعلا يبتغي به وجه ربه فيجازيه عليه الاعلى
هو الرفيع بسلطانه المنيع في شانه وبرهانه ولم يرد به العلو من حيث
المكان فذا اية المحدثات ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر
عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ولسوف يعطيك ربك فترضى

سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وانما خص
وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام والقي
فيها السحرة سجدا او النهار كله لمقابلته بالليل بقوله والليل اذا سجى سكن
والمراد سكون الناس والاصوات فيه وجواب القسم ما ودعك ربك وما قلى
ما تركك منذ اختارك وما ابغضك منذ احبك والتوديع مبالغة في الودع
لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي تأخر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وحذف
الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد
والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف
وللاخرة خير لك من الاولى اي ما اعد لك في الاخرة من المقام المحمود والحوض المورود
والخير الموعود خير مما اعجبك في الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله انه لما كان في ضمن
نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانه حبيب الله ولا ترى كرامة
اعظم من ذلك اخبره ان حاله في الاخرة اعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة
امته على الامم وغير ذلك ولسوف يعطيك ربك في الاخرة من الثواب ومقام
الشفاعة وغير ذلك فترضى ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذا لا ارضى
وواحد من امتي في النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون
الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ونحوه لاقسم فيمن قرأ
كذلك لان المعنى لانا اقسم فلامه لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد
فتعين ان تكون لام الابتداء ولا تدخل الا على المبتدا والخبر فلابد من تقدير مبتدا
وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وذكر صاحب الكشف هي لام القسم
واستغنى عن نون التوكيد لان النون انما تدخل ليؤذن ان اللام لام القسم لا لام
وقد علم انه ليس للابتداء لدخولها على سوف لان لام الابتداء لا تدخل على سوف
وذكر ان الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير يؤذن ان العطاء كائن لا محالة وان
تاخر ثم عدد عليه نعمه من اول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف
منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال
الم يجدك يتيما وهو من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى
الم تكن يتيما حين مات ابواك فآوى اي فآواك الى عمك ابي طالب وضمك

اليه حتى تقلك وربّاك ووجدك ضالا اي غير واقف على معالم النبوة واحكام
الشريعة وما طريقه السمع فهدى فعرفك الشرايع والقران وقيل ضل في
طريق الشام حين خرج به ابوطالب فرده الى القافلة ولا يجوز ان يفسر به عدول
عن حق ووقوع في غي فقد كان عليه السلام من اول حاله الى نزول الوحي عليه
معصوما عن عبادة الاوثان وقاذورات اهل الفسق والعصيان ووجدك عايلا
فقيرا فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنايم فاما اليتيم
فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه واما السايل فلا تنهر فلا تزجره
فابذل قليلا او رد جميلا وعن السدي المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهر
واما بنعمة ربك فحدث اي حدث بالنبوة التي اتاك الله وهي اجل النعم
والصحيح انها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القران والشرايع

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد
اثبات الشرح فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه ووضعنا اعتبارا
للمعنى اي فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة
الثقلين فازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن
ملئ حكمة وعلما ووضعنا عنك وزرك وخففنا عنك اعباء النبوة والقيام
بامرها وقيل هو ذلة لا تؤاخذ بعينها وهي ترك الافضل مع اتيان الفاضل والانبيا
يعاتبون بمثلها ووضعه عنه ان غفر له والوزر الحمل الثقيل الذي انقض ظهرك
اثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك
ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب
والتشهد وفي غير موضع من القران اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله
ورسوله والله ورسوله احق ان يرضوه وفي تسمية رسول الله ونبي الله ومنه
ذكره في الاولين وفايدة لك ما عرف في طريق الابهام والايضاح لانه يفهم بقوله
الم نشرح لك ان ثم مشروحا ثم اوضح بقوله صدرك ما علم مبهما وكذلك
ذكرك وعنك وزرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اي ان مع الشدة
التي انت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرا باظهاري اياك عليهم حتى تغلبهم وقيل
كان المشركين يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق الى وهمه انهم
رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله فذكره ما انعم به عليك من جلايل النعم ثم قال
ان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تياس من فضل الله فان
مع العسر الذي انتم فيه يسرا وجي بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة
في التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه السلام عند نزولها لن يغلب
عسر يسرين لان العسر اعيد معرفا فكان واحدا لان المعرفة اذا اعيدت معرفة
كانت الثانية عين الاولى واليسر اعيد نكرة والنكرة اذا اعيدت نكرة
كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال ابو معاذ يقال
ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قيل

ان مع امير غلاما ان مع امير غلاما فهما اميران وغلامان كذا في شرح التاويلات
فاذا فرغت فانصب اي فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في عبادة الرب وعن
ابن عباس رضي الله عنهما فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعا واختلف
انه قبل السلام او بعده ووجه الاتصال بما قبله انه لما عدد عليه نعمه السالفة
ووعده الانفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل
بين بعضها وبعض ولا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذيلها باخرى
والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا عليه

سورة التين مكية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون
اقسم بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت
ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها
تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة
يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هي سواكي وسواك الانبيا قبلي وعن
ابن عباس هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشام منبتاهما
وطور سينين اضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون
بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب
وهذا البلد يعني مكة الامين من امن الرجل امانة فهو امين وامانته انه يحفظ
من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشيا الابانة
عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبيا والاوليا
فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشاه ومبعثه صلوات
الله عليه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو
هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليه او الاول لانه قسم بمهبط
الوحي على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليهم السلام وجواب القسم
لقد خلقنا الانسان وهو جنس في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله
وصورته وتسوية اعضائه ثم رددناه اسفل سافلين اي ثم كان عاقبة امره
حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل
من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة وهم اصحاب النار او اسفل
من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من
سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله
وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكل سمعه وبصره وتغير كل شيء منه
فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون ودخل الفا هنا دون سورة الانشقاق
للجمع بين اللغتين والاستثنا الاول متصل وعلى الثاني منقطع اي ولكن الذين
كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلا
بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب في

فما يكذبك بعد بالدين للانسان على طريقة الالتفات اي فما سبب تكذيبك
بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزا والمعنى ان خلق الانسان
من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل
ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على
قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته
فما سبب تكذيبك بالجزاء او لرسول الله اي فمن ينسبك الى الكذب بعد
هذا الدليل فما يجئ من اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم
عليهم بما هو اهله وهو من الحكم القضا والله الموفق للصواب واليه المآب
سورة العلق مكية وهي تسعة عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا باسم ربك الذي خلق محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرا مفتتحا
باسم ربك قل باسم الله ثم اقرا الذي خلق لم يذكر للخلق مفعول لان المعنى
الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه او تقديره خلق كل شيء
فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره اولى من بعض
وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق بشرفه
ولان التنزيل اليه ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان الا انه ذكر مبهما ثم مفسرا
تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق وانما جمع ولم يقل من علقة
لان الانسان في معنى الجمع اقرا وربك الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه
على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم
وجحودهم لنعمه وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال
الذي علم الكتابة بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم
عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة
لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت
اخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي فما استقامت امور
الدين والدنيا ولم يكن على دقيق حكمة الله دليل الا امر القلم والخط لكفى به
كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه
ان الانسان ليطغى نزلت في ابي جهل الى اخر السورة ان راه اذ راى نفسه يقال
في افعال القلوب رايتني وعلمتني ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار
لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين استغنى هو المفعول الثاني ان الى ربك
الرجعى تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريقة الالتفات والرجعى مصدر
بمعنى الرجوع اي ان رجوعك الى ربك فيجازيك على طغيانك ارايت الذي ينهى
عبدا اذا صلى اي ارايت ابا جهل ينهى محمدا عن الصلاة ارايت ان كان على الهدى
اي ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او امر
بالتقوى او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان
كما يعتقد ارايت ان كذب وتولى ارايت ان كان الناهي مكذبا بالحق متوليا
عنه فيما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله

فيجازيه

فيجازيه على حسب حاله وهذا وعيد وقوله الذي ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا
ارايت وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم
بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني وهذا كقولك ان
اكرمتك اتكرمني وارايت الثانية مكررة زايدة للتوكيد كلا ردع لابي جهل
عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة الاصنام ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه
لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض
على الشيء وجذبه بشدة وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف واكتفى
بلام العهد عن الاضافة للعلم بانها ناصية المذكور ناصية بدل من الناصية
لانها وصفت بالكذب والخطا بقوله كاذبة خاطئة على الاسناد المجازي وهما
لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ
فليدع ناديه سندع الزبانية النادي المجلس الذي يجتمع فيه القوم والمراد اهل النادي
روي ان ابا جهل مر بالنبي عليه السلام وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله
عليه السلام فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزل والزبانية لغة
الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملايكة العذاب وعنه عليه السلام
لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع لابي جهل لا تطعه اي اثبت على
ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد
الصلاة واقترب وتقرب الى ربك بالسجود فاقرب ما يكون العبد الى ربه اذا
سجد كذا الحديث سورة القدر مكية وقيل مدنية وهي خمس ايات
بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر عظم القران حيث اسند انزاله اليه
دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن الانتباه عليه ورفع
مقدار الوقت الذي انزل فيه روي انه انزل جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ
الى سماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث
وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والقدر
بمعنى التقدير او سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي وهي ليلة السابع
والعشرين من رمضان كذا روى ابو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن زر
ان ابي بن كعب كان يحلف على ليلة القدر انها ليلة السابع والعشرين من
رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي
الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء الصلاة الوسطى واسمه الاعظم وساعة
الاجابة في الجمعة ورضاه في الطاعات وغضبه في المعاصي وفي الحديث
من ادركها يقول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني وما ادراك ما ليلة
القدر اي ولم تبلغ درايتك غاية فضلها الى هذه الغاية ليلة القدر خير من
الف شهر ما يوجد فيها من تنزل الملايكة والروح وفصل كل امر حكيم
وذكر في تخصيص هذه المدة ان النبي عليه السلام ذكر رجلا من بني اسرائيل
لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المومنون من ذلك وتقاصرت
اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملايكة

الى السماء الدنيا او الى الارض والروح جبريل او خلق من الملايكة لا يراهم الملايكة
الا تلك الليلة او الرحمة فيها باذن ربهم من كل امر اي تنزل من اجل كل امر
قضاه الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف سلام هي ما هي الا سلامة
خبر ومبتدا اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها
بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المومنين قيل
لا يلقون مومنا ولا مومنة الا سلموا عليه في تلك الليلة حتى مطلع الفجر اي
وقت طلوع الفجر بكسر اللام علي وخلف ونزحوه من السلام الذين كفروا

سورة القيمة مختلف فيها وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب اي اليهود
والنصارى واهل الرجل اخص الناس به واهل الاسلام من يدين به والمشركين
عبدة الاصنام منفكين منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل
عليه حتى تاتيهم البينة الحجة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم
يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث اسلم
بعض وثبت على الكفر بعض رسول من الله اي محمد عليه السلام وهو بدل
من البينة يتلو يقرا عليهم صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها
الصحف كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فمنهم من انكر نبوته بغيا وحسدا
ومنهم من امن وانما افرد اهل الكتاب بعد ما جمع اولا بينهم وبين المشركين
لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من
لا كتاب له ادخل في هذه الوصف وما امروا اي في التوراة والانجيل الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين من غير شرك حنفا مومنين بجميع الرسل
مايلين عن الاديان الباطلة ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة
اي دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين
فيها اولئك هم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية
ونافع يهمزهما والقرا على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال
على تخفيفه ورفض الاصل جزاؤهم عند ربهم جنات عدن اقامة تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم اي بقبول اعمالهم ورضوا عنه
بثوابها ذلك اي الرضا لمن خشي ربه وقوله خير البرية يدل على فضل المومنين
من البشر على الملايكة لان البرية الخلق واشتقاقها من برا الله الخلق
وقيل اشتقاقها من البري وهو التراب ولو كان كذلك لما قروا البرية
بالهمز كذا قاله الزجاج والله اعلم سورة الزلزلة ثمان ايات مختلف فيها

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اي حركت زلزالها الشديد
الذي ليس بعده وقري بفتح الزاي فالمكسور مصدر والمفتوح اسم واخرجت
الارض اثقالها كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما في
جوفها من الدفاين اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة

اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها اي اليها
واسره اياها بالتحديث يومئذ يصدر الناس ع م

وتقطعت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها
احيا فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من
مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يومن بالبعث فاما المومن فيقول
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث
اي تحدث الخلق اخبارها فحذف اول المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها
الاخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفي الحديث
تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها بان ربك اوحى لها يصدرون عن
مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه امنين وسود الوجوه
فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار
ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة نملة صغيرة خيرا تمييز
يره اي يرى جزاءه ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قيل هذا في الكفار والاول
في المومنين ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل قدمت واخرت فقال
• خذا بطن هرشى او قفاها فانه • كلا جانبي هرشى لهن طريق •
وروي ان جد الفرزدق اتاه عليه السلام ليستقري فقرا عليه هذه الاية
فقال حسبي حسبي وهي احكم اية وسميت الجامعة والله اعلم بالصواب

سورة العاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها
اذا عدون عن ابن عباس رضي الله عنهما حكاه فقال اح اح وانتصاب ضبحا على
يضبحن ضبحا فالموريات توري نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها قدحا
قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار
تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا
فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح فاثرن به نقعا فهيجن بذلك
الوقت غبارا فوسطن به بذلك الوقت جمعا من جموع الاعداء ووسطه
بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة او للعدو الذي دل عليه والعاديات
وعطف فاثرن على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي
عدون فاورين فاغرن فاثرن وجواب القسم ان الانسان لربه لكنود لكفور
اي انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران وانه وان الانسان على ذلك
على كنوده لشهيد يشهد على نفسه او ان الله على كنوده لشاهد على سبيل
الوعيد وانه لحب الخير لشديد وانه لاجل حب المال لبخيل ممسك او انه لحب
المال لقوي وهو لحب عبادة الله ضعيف افلا يعلم الانسان اذا بعثر بعث
ما في القبور من الموتى وما بمعنى من وحصل ما في الصدور ميز ما فيها من الخير والشر
ان ربهم بهم يومئذ لخبير لعالم فيجازيهم على اعمالهم من الخير والشر وخص
يومئذ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ والله اعلم

سورة القارعة مكية وهي عشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة مبتدا ما مبتدا ثان القارعة خبره والجملة خبر المبتدا الاول وكان

حقه ماهي وانما كرر تعجيبا لشانها وما ادراك ما القارعة اي من اعلمك
ما هي ومن اين علمت ذلك يوم اي يوم يقرع نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي
تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار
والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وسمي
فراشا لتفرشه وانتشاره وتكون الجبال كالعهن المنفوش وشبه الجبال
بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وبالمنفوش منه لتفرق اجزايها فاما من ثقلت موازينه
باتباعهم الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع
ميزان وثقلها رجحانها فهو في عيشة راضية ذات رضا او مرضية واما من
خفت موازينه باتباعهم الباطل فامه هاوية فمسكنه وماواه النار وقيل
للماوى ام على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه وما ادراك ما هيه الضمير
يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال نار حامية بلغت النهاية في الحرارة
سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم
الهاكم التكاثر شغلكم التباري في الكثرة والتباهي بها في الاموال والاولاد
عن طاعة الله حتى زرتم المقابر حتى ادرككم الموت على تلك الحال او حتى
زرتم المقابر وعددتم من في المقابر من موتاكم كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي
للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون عند
النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه ثم كلا سوف تعلمون في القبور كلا تكرير
الردع للانذار والتخويف لو تعلمون جواب لو محذوف اي لو تعلمون ما بين
ايديكم علم اليقين علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لانفسكم من
الامور لما الهاكم التكاثر او لفعلتم ما لا يوصف ولكنكم ضلال جهلة لترون الجحيم
هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامي وعلي
ثم لترونها كرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل او الاول
بالقلب والثاني بالعين عين اليقين اي الروية التي هي نفس اليقين وخالصته
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عن الامن في الصحة فيم افنيتموهما عن ابن مسعود
رضي الله عنهما وقيل عن التنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه
وعن الحسن ما سوى كن يوويه وثوب يواريه وكسرة تقويه وقد روي
مرفوعا والله اعلم بالصواب سورة العصر مكية وهي ثلاث ايات
بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلاة العصر لفضلها
بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة ولان التكليف
في ادايها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم اخر النهار واشتغالهم
بمعايشهم او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما من دلايل القدرة او اقسم بالزمان
لما في مروره من اصناف العجايب وجواب القسم ان الانسان لفي خسر اي جنس
الانسان لفي خسران من تجاراتهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم
اشتروا الاخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذي

لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله
وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده
وتواصوا في الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله اعلم بالصواب
سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
ويل مبتدا خبره لكل همزة اي الذي يعيب الناس من خلفهم لمزة اي من
يعيبهم مواجهة وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قيل نزلت في الاخنس
بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل
في الوليد وان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر
ذلك القبيح الذي بدل من كل او نصب على الذم جمع مالا جمع شامي
وحمزة وعلي مبالغة جمع وهو مطابق لقوله وعدده اي جعله عدة لحوادث الدهر
يحسب ان ماله اخلده اي تركه خالدا في الدنيا لا يموت او هو تعريض بالعمل
الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه
كلا ردع له عن حسبانه لينبذن اي الذي جمع في الحطمة في النار التي
شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها وما ادراك ما الحطمة تعجيب وتعظيم نار الله
خبر مبتدا محذوف اي هي نار الله الموقدة نعتها التي تطلع على الافئدة
يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي
اوساط القلوب ولا شي في بدن الانسان الطف من الفواد ولا اشد تالما منه
بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل
خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقايد الفاسدة ومعنى اطلاع النار
عليها انها تشتمل عليها انها عليهم اي النار او الحطمة موصدة مطبقة
في عمد بضمتين كوفي غير حفص الباقون في عمد وهما لغتان في جمع عماد
كاهاب واهب وحمار وحمر ممددة اي توصد عليهم الابواب وتمدد على
الابواب العمد استيثاقا في استيثاق في الحديث المومن كيس فطن وقاف
متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لا يبالي
من اين اكتسب وفيما انفق والله اعلم سورة الفيل مكية وهي خمس ايات
بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك كيف في موضع نصب بفعل لا
بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولي
تر وفي الم تر تعجيب اي عجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت
هذه العظمة من ايات الله والمعنى انك رايت اثار صنع الله بالحبشة
وسمعت الاخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة باصحاب الفيل
روي ان ابرهة ابن الصباح ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة
بصنعا وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة
فقعد فيها ليلا فحرقها فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب
نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه
فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما بلغ المغمس

خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابا وعبا جيشه
وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن
هرول فارسل الله طيرا مع كل طاير حجر في منقاره وحجران في رجليه
اكبر من العدس واصغر من الحمصة وكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج
من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا وما مات ابرهة حتى
انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه
حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا
بين يديه وروي ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مايتي بعير فخرج اليه فيها
فعظم في عينيه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب
عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في روس الجبال فلما ذكر
حاجته قال سقطت من عيني جيت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين
ابايك وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا
رب الابل وللبيت رب سيمنعه **الم يجعل كيدهم في تضليل** في تضييع وابطال
يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضايعا وقيل لامرئ القيس الملك الضليل
لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس
ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا
بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم **وارسل عليهم طيرا ابابيل** حزايق
الواحدة ابالة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا
ترميهم وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه يرميهم اي الله او الطير لانه اسم
جمع مذكر وانما يونث على المعنى **بحجارة من سجيل** هو معرب من سنك كل
وعليه الجمهور اي الاجر **فجعلهم كعصف ماكول** زرع اكله الدود والله اعلم

سورة قريش مكية وهي اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين
ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط اي ان نعم الله عليهم لا تحصى
فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة
او بما قبله فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش يعني ان ذلك الاتلاف
لهذا الايلاف وهذا كالتضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي
قبله لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل ويروى عن
الكساي ترك التسمية بينهما والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم
ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن
في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش
لايلاف قريش شامي اي لموالفة قريش يقال الفته الفا والافا وقريش
ولد النضر ابن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر
تعبث بالسفن فلا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم فسموا بذلك
لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لانهم

كانوا

كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد **ايلافهم رحلة الشتاء والصيف**
اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا
لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به واراد رحلتي الشتاء
والصيف فافرد لامن الالباس وكانت لقريش رحلتين يرحلون في الشتاء
الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم
امنين لانهم اهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم **فليعبدوا رب هذا
البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف** والتنكير في جوع وخوف
لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وامنهم من
خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم
وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وامنهم
من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام

سورة الماعون مختلف فيها وهي سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الذي يكذب بالدين اي هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم
تعرفه **فذلك الذي** يكذب بالجزاء هو الذي **يدع اليتيم** اي يدفعه دفعا
عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة **ولا يحض على طعام
المسكين** ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء
منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف اي لو امن بالجزاء وايقن بالوعيد
لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه دل انه مكذب
ثم وصل به قوله **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون
ويمنعون الماعون** يعني بهذا المنافقين اي لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون
وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون
انفسهم في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وانهم لا يريدون
بها قربة الى ربهم ولا تادية لفرض فهم يتخشعون ويتنقفون ولا يدرون
ماذا يفعلون ويظهرون للناس انهم يودون الفرايض ويمنعون الزكاة
وما فيه منفعة وعن انس والحسن قال الحمد لله الذي قال عن صلاتهم
ولم يقل في صلاتهم لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة
التفات اليها وذلك فعل المنافقين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها
بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره والمراءاة
مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه
والاعجاب ولا يكون الرجل مرائيا باظهار الفرايض فمن حقها الاعلان بها
لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرايض الله والاخفاء في التطوع
اولى فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا والماعون الزكاة وعن ابن
مسعود رضي الله عنه ما يتعاور في العادة بين الناس من القدر
والدلو والمقدحة ونحوها وعن عايشة رضي الله عنها الماء والنار والملح

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث ايات بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل هو نهر في
الجنة احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من
الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من الفضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو الخير الكثير فقيل له ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير
الكثير فصل لربك فاعبد ربك الذي اعزك باعطايه وشرفك وصانك من منن
الخلق مراغما لقومك الذي يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه اذا
نحرت مخالفا لعبدة الاوثان في النحر لها ان شانئك ان من ابغضك من قومك
بمخالفتك لهم هو الابتر المنقطع عن كل خير لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة
من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان
كل عالم وذاكر الى اخر الدهر يبدا بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الاخرة
ما لا يدخل تحت الوصف لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا
والاخرة قيل نزلت في العاص بن وائل سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له
وهو خبر ان وهو فصل والله اعلم سورة الكافرون مكية وهي ست ايات
بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون المخاطبون كفرة مخصوصون
قد علم الله انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع
ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله
ان اشرك بالله غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك
فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فايسوا
لا اعبد ما تعبدون اي لست في حالي هذه عابدا ما تعبدون ولا انتم عابدون
الساعة ما اعبد وذكر بلفظ ما بمعنى الله ولا انا عابد ما عبدتم ولا اعبد فيما
استقبل ما عبدتم ولا انتم فيما تستقبلون عابدون ما اعبد وذكر بلفظ ما
لان المراد به الصفة اي لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او ذكر بلفظ
ما ليتقابل اللفظان ولم يصح في الاول من وصح في الثاني ما بمعنى الذي لكم
دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي وبفتح الياء نافع وحفص وروي
ان ابن مسعود رضي الله عنه دخل المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم
جالس فقال له نازل يا ابن مسعود فقرا قل يا ايها الكافرون ثم قال
له في الركعة الثانية اخلص فقرا قل هو الله احد فلما سلم قال يا ابن مسعود
سل تجب والله الموفق للصواب سورة النصر مكية وهي ثلاث ايات
بسم الله الرحمن الرحيم اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك
قبل كونه من اعلام النبوة وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع
جاء نصر الله والفتح النصر الاغاثة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد
والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح
مكة او جنس نصر الله على المؤمنين وفتح بلاد الشرك ورايت الناس يدخلون
هو حال من الناس على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت او مفعول ثان

على انه بمعنى علمت في دين الله افواجا هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا
فسبح اي اذا جاء نصر الله اياك على من ناواك وفتح البلاد ورايت اهل
اليمن يدخلون في ملة الاسلام جماعات كثيرة بعدما كانوا يدخلون فيه
واحدا واحدا واثنين اثنين فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فصل له
واستغفره تواضعا وهضما للنفس او دم على الاستغفار انه كان لم يزل توابا
الكثير القبول للتوبة وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة ويروى ان عمر
رضي الله عنه لما سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين سورة اللهب مكية وهي خمس ايات
بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب التباب الهلاك ومنه
قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى
اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك كله او
جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى
وتب وكان ذلك وحصل كقوله
• جزاني جزاه الله شر جزائه • جزاء الكلاب العاويات وقد فعل •
ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب روي انه لما نزلت
وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه
الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم
ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي
الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت وانما كناه والتكنية
تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم او لكراهة اسمه فاسمه عبد العزى او لان
ماله الى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته ابي لهب مكي ما اغنى عنه ماله
ما للنفي وما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية اي ومكسوبه او وكسبه
اي لم ينفعه ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد
والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروي انه كان
يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي
سيصلى نارا سيدخل سيصلى البرجمي عن ابي بكر والسين للوعيد اي
هو كائن لا محالة وان تراخى وقته ذات لهب توقد وامراته هي ام جميل
بنت حرب اخت ابي سفيان حمالة الحطب كانت تحمل حزمة من الشوك
والحسك فتنثرها في الليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل كانت تمشي بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس وتنصب عاصم
حمالة الحطب على الشتم وانا احب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وعلى هذا يسوغ الوقف
على امراته لانها عطفت على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو وامراته
والتقدير اعني حمالة الحطب وغيره رفع حمالة الحطب على انها خبر وامراته
او هي حمالة في جيدها حبل من مسد حال او خبر اخر والمسد الذي فتل

من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة والله اعلم بالصواب واليه المآب وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة الاخلاص اربع ايات مكية عند الجمهور وقيل مدنية والاول اوجه

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له ومحل هو الرفع على الابتدا والخبر هو الجملة ولا يحتاج الى الراجع لانه في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله تعالى وعلى هذا احد خبر مبتدا محذوف اي هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل على انه واحد من جهة العقل ان الواحد اما ان يكون في تدبير العالم وتخليقه كافيا او لا فان كان كافيا كان الاخر ضائعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ولان العقل يقتضي احتياج المفعول الى فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد اولى من عدد فيفضي ذلك الى وجود اعداد لا نهاية لها وذا محال فالقول بوجود الالهين محال ولان احدهما اما ان يقدر على ان يستر شيئا من افعاله عن الاخر او لا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا ولانا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر احدهما دون الاخر فالاخر لا يكون الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجدا بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الاخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجده احدهما فاما ان يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول مزيلا قدرة الثاني فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قلت الواحد اذا اوجد مقدورا بنفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد اذا اوجد مقدورا لنفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا واما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الاخر فكان ذلك تعجيزا الله الصمد هو فعل بمعنى مفعول

من

من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو غني عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده اذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر الى محدث وكذا الثاني والثالث فيؤدي الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذ من ان يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسد بالهين او غير متصف بها بل باضدادها من سمات الحدث وهو محال ولم يكن له كفوا احد ولم يكافئه احد اي لم يماثله سألوه ان يصفه لهم فاوحي اليه ما يحتوي على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة الى انه خالق الاشيا وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي لان المتصف بالقدرة والعلم لا بد وان يكون حيا وفي ذلك وصفه بانه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا باضدادها وهي نقائص وذا من امارات الحدث فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله احد وصفه بالوحدانية ونفي الشريك وبانه المتفرد بايجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات وقوله الصمد وصفه بانه ليس الا محتاجا اليه فهو غني لا يحتاج الى احد ويحتاج اليه كل احد وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يولد نفي للحدوث ووصف بالقدم والاولية وقوله ولم يكن له كفوا احد نفي ان يماثله شيء ومن زعم ان نفي الكفو وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه في الحال فقد تاه في غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة اذ الحادث لا يكون كفوا للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤول الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررنا واستحسن سيبويه الظرف اذا كان مستقرا اي خبرا لانه لما كان محتاجا اليه قدم ليعلم من اول الامر انه خبر لا فضلة وتاخيره اذا كان لغوا اي فضلة لان التاخير مستحق للفضلات وانما قدم في الكلام الافصح لان الكلام سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الاهم تقديمه وكان ابو عمرو يستحب الوقف على احد ولا يستحب الوصل قال عبد الوارث على هذا ادركنا القراء واذا وصل نون وكسر او حذف التنوين كقراءة عزير ابن الله كفوا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفؤا مثقلة

غير مهموز حفص الباقون مثقلة مهموزة وفي الحديث من قرا سورة الاخلاص
فقد قرا ثلث القران لان القران يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى
الاوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد
والصفات فقد تضمنت ثلث القران وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف
لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا
العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف
منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين
لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت
فقيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة والله الموفق
سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الفلق اي الصبح او الخلق او هو واد في جهنم او جب فيها
من شر ما خلق اي النار والشيطان وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية
ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه من شر بالتنوين
وما على هذا مع الفعل بتاويل المصدر في موضع الجر بدل من شر اي شر
خلقه اي من خلق شر او زائدة ومن شر غاسق اذا وقب الغاسق الليل
اذا اعتكر ظلامه ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء وعن عائشة رضي الله
عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال
تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في
الكسوف واسوداده ومن شر النفاثات في العقد النفاثات النساء
او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن
عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة
في انكار تحقق السحر وظهور اثره ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر
حسده وعمل بمقتضاه لانه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده
بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الاسف على الخير عند
الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق
اشعار بان شر هؤلاء اشد وختم بالحسد ليعلم ان شره اشد وهو اول ذنب
عصي الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قابيل وانما عرف
بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت
النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون
في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد ورب حسد يكون محمودا
كالحسد في الخيرات والله اعلم سورة الناس ست ايات مختلف فيها
بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس اي مربيهم ومصلحهم
ومصلحهم ملك الناس مالكهم ومدبر امورهم اله الناس معبودهم
ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس اله

الناس عطف بيان لرب الناس لانه يقال لغيره رب الناس وملك الناس
واما اله فخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار
دون الاضمار وانما اضيف الرب الى الناس خاصة وان كان رب
كل مخلوق تشريفا لهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس
في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس
بربهم الذي يملك عليهم امورهم ومالهم ومعبودهم وقيل اراد
بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثاني الشباب
ولفظ الملك يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن
العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحون اذ الشيطان مولع باغوائهم
وبالخامس المفسدون لعطفه على المعوذ منه من شر الوسواس هو اسم
بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر
كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها
شغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت
الخفي الخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر
كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس
الشيطان وولى واذا غفل رجع ووسوس اليه الذي يوسوس في صدور الناس
في محل الجر على الصفة او الرفع او النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين
يحسن الوقف على الخناس من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان
الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن ابي ذر
رضي الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس روي
انه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال احدهما لصاحبه
ما باله فقال طب قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم
طبه قال بمشط ومشاطة في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذي اروان
فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضي الله عنهم
فنزحوا ماء البئر واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راسه واسنان من
مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت
هاتان السورتان وكلما قرا جبريل اية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام
عند انحلال العقدة الاخيرة كانما انشط من عقال وجعل جبريل يقول
باسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ولهذا اجوز الاسترقاء
بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية
والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا اعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا
ومن سيئات اعمالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه ارسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
وكان الفراغ من كتابته في يوم السبت المبارك سادس عشر من الحجة ختام سنة ١١٢٥

الذي عن الشيطان منه

وكاتبه بيده الفانية العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه القدير
الفقير حجازي ابن الفقير محمد العشماوي الطولوني غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد
واله وصحبه وسلم اجمعين وسلام
على المرسلين والحمد لله
رب العالمين
امين

وما من كاتب الا سيفنى ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بيدك غير شيء يسرك في القيامة اذ تراه